التحليل النفسي والعلم المعرفي

نظرية الشفرة المتعددة

ويلما بوتشي

تقديم وترجمة
الدكتور فؤاد الدواش

مراجعة
الأستاذ الدكتور عبد الله عسكر

٢٠١٩



مكتبة الأنجلو المصرية

بطاقة فهرسة

بوتشى, ويلما .
التحليل النفسى والعلم المعرفى نظرية الشفرة المتعددة
تاليف : ويلما بوتشى ، ترجمة الدكتور / فؤاد الدواش
١٧× ٢٤ سـم . ط١

أ- العنوان

رقـم الإيداع :٢٠٢٠/٣٤٩٦
ISBN: ٩٧٨-٩٧٧-٠٥-٣٢٩٧-٣

طبع فى جمهورية مصر العربية بمطبعة محمد عبد الكريم حسان
مكتبـة الانجلـو المصريـة ١٦٥ شارع محمد فريد القاهرة – مصر
تليفون : ٢٣٩١٤٣٣٧ (٢٠٢) ؛ فاكس : ٢٣٩٥٧٦٤٣ (٢٠٢)
E-mail: angloebs@anglo-egyptian.com
Website www.anglo-egyptian.com

شكر

لا أعمال إلا بتوفيق ، ولا توفيق إلا بقوة ، ولا أقوى من إرادة الله أن يوفق ساعياً للعلم في مسعاه ، وبعد الله أشكر أسرتي التي سمحت لي بكثير من الوقت لأنجز هذه الترجمة التي أراها مرهقة وبينية ، وأشكر أيضا أمي ودعواتها بالسحر لأنجز عملي ، وأشكر صديقي ومقام العم والوالد سيدي سمير عتمان الباحث سابقا بجامعة جنوبي كاليفورنيا على رعايته ومساندته لي ، ولا تكفي الكلمات لشكر أخي الأكبر وأستاذي العلامة الدكتور عبد الله عسكر على تشجيعه لي لأنهي العمل الحالي وتفضله بمراجعته ، فله من الله خير الجزاء، وأخيراً ، فالله من وراء القصد،

فؤاد الدواش

مقدمة المترجم

أما قبل، فترجمتي لهذا العمل أراها تأليفاغير مباشر في مساحة بينية (تحليلية ، معرفية ،عصبية) داخل العلوم النفسية ، فهي تحتوي نقدا وإعادة للبناء وإمداداً يدمج أنظمة وإلماماً هاماً بتطوير قوة رئيسة في علم النفس " التحليل النفسي " ، ومساعدة في نقد وتطوير بحوث وممارسات العلاج النفسي.

إن الموضوعية تمثل أساساً قويا يدعم نتائج العلم ، وهي تعني ابتعاد العالم عن ذاتيته وتحيزه الشخصي ، إلا أن ذلك لا يتنافى مع كون العلم ربما يبدأ تساؤلا أو خبرة ذاتية تحتاج للتفسير والتدليل والنزول للميدان لإيجاد ما يدعم أو يدحض السعي لإجابات واكتشافات ، وفي كلٍ من الدعم والتأييد لدينا نتيجة تؤسس صرح العلم.

حين يكون البحث والتأليف نابع من خبرة شخصية وبخاصة خبرة ألم ومعاناة ، وتتحول تلك الخبرة إلى رغبة في الاستكشاف الذاتي والاستكشاف العلمي في آن واحد فهذا يعني أننا في سبيلنا الصحيح للوصول لطرح علمي متميز ، حتى وإن كان سيثير جدلا وعصفا ذهنيا ، وهذا ما حدث مع ويلما بوتشي مؤلفة الكتاب الحالي .

أولا الحدث المحفز لهذا الكتاب

توضح بوتشي أنها عانت من اضطرابات نفسية ، وأنها تلقت علاجا تحليليا نفسيا ، وكان هذا العلاج مؤثرا جدا في إعادة تشكيلها لحياتها ، هذا الأثر جعلها كعالم نفس معرفي تدخل في رحلة استكشاف في ما حدث لها أثناء العلاج وفي التحليل النفسي ذاته وما تلقاه من انتقادات وإعلان لفشله وأن إشكالية ميتاسيكولوجي فرويد أنها محكومة بنظرية غير قابلة للاختبار الواقعي، حتى أن فرويد نفسه في كثير من الأعمال كان يعلن أنه لا يعرف على وجه الدقة كيف سيحدث أمر ما داخل أجزاء الجهاز النفسي، وهي تشيرإلى ذلك كما يلي:

وكمريضة تلقت علاج تحليل نفسي وعالمة في علم النفسي المعرفي أيضًا، وجدت نفسي مرتبطة بعمليات اكتشاف متوازية مطبقة على حياتي الخاصة وعملية العلاج بالتحليل النفسي. وقد بدأت العلاج بافتراض أن التحليل النفسي

به نظرية تعمل على العقل والوجدان. وقد افترضت أيضاً أن المحللين الذين ظهروا متأكدين بوضوح من الاجراءات الواجب اتباعها- القاعدة الأساسية والاستلقاء على الأريكة والصمت والتأويلات - كان لديهم فهم واضح لكيفية عمل هذه الإجراءات. وإن الاستكشافات التي صنعتها عن نفسي توازت إلى حد ما مع الاستكشافات التي صنعتها عن حقل التحليل النفسي. وإن التحليل النفسي - مثل الأفراد يبحث عن المساعدة - يملك العديد من نقاط القوة، ولكنها مثقلة بنظرية غير قابلة للاختبار الواقعي وافتراضات مشوهة عفا عليها الزمن وغير كاملة(Bucci, 1997)

ثانيا الميتاسيكولوجيا الفرويديه:

يشير فرويد إلى أن الميتاسيكولوجي بناء على أساسالملاحظة التحليلية النفسية هي طريقة منهجية للتفكير في العمليات التي تحدث داخل العقل ، وأن الميتاسيكولوجي تعمل طبقا لمبدأ اللذة ، وأنها تنظر للعمليات العقلية من منظور دينامي وطبوغرافي واقتصادي ، ويفصل فرويد ذلك كما يلي :

قد قمت بالفعل بمحاولات فيالمراحل السابقة من عملي للتوصل إلى بعض وجهات النظر العامة على أساسالملاحظة التحليلية النفسية. وفي مقال قصير"الصيغتان حول مبدئي الأداءالعقلي" ، ولفتت الانتباه إلىهيمنة مبدأ اللذة /عدم اللذة في الحياة العقلية ونزوحها إلى مبدأ الواقع. وقد قمت فيوقت لاحق بمحاولة لإنتاج "ميتاسيكولوجي". كنت أعني بذلك طريقة منهجيةيتم بموجبها التفكير في كل عملية عقلية بوجهات ثلاث، دينامية، وطوبوغرافية ، واقتصادية على التوالي ؛ وبدا ليتمثيل أبعد من ذلك الهدف أن علم النفس يمكن أن يتحقق. كانت المحاولة لاتزيد عن الجذع(Freud, 1910)

وإن وجهات النظر الثلاثة هي مناظير يرى بها فرويد كيفية حدوث العملية النفسية ، ففي الدينامية نجد الوظائف والتفاعلات بين مكونات الجهاز النفسي (هو – أنا – أنا أعلى) ، وفي الطبوغرافيا نجد المساحات الشعورية وقبل الشعورية واللاشعورية حيث تتحدد الكيفيات المختلفة لعمل الجهاز النفسي بأجزائه ، وفي الاقتصادية نجد كمية الطاقة التي تتراوح بين الكبح والإفراغ.

وإن فرويد يطلق على الميتاسيكولوجي لقب "الساحرة " التي تعطي تفسيرات إلى ما يحدث من انسجام أو توتر فيما بين مكونات الجهاز النفسي وأنه بدون هذه الساحرة المفترضة لا يمكن التقدم في شيء ، وأن هذه الساحرة دورها التكهن أوالتخيل ،ويفصل فرويد ذلك كما يلي :

فالغريزة تُجلب بالكامل في انسجام الأنا ، وتصبح متاحة في جميع تأثيرات الاتجاهات الأخرى في الأنا ، ولم تعد تسعى إلى الذهاب بطريقة مستقلة للإشباع. وإذا طُلب منا ما هي الأساليب والوسائل التي يتم بها تحقيق هذه النتيجة ، فليس من السهل العثور على إجابة. لا يسعنا إلا أن نقول: "هنا يجب أن يكون دور الساحرة!" – الساحرة.. الميتاسيكولوجي. فبدون تكهنات ميتاسييكولوجي والتنظير – كنت قد قلت تقريباً "التخيُل"لن نتخذ خطوة أخرى للأمام. لسوء الحظ(frued, 1918)

وتتضمن الشخصية لدى فرويد عمليتين لإشباع الحاجات التي تمثل جوهر بقاء الإنسان ، هما العملية الأولية والثانوية ، واللتان تمثلان انشطارا أساسيا في الفكر يبرز الثنائية الفرويدية ، وهما ما عول عليه فرويد بشدة في أعماله ، وتستشهد بوتشي من حديث فرويد كما يلي :

الساحرة هي الميتاسيكولوجي. وبدون تخمينات وتنظيرات ميتاسيكولوجية– فقد قلت تقريباً" التخيل" ـ لا يجب علينا أن نتقدم خطوة أخرى للأمام. ولسوء الحظ، فهنا كما في أي مكان آخر، ما كشفته ساحرتنا ليس واضحاً جداً ولا مفصلاً. فلدينا فقط مفتاحاً واحداً لنبدأ منه ـ رغم أنه مفتاحاً ذا قيمة مرتفعة ـ تحديداً، التناقض بين العمليات الأولية والثانوية(Bucci, 1997, p. :24)

ثالثا رؤية بوتشي لميتاسيكولوجيا فرويد :

في القسم الأول من الكتاب الحالي جمعت ويلما بوتشي في كتابها الحالي بعضا من الأسس الهامة لتفنيد فشل الميتاسيكولوجي كبداية لطرح نظريتها التي تهدف لتكامل مكتشفات معرفية مع التحليل النفسي :

–إن صياغة فرويد للعمليات الأولية والثانوية كانت متجذرة في مفهوم الطاقة وبالتالي تحتفظ بكل الصعوبات لهذا الأساس التنظيري(ص:24).

-ومع فشل نموذج الطاقة، يبقى الليبيدو والحفز، ومفاهيم ذات صلة في حاجة إلى تعريف، دون معنى ثابت في المصطلحات التنظيرية أو الميدانية (ص:34)

-رأى فرويد أن طريقة التحليل النفسي ضرورة وكافية لصدق نظرية التحليل النفسي. وأولئك المحللون المستمرون في الإعتماد على" طريقة التحليل النفسي" في مواجهة تراكم الأدلة بخصوص فشلها يميلون أيضًا إلى تقليل قيمة النتائج التجريبية والبحوث الميدانية الأخرى خارج" طريقته."(ص:45)

-المشكلة مع صياغة فرويد هي فشلها في إدراك الطبيعة الأساسية لمثير نفسي ، فليس مقبولا أن يتم تفسير المثير في ضوء اختزاله لأصوله البيولوجية ، وإهمال دلالته النفسية في العالم النفسي للمعنى، أو العمدية (ص:59)

-رفض فرويد المذهب الميكانيكي للفسيولوجيا الفيزيائية؛ وعاد بحزم إلى علم نفس نقي ، إلا أنه قد عاد فرويدإلى وجهة نظر نفسية جسدية للكائن الحي ككل(ص:61).

-تقر ويلما بوتشي بفشل الميتاسيكولوجي ، إلا أنها ترى أن الجهاز النفسي التجريدي لدى فرويد والميتاسيكولوجي لها صداها ، وليس من الضروري رفض غرض فرويد لتطوير نظرية شارحة للجهاز العقلي لأن المحاولة الأولى لم تنجح. وإن نظرية إكلينيكية ليست كافية كنموذج تفسيري عام؛ وهناك حاجة إلى إطار تنظيري شامل لتقديم تعريفات لمفاهيم إكلينيكية. وإن مجموعة متنوعة من الافتراضات الإكلينيكية البديلة والتي يتم افتراضها اليوم يمكن فقط أن تكون مُصاغة في شكل متماسك وقابل للاختبار(ص:73)

رابعا : لماذا مدخل الكتاب الحالي ؟

إلى جانب اهتمام بوتشي بنموذج معرفي لبحوث وعملية العلاج بالتحليل النفسي ،فهيتعمل في مساحات بينية داخل العلوم النفسية ، فهي متخصصة ابتداءا في علم النفس المعرفي ، ومهتمة بالعلاج والمجال الإكلينيكي وبخاصة العملية العلاجية والبحثية في التحليل النفسي "وسبقت الإشارة إلى كونها مريضة تلقت علاجا تحليليا نفسيا أيضا" ، ومهتمة بالتطبيقات الحاسوبية

لتطوير بحوث وعمليات البحث في العلاج النفسي التحليلي ، وبالتالي فهي تعمل في ظل منهج المعالجات البينية والمعالجات المتعددة فيما يرتبط بعملها في نظرية الشفرة المتعددة Multiple Code Theory.

وترى بوتشي (bucci, 1985) أن أصوات الكلام فقط هي التي تمر جيئة وذهابا فيما بين المريض والمحلل ، وفي النهاية فإن العلاج يبحث فيما وراء الكلمات إلى تنوع عناصر الخبرة ـ تصورية ، مشاعر ، رغبات ـ والتي لم يتم نطقها أو تم تسميتها بشكل خاطئ . وإن الخبرة التي يتم تمثلها في ذاكرة المريض يجب أن يتم تمثلها مرة أخرى في اللغة المنطوقة ، ثم يعاد تمثلها في عقل المحلل . وإن التساؤل الرئيسي الذي يشاركه التحليل النفسي مع الأنظمة الأخرى يتضمن اللغويات النفسية وعلم النفس المعرفي والفلسفة أيضا ، هو الأهتمام بالتواصل بين هذه المجالات التمثلية وصدق الاستنباط من الخبرة التي ربما تنبثق من الكلمات.

وقد اهتمت بوتشي بتكامل نموذج معرفي مع نظرية التحليل النفسي ، في البداية كان تركيزها على إدماج هذا النموذج المعرفي في بحوث التحليل النفسي، إلى أن انتقلت من هذا النموذج المعرفي المستدخل في بحث التحليل النفسي وصولا إلى تعميمه في العملية العلاجية للتحليل النفسي ، وفي هذه الرحلة ركزت بوتشي على نقد النماذج المعرفية ثم التركيز على نموذج بيفيو للتشفير الثنائي Dual Coding ، ومنه طورت نموذجها الخاص للتشفير المتعدد Multiple Coding.وفي القسم الثاني من هذا الكتاب يتم تناول بنية المعرفة ، والأنظمة المتعددة ، والتكامل بين الوجدان والمعرفة ، والنماء المعرفي والوجداني للطفل ، والأسس العصبية والفسيولوجية للتشفير المتعدد.

وترى بوتشي (ص 77:78) أن النظام الرمزي هو بناء مهيمن على المعرفة الإنسانية ، وهو يحظى بدرجة قبول كبيرة ، وإن الكائنات الذكية الآن على رأسها البشر والحواسيب ، وإن أشهر النماذج التي تم طرحها في الوقت الراهن للمعالجة الرمزية شملت أبنية تحتوي مكونات أقل ما يقال فيها أنها متناقضة أو قد يكون بها درجة من عدم التوافق ، وهي المعالجة الموزعة المتوازيةParallel

distributed Processing (PDP)، ويطلق على تلك المعالجة "البناء الرمزي الكلاسيكي" الذي يتبع التصميم العام لحاسوب فون نيومان von Neumann. ويتضمن إصداراً معيناً للأنواع التالية من وحدات المعالجة (ذكريات مؤقته ، ذاكرة قصيرة المدى، أبنية تحكم لمراقبة تشغيل وتكامل وحدات المعالجة تلك)، إلا أن بوتشي حاججت بأدلة متراكمة بحثيا أن المعالجة الموزعة المتوازية بها إشكاليات في المعالجة ، فهي (لا تصلح لكن أنماط التعلم ، حيث إن كل نمط تعلم سيحتاج شبكة خاصة به للتعلم ، إلى جانب أن الأشخاص لديهم كيفيتين للمعالجة إحداهما سريعة لاشعورية والأخرى بطيئة شعورية وتسلسلية ، مما قد يعوق توافق مكونات المعالجة الموزعة المتوازية من حيث السرعة والأداء .

وأما عن نظرية الهيمنة اللفظية أو التوسط اللفظي فهي تعتبر التفكير مشفر في شكل لفظي وقد كانت نماذج التعلم والسلوك اللفظي هي الغالبة في دراسة المعرفة البشرية منذ وقت واطسون في حديثه عن السلوك اللفظي وحتى تشومسكي ، إلا أن بوتشي ترى أن التأكيد على التوسط اللغوي ينخفض عن طريق التعرف العام لأشكال التفكير غير اللغوية والمعقدة في البالغين العاديين ، وعن طريق وجود عمليات التفكير المعقدة للأطفال فيما قبل اللغة والحيوانات غير البشرية.

وتناولت بوتشي أيضا نظريات الهيمنة الإدراكية (الصور) التي كانت مركزية في المدرسة الترابطية والاستبطانية لدى فونت وتتشنر ، إلا أن طرق دراستها وبحثها لم تتطور وبالتالي أبعدتها السلوكية بحجة أنه يصعب التحقق منها علميا ،إلا أنها عادت مع دراسات بيفيو وزملائه في الستينيات من القرن العشرين ، وتبلغ الهيمنة الإدراكية ذروتها مع البحوث التي توضح التنظيم الفئوي القائم على خصائص النظام الإدراكي نفسه ودون وساطة من قبل اللغة.

وأما عن نظريات الشفرة العامة فهي تركز على أن هناك شفرة تقديرية تجريدية واحدة ، تعمل تلك الشفرة داخل كل الكيفيات الحسية ، وتتعامل مع التشفير اللفظي وغير اللفظي ، ومن نماذجها تشفير التفكير كعملية بحث أيقوني Heuristic من أجل حل المشكلات ، ومن نماذجها أيضا وجود لغة مهيمنة

يتم فيها تشفير المعرفة بشكل رمزي وبالتالي تتم التمثلات المعرفية من خلال افتراضات أو شبكات افتراضات.

وإن هيمنة اللغة أو هيمنة الصورة تتوافق مع نظرية بيفيو (الشفرة الثنائية) ،حيث يركز بيفيو على الصورة داخل البناء غير اللفظي ، بينما نظرية الشفرة المتعددة تركز على :

١- استدخال تمثلات وعمليات بجميع الكيفيات الحسية ، بالإضافة إلى معلومات حركية وحشوية .

٢- كما تساهم في نظام معالجة المعلومات البشرية .

٣- وتلك النماذج التمثيلية المختلفة تعمل على مستوى الذاكرة طويلة المدى أو اللفظية التي يتم بها تعيين المعنى ، وليس فقط في الذاكرة قصيرة المدى أو الذاكرة المؤقتة.

٤- أن المعنى النفسي لحدث خارجي ، مثير لفظي أو إدراكي ، مُعرف بواسطة المجموعة الكاملة من كيفيات ردود الفعل اللفظية وغير اللفظية المحددة طبقا لنموذج ما ،و تتضمن مترادفات الكلمة ، وصور الموضوعات ، وردود أفعال حركية غير لفظية ، وردود أفعال وجدانية.

وترى بوتشي أيضا أن نظريات الشفرة المشتركة تمثل تمهيد جيد لتطور نظرية الشفرة المتعددة التي عملت عليها في الكتاب الحالي ، فهي ترى في نموذج جونسون – ليارد Johnson–Laird (1989) أن التبرير مبني على نماذج عقلية تعادل رموز داخلية وتمثل المرجع للخطاب اللفظي ، وهي ترى أن نموذج جونسون– ليارد يمثل نموذج هجين لشفرة متعددة .

خامسا نظرية الشفرة المتعددة :

١- الماهية

ترى بوتشي أن نظرية الشفرة المتعددة الواردة في هذا الكتاب هي نظرية نفسية لمعالجة المعلومات الوجدانية. وتهتم النظرية بالتفاعلات بين تنوع العمليات والتمثلات الحسية والحركية والجسدية والمعرفية واللغوية، وتكاملهما في بناء الذات ووظائفهما التكيفية أو اللاتكيفية في علاقتها بالأغراض الفردية ، وهي

نظرية نفسية لا ظاهراتية أو عصبية فسيولوجية وهي ككافة النظريات النفسية الحديثة تُبنى على أساس التكوينات الافتراضية ، ويتم تعريفها في ضوء تكوينات أخرى ، ويتم الاستدلال عليها من مؤشرات يمكن ملاحظتها داخل شبكة إسمية .

٢- أسس بناء نظرية الشفرة المتعددة لدى بوتشي ؟

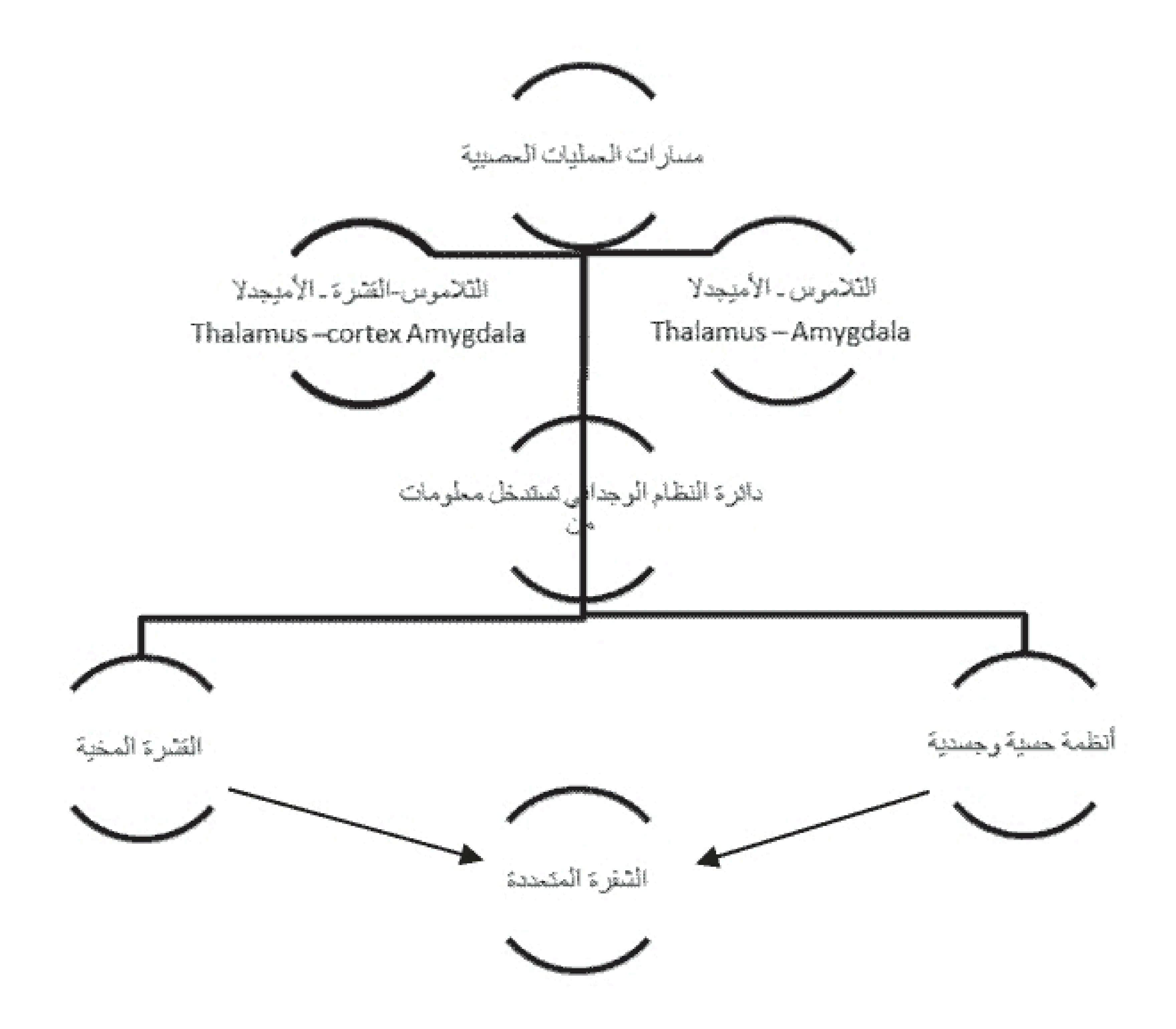
تشير بوتشي إلى نقاط مختلفة اعتمدت عليها في بناء نظرية الشفرة المتعددة :

- لا اعتمد فقط على العلم المعرفي التجريبي ودراسات المحاكاة الحاسوبية للعمليات الذكية، ولكن أيضاً بالاعتماد على حقول نمو الطفل والرضيع ونظرية الوجدان.

- وتلم نظرية الشفرة المتعددة بالطرق التي ربما تظهر بها الوظائف اللاتكيفية، وهذا يعني عملية التغير نحو الأشكال الأكثر تكيفاً.

-و هذا هو نمط النموذج الذي كان يحاول فرويد تطويره، بالرغم من عدم توافر الأدوات العلمية الموجودة حالياً

- الاعتماد على الدلالات الواردة من أبحاث نصفي المخ ، فقد اهتمت بوتشي بنتائج أبحاث نصفي المخ وبعد استعراضها الدراسات العصبية والنفسية لوظائف كل نصف مخي تصاعد تناولها وصولا إلى الكبت (والذي هو مفهوم أساسي في نظرية التحليل النفسي) ، حيث أشارت إلى اقتراحات جالن (1974) إلى أن الكبت قد يتضمن انفصالا وظيفيا بين مناطق محددة لنصفي المخ ، فكبت المعلومات الوجدانية السلبية ربما يعني أن مثل هذه المعلومات المكبوتة في مناطق محددة للنصف الأيمن لا تحصل على النفاذ الكامل للمراكز اللفظية في النصف الأيسر ، وأن "الكابتون" يظهرون استجابة لفظية قليلة للمعلومات السلبية ، واهتمت أيضا بمسارات الاستجابات العصبية وصولا إلى المعاني النفسية التي تثبت حجية نظرية الشفرة المتعددة كما يلي



سادسا الإلتقاء بين الشفرة المتعددة والميتاسيكولوجي

*** المفاهيم الأساسية لنظرية الشفرة المتعددة**

هناك عدد من المفاهيم تتضمنها نظرية الشفرة المتعددة وهي كما يلي :

أ-الرمزي الفرعي غير اللفظي : هو عديد من الخبرات التي لو حظت من خلال ماكليلاند وراميلهارت وهينتون مثل الحدس أو الإتصال الوجداني بين الأفراد .

ب-الرمزي الفرعي اللفظي :

الجوانب غير الرمزية في اللغة مثل (العروض أو الموسيقى ـ والوزن ـ والإيقاع وخصائص اللغة الصوتية) ، وكما كان يرى كوهلر فإنه هناك أدلة متزايدة أن أصوات الكلمات غالباً ما يكون لها علاقة متأصلة مع الموضوعات التي تمثلها ، لذا فالكلمات ربما لا يتم فهمها بصورة مجردة بحتة إلا بإلحاقها بالأشياء بصورة تعسفية .

ت–الرمزي غير اللفظي :

يهتم هذا المجال بالصور وتمثلات الموضوعات والأحداث التي ليس لها شكل اللغة اللفظية ، إضافة إلى ذلك الصور البصرية تلك التي تتضمن صورا وإدراكات آتية من الحواس الأخرى .

ث–الرمزي اللفظي :

يهتم إلى حد كبير بجوانب الوظائف العقلية التي تخص الكلمات واللغة كوحدات منفصلة للمعنى تندمج سويا لتشكيل تمثلات متزايدة التعقيد .

ويمكن تلخيص ما سبق كما بجدول (١) الموضوح لأنماط الترميزداخل بنية الشفرة المتعددة:

لفظي	غير لفظي	
رمزي فرعي لفظي	رمزي فرعي غير لفظي	رمزي فرعي
رمزي لفظي	رمزي غير لفظي	رمزي

ث– النشاط المرجعي : هو القدرة على التعبير عن كل أساليب الخبرة غير اللفظية ، وتحديدا الخبرة الوجدانية ، بشكل لفظي ، وخصائصه :

– يتفاوت بين الأفراد كسمة ثابتة نسبيا أومستوى للكفاءة .

– ومحدد من خلال عوامل وراثية وخُبروية .

–يُظهر أيضا سمة جديرة بالاعتبار أو تباين الأداء .

– يتقلب داخل فرد ما مع مرور الوقت ، كوظيفة سياق اتصالي وحالة فسيولوجية أو وجدانية

– يمثل جانب من وظيفة اللغة التي تُعد مركزية للشفاء الكلامي .

–وإن التباين في مستوى النشاط المرجعي يخدم كمؤشر للقدرة على الانخراط في العلاج التحليلي النفسي وكوسيلة لتعقب فعالية عملية العلاج .

ت–العملية (الدائرة) المرجعية : وظيفة معرفية في ذاتها " مثل اللفظية ، أو التصور ، أو قدرات الأداء" و تنظم الخبرة غير اللفظية وتربطها بالكلمات .

ث- مراحل العملية المرجعية :

حددت بوتشي ثلاث مراحل للعملية المرجعية كما يلي :

١- التنشيط الرمزي الفرعي : إن الوجدان يسبق المعرفة، لذا ففي المرحلة الأولى في العلاج تسيطر على مخططات الشخص خبرات حسية رمزية فرعية وحشوية ، ويصعب ذلك بشدة التعبير عنها في كلمات ، لذا من الهام التركيز على تحويل الخبرات الحسية والحشوية إلى تعبيرات.

٢- المرحلة الرمزية : وفي هذه المرحلة يتم الآتي :

أ- بناء التصور النموذجي ، فكما الخبرة الرمزية الفرعية (حسية - حشوية -حركية) فإنها مقسمة إلى طبقات وظيفية في كل الكيفيات الحسية ، وهي مخزنة في الذاكرة كصور نموذجية (التمثل : أي أن الخبرة الرمزية الفرعية " حسي -حشوي - حركي " يمثلها في الذاكرة صورة نموذجية

ب- سرديات الصور النموذجية والمشاهد: في هذه الخطوة يكون التركيز على ما يتم وصفه من موقف تم تنشيطه أو وصف الأحداث والمواقف ، فوصف الذكريات هنا يرتكز على هنا والآن ، ولكنها عمليا تربط كل وحدات الزمن ، ففي العادة يركز التحليل على سرد الماضي ، إلا أن التنشيط والاستدعاء حين يتم يستحضر المواقف في هنا والآن.

٣- مرحلة التأمل :فهم وتصديق: في هذه المرحلة يستطيع الشخص أن يخبر بالسرد فتظهر العلاقات ويظهر المخطط من داخل بنائه اللفظي

***تطبيق مراحل العملية المرجعية :**

قامت بوتشي بتطبيق مراحل العملية المرجعية داخل الكتاب الحالي على المجالات الآتية :

-التداعي الحر

-الطرح

-الأحلام

-الجلسة التقدمية

-الخبرة والمخططات الوجدانية المنشطرة

-عملية الاكتشاف العلمي والإبداع الأدبي

-الساعة الجيدة والسيئة للعلاج

*** مقاييس النشاط المرجعي**

تقيس جداول تصنيف النشاط المرجعي التحديد concreteness ، والتصورImagery ، والتخصيص Specificity ، والوضوح Clarity للكلام .

– فالتحديد مستند إلى درجة الجودة الإدراكية أو الحسية ، بما يتضمن الإحالة إلى كل أنماط الحس ، والفعل والخبرة الجسدية (وليس التحديد المعرفي بمنطق ناقص أونكوصي) .

-ويحيل التخصيص إلى مقدار التفصيل ؛ فالنص المخصص للغاية يتضمن أوصافا صريحة للأشخاص ، والموضوعات ، والأماكن ، أو الأحداث .

-ويحيل الوضوح إلى وضوح صورة ما كما تُرى من خلال اللغة ؛ ومدى الحكم على التركيز الجيد للصورة اللغوية .

-ويحيل التصور إلى الدرجة التي تستدعي اللغة خبرة متوافقة لدى القارئ أو المستمع . وقد طور الكتيب الذي يعطي تعليمات بشأن تقدير مقاييس النشاط المرجعي وتطبيقها على جلسات العلاج النفسي ونصوص أخرى

خصائص مقاييس النشاط المرجعي

هناك عدد من الخصائص الذي تم التوصل إليها من خلال بحوث بوتشي وآخرين وهي:

-مترابطة بشكل ملحوظ وربما يتم دمجها لتقديم تقدير إجمالي للنشاط المرجعي.

– مقياس التحديدوالتصورية أكثر ارتباطا ببعضهما البعض عن أي من المقياسين الآخرين ؛ فمتوسط كلا المقياسين ربما يكون مستخدما كمستوى انعكاس للتصور الحسي المعبر عنه باللغة

– و كل من مقياس التخصيص والوضوح يظهران ارتباطا بينيا مرتفعاً نسبيا وربما يتم دمجهما للإمداد بموشر تنظيم خطاب.

النشاط المرجعي المقاس من خلال الحاسوب

قامت بوتشي وميرجنتلار بتطوير قياسات النشاط المرجعي المحوسب (Computerizedreferential activity "CRA"). وتمتلك تلك القياسات المحوسبة عددا من المزايا :

-ميزة الفعالية الواضحة في التطبيق على عينات كبيرة ودراسات العلاج النفسي طويل المدى والعلاجات التحليلية النفسية .

-إلى جانب كون الإجراءات لقياس النشاط المرجعي حاسوبيا تتجنب مشكلة ثبات أحكام التقدير .

-وتمتلك تلك الإجراءات المحوسبة ميزة فرض معيار متسق عبر عينات متنوعة . بينما النشاط المرجعي المُقاس يدويا تميل فيه تقديرات المحكمين إلى أن تكون محددة لدى ما من خلال المستوى العام للعينة المفترضة

***أبعاد (أو مقاييس) النشاط المرجعي المحوسب**

يزودنا قياس النشاط المرجعي حاسوبيا بمعيارين جديدين لمزيد من فهم مراحل الدائرة المرجعية ، فقد أضافت بوتشي وميرجنتلار مقياسين جديدين ضمن النشاط المرجعي ، وإن قياس أنماط التجريد الوجداني مستندة إلى اثنين من القواميس الحاسوبية هما:

– النغمة الوجدانية Emotional Tone (ET) وهي قائمة كلمات تتكون من مفردات توضح حالة وجدانية أو انفعالية للمتحدث ومن المرجح أن تثير وجدانا لدى المنصت.

-التجريد (Abstraction(AB هي قائمة تتكون من أسماء معقدة ومجردة والتي تُفهم على أنها إشارات للتأمل والتقييم .

تختم بوتشي كتابها الحالي بأربع نقاط رئيسية ، فهي تعيد تعريف مصطلحات التحليل النفسي بزاوية رؤية معرفية ، وتفصل أهمية الدراسات الميدانية للتأكد من افتراضات العملية التحليلية ، وتوضح الأجندة الجديدة لبحوث التحليل النفسي ، وتنهي كتابها باستعارتين قصصتين خلاصتهما " إحياء الرجل الميت" في إشارة إلى عدة نقاط :

-ضرورة التبادلية بين علم النفس المعرفي والتحليلي

-أن إحياء الرجل الميت "التحليل النفسي " هام جدا لأنه يمثل " كلاما للشفاء " ، حقق نتائج واختراقات هامة مع المرضى وما يزال ، إلا أنه يحتاج لتجديد "معرفي " مستمر .

وفي نهاية مقدمتي للترجمة الحالية ، الله أسأل أن أكون وفقت فيما فعلت وأن يكون نوراً لطلاب العلوم النفسية والاجتماعية

الدكتورفؤاد الدواش

٢١ يوليو ٢٠١٩

References

bucci, w. (1985). Dual coding: a cognitive model for psychoanalytic research. J Am Psychoanal Assoc. , 33(3):571-607.

Bucci, w. (1997). Psycoanalysis & Cognitive Sciences A multiple Code theory. new york: The Guilford Press.

Freud. (1910). Autobiographical Studies. the American Journal of Psychology.

frued. (1918). From the History of an Infantile Neurosis. SE,17, 1-122.

الشكر

إن كتابة هذا الكتاب كانت رحلة أطول بكثير وعبر تضاريس مختلفة أكثر مما توقعت حينما بدأت العمل. وقد انطلقت وصُوحبت في هذه الرحلة بواسطة العديد من الناس، وأود أن أنتهز هذه الفرصة لأشكر القليل منهم هنا.

وقد كان مارتن بريان Martin Braine ، الذي تُوفى في إبريل ١٩٩٦ المشرف على أطروحتي للدكتوراه ومعلمي في مجالات علم النفس المعرفي واللغويات النفسية وبرنامج علم النفس التجريبي بجامعة نيويورك. وكان صارماً مُطالبا*، وأيضاً بارعاً وأصيلاً. لقد كان متسائلاً ودائماً كان منفتحاً للتساؤل من قبل تلاميذه. وبالتخيل أراه يقرأ هذا الكتاب بسمته التعبيرية المتسائلة، ولا يمكنني وضع اعتبار لا أعرفه كيف فعلياً سيستجيب للكتاب .

في أول مكانة وظيفية لي في مركز داون ستيت الطبي، ساعدني نوربرت فريدمان لعبور الحاجز العظيم للبحث الإكلينيكي، ودرسني أيضاً طرق الاحتفاظ بالصورة الكبيرة في تصوري البصري Mind›s eye، وقد ألهمتني وأمتعتني زمالته لأكثر من عشرين عاماً.

إن هذا المجال يتسم بشدة التعاونية ، وأشعر أن زملائي قد أصبحوا بالنسبة لي أسرة مع كل التقلبات في حياة الأسرة. وإن إرهارد ميرجينتلار Erhard Mergenthaler بجامعة أولم في ألمانيا قد زاملته وصادقته لفترة طويلة ، وإجراءات تحليل لغته المحوسبة قد أمدتني بأدوات قوية لفحصنا للعملية العلاجية. وإن قسم العلاج النفسي في أولم قد تم تأسيسه على يد «هيلموت تومي « Helmut Thomae والآن يُدار بواسطة « هورست كاتشيلي « Horst Kaechele، والذي يُعد مركزا دولياً في مجال بحوث التحليل والعلاج النفسي وقد كان بالنسبة لي مصدراً ثابتا لإعادة تغذيتي معرفيًا.

* أي يطالب تلامذته ببذل الجهد « الترجمة »

أعجبني نشاط «هورست كاتشيلي « ومنطقه الواقعي في بناء وتوسيع المجال، وقد استفدت بشكل عظيم من مناقشاته النظرية والإكلينيكية مع «هيلموت تومي» والذي كان مهتما بمدخلي التنظيري وقد ساعدني بتشجيعه أن أكتب هذا الكتاب.

وقد كان هارتفيج داهل Hartvig Dahl قوة دافعة في بناء مجال بحث عملية التحليل النفسي، بما يشمل من تطوير سجل حرفي لمادة دراسة الحالة ومطبق عليها إجراءات حاسوبية لجلسات التحليل النفسي، ونحن كلنا نعتمد على اسهاماته الإبداعية الآن.

وقد عملت مع ريتشارد فريدمان Richard Friedman وقد قمنا سويًا بإعادة بناء فهم جنسية المرأة ضمن إطار الوجهة الجديدة لنظرية التحليل النفسي، وإن بعضاً من هذه الأفكار قد أُعيد تقديمها في هذا الكتاب. ومن سنوات عديدة مرت أوضح لي « ريكRick « أيضاً أن محاولتي لتطوير نظرية لعملية الأحلام سوف تُرى على أنها تغيير جذري وأنني يجب أن أؤلف كتاباً لهذه القضية، وتلك كانت فكرة مشجعة لي. وقد كنت و»ريك « فاحصين متعاونين للمشروعات المُمولة بواسطة صندوق بحوث التحليل النفسي والآن نتشارك اتجاه معهد جلاس لبحث التحليل النفسي الأساسي.

وإني أشعر بامتنان ومودة خاصة تجاه « ليسلي جلاس « Leslie Glass لدعمها لبرنامج بحثي عبر العديد من السنين الماضية ولرؤيتها في تأسيس معهد جلاس بأجندته في بناء ثقافة جديدة لبحث التحليل النفسي. وبدأ المعهد في البداية كخيال رائع، وأحسست بامتياز رائع لأكون جزءاً من عملية جعله واقعاً. وأشكر أيضاً صندوق بحث التحليل النفسي للجمعية الأمريكية للتحليل النفسي لدعمهم الباكر لي، والذي لا غنى عنه في إنجاز بعض البحوث التي قُدمت في هذا الكتاب.

وقد كان طلاب المجموعات البحثية لمعهد ديرنر في جامعة أدلفي رائعين وكأسرة ممتدة ممتعة للأربعة عشر عاماً الماضية. فقد أمدوني بتدفق مستمر من الأفكار والتحديات والذي ساهم بشكل عظيم في العمل المُقدم هنا. وقد تمنيت

أن أذكرهم هنا بشكل فردي. وإن بعضا من عملي لطلاب البحث المُشار إليه في هذا الكتاب هنا يجعلني أذكر عددا قليلا منهم والذين عملوا مباشرة لانتاج هذا المجلد: كريستين لاي التي كان لديها مهارات مكتبية أسطورية في إعداد قائمة المراجع، وهايدي كلنج المحقق الباسل التي حلت الألغاز الباقية لقائمة المراجع ، وكاثرين سكرمينتاي والتي أبدعت الأشكال المتضمنة هنا، وتتواصل بمهارة مع الخبرة الحاسوبية لثقافتنا البحثية والإكلينيكية. وإن بعضاً من هذا الكتاب قد طُور كمحاضرات لفصول علم النفس المعرفي في جامعة أدلفي ـ وإني سعيدة أن الطلاب في هذه الفصول وجدوا هذا الكتاب مفيداً، وأشكرهم لرأيهم البناء ولتشجيعهم.

وقد كان سيمور فينجارتن وكيتي مور وجوديث جرومان في مطابع جليفورد مشجعين باستمرار ورفيقين أثناء هذه المغامرة ، وقد أشعروني أن هذا الكتاب مهماً لهم ...

وليس لي فقط وإني أشكر فيليب وانج على تعليقاته الموسعة والثاقبة على النسخة الباكرة من هذا الكتاب، وأشكر أيضاً سيسلي وينتروب على العديد من التعليقات القيمة والاقتراحات .

وإني لم أكن وحدي في كتابة هذا الكتاب فقد شاركني زوجي برنارد ماسكيت العديد من رحلات الكتاب والأمور العقلية والشخصية والسارة والمؤلمة. وإني لا أستطيع ذكر كل مساهماته سواء التكنولوجية والدعم العاطفي للقراءة والتعليق على كامل الكتاب وبعض أجزاءه أكثر من مرة. وإن (بيرناي) كباحث في الرياضيات لديه معرفة مباشرة لمدى واسع ومعقد من الفكر التجريدي يتجاوز نطاق اللغة ، وهو أيضاً يفهم صعوبات إيجاد الكلمات للأشياء. وإنه مساهم مُوَلّدْ للأفكار بحيث لا أستطيع شكره هنا بشكل خاص لأن محادثاتنا واكتشافاتنا المشتركة مازالت عملية جارية ومستمرة وقد أعطاني أيضا بعض المناظير من مسافة مُلحة من عالمه الرياضي. فنحن نعمل على جانبين مختلفين لمقعد واحد، وكنا سوياً في العديد من الاستكشافات وقد صنع ذلك كل الاختلاف.

أحضرت وبيرناي عائلتينا من (٢٠) عاماً تقريبا إلى أول رحلة تخييم

ونجونا منها، ومن وقتها ونحن معاً. وإن الأطفال هم من يضاعفون الحب ويكثفونه والمتعة والحزن ومخططات الانفعال الأخرى، ويمدون أيضاً بشكل رئيسي برؤى جديدة للعالم .

وإن كل واحد من أطفالنا قد شارك بطرق متعددة لتنمية الأفكار التي أقدمها هنا. إن جوسلين بوتشي وفان بيلي ومايكل بوتشي قد علموني عن الصور والانفعالات والكلمات وأيضاً عن الاتصال والاستقلال منذ أن وُلدوا . وإن سيدني وجونثان ماسكيت وباربارا فولتنر قد بينوا لي وحشية الأفكار الفلسفية الحديثة (وأشكر أيضا جونثان من أجل ترجماته من الفرنسية)

وإن بوب فان بيلي قد بين لنا برية العالم الحقيقي للجبال والغابات. وقد كان دانيال ماسكيت مرشدنا في الفضاء المعلوماتي. وقد حصلت على مناقشات محفزة وثرية على هذه الموضوعات وموضوعات أخرى مع كل منهم. ونحن الآن منخرطون في إيجاد طريقنا عبر عالم كايل الخاص.

وإن موضوع هذا الكتاب ـ وهذا الشكر ـ يمثل اتصال: بكيف يتصل الشخص بالآخرين ويتصل بخبرته الخاصة، وكيف يتفاعل هذان النمطان ببعضيهما، وكيف يبني شخص ويعيد بناء عالمًا انفعاليًا داخليًا مأهولاً بدلالة الناس الآخرين في حياته. إني تعلمت كثيراً عن كل ذلك في علاجاتي الشخصية. وأشكر المحللين الذين عملوا معي، خصوصا الثالث الذي يعمل معي حتى الآن، وأشكر حقل التحليل النفسي لمساعدتي لأجد الحب والعمل.

مقدمة

العمليات المتوازية لبناء نظرية

استكشاف شخصي وخريطة طريق

يعرض التحليل النفسي لمرضاه طريقة لتشكيل أنفسهم ليحصلوا على حياة جديدة، بينما تظل مرتبطة بما قد حدث من قبل. وهذا ما يحدد قيمته الإنسانية بتغايره عن صيغ العلاج الأخرى. وإن أي شخص مر بخبرة تحويل الأحداث في العلاج بالتحليل النفسي لا يحتاج دليلاً آخر فيما يخص فعالية التحليل النفسي في ذاته. وكانت خبرتي كافية لاتخاذ قرار عقلاني في مصطلحاتي، وهو أن التحليل النفسي له قيمة غير محدودة.

وكمريضة تلقت علاجاً بالتحليل النفسي وعالمة في علم النفس المعرفي أيضًا، وجدت نفسي مرتبطة بعمليات اكتشاف متوازية مطبقة على حياتي الخاصة وعملية العلاج بالتحليل النفسي. وقد بدأت العلاج بافتراض أن التحليل النفسي به نظرية تعمل على العقل والوجدان. وقد افترضت أيضاً أن المحللين الذين ظهروا متأكدين بوضوح من الاجراءات الواجب اتباعها. القاعدة الأساسية والجلوس على الأريكة والصمت والتأويلات ـ كان لديهم فهم واضح لكيفية عمل هذه الإجراءات. وإن الاستكشافات التي صنعتها عن نفسي توازت إلى حد ما مع الاستكشافات التي صنعتها عن حقل التحليل النفسي. وإن التحليل النفسي ـ مثل الأفراد يبحث عن المساعدة ـ يملك العديد من نقاط القوة، ولكنها مثقلة بنظرية غير قابلة للاختبار الواقعي وافتراضات مشوهة عفا عليها الزمن وغير كاملة. وإن مشكلات ـ البعض يسميها فشل –

الميتاسيكولوجي لفرويد Freud`s meta psychology قد تم التعرف عليها بشكل موسع كما سنرى، ولكن ما يزال حقل التحليل النفسي يدافع ضد تلك الفكرة. ومثل الأنظمة الأخرى – الأفراد أو العائلات ـ فالتحليل النفسي مُنظم حول الضعف والاضطراب، فحقل التحليل النفسي قد طور مجموعة من الدفاعات التي تحمي من التعرف والاعتراف بحاجتها المركزية. والمشاركين

في النظام ينضمون لحماية بعضهم البعض من رؤية مدى العجز والإبقاء على الأبنية غير القادرة على التكيف وتتعارض مع النمو.

وإنه ليس من المدهش أن النظرية التي طُورت من قرن مضى والتي لم تخضع لإجراءات التقييم العلمي المعتاد، لم تعد قابلة للتطبيق اليوم. وما يدهش ويحزن أن العمليات العلمية لتقييم ومراجعة النظرية، والتي تم توقعها في الحقل العلمي لم يتم إجرائها. لذا فالتحليل النفسي أصبح معزولاً عن الحقل العلمي كنتيجة لذلك، وهذه العزلة أصبحت محتومة ـ في بعض الحالات حتى مرغوبة ـ بواسطة العديد من الكتاب والممارسين.

وتستمر أفكار التحليل النفسي في الارتباط بخيالات العديد من الناس من مناظير عديدة ـ بما يتضمن من رفضوه أو حطوا من قدره كما الأشخاص الذين أحبوه. وإن حيوية الحقل تم إظهارها بواسطة النقاشات المتكررة في الصحافة الجماهيرية عن اختفائه. إن التحليل النفسي ظل حياً كنظام من الأنظمة المعرفية كما في الأدب المقارن والنظرية السياسية والفلسفة القارية والبلاغة. لكن التحليل النفسي كنظرية للعقل يمثل أفضل خيال في علم النفس العلمي أو أي مشروع علمي آخر، وإن قيمة التحليل النفسي كعلاج يزيد عليها الهجوم في حقول الخدمات الصحية والإكلينيكية . ويؤثر فشل النظرية على كل المشاركين في مشروع التحليل النفسي ـ المحلل والمريض والباحث ـ ويشوه التحليل النفسي في روحنا المعرفية كذلك ، بطرق لها تأثير علينا جميعاً.

وإن غرض هذا الكتاب افتراض نظرية لتنظيم نفسي مبني على العمل الحالي في علم النفس العلمي، والتي تمثل المفاهيم التي يهتم بها الإكلينيكيون التحليليون.

فالمحللون والكتاب والباحثين في حقل التحليل النفسي يدركون الإحتياج لنموذج تنظيم نفسي كأساس للعمل البحثي والإكلينيكي، ولكنه يجب أن يكون نظرية تدرك التركيز على المعاني والدوافع الجوهرية داخل الحقل. وهم يدركون أيضاً أن المجال المُشار إليه «كوظائف الأنا» يتطلب نموذجاً يمثل المدى العريض للوظائف التكيفية إضافة إلى الميكانيزمات الاختلالية للمرض. وبافتراض مثل

ذلك العلم النفسي التحليلي فليس نيتي رسم خريطة للميتاسيكولوجي كما هو، وإنما إيجاد منظور علمي يمثل ما يَخْبُره ويقوم به المحلل والمريض، ويمكن بشكل مستمر تقييمه ومراجعته في البحث الميداني.

وإني قد كتبت كتابي الحالي مع عدد من المستمعين المختلفين في التفكير. فأحد المجموعات تتكون من الإكلينيكيين والباحثين الإكلينيكيين، والمتدربين كمحللين، وباحثو التحليل النفسي، والعاملين في حقول العلاج النفسي الأخرى الذين اعتمدوا على أفكار التحليل النفسي. ومجموعة أخرى ربما كانت علماء النفس التجريبيين المهتمين بتفاعل اللغة والعقل والجسد والمشاعر. فنظرية تحليل نفسي متماسكة تمد بشكل أساسي بفهم لهذه التفاعلات، ويمد موقف التحليل النفسي بسياق طبيعي ملائم لدراستهم. وآمل أيضاً أن لتمثل الأفكار أهمية لعدد كبير من مجموعات الأشخاص غير المتخصصين في قطاعات عريضة من علم النفس والتحليل النفسي ولكن المفتونين بأفكار التحليل النفسي، وأكثر من ذلك وبشكل أكثر عمومية، لأي شخص يتساءل كيف يمكن أن يكون ممكناً أن يكون لدينا علم يهتم بالمعاني الذاتية العميقة للموضوعات التي تعرفنا كأفراد.

وبسبب الطبيعة المتنوعة للأفكار التي أغطيها، ولأن لدي جمهور متنوع في العقول، حاولت أن أجعل كل قسم سهل المنال للقراء الذين ستكون هذه الأفكار جديدة لهم تماماً. ففي المقدمة غطيت الموضوعات العامة لدور النظرية في التحليل النفسي ونظرت في العوامل الآتية التي تقسم العلم المعرفي وحقول التحليل النفسي ـ ففي القسم الأول أحاول أن أجد طريقي عبر أفكار فرويد عن الجهاز النفسي ضمن بعض المساحات البارزة للتضارب في هذه النظريات، التي صورت التحليل النفسي بعيداً عن المدخل العلمي. وراجعت بعض عناصر الخطاب الميتاسيكولوجي منذ أيام فرويد. ويقدم القسم الثاني العمل الحالي في علم النفس المعرفي والبحث المرتبط به في ميادين علم النفس الإرتقائي وعلم النفس العصبي والوجدان حيث ترتبط بشكل أساسي بنموذج التحليل النفسي. كل هذا العمل ساهم في بناء « شبكة مفاهيم « لنظرية الشفرة المتعددة يمكن ضمنها تعريف مفاهيم التحليل النفسي في علاقة كل منها بالآخر إلى الأحداث

التي يمكن ملاحظتها.

والقسم الثالث هو جوهر المشاركة التنظيرية لهذا الكتاب. ففي هذا القسم أُقدم التكامل لهذه المجالات المتنوعة للنظرية وأبحث في صياغة نظرية الشفرة المتعددة بتكويناتها المركزية للمخططات الوجدانية والعملية المرجعية Referential process، وإيضاح كيف أن هذه المفاهيم الأساسية تؤثر في المرض والشفاء. وأفحص أيضا الأدوار المتوازية المتعددة للعملية المرجعية بما يتضمن عملها في النمو الوجداني والاستكشاف العلمي والتداعي الحر والبناء والتأويل للأحلام. بالإضافة إلى ذلك أوضح كيف أن الشبكة المفاهيمية للتشفير المتعدد تسمح بنمو طرق ميدانية للإبحار في العقلية الشخصية والأحداث الوجدانية التي تشكل في عملية العلاج، وكيف أن تطبيق هذه المقاييس، بالمقابل، يغذي مرة أخرى لدعم تنمية نظرية أخرى. وفي القسم الأخير أقدم الكلمات الأخيرة عن المعني الوجداني والحكايات التي يمتلكها كل منا.

المحتويات

مقدمة

عبور الفجوة العظيمة

خلال العقود الماضية كان هناك جدل كبير داخل حقل التحليل النفسي يركز على حالة نظريته الأساسية للعقل ـ هل الميتاسيكولوجي حية أم ميتة وما إذا كان التحليل النفسي يحتاج على إطلاقه لنظرية تفسيرية. وفي نفس الفترة قد ظهر تحول في النموذج الإرشادي في علم النفس العلمي اصْطُلِحَ عليه من قبل البعض "الثورة المعرفية Cognitive revolution " التي غيرت الطريقة التي نفهم بها العمليات النفسية ـ بما في ذلك العقلية والوجدانية. وهكذا قد احتفظ كل من المجالين بتلك المسافة البعيدة: فالعلوم المعرفية تحاول أن تطور نظرية للغة والتفكير تاركة الوجدان بشكل أساسي خارج حسابها، بينما التحليل النفسي يحاول أن يحقق في التغير في الفكر والوجدان، بشكل مبدئي من خلال استخدام اللغة بدون نظرية عامة للعقل. وأطروحتي في هذا الكتاب أن تقارب الحقلين مطلوب، وهذا الذي سيصنع قيمة لكل منهما.

وإن التحول النموذجي في علم النفس المعرفي يغير الطريقة التي نفهم بها مفاهيم التحليل النفسي ونكون قادرين على دراستها، بالمقابل لدى التحليل النفسي الكثير ليقدمه لعلم النفس المعرفي في مجالات كل من المحتوى والطرق البحثية.

في هذه المقدمة أنظر أولاً إلى الموضوعات الخاصة بالنظرية في التحليل النفسي، والتساؤل ما إذا كان التحليل النفسي بحاجة لنظرية أساسية لمدرسة نفسية. ثم أنظر للإنقسام العظيم الموجود الآن بين التحليل النفسي وعلم النفس المعرفي، وأقدم الجسر المفاهيمي الذي يتم بناءه ـ نظرية الشفرة المتعددة ـ والتي تمثل الموضوع الأساسي لهذا الكتاب.

تغير الرؤية النظرية في خطاب التحليل النفسي

تهتم العديد من الآراء بالحاجة لنظرية عامة للجهاز العقلي وتهتم بحالة الميتاسيكولوجي ويمكن أن تكون بارزة ضمن خطاب التحليل النفسي في العقود الماضية.

وإن ذلك سوف يُراجع بالتفصيل في الفصول اللاحقة ولكن سوف نعرضها باختصار هنا.

الرأي الأول :

إن الميتاسيكولوجي نظرية الجهاز النفسي كما صيغت بواسطة فرويد قد خدمت كأساس مقبول لنظرية للنمو يمكن أن تستمر لاستخدامها بهذه الطريقة. ومن هذا الرأي رأيان مختلفان يمكن تحديدهما:

الاختلاف الأول: إن مفهوم الميتاسيكولوجي قابل للإختبار بطريقة التحليل النفسي التي اُخْتُرِعَت بواسطة فرويد وفقط بهذه الطريقة، وقد اختُبِرتْ بفعالية وطُورت بتلك الوسائل (بريزر Brenner1980).

الاختلاف الثاني: إن طريقة التحليل النفسي كما تم تطبيقها في الموقف العلاجي لا تمثل وسائل مناسبة لاختبار افتراضات التحليل النفسي. ومع ذلك فإن الميتاسيكولوجي مثل اي نموذج تنظيري قابل للإختبار العملي باستخدام الطرق التجريبية الحديثة وطرق الملاحظة (إريدلاي Erdelyi ، 1985 ؛ جرونبوم Grunbaum ، 1984).

الرأي الثاني:

إن الميتاسيكولوجي فشلت في الإمداد بأساس قابل للحياة لتنمية نظرية جديدة، فهناك حاجة لنظرية غير عادية كأساس للعمل الإكلينيكي والبحثي. إن العلوم الفيزيائية قد تجاوزت كثيراً مبادئ مطلع القرن التي اعتمد عليها نموذج فرويد، فتطبيقات النظرية في الأنظمة النفسية والبيولوجية لم يتم اعتبارها بجدية من قِبل العلماء. نحن نواجه "أزمات النظرية" في التحليل النفسي اليوم (Kaechele, Thomae,1987).

ويمكن تحديد العديد من الاختلافات لهذا الرأي:

الاختلاف الأول: إن نظرية إكلينيكية أو خاصة للعُصاب والعلاج يمكن إبرازها عن نظرية ميتاسيكولوجية رابابورت(1960) Rapaport ويجب التخلي عن الميتاسيكولوجي وأن تبنى النظرية الإكلينيكية على الخبرة والمعنى والعمدية ويجب أن تتطور كنموذج تفسيري
.(Gill,1973,1976 ;Klein 1973)

الاختلاف الثاني: لا تزود النظرية الإكلينيكية بإطار تنظيري ملائم فالتأويل العملي لافتراضات التحليل النفسي يجب أن يكون على المستوى الفسيولوجي العصبي (Rubinstein1965، Holt1976، Reiser1967). فالتكوينات التجريدية لنظرية التحليل النفسي يجب أن يتم تخفيضها لمفاهيم قابلة لترجمتها بشكل أساسي إلى مصطلحات فسيولوجية عصبية.

الرأي الثالث

لا توجد نظرية عملية مناسبة، وليس مطلوباً نظرية شارحة. فإن مجال التحليل النفسي يهتم بالمعاني الخاصة عوضاً عن الأعراض والسلوكيات. فالتحليل النفسي يُنظر له بصورة صحيحة على أنه إنساني أو تأويلي عوضاً عن كونه نظام علمي، يتطلب تأويل بدلاً من نظريات شارحة
(Home ,1966; Ricoerur , 1977; steele , 1979) وقد قام شافر Schafer (1976) من منظور مرتبط بهذا الرأي بتأييد مفاهيم الميتاسيكولوجي المتروكة وقد افترض " لغة الفعل [1]" action language مكانها.

رأى هذا الكتاب

يأخذ الكتاب الحالي في مدخله بعضاً من هذه المداخل ولكنه يختلف عنها. فالتحليل النفسي يحتاج نظرية أساسية للتنظيم النفسي. لقد فشلت

(*) افترض روي شافر مفهوم» لغة الفعل « ليعبر عن الآتي:
١) شرعية وجود الأفعال العقلية وإمكانية انتقالها من الشعور إلى اللاشعور، (٢ إلى أن تكون أفعال خارجية يمكن ملاحظتها.
٣) يوضح تفضيل الشخص في استخدامه للغة وزلاته وحديثه المهدئ له توضيحًا لفكرة الطرح والمقاومة. (المترجم)

الميتاسيكولوجي، وإن هناك حاجة لنموذج تنظيري جديد من أجل البحث والعمل الإكلينيكي. ولا يمكن أن يكون هذا النموذج إكلينيكي وظاهراتي وعصبي فسيولوجي. ولكنه يجب أن يكون نموذج للتنظيم النفسي على نفس مستوى التفسير التجريدي كما افترض فرويد (1900 ، 1916 - 1917 ، 1940) ولكن في صيغة متسقة وقابلة للاختبار.

إن فشل نظرية التحليل النفسي له عدداً من العواقب السلبية بعضها مُبَرْهَنْ وبعضها شُطِبْ. وإن فشل النظرية يؤثر بوضوح على الباحث الذي يحتاج إلى إطار متماسك ضمنه تكون مفاهيم النظرية مُعرفة بشكل متسق والافتراضات مكتوبة في صيغة قابلة للتحقق الميداني. وإن الترابط بين النظرية والبحث سوف تتم مناقشته عبر الكتاب الحالي.

ويؤثر فشل النظرية على الإكلينيكي والمريض وعلى العلاقة التحليلية ذاتها بطرق متساوية ولكن المشتركين أنفسهم ربما لا يكونون على وعي بذلك. وإن الفراغ التنظيري في التحليل النفسي قد أثر على علم النفس العلمي وحتى على الروح العقلية العامة. وإني سوف أفحص باختصار هذه التأثيرات، ثم أستمر إلى التقارب مع علم النفس المعرفي عبر علم النفس التحليلي النفسي العام General psychoanalytic psychology ربما يمكن تنميته.

فشل النظرية
والعلاقة التحليلية

إن المريض الذي يتلقى علاج بالتحليل النفسي مطلوب منه تنفيذ مجموعة من الإجراءات التي تنتهك قواعد المحادثة الطبيعية (Jaffe Feldstein , 1970) – للتحدث أثناء الاستلقاء والنظر بعيداً عن الآخر، لمنع التوقع لمعيار التغير في الإجراءات، وللحديث عن موضوعات عميقة مؤلمة، وللحديث أيضاً عن تفاصيل تافهة وغير مهمة، وأحداث غير مرتبطة، دونما مراقبة لتدفق الأفكار. فالمريض يأخذ تعليمات ليتكلم دونما تركيز مُتعمد أو واضح على مشكلات معينة أحضرته للعيادة ليصل للمساعدة فهو يتم تشجيعه ليتحدث عن علاقته بالمحلل بدلاً من التركيز فقط على العلاقات "الحقيقية " التي تتمركز حياته حولها. فما يُتَوقَعْ من هذا المريض أن يعبر عن مشاعره تجاه المحلل لأنه ربما يحاول أن يخفي أو يكشف عن أفعال (ربما فضولية أو مهينة) ربما تكون مرفوضة في الحديث الاجتماعي، أو حتى في العلاقات الحميمة. فالمريض ربما يسأل أسئلة لا يجيب عنها المحلل، ويترتب على ذلك فترات صمت طويل أو أن المحلل ربما يعرض تأويلات بأنها غير مقبولة وخاطئة. وحين ينكر المريض أو يسأل عن تدخلات المحلل ربما يتم إخباره أن أفعاله المنفية لها معاني لا توصل إلى داخله وحتى أن انكاره لها يمثل تأكيداً لما ينكره، وفي وقت آخر فإن موافقته مع أفكار المحلل ربما تكون مقبولة كتأكيد لها.

إن المريض يحتاج أن يتقبل إجراءات العلاج والقواعد التي تُطَبَقْ للسير في العمل العلاجي وبهذا التأثير فإن ذلك يعني أن المريض يجب أن يلغي الاستقلالية وصناعة القرار المُبرر مقابل درجة من الثقة. إن سلطة المحلل ـ أو سلطاته ـ ستتدخل حتى لو بشكل خفي لدعم قواعد العلاج والموضوعات التي يتم التطرق لها. وهذا يبقي دور المريض مشابه للإجراءات الطبية الأخرى، ففي التحليل النفسي كما في أي علاج بعضا من درجات الثقة والإلتزام ضروريان لكي ينجح العلاج.

والمشكلة في معيار موقف المريض أن أغراض التحليل النفسي فريدة

ومختلفة عن أي صيغة علاجية أخرى. فبشكل مثالي، فإن هدف المريض هو تغيير نفسه ليس أن يتم تغييره. فهناك صراع ما جوهري للعلاج فيما بين عمليات توجيه الذات الاستكشافي من ناحية والحاجة للالتزام والثقة من ناحية أخرى. وإن غياب النظرية رَكَّبَ هذه المشكلة بطريقة متقاطعة. وليس الأمر أن المريض يجب أن يعمل على أساس الثقة في البداية وأن يكون قادراً على فهم المبررات للإجراءات والدليل لإعادة تشكيله فيما بعد. ففي الحالة الحالية لحقل التحليل تُعد المشكلة الحقيقية أن العميل يجب أن يظل يرتكز على الثقة عبر العلاج وحتى بعد انتهائه. وهذا الذي يجب أن يقوم به المحلل كذلك. فالعلاج يرتكز على قبول الإجراءات والقواعد التي لم يتم تفسير منطقها ولا يمكن في الوقت الحاضر تفسيرها بشكل متماسك لأنها غير مفهومة. وإن المناخ الوجداني الذي يدعم هذا المدخل العلاجي يجب أن يكون كذلك بحيث لا يعتبر الدليل المنهجي ضروريا للحفاظ على الاعتقاد في فعالية الإجراءات المستخدمة.

إن إلتزام المريض بالقواعد العلاجية في غياب التفسير والدليل الكافي سيعتمد على قضاياه الشخصية المتعلقة بالإمتثال والسلطة، وكذلك على الطريقة التي يتم بها التفاوض على الإجراءات في العلاقة بالمعالج. إن المرضى ربما يضيعوا أو يعودوا عبر قضاياهم الشخصية فبعضهم يتوه من خلال غياب الرغبة أن يكون مستقلا والتقييم المنطقي لعملية العلاج، وكما يتوه البعض من خلال عدم الرغبة في فتح مشاعر مؤلمة أو مُهددة. والبعض ربما يركزوا عبر قدرتهم على تأسيس تقييمهم للإجراءات والرضا بها. وربما يركز الآخرون عبر الإرادة ـ أو حتى الرغبة ـ للاستجابة وأن يكون مُتَحَكَّمْ فيهم. في جميع الحالات ستوجد الرغبة في التوضيح والشرح جنباً إلى جنب مع الإشباعات والمهددات المتضمنة في العلاقة وفي العموم، والنية الفاعية لتجنب الأسى الوجداني. والقضايا الشخصية ربما تكون أقل احتمالاً ليتم التعرف عليها وتأويلها حين تظهر كإذعان بدلاً من أن تكون مقاومة، على العكس قد يتم تجاهل الحقيقة الكامنة في المقاومة.

إن الصراع بين الإذعان والاستقلال، والحاجة لإنكار هذا الصراع وعواقب هذا الإنكار من المرجح أن توجد(أو قد وُجدت في وقت ما), ليس فقط للمريض الذي تم الإفصاح عن حياته, ولكن أيضًا للمحلل المسؤول عن حياة الآخرين, والتي يجب أن يؤمن بما تفعله. وهناك تنوعًا كبيراً اليوم في التدريب الإكلينيكي بشأن المقدار الذي من خلاله يتم اتباع أو ترك الإجراءات الكلاسيكية. فالمحللون لهم الخيار في اتباع مبادئ فنية تقليدية ليس لها منطق تنظيري متسق أو دعمًا ميدانيًا, أو التحول عن الفنيات الكلاسيكية, بما في ذلك" القاعدة الأساسية" للتداعي الحر, غالبًا لصالح إجراءات أكثر تفاعلية, على الرغم من عدم وجود دعم تنظيري أو ميداني للإجراءات الجديدة أكثر مما هو للإجراءات الكلاسيكية. من الممكن أن تكون القاعدة الأساسية مذهبًا صلبًا أو قديمًا, والتي تحتاج لمراجعتها جزئيًا أو كليًا؛ ومن الممكن أيضًا أن تكون جوهر العملية التحليلية النفسية, كما لايزال يعتقد العديد من المحللين؛ أو ربما تكون كافة الاحتمالات صحيحة في جزء ما. وعند تلك النقطة لا يمكننا أن نعرف, دون وجود مجموعة من الأدلة الميدانية ذات الصلة.

فكل محلل يتوافق مع فشل النظرية ونقص الدليل بطريقته الخاصة, اعتماداً على قضاياه الشخصية. عندما يدرك المحلل أن الدليل أو التفسير للإجراء هو إشكالية بطبيعتها، فإنها تكون أكثر قدرة على معرفة ما إذا كان استجواب المريض موضوعي في المقام الأول أم له دوافع حيوية. كما يمكّنها من التأهب غلى أي مدى يمكن أن يكون إذعان المريض مبالغاً فيه وتفسير ذلك الأمر. وفي النهاية، فإن الإذعان والثقة المفترضين للسير في عملية العلاج بحاجة إلى التعامل معهما بنفس القدر الذي تحتاج له المعارضة، ربما ليكون اذعاناً مستنيراً في جزء ما وتقليله في جزء آخر. وليس واضحاً كم مرة أو كيف يتم ذلك النوع من العمل.

يعتبر التحليل النفسي تجربة عميقة للغاية تقدم علاقة شخصية مميزة ومُرضية لكلا الطرفين وأيضاً تجربة فريدة للاستكشاف الذاتي التعاوني. وبمجرد بدأ العلاج فإن المريض الذي قد حصل على الخبرة ويعرف أنه قد

تلقى مساعدة من المرجح انضمامه إلى المحلل وموضوعات التحليل الأخرى في الاقتناع بفعالية صيغة معينة للتحليل النفسي الذي التحقوا به. ومن الصعب ادراك أن هذه القناعة تظهر دون دليل عملي صادق تم الوصول إليه، حيث أن تجارب الاستبصار والتحول ـ والتي تظهر في سياق العلاقة لكل من المشاركين في هذه العلاقة ـ لا تشكل دليلاً في الحس العلمي، مما يعني أن الاعتقاد بتفسير ما يمكن أن يكون نابعاً من المبررات بخلاف دقتها . وربما أغلب ما يمكن تحقيقه من خلال هذه السطور في الحالة الحالية لهذا الحقل هو إدراك ومعرفة أن الدليل العلمي غير موجود وليس متاح، وهذا الدليل يأتي من داخل النفس ويمكن استخدامه داخل نفسك وليس خارجها.

ويعد هذا الأمر ذا أهمية قصوى ليس فقط بالنسبة لحياة المريض ولكن أيضاً لسلامة الحقل. وبغض النظر عن اعتقادات شخص ما المرتبطة بفعالية علاجه، فإن قناعته لا يمكن إيصالها بشكل مباشر للآخرين الذي لم يُخبروا تأثيرها. ولو لم نعالج الحاجة إلى دليل فإن هذا الحقل سيظل مقتصراً على المعتقدين ويمكن اعتباره من قبل معظم الناس مكاناً ما بين الدين أو الاعتقاد أو الخداع أو في احسن الأحوال أدبيات انسانية شيقة مؤسسة وتأثير معرفي هام في فكر القرن العشرين.

وهذه النقطة تتجاوز قضايا العلاقات العامة وتؤثر على مسؤولياتنا الأساسية كمحترفين وممارسين. وإذا أدركنا احتمالية العلاجات طويلة الأمد التي تفشل في تقديم المساعدة بل وربما تتسبب في إيذاء المريض، فإنها ستكون مسؤولية المجال لتقديم دليل صالح في مصطلحات التحليل النفسي وذلك كدليل لتحولات المعنى الوجداني.وليس فقط في الحياة الخارجية، فنحن بحاجة إلى نظرية متماسكة لتطوير مثل هذا الدليل.

نظرية التحليل النفسي والروح المعرفية للعصر

يوجد قيمة ثقافية أخرى أكثر عمومية لتطوير بناء نظرية التحليل النفسي والتي يمكن تقديرها هنا. وتتجاوز مشكلات الميتاسيكولوجي حقل التحليل النفسي لتؤثر على التفكير في الوقت الحالي. ومجالات الفكر المتمركزة في رؤيتنا الحالية للعالم تتضمن: التطورية والماركسية والنسبية إلى جانب التحليل النفسي، وكل منهم يهتم بنوع مختلف من التحول البنائي: تغير في فهمنا الأساسي لبنية الكائنات الحية؛ تغير في فهمنا للأبنية الاقتصادية والسياسية للمجتمع وتغير في فهمنا الأساسي لأبنية الزمن والمسافة ويهتم التحليل النفسي بتغيرات فهم الفرد لأبنيته العقلية والوجدانية، كما تضيف المسلمات الفريدة والقوية بأن البشر لديهم المقدرة على تحويل أنفسهم. وموضوعات التحليل النفسي الثقافية المثيرة المرتبطة بإعادة بناء توجيه الذات عبر سياق العلاقات الشخصية ترتبط بشكل جوهري بنظرية العلاج في التحليل النفسي. ومع ذلك، فأفكار التحليل النفسي قد اعتبرت بشكل موسع ضمن أدبيات وحقول فلسفية مستقلة عن أساسها النفسي والعلاجي. وأقترح أن علم نفس تحليلي متماسك سوف يثري ويوسع السياق ضمن تلك الأدبيات والأفكار الفلسفية للتحليل النفسي التي يمكن فهمها.

والتحليل النفسي في ذاته قد خضع لتحولات في قرنه الأول، ونحتاج إلى أن نستمر في الاستكشاف العلمي الذي بدأه فرويد كما نبدأ في قرنه الثاني. وممارسو التحليل النفسي في حاجة للاستفادة من المبادئ الأساسية للتحليل النفسي بشأن الاستكشاف والتوجيه الذاتي وهو ما يتم تطبيقه الآن في النظام ذاته. يبدأ كل فرد حياته ببناء داخلي ووجهة محددة يتطور مع تفاعلاته المتكررة مع الآخرين في سنواته الباكرة. وبالمثل فإن نظرية التحليل النفسي كانت موضوعة في جهة معينة وثابتة في بناء نظري مقبول. وعلى النحو الأمثل، داخل عملية التحليل النفسي يغير الفرد اتجاهه ويعيد أبنيته الداخلية، ومن ثم يؤدي دوره بنشاط واستقلالية بدلاً من دوره السلبي في اتجاهه الحياتي. مثل المريض والممارسين داخل أي بناء علمي فإن الباحثين وممارسي التحليل النفسي بحاجة إلى الاستمرار في عملية الفحص الحر والمشجع. ويمكننا فقط إعادة

البناء عندما نكون قادرين على رؤية المشاكل التي ورثناها وعندما نكون قادرين على ادراك أجزاء النظرية التي أخفقت ونعترف بإعادة البناء المطلوبة.

العبور للعلوم المعرفية

لتطوير متماسك لعلم النفس التحليلي، فنحن بحاجة لبناء أساس علمي يشمل مفاهيم التحليل النفسي المهتمة بتغيير الأبنية الداخلية والقابلة للبحث الميداني. وهذا صحيح، كما تتضمنه الوظيفة التأويلية، أن التحليل النفسي يهتم بشكل أساسي بمعنى الاحداث عوضاً عن مظهرها الخارجي وشكلها المُلاَحَظ. والتغيير المرجو هو تغيير المعاني والمشاعر حيث أنها تؤثر على الأعراض والسلوكيات وليس فقط الأعراض ذاتها. والتأكيد على المعنى يحتم بالضرورة التنازل عن الحقل العلمي. والدراسة العلمية للداخل والأحداث الذاتية ـ التمثلات والعمليات العقلية ـ هي العمل اليومي لحقل العلم المعرفي. وما نحن بحاجة إلى أن نفعله بشكل أساسي ما كان فرويد يحاول أن يفعله وهو بناء إطار عمل تنظيري لجعل استدلالات من الملاحظات الخارجية للأحداث الداخلية، والتي يمكن أن تكون شعورية أو لاشعورية. والفنيات لمثل هذه الاستدلالات موجودة اليوم في حقل العلم المعرفي بطريقة لم تكن متاحة بالنسبة لـ فرويد . ومن خلال تطوير نموذج نفسي للتحليل النفسي نستطيع أن نبني العمل الحالي. وإن طريقة دراسة الأحداث غير الملاحَظة عبر الاستدلالات المنهجية من خلال مؤشرات ملحوظة تمثل المدخل ليس فقط للعلم المعرفي، ولكن لكل العلوم الحديثة ، كما سنرى .

التحليل النفسي كعلم معرفي

يشتمل التحليل النفسي على عدد من سمات علم النفس المعرفي وقد حصل على تلك السمات من بداياته، قبل ما يسمى " بالثورة المعرفية " مع تحول نموذجها المعرفي (Neisses,1967). والمحللون النفسيون كالعلماء المعرفيون يستدلون من اللغة والسلوك وغيرهما من المؤشرات الملحوظة إلى التمثلات

والعمليات الداخلية في سياق النظرية العامة للجهاز النفسي؛ وهذه هي الطبيعة الأساسية للعمل في كلا التخصصين. وكان استبصار فرويد لإدراك الحاجة إلى نموذج نظري للجهاز النفسي كسياق ضروري لمثل هذا الاستدلال، بنفس الحس الذي يطبقه علماء النفس المعرفيون اليوم على العمليات العقلية:

ونحن نفترض أن الحياة العقلية هي الوظيفة لجهاز ننسب له سمات ممتدة في فضاء والذي قد صنع في أجزاء متعددة ـ والتي نتخيلها، تشبه التليسكوب أو الميكروسكوب أو شيئاً من هذا القبيل. وبالرغم من بعض المحاولات الباكرة في نفس الاتجاه، فإن العمل المستمر من هذا المفهوم يمثل الجدة العلمية Freud) ., 1940, p.145)

رأى فرويد بوضوح القوة العلمية العامة لهذا المدخل الجديد: بينما لم يتجاوز أبداً علم نفس الوعي المتواليات المكسورة والتي كانت معتمدة بوضوح على شيء آخر؛ فإن وجهة النظر الأخرى ـ التي ترى أن النفس لا شعورية في ذاتها ـ مكنت علم النفس أن يأخذ مكانه كعلم طبيعي كغيره من العلوم الأخرى. والعمليات التي يهتم بها لا سبيل لمعرفتها، وعلى سبيل المثال تلك التي تتعامل معها العلوم الأخرى مثل الكيمياء والفيزياء، ولكنه من الممكن تأسيس القوانين التي يذعنون لها واتباع علاقاتهم المتبادلة والاعتمادية المتبادلة المتصلة على المدى الطويل– وباختصار، لكي نصل إلى ما يوصف بأنه" فهم" حقل الظاهرة الطبيعية المبحوثة. (1940,p.158)

رؤية العلم المعرفي

مفهوم النشاط العقلي الذي ربما لا يكون نافذاً للوعي والاستدلال على مثل هذا النشاط من الأحداث التي يمكننا ملاحظتها وتطور النماذج النظرية المجردة المبنية على مبادئ مستعارة من مجالات علمية أخرى كلها أفكار مركزية للعلم المعرفي، والتي كانت أجزاء من إسهام فرويد. ومع ذلك، تم تجاهل التحليل النفسي اليوم بشكل موسع في علم النفس العلمي. وفي المسح التمهيدي لحقل العلم المعرفي يقول كلا من سايمون وكابلان Kaplan , Simon:

إن كان علينا أن نفهم العلم المعرفي ، فيجب علينا معرفة ما هي الأنظمة التي ساهمت في تكوينه (Norman,1981). ومن بين تلك الأنظمة يجب علينا أن نضع في الاعتبار بشكل محدد علم النفس التجريبي والمعرفي والذكاء الاصطناعي (ضمن علم الحاسوب) واللغويات والفلسفة (وخاصة المنطق ومبحث المعرفة) وعلم الاعصاب، وغيرها (علم الانسان وعلم الاقتصاد وعلم النفس الاجتماعي سوف نتناولها بالتعليق فيما بعد). (1989,p.3)

ومن الملفت للنظر ولكنه ليس بالأمر المدهش أن التحليل النفسي غير موجود ضمن هذه القائمة. وفي القرن الذي مر منذ قدم فرويد الميتاسيكولوجي، فإن حقول علم النفس الأكاديمي والتحليل النفسي قد اتبعت طرقاً متباعدة. وقد كان يتم تعليم التحليل النفسي بشكل كبير في معاهدة وبرامج سريرية أخرى وكان مهاناً من الفحص العلمي العام. ومنذ القرن الذي قُدِمت فيه الميتاسيكولوجي لم تخضع للتقييم العلمي والتطور النظري الضروري لحقل علمي. ويؤكد المحللون النفسيون بشكل أولى طريقة التحليل النفسي- أو بعض من نسخها- كما تتم ممارستها في عملهم الإكلينيكي الفردي، بالرغم من أن أوجه القصور في مثل هذا الدليل مفهومة جيداً حتى الآن.

بينما أن البناء العام لجعل الاستدلال من الملاحظة إلى التمثلات والمعاني الضمنية عمل التحليل النفسي، فإن القيود العلمية اللازمة للاستمرار في هذا الاستدلال غير مستدخلة في الميتاسيكولوجي أو طريقة التحليل النفسي. وإن نمط الاستدلال المنهجي المطبق في العلم المعرفي يتطلب تعريفات صريحة تحدد معنى المفاهيم وترسل قواعد لتخطيط التكوينات الافتراضية والمتغيرات المتداخلة على الأحداث التي يمكن ملاحظتها وتتطلب وسائل لتقييم ثبات الملاحظة. فكل مؤشر من المؤشرات التي يستند عليها المحللون لتكوين استدلالات بشأن الحالات الشعورية أو اللاشعورية للأشخاص الآخرين (كالتي تتعلق بحالات اللاشعور لشخص ما) يجب التأكد من صدقه على نحو مستقل أنه يحمل الآثار المفترضة . ومفاهيم الميتاسيكولوجي لا يمكن ولا تستطيع أن تفي بمثل هذه القيود. والتطور العلمي لنظرية التحليل النفسي؛ لكل من بنية الجهاز المتضمن للمرض

وطبيعة التغير، قد تم اغلاقها وعزلها عن البحث العلمي.

وعلى الجانب الآخر من هذا الانقسام الكبير فإن العلم المعرفي الحديث يتضاءل بواسطة الفشل للتعرف على جذور التحليل النفسي. وإن قيود التيار المعرفي تجعل نتائجه متفتحة للتساؤل بطرق بعيدة المدى. وقد حاول علم النفس الاكاديمي دراسة العمليات المعرفية البشرية دون إدراك تفاعلها مع العمليات الوجدانية والجسدية وكذلك قوة سياق العلاقات الشخصية على الإدراك والسلوك. وقد أشار يوئيل(1986) Yuille ونايسر وآخرون(1976) Neisser لعدم قدرة النماذج التجريبية لدراسة الاحداث كما تظهر طبيعياً ووجهات النظر المشوهة للعمليات النفسية التي تسببها. ويمدنا الموقع التحليلي النفسي بقوة بسياق فريد لدراسة منهجية لتفاعلات المعرفة، واللغة، والفسيولوجيا والوجدان كما يتطور ويؤثر في بناء العلاقات الشخصية، ويمكن أن تمد نظرية التحليل النفسي وسنوات الملاحظات داخل بناء التحليل النفسي بصرح معرفي غني والذي يمكن أن يساهم في تطوير النظرية وتخليق فروض. والانفصال الحالي للحقول يعيق كليهما. ولا تزال قوة موقف التحليل النفسي كسياق بحث طبيعي غير متحققة ، كما هو الحال في قوة نظرية التحليل النفسي كمكون للنظرية العامة للعقل.

علم في الذكاء الوجداني

وبينما نحن بحاجة لوضع التحليل النفسي مرة أخرى، كنظرية عامة للعقل، في إطار العلم الحديث، فنحن أيضا بحاجة إلى إدراك أن العلم المعرفي كما يوجد اليوم غير كافٍ ليمدنا بإطار العمل التنظيري الذي نبحث عنه. في ملخصهم الأخير للحقل، يعرف Kaplan , Simon (1989, p.1) العلم المعرفي أنه" دراسة الذكاء والأنظمة الذكية مع الاشارة بصفة خاصة إلى السلوك الذكي كنسق محوسب." واهتم حقل العلم المعرفي بطبقتين للأنظمة الذكية والكائنات الحية والحواسيب:

بالرغم أنه وبشكل مؤكد لم يتم افتراض تعريف بعينه مرضياً للذكاء، فنحن عادة على استعداد للحكم حينما يظهر الذكاء من اخوتنا من الجنس البشري. ونحن نقول أن البشر يتصرفون بذكاء عندما يختارون أفعالاً ذات صلة بتحقيق أهدافهم، أو عندما يجيبون بثبات وبشكل مناسب على الأسئلة المطروحة عليهم، أو عندما يحلون المشكلات أياً كان صعوبتها أو تعقيدها، أو عندما يبدعون أو يصممون شيئاً مفيداً أو جميلاً أو جديداً. فنحن نطلق مصطلحاً واحداً،" الذكاء " على تلك المجموعة من الأنشطة المتنوعة لأننا نتوقع أن هناك مجموعة من العمليات العامة المطبقة في أداء هذه الأنشطة. (Simon & Kaplan,1989,p01)

ومن منظور التحليل النفسي فإن هذا التعريف، والذي نطبقه على الحواسيب كما على الكائنات الحية، يترك الكثير من الأمور الهامة في الادراك والسلوك البشري خارج الحسبان. ولتوفير تقريراً وافياً لوظائف المعرفة البشرية وحتى للوظائف التي استشهد بها كلاً من Kaplan , Simon هنا ـ تحديد" الاغراض" والسلوكيات المرتبطة بها ـ ونظريات العلم المعرفي الموسعة لتضمن دراسة الذكاء الوجداني والأنظمة التي تحتوي هذه الوظيفة.

والتركيز على الذكاء الوجداني يقودنا إلى التركيز على طرق حاسمة يختلف فيها الكائنات الحية عن الحواسيب وكذلك العمليات المشتركة بينهما. وقد أدرك كلا من Fodor و Pylyshn (1988) أن الفروق بين أجزاء الحاسوب الصلبة واللحم والدم" الاجزاء الصلبة " للأنظمة البشرية قد يكون لها آثار على الوظائف العقلية للكائن الحي:" من الواضح أن سلوكه [المعالجة العقلية] وبالتالي سلوك الكائن الحي لا يتحدد فقط بالآلة المنطقية التي يمثلها العقل ولكن أيضا بالآلة البروتوبلازمية التي يدرَك بها المنطق" (p.59). فقد أدركوا أن الاجزاء البروتوبلازمية الصلبة (الجسد)، ليست فقط البرمجيات المشغلة للآلة المنطقية (العقل)، ولكن تحدد الوظائف العقلية والسلوك. وعلى الرغم من ذلك، فهم لا يرون الاجزاء الصلبة البروتوبلازمية مُقَيّده أو متفاعلة مع آلة المنطق ذاتها. وعلى النقيض، فالهدف المحدد لنموذج التحليل النفسي هو معرفة تأثير

العمليات الجسدية على العمليات والتمثلات الحسية والإدراكية واللغوية، ومعرفة الآثار العكسية أيضاً.

وتطور النموذج الذي سيفسر الذكاء الوجداني يصبح أكثر حسماً حين نكون مهتمين بالأغراض التي ربما لا يكون الفرد واعياً بها. ومن ثُم، ربما أيضاً نكون قادرين على تمييز مواقف الفشل في تشغيل الذكاء البشري من خلال المواقف التي يكون فيها الفرد في الحقيقة ناجحاً في تحقيق الأغراض غير المدركة. وبكلمات أخرى، يمكننا أن نقول أن الناس يتصرفون بالذكاء الوجداني حينما يختارون مجموعة أفعال تظهر غير مرتبطة بالأهداف المدركة؛ وعندما يجيبون بطريقة ربما تبدو غير ملائمة بوضوح؛

وحينما يصنعون شيئاً غير جميل؛ وعندما يكررون الأفعال التي تبدو ضعيفة التكيف بدلاً من إنتاج الحلول الجديدة. في كل هذه الحالات، ربما يكون هناك ذكاء وجدانياً في التنفيذ ولكنه يشتغل في علاقته بالأغراض غير المدركة بدلاً من الأغراض الصريحة. ويعرض Kaplan, Simon تعريفهما الخاص، بالرغم" أنه وبشكل مؤكد لم يتم افتراض تعريف بعينه مرضياً للذكاء" (1989,p.1). ونعرض امتدادنا لهذا التعريف، ونحن على دراية أن تعريفات الوجدان على الأقل غير مرضية، بالرغم من الإنجازات العظيمة التي تحققت في هذا الحقل.

نظرية الشفرة المتعددة: علم نفس التحليل النفسي

إن نظرية الشفرة المتعددة الواردة في هذا الكتاب هي نظرية نفسية للذكاء الوجداني ومعالجة المعلومات الوجدانية. وتهتم النظرية بالتفاعلات بين تنوع العمليات والتمثلات الحسية والحركية والجسدية والمعرفية واللغوية، وتكاملهما في بناء الذات ووظائفهما التكيفية أو اللاتكيفية في علاقتها بالأغراض الفردية. وفي تطوير هذا النموذج، لا اعتمد فقط على العلم المعرفي التجريبي ودراسات المحاكاة الحاسوبية للعمليات الذكية، ولكن أيضاً بالاعتماد على حقول نمو الطفل والرضيع ونظرية الوجدان وتلم نظرية الشفرة المتعددة بالطرق التي ربما تظهر

بها الوظائف اللاتكيفية، وهذا يعني عملية التغير نحو الأشكال الأكثر تكيفاً. وأقترح أن هذا هو نمط النموذج الذي كان يحاول فرويد تطويره، بالرغم من عدم توافر الأدوات العلمية الموجودة حالياً.

وكما نعلم حالياً، وكما سنوضح في الفصول التالية، فإن نظام معالجة المعلومات الإنساني هو شفرة متعددة ومشغل عمليات متوازي لتعقيد هائل. والمعلومات المعالَجة، لا عن طريق جهاز واحد، وإنما أجهزة متعددة، تعالج أنماطاً مختلفة من المحتويات في صيغ مختلفة، وتعمل معاً في توازي وتفاعل. وتعتمد الوظائف التكيفية على أنظمة تكامل ملائمة. وهذا الأمر يُطَبَق لكل عمليات معالجة المعلومات، ولكن ربما بصورة أكثر كثافة لما قد وصفناه بمعالجة المعلومات الوجدانية.

الكلمات هي الوسيط في علاج التحليل النفسي، ولكن التغيرات المرجوة في العلاج تضم الإدراك والوجدان والأنظمة الجسدية والسلوك ـ كيف ندرك العالم، وبماذا نشعر، وماذا نفعل، وليس فقط مبدئياً ما نقوله. ونظرية الشفرة المزدوجة التي قدمتها في عام 1985، التي اعتمدت على أبحاث Pavio (1971 – 1989) وآخرون، أكدت على معالجة كيفيات التشغيل المنفصلة للصور والكلمات، والروابط بينهما. وهناك اعتراف متزايد بمجموعة واسعة من معالجة منهجية للمعلومات البشرية فيما يتجاوز الصور والكلمات وستتضمن العمليات والتمثلات حيث لا يوجد عناصر منفصلة، والتركيب ليس صريحاً، والمعالجة تظهر فورياً في قنوات متوازية متعددة، ووحدات المستوى الأعلى لا تُخَلَّق من عناصر مستقلة، وقواعد المعالجة الواضحة لا يمكن أن تحدد. وبالتحديد تلك نماذج معالجة الرمز الفرعي(وتسمى أيضاً المعالجة الموزعة المتوازية أو الترابطية[PDP]) والتي تقدم أساساً لاستدماج منهجي للوظائف الجسدية وكذلك الحركية والإدراكية في نظرية لمعالجة المعلومات الوجدانية. ومفهوم كيفية الرمز الفرعي تلم بنمط المعالجة الحدسية والضمنية، والتي يمكن أن تظهر أحياناً دون نية ودون انتباه, والتي يربطها المحللون بعمليات التفكير الأولية المبدئية؛ ومع ذلك، فعمليات الرمز الفرعي تستدمج نطاق من الوظائف أوسع بكثير من مفهوم

التحليل النفسي للعملية الأولية، كما سنرى.

وإن نطاق الرمز الفرعي واللغة منفصلان جوهرياً، والمشكلة التي يجب أن يحلها الكائن الحي في تنظيم نفسه والتواصل مع الآخرين هي ربط تلك الأنظمة المنفصلة والعملية المرجعية هي العملية التي تربط صيغ التمثلات المتعددة للأنظمة غير اللفظية ببعضها البعض وصولاً للكلمات. هذه هي الوظيفة الرمزية الرئيسية التي تعمل، بطرق مختلفة، في بناء أفكار وأشكال جديدة في العلوم والآداب، وأيضاً بناء المعاني الوجدانية في حياة الفرد. في الفصول التالية، سوف نتقصى مراحل العملية المرجعية بشكل متوازي مع التطور الوجداني والإكتشاف العلمي وعملية الحلم وفي تشغيل التداعي الحر في سياق الطرح. وهذا العلاج مصمم خصيصاً ليسمح بتنشيط أبنية الوجدان غير المترابطة في سياق يمكن تحمله، وفحصه، وإعادة بنائه. لو أن محللاً يستطيع أن ينشط معالجة الرمز الفرعي في الموقف العلاجي ذاته، فإنه يمكن أن ينتج ترميزاً جديداً وإعادة تصنيف الخبرة. وشخص المحلل تلعب دوراً هاماً في هذه العملية الرمزية، كما سنرى.

مطالب ومحاذير

الغرض من هذا الكتاب هو تطوير نظرية الشفرة المتعددة وتطبيقها على معالجة المعلومات الوجدانية؛ لفحص جذورها في البحث الحالي في ميادين العلم المعرفي، ونظرية الوجدان، وبحث نمو الطفل والرضيع؛ ومِن ثُم اثبات تطبيق هذه النظرية للمفاهيم التي يهتم بها الإكلينيكيون. لا أدعي أن النظرية التي سأفترضها هنا نموذج تحليلي نفسي كمنطق مقدس. وحقاً أدعي أن النموذج يلم برؤية تحليلية نفسية للأمراض وتغيرها في عملية العلاج، كما يقدم أساساً لبحث تطبيقي حيث يمكننا دراسة الفشل والنجاح لعملية التحليل النفسي. ولا يمكننا توقع ان أبنية الشفرة المتعددة سوف تُرسَم مباشرة ضمن مفاهيم التحليل النفسي كما صاغها فرويد . ودور النظرية أن تشتمل على بيانات، لا أن تضم نظريات أخرى. وفي بعض الحالات، سأشير إلى العلاقة بين أبنية شفرة متعددة ومفاهيم التحليل النفسي؛ وسوف أشير أيضاً إلى أمثلة حيث

تقود المفاهيم الجديدة إلى مراجعة أفكار التحليل النفسي. والغرض هنا تطوير نظرية سوف تتضمن بيانات الملاحظة في الموقف التحليلي النفسي، لا لتتضمن نظرية فرويد. والغرض أيضاً الاستفادة من استبصارات مستمدة من ملاحظات تحليلية نفسية في صياغة نظرية عامة لمعالجة المعلومات الوجدانية التي تمثل بدقة معالجة المعلومات الانسانية كما تظهر بالفعل بدلاً من النماذج المستخدمة اليوم في العلم المعرفي. وبالتالي، نحن نحاول اعادة وضع التحليل النفسي كنظرية عامة للعقل، مجدداً في سياق علم النفس المعرفي وإظهار نموذج شارح ربما يمكن تطويره بهذه الوسيلة.

وآمل أن أقنع القارئ ليفكر بطريقة جديدة - أو يصحح - تفكيره في التحليل النفسي كنظرية للعقل تم إهمالها، أو حتى فقدت مصداقيتها، في السنوات الأخيرة. والنظرية التي سأقدمها يمكن أن تكون - وفي كينونة - الخاضعة للفحص العلمي. وأتوقع أن تساؤلات جديدة ستُسأَل ويجاب عنها، وسوف تكون النظرية باستمرار خاضعة للفحص والمراجعة.

القسم الأول
إعادة بناء الميتاسيكولوجي: الجذور

في سبيل تطوير نظرية جديدة ـ نظرية للحياة الفردية أو نظرية عامة للعقل والوجدان ـ لا نبدأ بفضاء خال ولكن ببناء موجود فعلياً له هويته الجوهرية الخاصة. فنحن بحاجة "لإعادة بناء" نظريتنا التحليلية النفسية للعقل في كلا جانبي هذا المفهوم: لنستدعي وندرك ما هو أساسياً في هذا البناء الموجود فعلياً ومِن ثم نعيد بناء ما هو مطلوب.

وفي هذا القسم، أراجع باختصار بعض التغيرات في نماذج فرويد للجهاز النفسي كتلك التي تطورت على مدار أربعة عقود من عمله، بالتركيز على اعتداده بدور اللغة في تنظيم الجهاز النفسي واحداث التغيير. وهذا يقودنا إلى مناقشة للعمليات الأولية والثانوية، التي ترى بواسطة العديدين في هذا الحقل، بما فيهم فرويد نفسه، كقلب لنظرية التحليل النفسي للوظائف العقلية، وترى عند آخرون كمؤشر لعدم تماسك النظرية. ثم أتحول إلى طريقة فرويد للتحليل النفسي، والتي رآها إجراء علمياً فعالاً وضرورياً لاختبار افتراضات التحليل النفسي في السياق العلاجي. وبمجرد أن يتم إلقاء الضوء على قيود طريقة التحليل النفسي، سأفحص محاولات التحقق من مفاهيم التحليل النفسي في المجالات التجريبية وفي بحث العلاج النفسي، والقيم والقيود لهذه المفاهيم. والفصل الأخير من هذا القسم يغطي بعض القضايا الصعبة بشأن الحالات الوجودية لمفاهيم نفسية كانت تسبب متاعب لمنظرون التحليل النفسي. وسأقترح وضعاً علمياً واقعياً قد يمكّن باحثي التحليل النفسي من وضع هذه القضايا جانباً وهكذا ربما نستمر في عملنا.

الفصل الأول
نماذج فرويد التجريدية للجهاز النفسي

وفقاً لفرويد، في" المعالم [2] " (1940) فالمشكلة العلمية للتحليل النفسي هي ذاتها للعلوم الأخرى. وخلف الصفات التي يمكننا إدراكها يكمن الواقع، والذي سيظل دائماً" غير معروف." وفي التحليل النفسي كما هو الحال في الفيزياء, نطور طرق تجعل الاستدلال من العمليات المعروفة (الشعور) للعمليات غير المعروفة (اللاشعور). وبنى فرويد نماذجه من الجهاز النفسي كأنها" الدعامة الفكرية" للمعرفة العلمية لهذا الواقع الداخلي غير المعروف أساسياً. كما اقْتَرَحَ نموذجين رئيسيين للبناء النفسي أثناء عمله.

وفي" النموذج الطبوغرافي" (Freud,1895a,1900,1915)، الجهاز النفسي مقسم إلى" مناطق," أو أنظمة مبنية على إمكان نفاذ المحتويات العقلية للشعور(.conscious(Cs ؛ فكافة الوظائف النفسية، بما في ذلك توزيع "الطاقة" العقلية وسمات التفكير، محددة عن طريق هذا التقسيم. ونظام اللاشعور(.UCs) Unconscious يتم تمييزه بالعملية الأولية للفكر؛ ومحتويات لاشعورية عقلية هي غير لفظية وتعمل وفقاً لمبدأ اللذة، وذلك، لإشباع الرغبات، وتحقيق اللذة وتجنب الألم بتقليل التوتر الناتج عن الاحتياجات العزيزية. والتوظيف الليبيدي للموضوع يخضع باستمرار لضغط العملية الأولية للإفراغ؛ فهو سريع التقلب، بما يعني، سرعة الإزاحة وسرعة التكثف أيضاً. والنشاط العقلي في نظام ما قبل الشعور (.Preconscious(PCS يعمل وفقاً للعملية الثانوية. وبالتالي، فطاقته قد تكون مقيدة ومؤجلة الإفراغ بما يتفق مع الواقع، وتكون محتوياته شعورية، أو يمكن أن تصبح كذلك سريعاً.

---

٢ معالم التحليل النفسي

ويظهر الصراع بين قوى النظامين: النظام اللاشعوري الذي يضغط نحو الإفراغ والنظام الشعوري الذي يعمل على تأجيل ذلك. وعمليات الإثارة المكبوتة الناتجة من الغرائز الليبيدية تكمن وراء كل عرض عصابي. وفي النمو، يعمل التعبير اللفظي لتقييد الطاقة وتأجيل إفراغها. وفي العلاج, يملك التعبير اللفظي القوة لتغيير عملية الكبت ويقود لتقليل الأعراض. ولمعالجة ذاكرة النظام اللاشعوري لتصبح ما قبل شعورية، فيجب زيادة توظيفها بربطها بكلمة مُعَالَجَة مماثلة. والتأويل أو البناء، ما قد يقدمه المحلل للمريض، يمثل محاولة لملء الفجوات فيما يتم جعله أو يمكن جعله شعورياً؛" ولا يمكن أن يسعى العلاج النفسي لأي مسار آخر لجعل اللاشعور خاضعاً لسيطرة ما قبل الشعور " (Freud ,1900, p.617)

طور فرويد (1923) النظرية البنائية في إدراك تناقضات ضمن النموذج الطبوغرافي وفشلها لتفسير مناسب للملاحظات الاكلينيكية. وفي النظرية البنائية، الجهاز النفسي مقسم إلى منظمات أو أبنية فرعية , محددة بعلاقتها بالقوى الغريزية الداخلية والواقع الخارجي, فضلاً عن أنظمة محددة بصفات العقل (Freud , 1923) وتؤكد النظرية البنائية الدوافع العدوانية والجنسية وتركز على عمل الدفاعات اللاشعورية وتأثير الصراع بين الأحاسيس العقلية. وأهم منظمتين رئيسيتين للجهاز النفسي، الهو والأنا، يعكسان التفاعل بين مطالب العالم الداخلي للدوافع العزيزية والعالم الخارجي للبيئة التي يجب على الفرد التكيف معها. والأنا الأعلى، شعبة ضمن الأنا، تفصل تلك الوظائف التي تنطوي على طموحات مثالية أو محظورات أخلاقية عن وظائف أخرى للأنا.

والهو يحتوي على العزائز أو الدوافع العضوية، والقوى الشهوانية والعدوانية التي تمثل المطالب الجسدية للحياة النفسية والتي تشكل مصدر الطاقة العقلية للجهاز النفسي. وتوصف عمليات الهو بالعملية الأولية للتفكير وتتبع أوامر مبدأ اللذة، وتضغط نحو تقليل توتر الاحتياجات العزيزية. ويتحرك التوظيف الليبدي ويدفع نحو إفراغ فوري وسريع؛ وتزاح المحتويات العقلية وتكثف سريعاً ولا تخضع للقيود المنطقية.

والأنا هي الوسيط بين مطالب الهو، الأنا الأعلى، والواقع الخارجي . فلديها مهمة الحفاظ على الذات واستخدام إشارات القلق ـ توقع الحزن المكثف ـ كتحذير من المخاطر التي تهدد تكاملها. والقلق يحفز الصراع بين الهو والأنا والذي يظهر في كل مراحل نمو الطفل والذي يُعَد بمثابة الدافع للكبت والدفاعات الأخرى.

والقدرة على ربط وإضعاف الطاقة العقلية تتزايد مع نضج الطفل. والأنا أيضاً لديها القدرة على تأجيل العمليات لأي من وظائفها والنكوص، بطريقة مؤقته وخاضعة للسيطرة، إلى المستوى البدائي. ويشير كريس(1936،290) Kris إلى" أن النكوص في خدمة الأنا. "

واكتساب اللغة هو جانب رئيسي من تطور الأنا, متأصل في أو حتى مساوي لنمو القدرة على التفكير، ومرتبط بكبح الطاقة الغريزية والعمليات الثانوية. والتوظيف الليبدي في العملية الثانوية محددة بكونها مرفقة بتمثلات الكلمة؛ ومِن ثُم، تصبح مفاهيم المنطق والسببية ممكنة. وهذا يساعد في إنجاز الرضا الواقعي ويصبح عنصراً هاماً في عملية التَكَيُّف.

والنموذج البنائي يبتعد عن الرؤية الطبوغرافية لصفات العقل التي تحدد الأمزجة وصيغ التفكير، ومِن ثُم يستبعد التواصل الضروري للاشعور مع العملية الأولية والكيفيات غير اللفظية. ومن زاوية رؤية تنظيم الجهاز النفسي، هذا تغيير مصيري. وتؤكد عملية العلاج على تحليل الدفاعات التي تقاوم علاج المواد اللاشعورية فضلا عن علاج الذكريات نفسها . والغرض من العلاج يُرى انه تقوية الأنا الضعيفة للمريض وزيادة سيطرتها، ولذا "حيث كان الهو، يجب أن تكون الأنا " (Freud 1933,p.80). والنموذج البنائي له دِلالة مهمة جداً في تحديد بداية علم نفس الأنا؛ وقد أشار (1975) Arlow لهذا كتحول في النموذج الارشادي.

يروفة أولى حسان

العودة للاشعور الممنهج
النكوص أم التسوية

في مقولته التلخيصية 1940، بالرغم من أن فرويد يبدو متغاضياً عن التميزات الأساسية التي تكمن وراء مقدمة النظرية البنائية:

ضمن الأنا، الذي تشكل العمليات العقلية ، فإن لها خاصية ما قبل شعورية. هذه هي خصائص الأنا وتنتمي إليها وحدها ...

والصفة الوحيدة التي تحكم الهو هي لا شعورية. فالهو واللاشعور متحدين بحميمية مثل الأنا وما قبل الشعور؛ وبالفعل، الإتصال السابق أكثر من مجرد استثنائي. (pp.162–163)

هنا يكتب عن الفرق بين الصفات العقلية كخصائص متوازية تماماً مع الانقسام بين الهو والأنا. والتأكيد على التواصل الضروري بين صفات النموذج الطبوغرافي والمنظمات الثلاث للجهاز النفسي للحفاظ على الجوانب النسقية للصفات العقلية بشكل افتراضي. ولو أن كلاً من الكيانين النسقيين متزامنين بشكل كلي، فيجب أن يكون كلاً منهما مكافئ فيما يتعلق بالصفات الأساسية للطاقة ودورها في اللغة والتفكير. ودمج النماذج المُقَدَّمة في الموقف النهائي لفرويد مُنعَكِس أيضاً في وصفه لعملية العلاج ودور المحلل:

نحن نخدم المريض في وظائف متنوعة، كسُلطة وبديل عن والديه، كمُعَلّم ومربي؛ ونكون قد فعلنا الأفضل له إذا رفعنا، كمحللين، العمليات العقلية في أنا المريض لمستوى طبيعي، وتحويل ما أصبح لا شعوري ومكبوتاً إلى مادة ما قبل الشعور ومِن ثُم إعادته مرة أخرى لملكية الأنا. (1940,p.181)

ويبدو أن العديد من المحللين اليوم يفترضون ملائمة هذه النماذج ويتعاملون معها بشكل أكثر راحة: وهكذا، فإن مفهوم الهو مرتبط بشكل أساسي بالمجالات اللاشعورية وغير اللفظية؛ وينظر إلى الأنا باعتبارها تكوين من ما قبل الشعور أو شعورية ولفظية. ومع ذلك، فقد ناقش آرلو وبرنر(1964) Arlow and Brenner النظريتين في الحقيقة غير متوافقتين، وحتى متناقضتين في اعتبارات هامة : وتشير فعلياً إلى مساوئ استخدام مصطلحات كلا النظريتين بصورة

متبادلة والتحدث عن الهو، والأنا الأعلى في نفس واحد وكذلك عن اللاشعور وما قبل الشعور والشعور في النفس التالي، وتلك ممارسة... منتشرة جداً بين المحللين لتصبح تقريباً عالمية. (p.3)

وفقاً لهؤلاء المؤلفين، فإن موقف فرويد المعبر عنه في" معالم التحليل النفسي " يمثل تراجعاً في تفكيره:

إنه يعود إلى المعنى النسقي لمصطلح ما قبل الشعور والذي كان سمة للنظرية الطبوغرافية. ويعود أيضاً لفكرة النظرية الطبوغرافية أن العمليات الأولية والثانوية مختلفين نوعياً عن بعضهما البعض، وأن كلاً منهما يميز العمليات لأقسام منفصلة للجهاز العقلي. (التأكيد على الأصل ، ص 111)

ويقترح آرلو وبرنر Brenner and Arlow أن " ما كان فرويد ذاته ليفعله مع هذه الصفحة من' معالم التحليل النفسي' قد عاشه، لا يمكن لأحد أن يكون متأكداً من ذلك.[3] "

٣ بينما عمل فرويد في» معالم التحليل النفسي» تم توقفه بسبب جراحة أجراها في سبتمبر ١٩٣٨، فقد استغرق سنة أو أكثر ليعود لهذا العمل. وفقاً ل Strachey، في حين أن الكتاب" يجب وصفه أنه غير منتهي..., فمن الصعب اعتباره غير كاملاً... حيث أن البرنامج المنصوص عليه من المؤلف في مقدمته يبدو بالفعل مُنفّذ بشكل معقول" (in Freud, 1940,p.142)

نظرية الطاقة ومبدأ النرفانا

بينما يختلف النموذج الطبوغرافي الأول عن النموذج البنائي (الطبوغرافية الثانية) في طرق عديدة ، فكلاهما نظريتان لتوزيع الطاقة العقلية في الجهاز النفسي ويتشاركان افتراضات هذا النظام. وكلاهما يفترض أن الطاقات العقلية تنبثق من المصادر الجسدية، أي، من الغرائز أو الدوافع؛ وأن الجهاز النفسي خامل ما لم يتم استثارته؛ ذلك ان بناء الطاقة الغريزية يُنتِج الألم؛ وأن النشاط العقلي يُحفَّز تجاه تقليل هذه الطاقة الغريزية عن طريق إفراغها أو كبحها. وكلاهما يفترض أن اللغة مرتبطة بكبح الطاقة, وأن وظائف غير لفظية مرتبطة بمكون أكثر بدائية للجهاز: في النموذج الطبوغرافي ضمن اللاشعور؛ في النموذج البنائي ضمن الهو؛ وكلا الحالتين ضمن العملية الأولية للتفكير.

في مقولته التلخيصية الأخيرة، أدرك فرويد بعض التعارضات والالتباسات الكامنة في نظامه الدافعي الأساسي والرابطة التقديرية بين اللذة والألم.

والاعتقاد أن مبدأ اللذة يتطلب تقليلاً، ربما للحد الأدنى، لتوترات الاحتياجات الغريزية (وهي، النرفانا) يقود إلى العلاقات الثابتة غير المُقيّمة بين مبدأ اللذة والقوتين الرئيسيتين, غريزتي الحياة Eros والموت. (التأكيد على الأصل ، 1940 ، ص 198)

وافترض فرويد أن تلك المشكلات يمكن حلها بقوة دون تبديل المُسَلّمات الأساسية للنظرية؛ ومِن ثُم، على سبيل المثال، اقترح أنه ربما لا تكون مستويات الطاقة ذاتها ولكن الأنماط الإيقاعية لتدفق الطاقة التي تُحفز النشاط النفسي. وبينما لم يرفض أبداً نظرية الطاقة، إلاَّ أنه أدرك أيضاً مشكلاتها:

نحن نفترض، كما قادتنا العلوم الطبيعية الأخرى إلى توقع، انه يوجد بعض الطاقة النشطة في الحياة العقلية؛ ولكن ليس لدينا شيئاً نرتكز عليه يجعلنا قادرين على أن نقترب لمعرفتها بواسطة التوليف والتناظر مع أشكال الطاقة الأخرى. ويبدو أننا ندرك أن الطاقة العصبية أو النفسية تظهر في شكلين، أحدهما متنقل بحرية والآخر، بالمقارنة، مُقيَّد؛ فنحن نتحدث عن توظيف الطاقة وتوظيف الطاقة المفرط لمادة نفسية، أو حتى نخاطر بافتراض أن توظيف الطاقة

المفرط يستحضر نوعاً من تركيب عمليات مختلفة– وتركيباً في المسار الذي تتحول فيه الطاقة الحرة إلى طاقة مُقيَّدة. ولم نتقدم لأبعد من ذلك. (pp.163 – 164)

والمُسلَّمات الأساسية لنظرية الطاقة، كنموذج فيزيائي يُطبَّق على الكائنات الحية، قد تم فحصها على نطاق واسع في بحث بيولوجي ونفسي. وبشكل أساسي فإن نموذج الطاقة هو نظرية لتدفق الطاقة في نسق مغلق، والكائن الإنساني بوضوح ليس كذلك (von Bertalanffy , 1950). وتتصف الكائنات الحية بمدخلات مختلفة من الاستثارة ومخرجات مختلفة من النشاط، وليس بصدى كمية ثابتة من الطاقة. وكما يشير Holt (1965): " مع ظهور مفاهيم النظام المفتوح فإن الحجج الأساسية لسيطرة منظور الرؤية الإقتصادية (علاج الطاقات الكمّي) ينهار" (p.134).

إن جانباً كبيراً من الشواهد لا يؤكد نموذج الطاقة في ذاته، كما هو مطبَّق في الأنظمة البيولوجية، قد تم مراجعته بواسطة Holt (1989) و Eagle (1984). وهناك دليلاً جديراً بالاعتبار أن الكائنات الحية نشطة باستمرار، بدلاً من كونها نشطة فقط عن الاستجابة لمثير خارجي أو احتياجات داخلية. وإن الدوافع الإيجابية الجوهرية ـ للاستكشاف، وللإنجاز، وللتقرب من الآخرين ـ وأيضاً الدوافع السلبية هدفت لتقليل الألم والتوتر اللَّذَيْن تم بناءهما. والإنسان والحيوان محفزين بواسطة الفضول؛ فهم محفزين للتقرب من أعضاء بعينهم ممن ينتمون لفصيلتهم وحتى للبحث عن الاستثارة بدلاً من كونهم محفزين، بشكل أساسي، لتقليل التوتر النابع من الدوافع الجنسية والعدوانية أو الاحتياجات الجسدية. وإن اللذة، والتي تختلف عن تقليل التوتر، قد تبين أنها محفز مستقل؛ وإن مواقع محددة من المخ تم تحديدها والتي يُعد تحفيزها إثابة.

والمشكلة الأعمق لنظرية الطاقة ليست أنها غير مُؤكَّدة كنظرية بشأن تشغيل الأنظمة الفيزيائية أو البيولوجية . فالمشكلات الأعمق، أولاً غموض مستوى التفسير المقصود بواسطة نموذج الطاقة ما بين المستوى الفسيولوجي والنفسي؛ ثانياً، أن قضايا النظرية لم يتم تقييمها منهجياً على أي من

المستويين. ولو أنّ الطاقة عُرّفت على أنها فعلياً كمية جسدية يمكن قياسها ، فإن التكوينات تحتاج لتعريفها والقضايا لاختبارها في ضوء تلك المفاهيم. ولو أن الميتاسيكولوجي تُرى أنها نظرية نفسية مجردة تهتم بتوزيع الطاقة النفسية ، إذاً فنحن بحاجة لتعريفات منهجية لبنية الطاقة، ومبدأ الثبات، ومفاهيم الدافع، والحاجة، والغريزة، داخل المجال النفسي، وقواعد التراسل المنهجي التي تمكّن من الاستدلال من البيانات التي تتم ملاحظتها وصولاً إلى التكوينات العقلية والتغيرات فيهم. وبدون مثل تلك التعريفات فإن كل دراسة تؤكد أو لا تؤكد اعتقاد خفض الحاجة كأساس للدافعية في الأنظمة البيولوجية يمكن أن تُفحَص فيما لو كانت اعتقادات الحاجة، أو التوتر، أو الدافع، وتقييم خفضهم، كما يتم تقييمه بواسطة الدراسات الميدانية، مساوية لمنطق فيما لو أن تلك المفاهيم عُرّفت في نموذج التحليل النفسي.

إن أوجه قصور نظرية الطاقة واضحة كنموذج للجهاز النفسي. وإن نموذج الطاقة لم تتم صياغته أبداً بصورة منهجية كفرضية متماسكة تهتم بوظائف النظام النفسي ـ لا الفسيولوجي. وإن الحالة التنظيرية لمفاهيم مثل الغريزة ، والليبدو، وتوظيف الطاقة، وتوظيف الطاقة المفرط ربما تكون مبدئياً مساوية للمفاهيم التنظيرية للعلوم الفيزيائية مثل القوة، والكتلة، والجذب، كما أدّعى فرويد. وعلى الرغم من ذلك، فإن مفاهيم الميتاسيكولوجي لم تقترب أبداً من مستوى المنهجية، وتماسك التعريف، والتوافق مع المقاييس التي يمكن ملاحظتها والتي تُعد خاصية لمفاهيم العلوم الفيزيائية كالقوة، والكتلة والجذب، ولم يعد هناك أي توقع لكونهم كذلك. وفي ضوء عدم ترابط الميتاسيكولوجي، وكذلك اللاتأكُّد الظاهر لمبادئ الطاقة، فقد ناصرت Holt (1967 ، Klein (1976) b,1976a)، Gill (1976) وآخرون رفض مفاهيم الطاقة والغريزة، ومفاهيم مركزية أخرى للميتاسيكولوجي، كما سنرى بالتفصيل عبر القسم الأول.

اللغز الذي تكشفه الساحرة:
ثنائية التفكير لدى فرويد

في صياغة ملخصه الأخير، أدرك فرويد (1940) Freud المشكلات التي لم تُحل في اثنين من طبوغرافياته، مشكلات نظرية الطاقة، وآثار التحول من الثبات إلى خفض الاستثارة " النرفانا" والعلاقة الإشكالية بين صفات وتكوينات الجهاز النفسي. ووسط كل هذه التناقضات والمشكلات، تبقى أرضية صُلبة، و"حقيقة" واحدة ثابتة:

ووراء كل تلك الشكوك، مع ذلك، توجد حقيقة واحدة جديدة، والتي ندين باكتشافها لبحث التحليل النفسي. وقد وجدنا أن عمليات اللاشعور أو الهو تذعن لقوانين مختلفة عن القوانين داخل أنا ما قبل الشعور. ونسمى هذه القوانين في مجملها العملية الأولية، على النقيض من العملية الثانوية التي تحكم مسار الأحداث في ما قبل الشعور، والأنا. وفي النهاية، بالتالي، فإن دراسة الصفات النفسية أُثبتت أنها مثمرة. (التأكيد على الأصل ,P.164)

والأرضية الصُلبة التي بقى معها، والتي تمسك بها بقوة حتى النهاية، تلك النتيجة التي تبرر عمله، هي اكتشاف لكيفيتين مختلفتين للتفكير، وهما العمليات الأولية والثانوية. فهما مرتبطتين مباشرةً بخواص العقل بدلاً من أنظمته ؛ والصفات العقلية تستعيد دورها المنهجي المركزي" في النهاية."

ويدعي فرويد (1937a) نفس الأرضية الصلبة عند تناول السؤال المركزي بكيفية كبح التحليل النفسي لغريزة:

وهذا يعني، أن الغريزة تُدمَج تماماً تناغماً مع الأنا، لتصبح متاحة لكافة التأثيرات للاتجاهات الأخرى داخل الأنا، ولم تعد تسعى باتجاه طريقها المستقل للإشباع. ولو أننا سؤلنا ما الطرق والوسائل التي يمكن أن تُنجز بها تلك النتيجة ، فليس من السهل أن نجد الإجابة. يمكننا فقط أن نقول " so muss den doch die hexed ran " [" يجب أن نستدعي الساحرة لمساعدتنا على أي حال!" (Goethe، فاوست، الجزء الأول) ـ الساحرة هي الميتاسيكولوجي. وبدون تخمينات وتنظيرات ميتاسيكولوجية– فقد قلت تقريباً" التخيل"ـ لا يجب

علينا أن نتقدم خطوة أخرى للأمام. ولسوء الحظ، فهنا كما في أي مكان آخر، ما كشفته ساحرتنا ليس واضحاً جداً ولا مفصلاً. فلدينا فقط مفتاحاً واحداً لنبدأ منه ـ رغم أنه مفتاحاً ذا قيمة مرتفعة ـ تحديداً، التناقض بين العمليات الأولية والثانوية (P.255).

وهنا، كما في أي مكان آخر، عاد مرة أخرى إلى الاكتشاف الذي رأى أنه اكتشافه الأول والأهم:" الأكثر قيمة لكل الاكتشافات التي حالفني الحظ لاكتشافها" (Freud, 1932),بداية من المقدمة وحتى الطبعة الانجليزية الثالثة [المُراجَعَة]" لتفسير الأحلام").

وإن ثنائية العمليات الأولية والثانوية للفكر قد اعتبرت من قبل العديد من علماء التحليل النفسي أنها فكرة فرويد الأكثر أصالة وأساسية، وأنها مركزية لتفسير التحليل النفسي للجهاز العقلي (Jones , 1953 , Mclaughlin, 1978) (وأي نظرية نفسية تفشل في تفسير هذا الانشقاق الأساسي لا يمكن إدماجها في مفاهيم التحليل النفسي؛ والنظريات النمائية الكبيرة لبرنر وبياجيه Piaget Bruner and قد فشلت في هذا الصدد، كما أشار نوي (1979) Noy:

وبشكل تقريبي فإن كل نظريات النمو المعرفي المعاصرة تنتهج المعرفة كنظام ذو مسار واحد، وتطورها كعملية خطية تسير على خط نمائي واحد. والحقيقة أنه بالرغم من أن التحليل النفسي قد حاول مراراً استيعاب جزء أو عدد من تلك النظريات... إلا أنه لم يستطع أبداً تبني أياً منها إجمالاً . والمفهوم الثنائي للعمليات الأولية والثانوية متجذر بعمق في تصور المدخل المفاهيمي التحليلي النفسي، وأن أي نظرية نمائية لا ترى أن المعرفة تتكون من نظامين، أو شكلين، أو كيفيتين، أو مستويين ـ أو، على الأقل، مُتَّصل مرن بين اثنين من المراكز التنظيمية ـ لا يمكن أبداً تكاملها ضمن الميتاسيكولوجي التحليلية النفسية. (p.170)

وبينما التمييز بين العمليات الأولية والثانوية مركزي لنموذج تحليلي نفسي، فإن الأساس التنظيري يبقى بعيداً عن الثابت هنا. وإن صياغة فرويد للعمليات الأولية والثانوية كانت متجذرة في مفاهيم الطاقة (1900 , 1895a) وبالتالي

تحتفظ بكل الصعوبات لهذا الأساس التنظيري. وإن العملية الأولية، كما وصفت بواسطة الحفزات المتغيرة أو غير المقيدة، تقدم الأساس العقلي لإفرا غ فوري للدافع في خدمة مبدأ اللذة.

وإن تقييد وإبطال مفعول الطاقة يُمكّن الإفرا غ المؤجل وتركيز العملية الثانوية على الواقع. وعلى المستوى الشكلي أو البنائي فضلاً عن المستوى الدينامي أو الإقتصادي، وصف فرويد العملية الأولية أنها تعمل بواسطة ميكانيزمات مثل التكثيف، والإزاحة، والتصور، والرمزية، بينما تعمل العملية الثانوية بواسطة ميكانيزمات التفكير اللفظي والمنطقي.

وفي النموذج الطبوغرافي ترتبط العملية الأولية بنظام اللاشعور وترتبط العملية الثانوية بنظام ما قبل الشعور والشعور وفي النظرية البنائية، تُرى العملية الأولية أنها الكيفية المشغلة للهو والعملية الثانوية هي الكيفية المشغلة للأنا. وتُعرّف النظرية البنائية مفاهيم العمليات الأولية والثانوية في ضوء درجات متنوعة لتغيرات توظيف الليبدو، دون صلة بالحالات العقلية. وهنا, فإن الخيالات, وأحلام اليقظة, والاحلام جميعها توصف في ضوء انتقائية وتغير الأنا ونكوص الأنا الأعلى، والتفاعلات المتبادلة بين قوى الهو, والأنا والأنا الأعلى. وعلى النقيض للنموذج الطبوغرافي، ينظر إلى النشاط الخيالي أنه مستمر على مدار الحياة العقلية، ويتدخل في الخبرة الشعورية وكذلك الأحلام الأساسية (Arlow, 1969). وبينما ينظر إلى تنظيم إفرا غ الحفزات على أنه وظيفة للأنا، ربما يحدد التراسل المربك باحتمالية، أن يكون نمط الافرا غ السريع هو عمل الهو، والأنا، والأنا الأعلى (Arlow & Brenner, 1964). وإن محاولة فرويد (1940) للموائمة تركت ترتيب النظام أكثر ارتباكاً ؛ وليس مدهشاً أن كثير من المنظرين, بما فيهم Arlow و Brenner (1969) ، يتساءلون عن منطق فرويد فيما قد يتعلق بما قصده في تعليقاته الأخيرة.

وقد ناقش Gill(1967) إلى " غموض" حيث توصف العملية الأولية بالكيفية الأصلية التي تُوجَّه بها الوظائف العقلية بواسطة مبدأ اللذة من جهة ومن جهة أخرى أنها" محفزة" بواسطة الدفاع، ناتجة من تأثير الكبت على

التفكير اللفظي. وهذا يتعلق بالفرق الذي لاحظه فينخل Fenichel (1945) بين" الرمزية القديمة كجزء من التفكير ما قبل المنطقي " ومفهوم التحليل النفسي التقليدي للرمزية" كتشويه بواسطة وسائل التمثل لفكرة مكبوتة من خلال رمز شعوري" (P.48)

وقد حاجج لويوالد Loewald (1978) أن الغموض الملاحظ بواسطة Gill يمكن حله عن طريق مفهوم النكوص: " العملية الأولية هي 'أولية' لأنها الأولى وأكثر بدائية. والدفاع - الكبت - يؤدي إلى النكوص لتلك الكيفية القديمة للوظائف العقلية؛ فهي لا تخلق عملية أولية " (التأكيد على الأصل ، P.243) والنشاط العقلي للعملية الأولية "وحدوي، لا تفريقي، لا تمييزي," يوصل إلى "تكثيف موحد" (p.258). والتمييز لتلك " الوحدوية، والشمول، والواحدية غير المنظمة" يحدث عبر العلاقة بين عرض الشئ انسجامه مع عرض الكلمة، والذي يُطلِق عليه مصطلح " فعل الوضوح المتلازم" (p.261). والحقل التمثلي يُعد غير تمييزي قبل ربطه بتمثلات الشيء والكلمة:" والتفكير في ضوء عناصر أو مكونات خبرة أو فعل يبين فعلياً التفكير ضمن العملية الثانوية" (p.258).

إن فكرة النكوص في خدمة الأنا (Kris,1936) تفترض رؤية مشابهة للتمثلات غير اللفظية، والتي تعد أيضاً متأصلة في - أو محصورة داخل - المفاهيم الاقتصادية للميتاسيكولوجي. ومِن ثُم، فالنشاط العقلي للعملية الأولية غير اللفظية يستلزم" جعل وظائف الأنا بدائية " بناء على" نقل إفراغ الطاقة " (p.312). وفي بعض الحالات، تكون الأنا قادرة على ضبط النكوص والاستفادة منه بدلاً من الخضوع له. ومِن ثُم، فالتصور ربما يفسر انجازات استثنائية في الرياضيات والعلوم وكذلك الأدب. ومع ذلك، فإن أشكال الفكر المتقدمة لاتزال بطريقة ما موجودة بطبيعتها ضمن اختصاص العملية النكوصية الأولية، على نقيض أشكال التبرير اللفظي المرتبطة بفكر العملية الثانوية.

إن الالتباسات المتأصلة في نموذج التحليل النفسي تظهر في كل هذه الصيغ، وفي حين أن معرفة دور التصور أمراً واضحاً في الحياة العقلية، فإن كريس و لويفالد Kris and Loewald يحتفظان أيضاً بالرؤية الميتاسيكولوجية

بشأن الطبيعة النكوصية والبدائية للتفكير غير اللفظي . وبشكل عام، ربما نتسائل عما إذا أمكن وصف الإنجازات المبدعة والمتقدمة في العلم والأدب بشكل مناسب على أنها نكوص. وفي سياق خاص جداً، بتطبيق صيغة لويفالد ، ربما نتساءل كيف أن" تمثل مفرد للشيئ" ربما ينفصل مبدأياً عن" الواحدية" العامة غير المتمايزة لكي يرتبط بعرض الكلمة لو الربط بالكلمات في ذاته هو الوسيلة التي يفترض بها أن يظهر الاختلاف. وفي أبسط صياغة لهذه المشكلة، لو أن عروض الكلمة word presentations مرتبطة لتتواصل بعروض الشيء thing presentations، فإن عروض الشيء يجب أن تتكون أولاً بطريقة ما. وبكلمات أخرى، يجب أن يكون هناك عملية تُحرّك البنية العقلية من الواحدية العامة إلى حقل به أشياء منفصلة، ويسبق استخدام الكلمة، لكي تمتلك الكلمة كيان تُستَخدَم فيه. والنقطة التي خفيت على لويفالد وآخرين كُثر هي أن التمييز المبدئي للحقل التمثلي يجب أن يعتمد على عملية تنظيمية لغوية أو قبل لغوية. وحينما تم تطوير التمييزات والفئات على مستوى غير لفظي، فإن اللغة ربما حينئذ تمدنا ببنية إضافية لتلك الصيغ.

إن تفسير ظاهرة مثل التخيلات اللاشعورية وأحلام اليقظة قد كانت مشكلة للميتاسيكولوجي خلال تاريخها. وبقرابة عام 1915 أثار فرويد تساؤلاً بشأن حالة ودور التخيلات اللاشعورية:

من بين مشتقات الدفعات الغريزية اللاشعورية... يوجد بعض منها تتوحد ضمنها صفات لطبيعة متناقضة. فمن ناحية هي منظمة بشكل مرتفع، وخالصة من التناقض الذاتي، وقد استفادت من كل ما اكتسبته من النظام الشعوري والذي سيكون مختلفاً بالكاد في حكمنا من تكوينات هذا النظام. ومن ناحية أخرى، فهي لاشعورية ولا تمتلك القدرة على أن تصبح شعورية . وبالتالي فهي نوعيا تنتمي لنظام ما قبل الشعور، ولكن فعليا تنتمي لنظام اللاشعور. (التأكيد على الأصل، pp.190–191).

وكما يشير أرلو(1969) Arlow في اعتبار مثل هذه التضاربات التي ساهمت بشكل مبدئي في تساؤل فرويد بشان النفاذ للشعور كأساس تمييزي

للأنظمة النفسية ومِن ثُم يمثل تنبيهاً للفروض البنائية. وبالرغم من ذلك، فإن الالتباسات بشأن حالة التخيلات المنظمة وصعوبة تصور تخيلات لاشعورية, وأحلام، وظواهر أخرى للعملية الأولية للنشاط العقلي تظل داخل النموذج البنائي أيضاً.

وطبقاً لـ بيريز (1962) Beres, فإن التخيلات عبارة عن تمثلات عقلية منظمة " مشتقة من الدوافع الغريزية ومُحفَّزة بواسطة طاقات تلك الدوافع " (p.318). ويمكن أن تكون شعورية أو لا شعورية، اعتماداً على قوة الحفزات المضادة التي يتم تزويدها بواسطة دفاعات الأنا. ومع ذلك، فكما يشير: وتظل هناك أسئلة غير مجاب عنها. ومن السهل افتراض العمليات العقلية اللاشعورية التي تُنَظّم بواسطة مشتقاتها. ومن ناحية أخرى، من الصعب فهم المحتوى العقلي اللاشعوري. هل يُوجد الخيال اللاشعوري في شكل لفظي؟ أم كمجاز؟ لا نعرف. وبالرغم مما ذُكِر سابقاً، أعتبر كل التصور شعوري ومن الضروري افتراض حالة أخرى لمحتوى عقلي لا شعوري. وبالمثل، سأقول بأن الخيال اللاشعوري دون محتوى لفظي وأن التعبير اللفظي جزء من عملية جعل الخيال شعورياً، ومع ذلك فإنه ليس أساسياً.

وفي ضوء الميتاسيكولوجي ، فإن تمثل المحتويات العقلية في شكل منظم، بما يعكس تأجيل الإفرا غ، هو مجال تفكير العملية الثانوية. ومن التناقض ادعاء أن الخيال اللاشعوري يمكن تمثله في مثل هذا الشكل. وقد ناقش أرلو Arlow (1969)، بالتوافق مع فرويد (1915) Freud، بأنه بالإضافة إلى كونها متسقة ومنظمة، فإن التخيلات اللاشعورية ربما تشتمل أيضاً على عناصر ذات مفاهيم لفظية محددة. وفي فحص تلك المفاهيم والمشكلات المتعلقة بها، يقول أرلو:

وبالتالي سيبدو أن التخيلات اللاشعورية تُعِيق منهجيتنا. والدليل واضح أن مثل هذه التخيلات موجودة ولكن أين يجب على المرء وضعها بالتحديد في إطارنا المفاهيمي المرجعي؟ ما هي طبيعتها وفي أي شكل توجد؟ (1969, p.4)

وجهات نظر بديلة للعمليات الأولية والثانوية:

حاول العديد من الكتاب الاحتفاظ بمفاهيم العمليات الأولية والثانوية, مع فصلهم هذه المفاهيم عن ثوابت الميتاسيكولوجي وتعريفها بطرق جديدة. وقد ادعى (1973 , 1969) Noy أن العملية الأولية يجب ألا يتم فهمها على أنها تُمثّل مستوى نمائي أقل مقارنة بالعملية الثانوية:

" يُنظر إلى كلتا المجموعتين من العمليات على أنها متساوية نمائيًا، وتنظيميًا، وتجديديًا، وفعاليةً" (نوي، 1979،ص 172). ووفقًا لنوي، فإن العمليات الأولية والثانوية تختلف فقط في كيفياتهما التنظيمية، بما يعكس الإختلافات في الوظائف التي تؤدَّى بواسطة كل عملية.فالعملية الثانوية تعالج الإدراك، والانفعال، والاتصال مع العالم الخاريجي، وطبقاً لمبدأ الواقع ؛ والعملية الأولية تعالج وظائف لها علاقة بتنظيم وتكامل الذات، كما توصف بأنها متمركزة حول الذات. ويناقش نوي أيضًا بأن وصف العمليات الأولية والثانوية على أنها منفصلة ولكنها بشكل متساوي كيفيات تنظيمية متطورة مدعومة بالبحث الحديث ووظائف دماغية خاصة.

إن ماكلوغلين (1978)، مثل نوي، يرفض وجهة النظر بأن العملية الأولية بدائية، وقديمة، ولا عقلانية. ووفقًا لماكلوغلين، فإن العملية الأولية تخضع" لتقدم نمائي قبلي، ثم متزامن، وتالٍ مختلط بالعملية الثانوية ونموها" (ص. 238). والنمو لكل من كيفيات التفكير يستمر عبر الحياة، وينعكس في مدى غنى وتعقد الوظائف غير اللفظية. وقد اقترح ماكلوغلين أن العملية الأولية للتفكير تقع في النصف المخي المتنحي، وعادة النصف المخي الأيمن للبالغين مستخدمي اليد اليمنى، كما يربط العملية الأولية بالوظائف الإبداعية وغير اللفظية للموسيقى والفن، وللسلوك الحركي الماهر بكل أنماطه، كما في الألعاب الرياضية والرقص. وقد اقترح أيضًا وجود ارتباط للرؤية بالجهاز العصبي المحيطي مع العملية الأولية وللرؤية المركزية مع العملية الثانوية. ويناقش أن البحث بشأن الإدراك الأدنى من مستوى العتبة بواسطة شيفيرن (1974)، وكيبكس وولمان (1972)، والذي يظهر علاقة بين الإدراك خارج الوعي وكيفية العملية الأولية، يقدم دليلاً

لتلك الفروض. كما أن موقفًا ذات صلة، وهو تخصيص العمليات الأولية والثانوية للفصين الأيمن والأيسر، وافق عليه أيضًا هووب (1977).

وفي محاولة لمنهجة مفهوم العملية الأولية وجعلها متماسكة، فقد رفض هولت (1967) صيغة الطاقة كما أنه وصف العملية الأولية في ضوء الغرض من إشباع الرغبة والمكونات الشكلية للتفكير. والعملية الأولية لا تتضمن شكلاً غير متمايز للمعرفة؛ فبدلاً من ذلك، يجب أن

تكون مفهومة" كنظام خاص لمعالجة المعلومات،" " نوعًا أو نظامًا للتفكير، ذو مكونات توحدية أو سحرية وكذلك تواقة" (ص. 267). وإن تنظيم مثل هذا التفكير يفترض عمل تلك الأبنية الثابتة و" يجب أن يكون النتاج لتطور جدير بال اعتبار":

وحينما افترض فرويد المفهوم القديم بأن الأحلام، والأعراض العُصابية والذهانية، وغيرها من أشكال التفكير والسلوك البدائية والتي تبدو غامضة يمكن تفسيرها، انتزع نظريته الجديدة للعملية الأولية ضد الرؤية السائدة بأن مثل تلك الظاهرة كانت بشكل أساسي عشوائية، واحتمالية وعديمة المعنى في جوهرها. ولم تكن رؤية فرويد فقط بأن الحتمية يجب افتراضها للتطبيق لكل أركان علم النفس، ولكن بأن وظائف اللاشعور أو الهو كانت شيئًا قديمًا ولغة سرية. وكانت قواعدها غريبة وغير متوقعة، ومع ذلك اتبعت القواعد التي يمكن أن يصيغها، وبمساعدة قاموس رمزي لكلماتها تعلمنا أن نترجمها ولذا فإن المعنى يمكن أن يكون نابعًا مما قد اعتبره الآخرون بلا معنى بطبيعته. (ص.278– 279)

وقد طور هولت نظامًا للفحص الميداني للجوانب الدافعية والبنائية للعملية الأولية، باستخدام استجابات رورشاخ كإشارات لهذه الكيفية من التفكير. تفترض نظرية التحليل النفسي وجود علاقة بين محتويات مرتبطة برغبات مكبوتة وصفات بنائية لتفكير العملية الأولية، مثل التكثيف والإزاحة. وفي بحث هولد، هناك ارتباطًا تم تأكيده بين المحتويات التواقة للاشباع والخصائص البنائية في عينة كبيرة لاستجابات رورشاخ. وفي مزيد من الفحص لتلك النتائج، مع ذلك، باستخدام فنيات التحليل العاملي، وُجد أن تصنيف المحتويات التواقة للاشباع

لا تحتوي فقط على الأشكال الأكثر بدائية، والفجة، والخام للرغبات اللاشعورية، والتي سيتوقع المرء عادة أنها مكبوتة، ولكن أيضًا أشكال أكثر اجتماعية، والتي ربما من الأفضل تصنيفها في مصطلحات العملية الثانوية. ولاحظ جيل (1967) أيضًا أن جوانب الإزاحة والتكثيف ربما تظهر مع العملية الثانوية بالإضافة إلى محتويات العملية الأولية.

إن الرابطة المفترضة بواسطة نظرية التحليل النفسي مابين الرغبات وسمات معينة شكلية للتفكير لم تُدعّم في نتائج هولت. وفي بحثه، وجد أشكالاً للتفكير والتي لا تقع ضمن فئات العملية الأولية أو الثانوية، مما يعني، حينما تتوافق المكونات البدائية الراغبة في الاشباع مع الصفات البنائية لتفكير العملية الأولية، وقد وُجدت أيضًا تشكيلات مختلطة. وكما اقترح هولت، من المطلوب ظهور تصنيف جديد. وكما أشار أيضًا، المشكلات لاتُحل عن طريق النظر في بُعد العملية الأولية ضد العملية الثانوية كمتصل بدلاً من كونها انقطاعاً ؛ وتبقى مشكلات التعريف المنهجي للمتصل (أو المتصلات) والأقطاب.

وباتباع جهوده البحثية، فقد استُدرج هولت (1976) إلى نتيجة سلبية بشأن بقاء بنية النشاط العقلي للعملية الأولية:

وفي حالتها الراهنة، فإن نظرية العملية الأولية في فوضى محزنة. ومرجعياتها الميدانية محددة فقط بشكل عام، وغير دقيقة جداً لإعطاء توجيه مؤكد لمحاولات متماسكة للقياس. وسواء اعتُبرت أنها في مستواها الأدنى نظرية إكلينيكية، أو في مستواها الأعلى مظهرًا ميتاسيكولوجيًا، فإنها غير مكتملة في الأساس. (ص.301)

ومن ثُم، فقد تُركنا مع مشكلة أساسية ومحزنة. فمن ناحية، تُرى مفاهيم العمليات الأولية والثانوية على نطاق واسع أنها مركزية لنوذج التحليل النفسي؛ ومن ناحية أخرى، فإن هذه المفاهيم تُرى أيضًا غامضة وغير متماسكة–" معيبة للغاية،" " غير مكتملة في الأساس،" " في فوضى محزنة."

الفصل الثاني
الميتاسيكولوجي
والنظرية الإكلينيكية
وطريقة التحليل النفسي

منذ عدة عقود، فإن ربابورت (1960)، وهولت (1962)، وكلاين (1976)، وآخرون كانوا منشغلين في محاولة لمنهجة الميتاسيكولوجي، لإتقان النص الفرويدي وبالتالي" سيصبح معناها الصعب واضحا" (هولت، 1962، ص.72)، ولصياغة افتراضات متماسكة يمكن اختبارها ميدانيًا وعمليًا، لأخذ ادعاءات فرويد العلمية بشكل جدّي. وإن فشل هذه المحاولة قد وُثّق جيداً في موضع آخر(جيل، 1976؛ إيجل، 1984؛هولت، 1985؛ ثوماي و كاشيلي، 1987). والنتيجة العامة التي تم الوصول إليها، بعد سنوات من هذا المجهود، أنه لم يتم إحياء النظام البنائي ولا المبادئ الدينامية للميتاسيكولوجي في المعالجة العلمية:" فلقد كانت العملية ناجحة رغم موت المريض" (هولد 1985، ص. 342).

وعلى أساس تلك الفحوص، فقد ناقش ربابورت (1960) لصالح نظرية تحليلية نفسية إكلينيكية والعلاج عن نظرية عامة أو ميتاسيكولوجية. وطبقًا لكلاين (1970، 1973، 1976) وجيل (1976)، يجب أن يُتخلّى عن المستوى التجريدي الشارح للميتاسيكولوجي، والنظرية الإكلينيكية، التي ركزت على أسئلة المعنى والنية، ويجب أن يتم تطويرها في إطار ذاتي ونظامي. وقد ناقش جيل (1976) أن التحليل النفسي لا يجب تصنيفه كعلم طبيعي، ولكنه يمتلك إطاراً مختلفًا، " كعلمًا للمعنى." ومع ذلك، فقد أيد هولت أن النظرية الإكلينيكية والميتاسيكولوجية كانتا" متشابكتان أكثر بكثير مما قد اقترحه ربابورت، وأنه لم تكن هناك طريقة بسيطة أو واضحة لإنتاج مجموعة من الاقتباسات من كتابات فرويد التي من شأنها إعطاء النظرية الإكلينيكية إيضاحًا حاسمًا" (1985، ص.327) .

ومن بين ممارسي التحليل اليوم، يبدو أن الوضع الأكثر شيوعًا هو التناقض: نظرة عامة للميتاسيكولوجي على أنها غير مرتبطة بعملهم، ومقترنة بقبول ضمني لمفاهيم لها معنى فقط في هذا السياق التنظيري. وكما أشار هولت (1985):

في الوقت الحالي، أعتقد أنه من العدل القول بأن الميتاسيكولوجي ميتة فعليًا. يدافع عنها القليلون ظاهريًا، والتحق كثير من المؤيدين لها ممن يرونها ضرورية. ولكي نتأكد، فإن أكثر ممارسي التحليل النفسي لم يعطوا انتباهًا لزوالها، ولم يؤيدوا أبداً" هذا الفريق التجريدي" على أي حال. ومالا يدركونه هو أنهم ملتزمون بها أكثر بكثير مما يدركون. حيث أن المصطلحات اليومية مثل الأنا، والهو، والغريزة، والعلاج الدينامي النفسي أجزاء متكاملة للميتاسيكولوجي فضلاً عن النظرية الإكلينيكية.فهم يشاركون مع مفاهيم أكثر غرابة مثل مضاد الحفز وتميُّع الصفة المصيرية لعد إشارتها لأى شيء حتى ما يمكن ملاحظته بشكل غير مباشر والمساهمة بلا شيء في الحوار فيما وراء الرضا غير العقلاني الذي يحصل عليه العديدون منا عن طريق التحدث بمصطلحات تحليلية نفسية معروفة...

وأُدرك قساوة الإتهام السابق، ولكن لا نتناوله باستخفاف أو بأي لذة. وهو أي شيء ما عدا تأمل مريح لمعرفة أن معظم حياة الفرد المهنية قد كُرّست لنظرية عديمة الفائدة كما بُرهن على ذلك للميتاسيكولوجي. (ص.326- 327)

إن نظرية التحليل النفسي اليوم في فترة إعادة صياغة متفجرة ومتنوعة. وعمليًا فكل المواقف الكلاسيكية، بما في ذلك عالمية عقدة أوديب ونموذج الصراع الدافعي الأساسي، يتم فحصها وخضوعها للتغيير. فنحن لم نعد ملتزمون بنظريات فرويد الإكلينيكية فيما يخص مصادر وطبيعة الصراع والأمراض للإناث والذكور. وهناك منظور تحليلي نفسي جديد عن سيكولوجية المرأة آخذٍ في الظهور والذي يبتعد عن المفهوم الكلاسيكي لحسد القضيب كما يفترض خطوط نمائية مغايرة للمرأة. وكما لاحظ وليرشتاين، فقد رأينا انتقالاً للتحليل النفسي من بناء تنظيري موحد" إلى التنوع التنظيري في الوقت الحاضر في

جميع أنحاء العالم والذي نتواجد فيه الآن جنبًا إلى جنب مع مدرسة الأنا النفسية الأميريكية (وحتى الآن مدرسة نفسية لما بعد الأنا)، ونظرية كلاين وبايون (البريطانية للعلاقة بالموضوع) أحياناً يتم تضييقها لتصل لنظرية وينيكوت ولا كان... وعلم نفس الذات لكوهيت،" والعديد من وجهات النظر التنظيرية البديلة الأخرى (1988، ص.7). كما أن العديد من المناهج التنظيرية الجديدة والتي قد طُورت، بما في ذلك علاقات الموضوع ومناظير نفسية للذات، تتشارك اهتمامًا متزايداً للمصادر الباكرة (ما قبل الأوديبية) لعلم الأمراض النفسية؛ ونطاق التصنيفات الفرعية ربما يتحدد ضمن كل مدخل من هذه المداخل. كما أن برينر، والذي كان مؤيداً ومفسراً رئيسيًا للنظرية البنائية (أرلو وبرينر، 1964)، قد تنكّر من مفاهيم البناء النفسي، ومع ذلك بقِي إطار عمل الطاقة ومفاهيم الدوافع في نزا ع (برينر، 1992).

ومع كل هذا التغير والتنوع الواضح، مع ذلك، فإن النظريات الإكلينيكية تحتفظ بجذورها الميتاسيكولوجية الضمنية ببعض الطرق الصريحة والضمنية. ومن الواضح أن اختلاف الوضع الكلاسيكي، بما يتضمن علم نفس الأنا وإعادة الصياغة الجذرية لبرينر، تُبقي المفاهيم الأساسية للميتاسيكولوجي للدوافع الليبيدية والعدوانية. وبدلاً من الابتعاد عن المفاهيم الحيوية، فقد قام برينر بتوسيعهم في الحقيقة، ولذا فإن الصراعات الناتجة من مشتقات الدافع والبحث عن الإشبا ع الغريزي تُرى الآن واسعة الانتشار في كل خبرات وأفعال الحياة؛ وفي ضوء ذلك، فإن كل إدراك، وتفكير، وكلمة، وفعل هو شكل توفيقي.

وتختلف نظريات العلاقات بالموضوع بوضوح فيما يتعلق لو أن نظرية فرويد في الدافعية الثنائية بقيت وامتزجت بمدخل العلاقات بالموضوع، كما في أعمال كلاين (1975)، وماهلر (1968)، وباين، وبيرجمان (1975)، أو جاكوبسن (1964)، أو أن العلاقات بالموضوع تُرى أنها ستحل محل الدوافع كنظام دافعي للسلوك الإنساني، كما افتُرض بواسطة فيربرين (1954) و سوليفان (1953). وإن نطاقًا واسعًا من المواقف المتوسطة لهذه القضية ربما يمكن تمييزه أيضًا. ومن ثُم، على سبيل المثال، يحتفظ وينيكوت (1971)،

وساندلر (1987) بنظرية الدافع ولكن يرى كل منهما أن علاقة الأم بالرضيع حاسمة في تحديد نمو الدوافع. وأيضًا يحتفظ كيرنبيرج بنظرية الدافعية الثنائية لفرويد ولكن يعتبر" الدوافع كأنظمة تحفيزية عُليا، مع الوجدانات كموكوناتها المشكِّلة لها" (1995، ص.451). كما يختلف أيضًا منظرو العلاقات بالموضوع بشأن نمو العدوان ودوره، وكذلك الدرجة التي تساهم فيها الخيالات اللاشعورية مقابل الخبرة الواقعية لتحديد عالم علاقات الموضوع المستدخلة.

ويبقى تأثير مفاهيم الطاقة، حتى بين المنظرين الذين قد رفضوه بوضوح. فعلى سبيل المثال، في مفهوم فيربرن الأساسي لانقسام الأنا، هناك موضوعًا سيئًا مستدخلاً ينقسم إلى" موضوع مثير" و" موضوع رافض،" وجميعها مكبوتة بواسطة الأنا أيضًا؛ والتي تتضمن الأنا الليبيدي ملتحقة بالموضوع المثير والأنا غير الليبيدي ملتحقة بالموضوع المُعارض. وإن التغيير المقدم بواسطة فيربرن ليس كثيراً في العناصر والعلاقات الأساسية للميتاسيكولوجي كما في التنظيم المحدد والكيفيات لعمل تلك المكونات. ومن ثُم، فإن مفهوم فيربرن عن الليبيدو يُعرّف الآن كوظيفة الأنا، وبالتالي، كبحث أساسي عن الموضوع بالواقع.

ولا تُرى المناطق الشبقية أنها أصل الطاقة الليبيدية ولكن قنوات للتعبير عن الاحتياجات الليبيدية المرتبطة بالموضوعات.

وإن علم نفس الذات لكوهيت يبتعد أيضًا عن الموقف الفرويدي التقليدي:" من البداية خبرة الدافع تابعة لخبرة الطفل بالعلاقة بين الذات وموضوعات الذات" (1977، ص.80). ومع ذلك، في مصطلحات كوت، فإن تكوين الأبنية الداخلية تظهر خلال انسحاب" التوظيف النرجسي لليبيدو" من صور موضوع الذات. وهنا مرة أخرى، فإن حفز الطاقة وانسحابها مفاهيم طاقة، برغم اختلاف الموضوعات والمحتويات عن تلك الموجودة في نماذج الدافعية الكلاسيكية.

ويبدو بوضوح أن كُتّاب مثل كوهيت وفيربرين يحددون معاني مختلفة لمفاهيم الليبيدو وتوظيفه، وحتى لمفهوم الدافع ذاته، عن تلك المحددة بواسطة الميتاسيكولوجي وأيضًا عن بعضها البعض. ولسوء الحظ، فمن المستحيل معرفة لأي مدى تختلف المفاهيم، حيث أن تلك المفاهيم لم تُعرّف بوضوح في نظام

فرويد أو أي نظام آخر. ومع فشل نموذج الطاقة، يبقى الليبيدو وتوظيفه، ومفاهيم ذات صلة في حاجة إلى تعريف، دون معنى ثابت في المصطلحات التنظيرية أو الميدانية. والإكلينيكيون والمنظرون الذين قد قدموا استبصارات جديدة وهامة، والتي لا تزال مصاغة بمصطلحات الطاقة القديمة، لم يقدموا مثل تلك النظرية العامة، والجديدة، ولا على مايبدو أنهم رأوا الحاجة إلى نظرية.

ومن غير الممكن تجنب تلك المشكلة عن طريق إبعاد كلمات مثل الدافع، ومشتقات الدافع، والليبيدو، والتوظيف عن مفرداتنا المهنية؛ فالمشكلة منشرة جداً لهذا السبب، كما أشار هولد. والمفاهيم المركزية للنظرية التحليلية النفسية؛ ومفهوم النشاط العقلي اللاشعوري؛ وعمليات الكبت، والدفا ع، والصرا ع، والتغير البنيوي؛ والعمليات الأولية والثانوية للتفكير؛ ومفهوم الدينامية العقلية ذاتها فجميعها عُرّفت- صراحة أو ضمنيًا- في الإطار الحيوي للميتاسيكولوجي، وإلا فهي غير مُعرّفة وبلا معنى. وفي عدم وجود سياق تفسيري بديل، فإن أبنية نظرية الطاقة ستوضع لا محالة لتقديم نظام متماسك للمعنى للمفاهيم المركزية التي يجب أن يعتمد عليها الإكلينيكيون.

وقد اقترح وليرشتاين (1988) بأن النظرية والممارسة الإكلينيكية يؤسسان الخلفية العامة المشتركة للتحليل النفسي، وتجمعان المهنة معًا في مواجهة التنوع المتنامي والتعددية:

" وأطروحتي أن ما يوحدنا هو تركيزنا المشترك على التفاعلات الإكلينيكية في غرفنا الاستشارية، والظاهرة المحاطة باللاشعور الحالي (ساندلر وآن ماري) أو ' النظرية الإكلينيكية' (جورج كلاين)" (ص.19). ومع ذلك، للمدى الذي تُعرّف مفاهيم النظرية الإكلينيكية بشكل مختلف في الصيغ التنظيرية المتنوعة، أو لا تُعرّف بمنهجية، فإن مثل تلك الوحدة كما يمكن أن تبدو تكون محددة أو زائفة بالضرورة. كما أن إطاراً تنظيريًا عامًا مطلوبًا لمقارنة المداخل المختلفة ولتعريف مناطق التقارب أو الخلاف بينهم بطريقة منهجية.

طريقة التحليل النفسي

رأى فرويد أن طريقة التحليل النفسي التي طورها ضرورية وكافية للتحقق العلمي لافتراضات التحليل النفسي ولتطور الميتاسيكولوجي، ومُكافِئة بشكل أساسي لاستخدام الفيزيائيون التجريب لاختبار القضايا المعنية بالعالم الفيزيائي. واستمر في التعبير عن الثقة غير الكافية في القوة العلمية لطريقته حتى نهاية مهنته:

أقمنا ملاحظاتنا عبر وسط... الجهاز الإدراكي، وتحديداً بمساعدة انقطاعات التسلسل للأحداث" النفسية": نحن نعوض ما هو محذوف بواسطة استدلالات معقولة وترجمتها إلى مادة شعورية.وبهذه الطريقة نحن نبني، كما كان، تسلسلاً لأحداث شعورية مكملة للعمليات النفسية اللاشعورية. واليقين النسبي في علمنا الفيزيائي مبني على القوة المقيِّدة لتلك الاستدلالات. وأى شخص يغوص بعمق في عملنا سيجد أن فنيتنا تحفظ أساسها من أي انتقاد. (1940، ص.159)

بينما يشكل الشعور نقطة البداية لدراسة الحهاز النفسي، فإن تلك العمليات الشعورية لا تشكل متواليات غير منقطعة؛ ويوجد بها فجوات. فنحن نفترض أن هناك عمليات فيزيائية أو جسدية مستمرة متصاحبة مع العمليات الشعورية ولكنها أيضًا أكثر اكتمالاً من تلك العمليات، ومستمرة حتى خلال الفجوات في العمليات الشعورية. "وإن كان الأمر كذلك، فمن المعقول بالتأكيد تركيز علم النفس على هذه العمليات الجسدية، لنرى فيهم الجوهر الحقيقي لما هو نفسي..." (فرويد، 1940, ص.157). والأساس لطريقة التحليل النفسي يكمن هنا تحديداً: من الفجوات في الخبرة الشعورية الفورية، نستدل على الخبرة النفسية أنها ليست شعورية.

وفي العلاج، يتّبع المريض القاعدة الأساسية فيقدم مادة تداعياته الحرة. ويعرض المحلل التأويلات التي تتناول الفجوات المنبثقة من المادة المتدفقة، وهي الفجوات التي لا يكون المريض واعيًا بها بشكل عام. والتأويلات يمكن رؤيتها كافتراضات أو فروض بشأن المحتويات" غير المعروفة" للاشعور المريض؛ وهي

موجهة بواسطة نظرية التحليل النفسي وتطبيق ذلك على الحالة الفردية، ويتم التحقق منها بآثارها على المريض، واستجابته.

وكان فرويد واعيًا بانتقاضات طريقة التحليل النفسي كإجراء للتحقق العلمي، وبصفة خاصة أن استجابة المريض تبدو متأثرة بقوة العلاقة، ومتمركزة في العلاج، وأيضًا بالتأويل ذاته. ومع ذلك، فقد آمن بأن طريقته استدخلت إجراءات تحقق كانت برهانًا ضد هذه الانتقادات.

وهناك مدخلاً واحداً للتحقق مبني على فعالية التأويل في تخفيف الأعراض:" وبعد كل ذلك، فإن صراعاته سوف تُحل فقط وسيتغلب على مقاوماته لو أن أفكاره المتوقعة تتطابق مع ما هو حقيقي بداخله" (فرويد 1917–1916، ص.452). وإن مصدراً آخراً للبرهان قد بُني على الإستجابة اللفظية المباشرة للمريض. وفي حين أن هناك مشكلات واضحة لجعل الاستدلالات من كلام المريض، ادعى فرويد (1937) أن الضمانات التي بُنيت في طريقته كانت برهانًا ضد ذلك:

إن كلام المريض المباشر بعد أن يعرف ما تم صياغته يعطي دليلاً ضعيفًا على التساؤل فيما إذا كنا على صواب أم خطأ. وإنه الاهتمام الأعظم بأن هناك أشكالاً غير مباشرة للتأكيد والتي تُعد بكل احترام جديرة بالثقة. واحدة منها هي شكل الكلمات المستخدمة (كما لو كان بالإتفاق العام) مع اختلاف بسيط من قبل أكثر الناس اختلافًا:" لم أُفكر أبداً" (أو " ما كان ينبغي لي أن أفكر أبداً") " أن" (أو" بهذا"). وهذا يمكن ترجمته دون أى تردد إلى:" نعم، أنت محق هذه المرة– بشأن اللاشعور الخاص بي." ... وهناك تأكيداً متساويًا متضمنًا (معبر عنه هذه المرة إيجابًا) حين يجيب المريض بالارتباط الذي يشمل شيئًا ما شبيهًا أو متناظراً لمحتوى البناء لكلام المريض (التأكيد على الأصل، ص.263)

بعض كُتّاب التحليل النفسي اليوم، مثل برينر (1980)، ممن يقبلون صياغة فرويد للميتاسيكولوجي كنموذج عمل مناسب،ويرون أيضًا أن طريقة التحليل النفسي ضرورية وكافية للصدق الميداني. ووفقًا لبرينر، فإن المفاهيم التنظيرية للتحليل النفسي قابلة للإختبار بواسطة طريقة التحليل النفسي التي

اخترعها فرويد والتي يتم تطويرها وتنقيحها باستمرار بواسطة تلك الطرق. ويرى برينر أن رفضه الأخير للنموذج البنائي معطيًا مثالاً لمثل هذا التطور العلمي (1992). وانتقادات الميتاسيكولوجي، التي قدمها جيل، وهولت، وكلاين، وآخرون، وسؤالهم عن حالة التحليل النفسي كعلم طبيعي، يعكس سوء فهم لطبيعة نظرية فرويد وطريقته العلمية:

وتعتمد نظريات التحليل النفسي لدعمهم على بيانات يمكن ملاحظتها مشتقة من تطبيق طريقة التحليل النفسي. وتلك البيانات لا يمكن الوصول إليها بأي طريقة إلا من خلال تطبيق تلك الطريقة.

فقد كانوا مجهولين في الأساس قبل أن يطور فرويد طريقة التحليل وكانت لتظل هكذا حتى اليوم بدونها ، وبالتالي فإنه من الدّالْ جداً أن نلاحظ تقريبًا النقص التام المرجعي لطريقة التحليل النفسي في الأعمال التي قد راجعناها. وفي ضوء هذا الإغفال آمُل أن أؤكد ذلك بالرغم من اختلاف بيانات التحليل النفسي عن بيانات العلوم الطبيعية الأخرى، طريقتهم متماثلة: الملاحظة وتراكم البيانات بواسطة أفضل الطرق المتاحة التي وُضعت لغرض ما...

وفي مناقشة نظريات التحليل النفسي يجب أن يضع المرء في اعتباره أن طريقة التحليل النفسي قد جعلتهم ممكنين، كما تقدم البيانات لدعمهم، والتي تبدو حاليًا على الأرجح لتمد ببيانات جديدة والتي ستؤدي إلى مراجعتهم وتطورهم. (برينر، 1980، ص.207–206)

انتقادات طريقة التحليل النفسي

إن صحة طريقة التحليل النفسي كما صاغها فرويد مقبولة ضمنيًا أو صراحةً من قبل العديد من الإكلينيكيين، وربما أغلبهم. فاستجابات مرضاهم، بما يشمل استجابات لفظية وتغير سلوكي وعرَضي، تقدم الدليل الضروري والكافي لصحة رؤياهم للحالة وعملهم العلاجي. ومع ذلك، هناك العديد من الانتقادات لطريقة التحليل النفسي من العديد من المصادر والتي ليست مخففة بسهولة كما تقترح ادعاءات برينر، وقد ثبتت الطريقة أنها إشكالية كالميتاسيكولوجي ذاتها.

" حجة التطابق" وعيوبها

أشار جرونبم (1984) لادعاء فرويد (1917–1916) بشأن التحقق من التأويل بناءاً على فعاليته في تخفيف الأعراض" كحجة التطابق." ويعيد جرونبم ادعاء فرويد لدمج الشرطين الضروريين السببين الآتيين، بما يتضمن الوظيفة التأملية الواضحة للاستبصار،المتضمّنة في صياغة فرويد:

١- تأويل دقيق ضروري لد المريض باستبصار في اللاشعور مبني على عُصابه.

٢- مثل هذا الاستبصار ضروري لإحداث تغير في الأعراض.

وبافتراض تلك الشروط، فإن ظهور التغير في الأعراض كافيًا لإظهار أن التأويل دقيق. فالمشكلة، على أي حال، أن ادعاءات فرويد" لحجة التطابق" تفترض في الحقيقة الاستنتاجات ذاتها التي يتظاهر باختبارها، وتلك الادعاءات قد تم دحضها بفاعلية في البحث الميداني، كما قد أثبت جرونبم وآخرون (بوتشي، 1989). وإن العديد من العوامل في العلاج، بخلاف التأويلات الدقيقة المؤدية إلى الاستبصار، ربما تساهم في التغيير؛ ومن بين هذه العوامل الاقتراح، والدعم، والتأثيرات العامة للعلاقة. وإن أنواعًا أخرى للعلاج، وكذلك الخبرات خارج العلاج، ربما أيضًا يكون لها تأثيرات تحولية. وإن تأثير العوامل غير المحددة في إحداث التغيير قد تم شرحه في مدى دراسات واسعة (بيرجن وستراب، 1972؛ ستراب وبيرجن، 1984).

كما أدرك فرويد أيضًا، فإن معنى التغير في الأعراض في التحليل النفسي لا يمكن فهمه خارج سياق الطرح، وحقيقة التغيير لا يمكن تقديرها إلا من خلال التعامل مع الطرح. ومع ذلك، فلم يواجه في هذا السياق قضية أن الطرح يثابر جيداً بعد انتهاء العلاج،وحتى طوال الحياة، أو السؤال عما إذا أمكن حل الصراعات كليًا أو نهائيًا والتغلب على المقاومات، التي تعامل معاه لاحقًا، بجدية أكثر (فرويد، 1937). وفي هذه الرؤية الأخيرة، فإن تعريف تخفيف الأعراض، أو الشفاء، يصبح واضحًا بطبيعته؛ فلا يستطيع المرء أن يعرف تحديداً أن الشفاء الواضح يعزي لقوة عزيمة العلاقات- مع قوة الاقتراح

التي أشار إليها نقاد التحليل النفسي في عصر فرويد، والتي ما زالوا يشيرون إليها إلى اليوم.

إن الأساس الأكبر، من حيث أن الموضوعات تمثل معان بتمثلات خاصة في عقل المريض بدلاً من تمثلات خارجية، أحداث يمكن ملاحظتها- فالدلالة من التغير الظاهر في الأعراض أو تقليل المقاومة يجب أن يكون ذاته موضع تساؤل. فالتحليل النفسي مهتم بطبيعته بمعنى هذه الأعراض والسلوكيات للمريض، فضلاً عن مظهرها الخارجي. والتحسن الظاهري، حتي تقليل الأعراض أو تعبيرات المشاعر الإيجابية، ربما يعكس تبعية، أو إذعانًا، أو رغبة لا شعورية لإسعاد أو طمأنة المحلل؛ والنكوص الظاهري في مثل هذه المؤشرات وتفاقم الشكاوى المؤقت ربما يدل على الكبت، وضعف الدفاعات، وإثارة مشاعر لم يمكن الوصول إليها سابقًا، أو تكثيف الطرح، فجميعها ربما تكون لها دلالة إيجابية وتحولية. وإن قضية تغيير المعنى مقابل تأثيرات الأعراض الواضحة تصبح أكثر حسمًا في سياق المدى الطويل لقضايا دراسة الشخصية التي يتم تناولها اليوم في التحليل النفسي، وذلك مقابل الأعراض الشديدة والمحددة التي كان تركيزها أكثر عمومية في العلاج في زمن فرويد (بوتشي، 1989).

التحول للواقع في "الجهاز النفسي الفرويدي"

كما يشير أيضًا جرونبم، فالرجوع إلى الاستبصار كعامل وسيط لا يخفف المشكلة، حيث أن الاستبصار حدث خاص، وداخلي لا يمكن ملاحظته. وهذا يقودنا إلى النقد المحوري لإجراء فرويد التحققي، والذي يؤكد على استجابة المريض اللفظية، وكذلك يقودنا لتغير في الأعراض أو السلوك، كدليل على أن التأويل" قد أصاب الهدف." وإن تقارير الحالة الفردية والتي تشكل مصدر الدليل لافتراضات تحليلية نفسية معيبة بطبيعتها كقاعدة بيانات علمية (جرونبم، 1984؛ ريزر، 1985). وتعتمد طريقة تقرير الحالة على ملاحظٍ واحد لا يمكن تقدير ثباته، وهو مشارك بعمق في هذا الموقف الذي تتم ملاحظته. فكل هذا يعمل بالإضافة إلى تأثير الافتراضات التنظيرية للمحلل، والتي تشكل الأساس لعمله.

كما يدعي سبينس(1982)، فإن عملية التغيير اللفظي ذاتها في التداعي الحر من المرجح أنها تعيد تنظيم وتشويه تمثلات الخبرة التي يتم التعبير عنها. وإن معالجة المحلل لتلك المادة حينئذٍ يُضاعف المشكلة، من خلال محاولته لوضع أساس بشأن ما يسمعه وما ينزع إليه، وما هو شائع، ولكن قد يفشل في التعرف عليه، لوضع سياقه الشخصي في تأويل كلمات المريض. وكل هذا ينطبق على مستوى الإتصال الأساسي في أي سياق خطابي ولكنه متفاقم حتمًا من خلال مشاكل الإقتراح والتأثير الخاصة المتأصلة في العلاقة التحليلية النفسية.

إن المشكلة الأساسية لطريقة التحليل النفسي، التي تؤكد المشكلات التي تم تحديدها بشكل مبكر، تأتي مباشرة من عيوب صياغة فرويد للجهاز النفسي ذاته وبيانه بشأن الحالات الوجودية والمعرفية للتمثل العقلي: ما نعرفه، وكيف نعرفه. وقد افتُرضَت طريقة التحليل النفسي كطريقة لجعل الاستدلال من الخبرة الشعورية للاشعور، وملء الفجوات في ما يمكن الوصول إليه على الفور عن طريق الاستدلال على ما هو شعوري. والمشكلة التي يبدو أن فرويد يتغاضى عنها لسببٍ غير مفهوم هي أن التجربة الشعورية الوحيدة التي يمكن للمرء الوصول إليها على الفور هي تجربته؛ فلا يملك المحلل الوصول إلى شعور المريض ولكن فقط إلى سلوكه وكلامه. والعمليات العقلية لشخصٍ آخر هي، في الأصل، نباءات تنظيرية يجب الاستدلال عليها من مؤشرات مباشرة، كما هو الحال لأي حدث تنظيري آخر. وإن الحاجة إلى الاستدلال هي نفسها بالنسبة للعمليات الشعورية للآخرين كما للعمليات اللاشعورية لهم. فالمحلل ينصت إلى ما يقوله المريض، ويشاهد حركاته، ويستدل على ما في عقله الشعوري وكذلك اللاشعوري. فالدلالة على استجابة المريض الملاحظة كمؤشر لحالته الداخلية لا يمكن افتراضها ولكن تتطلب التحقق أيضًا. وقبل أن نتمكن من الاستدلال على طريقة جديرة بالثقة من لغة وسلوك المريض على تمثلاته العقلية الخاصة، شعورية أو لاشعورية، فإن العلاقات المنهجية، أو كما في المصطلحات الحديثة، وقواعد الإتصال- بين الكلمات والسلوكيات الملاحظة وبين تنظيرات التمثلات التنظيرية العقلية يجب أن تُطور بشكلٍ مستقل.

وعلى الجانب الآخر من الجهاز النفسي، فإن اللاشعور يُعرّف" بالجوهر الحقيقي لما هو نفسي" (فرويد، 1940، ص.157) والمكافيء للعمليات الجسدية أو البيولوجية الجارية.ففي الصياغة الأولى، يخلق فرويد الفضاء النفسي الذي يعتبر"العمل فيه" جدة علمية (ص.145)، وتحديد موقعه العصبي" لن يساعدنا في فهم" (ص.145) عمليات الشعور؛ وفي الصياغة الثانية، يتغاضى عن ذلك. وكما اقترح جيل (1976) وآخرون، فقد كان دائمًا متردداً بشأن الحالات النفسية مقابل العصبية للجهاز النفسي؛ وهذا التردد ينعكش مباشرة هنا.

من ثُم، فإن الطريقة المفترضة للتنبؤ من تيار ما هو شعوري لما هو لاشعوري إشكالية بطبيعتها. ومن ناحية، نحن نفتقر للوصول للمتغير المستقل المفتَرَض- الخبرة الشعورية لشخصٍ آخر- ويجب علينا استنتاج ذلك. ومن ناحية أخرى، نفتقد صياغة متماسكة للمتغير المستقل المفترض، الخبرة اللاشعورية، التي نرغب في التنبؤ بها.

ونتيجة هذه المناقشة أن ادعاء التحليل النفسي بخصوص الحالة العلمية لا يمكن تركه يعتمد على بيانات الملاحَظة لطريقة التحليل النفسي، كما قد قُدِّم وطُوِّر بواسطة فرويد وكما يُطبّق بواسطة بعض المحللين اليوم، مثل برينر. فالطريقة معيبة بطبيعتها في افتراض وصول فوري للعمليات العقلية لمريض معين. والمشكلة ستكون أكثر تعقيداً إذا كان هناك محاولة للتنبؤ من الملاحظة في المجال الإكلينيكي على صياغات تنظيرية للحالة، أو على افتراضات تنظيرية أكثر عمومية بشأن مباديء عمل الجهاز النفسي.

مشكلات التحقق: أمثلة لحالتين

إن مشكلات تقييم عملية النظرية والنتيجة، والقضايا المرتبطة بالتحقق من التأويلات قد تم إثارتها بواسطة المفكرون الممارسون للتحليل النفسي، وأيضًا بواسطة الباحثين والنقاد. وإن ظهور علاجات متعددة يقدم نموذجًا طبيعيًا مُتحَكّمًا فيه بحيث ربما يمكن الفحص والنظر في المشكلات لقضية التحقق من التأويلات في العلاج. وناقش جروسمان وستيوارت (1976) حالتين

حيث كانت التأويلات مقبولة باقتناع المرضى في تحليلهم الأول وفي تحليلهم الثاني تم رؤيتها على أنها زائفة كتدعيم يتجنب المادة الغامضة من قبل المحللين. فكلا المريضتين كانتا شابتين أعربتا عن حسدهما للرجال وعدم قدرتهما على تقبل الأنثوية؛ في كلا الحالتين، شعر المحللان أن حسد القضيب لدى المريضتين كان هو القضية المركزية، وأن تأويلات الرغبة اللاشعورية للقضيب تم افتراضها وتقبلها.

فالمريضة الأولى، فتاة كانت في الحادية والعشرين من عمرها في بداية العلاج، تقبلت التأويل لدرجة التفكير في السفر للدنيمارك لزراعة قضيب. وفي نفس الوقت، ظهر عليها تحسنًا ملحوظًا من الأعراض، وفقًا للمحلل المعالج. ولأول مرة في حياتها كونت علاقة مع رجل وجد أبواها أنه مناسب وقررت الزواج منه. وفي تلك اللحظة، فإن المحلل،" مع بعض الرضا لهذا التحسن الواضح... قرر إنهاء التحليل- وهذا القرار تقبلته المريضة" (ص.292).

وخلال الأعوام التالية،" عاشت المريضة دورها في أعلى الطبقة الوسطى' أم وزوجة مخلصة مع اهتمامات صحية عامة' " (ص.292)؛ كما أصبحت أيضًا بشكلٍ مطرد أكثر اكتئابًا وسُخطًا. وبعد فترة قُرابة عشر سنوات وصلت لمرحلة الرغبة في الإنفصال عن زوجها والعودة إلى التحليل. ومحللها السابق، غير متاح في ذلك الوقت، أحالها إلى أحد المؤلفين.

وفي تحليلها الثاني، تمركزت القضايا حول نرجسية الشعور بعدم القيمة، والفقد، والحرمان. وقد عُبّر عنهم في ضوء عيوب كونها امرأة؛ ومع ذلك، " فإن قضية رغبتها في قضيب لم تأتي أبداً في مثل هذا الشكل" (ص.294). ولم تتغير قضايا المريضة كثيراً، وجاءت تلك المحتويات الجديدة في الطليعة عقب التحليل الأول ومن خلال أحداث الحياة للسنوات البينية. وفضلاً يقول جروسمان وستيوارت:

من الواضح أنها أخذت تأويل" حسد القضيب" في التحليل الأول ببساطة" كبرهان" على عدم قيمتها .فلم تراه

وإن محور شكواها بخصوص كونها امرأة أن عوملت بكثير من الإهانة

والاستهزاء أكثر من قلق الخصاء- مما يعني، كانت الخصائص الشرجية والماسوشية هي الأبرز. وحيث أن الإعجاب يؤدي دائمًا إلى التنافس والحسد، والاهتمام الجنسي يؤدي إلى العدوان، فإن الرابطة الدائمة الوحيدة للموضوع كانت ذات طبيعة سادية ماسوشية. فقد اختارت الدور الماسوشي والدفاع عن الإتجاه البارانويدي الخفيف. وفي الواقع، " التقبل الضعيف" لتأويل حسد القضيب في التحليل الأول بدا مُرضيًا من الناحية الماسوشية. (ص.293)

والمريضة الثانية، ذات ثمانية وعشرين عامًا في بداية العلاج، وصفت نفسها بإدمان الكحول والمثلية. وشعرت محللتها الأولى بأنها متوحدة بالرجال وكانت تتظاهر بأنها رجل، وكما

في الحالة السابقة، ركزت على تأويلات حسد القضيب. وتقبلت المريضة التأويل، ووافقت بأن هذه كانت قضيتها المحورية والسبب وراء قدومها للعلاج. وبالتالي لم ترى جدوى في استمرار العلاج، حيث أن رغبتها في أن تمتلك قضيباً وأن تكون رجلاً لا يمكن تحقيقها. وقد عانت من المحللة حيث كانت تعاملها كمجرمة؛ وبناءاً على ذلك، رفضت أن تُنصت لما قالته المحللة أو إخبارها بأي شيء له معنى عن نفسها.

وفي مواجهة ذلك" المأزق السادي الماسوشي المزعج،" فقد أُحيلت المريضة إلى أحد المؤلفين. وفي تحليلها الثاني، ظهر أنها قد أُهملت بشدة كطفلة وعاشت في حالة فزع دائمة مع محتويات ضلالية؛ وكان إدمانها للكحول والمثلية طرقًا لتقليل الفزع. وأصبح واضحًا أيضًا أنها خبُرت كل التأويلات، بما يتضمن حسد القضيب،كاتهام. ووفقًا لجروسمان وستيوارت (1976):" إن تأويل حسد القضيب استخدم استعارة، والتي بدت أنها تمثل كلاً من مخاوفها ودفاعاتها ضدهم. مما خلق نمطًا لصياغة ضلالية والذي صار نظامًا في أفكارها" (ص .(297.

في كلتا الحالتين، قُدّمت صياغة التحليل النفسي الكلاسيكية لحسد القضيب بواسطة المحللين الأوائل وتقبلتها المريضتان باقتناع واضح. ففي الحالة الأولى، حكم المحلل على العلاج بالنجاح والانخفاض الواضح في الأعراض وبدا

أن دورة الحياة أكدت على صحة ذلك، حتى أصبحت مشاعر الاكتئاب والسُخط مسيطرة. وفي الحالة الثانية، وصل العلاج لطريق مسدود. وفي كلتا الحالتين، فقد قدم جروسمان وستيوارت (1976) صياغات تنظيرية تختلف عن موقف المحلل الأول وعن النظرية الكلاسيكية. وفي كلتا الحالتين، اقترحوا بأن التاويل لحسد القضيب مكّن كلتا المرأتين من استمرار تجنب قضاياهما الأساسية الخاصة وكان أيضًا بمثابة عائق للتغيير:

لم تستجب المريضتان بوضوح لتأويل" حسد القضيب" بطريقة كانت مفيدة بالنسة إليهما. فقد سمعاها كحقيقة نهائية غير قابلة للتغيير. وبالرغم من سرعة موافقتهما على التأويل، فقد كان شعوراً باليأس- حيث أكد على مخاوفهما الأسوأ لكونهما بلا قيمة. (ص.301)

وقد تُركنا هنا مع موقف يرى فيه المحللان أن مراحل العلاج السابقة قد ارتكزت على مقدمات زائفة ونظريات لم تنطبق بدقة على الحالتين، وذات آثار مدمرة على حياة المريضتين. ومثل تلك الأحداث من المحتمل ألا تكون مالوفة لعمل المحللين مع المرضى في مراحل العلاج الثانية (أو اللاحقة). وإن التحليل النفسي علاجًا هائلاً للصحة أو المرض. وفي استبعاد احتمالية أن التأويل غير الدقيق ربما يؤذي المريض، لأنه لن يتصل بخبرته الداخلية، فقد بدا فرويد (1937) منكراً للقوة العظيمة للعلاج، وبالتحديد للعلاقة، التي اعترف بها تمامًا في سياقات أخرى.

وأدرك فرويد (1926- 1917، 1937) أن إذعان المريض المباشر ليس كونه أكثر قيمة من إنكاره لتصديق حثيثة التأويل، ولذا فإن الوسائل غير المباشرة مطلوبة للتحقق. وما لم يُعترف به لأي مدى ربما يكون المريض قادراً على إظهار دليلاً واضحًا لدعم صياغة المحلل ولاستحضار التصديق فيها: وفي بعض الحالات، الاهتمام بالإذعان والرضا المتبادل؛ وفي بعض الحالات، فإن القبول الممتن لتأويل غير دقيق يمثل إمداداً لحماية جديدة من التمثلات الفعلية التي يُخشى ويُرغب في الوقاية منها، ويخدم مباشرة استمرار المرض.

وفي كلتا الحالتين الموصوفتين من خلال جروسمان وستيوارت، فإن التحليلات الثانية تم رؤيتها على أنها ناجحة؛ وهذا يتم تأويله ضمنيًا على أنه دليل على الصياغات الجديدة التي بُنيت عليها تلك التحليلات. ومع ذلك، يمكننا ملاحظة أن المحلل الاول في الحالة الأولى أعلن وجهة نظره على نجاح العلاج. وفي غياب نظرية متماسكة لما هو مقصود بالتغيير في مصطلحات وإجراءات التحليل النفسي لتعريف الدليل للتغيير، فإنه ليس من المحتمل إظهار تأكيداً أن الإدعاءات النهائية كانت صادقة، بينما لم تكن السابقة كذلك. ولا تزال المشكلة العلمية باقية، على الرغم أن القاريء لمادة الحالة التي قُدّمت بواسطة جروسمان وستيوارت ربما يشعر بالاقتناع التام.

إن الفروق في التأويل بين التحليلات الأولى والثانية في كلتا الحالتين تبدو أنها تعكس، جزئيًا، طُرقًا متغيرة في نظرية التحليل النفسي. ومع ذلك، فإن اقتراح أن التأويلات محددة باتجاه، بدلاً من أبنية وجدانية محددة لحياة المريضتين، لم يشرح المشكلة جيداً ولكنه في ذاته يُثبت الحاجة إلى إجراءات لمراقبة عمل غرفة الاستشارات.

الفصل الثالث

دور البحث التجريبي

إن المشكلات التي قد تم تحديدها في الطريقة العلمية لفرويد لا تنفي ادعاءاته بخصوص الإجراءات المتوازية الممكنة في العلوم النفسية والطبيعية، وبخصوص الدور العلمي لجهاز نفسي مجرد كضرورة تمكننا من الاستدلال مما نلاحظه للأحداث العقلية الخاصة. وربما يكون لدينا ثقة في هذا المدخل اليوم أكثر من فرويد في عصره. وكان استبصار فرويد المبدع بإدراكه الحاجة لجهاز تنظيري يصنع استدلالات للعمليات اللاشعورية. فنحن بحاجة لإدراك أن مثل هذا الاستدلال مطلوب أيضًا للعمليات الشعورية لأشخاص آخرين، ولكل التمثلات الداخلية التي يمكن ملاحظتها معًا؛ فنحن بحاجة لاستكمال البناء الذي بدأه فرويد.

وفي البحث الأخير، فإن المحاولات لاختبار افتراضات التحليل النفسي التي تتجاوز طريقة التحليل النفسي قد تم تنفيذها من منظورين: 1) تركّز البحث التجريبي مبدأيًا على مفاهيم الميتاسيكولوجي 2) وتركّز بحث العلاج النفسي بشكل مبدأي على النظرية الإكلينيكية.

اختبار افتراضات التحليل النفسي مع البحث التجريبي

تعامل فرويد مع استخدام الطرق التجريبية ببعض الازدراء. وبالتالي، قلل قيمة عمل العالِم التجريبي سول روزنفايج بطريقة متعجرفة في خطابه عام 1934:

لقد فحصت باهتمام دراساتك التجريبية للتحقق من صحة نتائج التحليل النفسي. ولا يمكنني وضع قيمة كبيرة على تلك النتائج لأن وفرة الملاحظات الثابتة التي ترتكن عليها تلك النتائج تجعلها مستقلة عن التحقق التجريبي. ومع ذلك، لا ضرر منها. (مقتبسة في جرونبم، 1984، ص.101)

وقد رأى فرويد أن طريقة التحليل النفسي ضرورة وكافية لصدق نظرية

التحليل النفسي. وأولئك المحللون المستمرون في الإعتماد على" طريقة التحليل النفسي" في مواجهة تراكم الأدلة بخصوص فشلها يميلون أيضًا إلى تقليل قيمة النتائج التجريبية والبحوث الميدانية الأخرى خارج" طريقته." وعلى الجانب الآخر، فإن بعض الباحثين قد استمروا في العمل نحو اختبار صدق مفاهيم الميتاسيكولوجي وهم، على النقيض، أكثر تقبلاً لتلك المفاهيم عن العديد من الإكلينيكيين اليوم.

والبحث المبتكر لإرديلاي (1985) ليس إلا محاولة للتحقق من صدق الميتاسيكولوجي طبقًا لشروطها. وقد كان مدخله لانتقاء مفاهيم تحليلية نفسية وقضايا محددة، وفي بعض الحالات لإعادة تعريفها، ثم إخضاعها للإختبار الميداني. فهو لا يرى أن التناقضات في نموذج فرويد أو اعتماده على أبنية الطاقة إبطالاً لهذا المشروع. ومثل برينر، فهو لا يرى أن رفض الميتاسيكولوجي من قبل العديد من باحثي التحليل النفسي إنعكاسًا لسوء فهم طرق فرويد العلمية والطريقة العلمية عامة:

وعلى سبيل المثال، فإن المدرسة الرئيسية المعاصرة للتفكير التحليلي النفسي قد ذهبت بعيداً برفض النظرية النفسية الرسمية للتحليل النفسي (غالبًا يُطلق عليها مصطلح ميتاسيكولوجي) لأن صياغاتها الآلية (السبب- النتيجة) توجه مفاهيميًا الحقل إلى مفاهيم فيزيائية قديمة مثل" القوة،" " الطاقة،" " علم أسباب الأمراض،" و" علم السوائل المتحركة،" التي تعيقها عن مجالها الحقيقي المعرفي النفسي، الدلالات والنوايا (انظر بخصوص جيل وهولزمان، 1976؛ هولت، 1965، 1976؛ كلاين، 1976؛ سكافر، 1976)... و[ذلك] النقد... فشل أن يضع في اعتباره استخدام فرويد لمقدمات استعارية متعددة... واحتمالية أن كل منها، بما في ذلك الإطار الآلي، ربما يكمّل الآخر. (التأكيد على الأصل، ص.55-54)

وهكذا، يناقش إرديلاي، أن الأبنية الآلية التي يوظفها فرويد معادلة لنمط المقدمات المتشابهة المأخوذة من مجالات أخرى، والتي تُستخدم اليوم كأساس لبناء النظرية في كافة العلوم. وإن مثل هذه النماذج أو الاستعارات تصاغ ويعاد

صياغتها لتصور" الواقع" وللسماح بتوليد الافتراضات القابلة للإختبار. وإن التناقضات في نظرية فرويد، والتي قد أزعجت باحثي التحليل النفسي، تعكس في الحقيقة مرونته لمحاولة تصور الواقع بدقة أكبر وبناء القوة أكثر من بناء الضعف في مدخله:

إذاً، ما هي المقدمة الاستعارية للتحليل النفسي؟ وتبدو الإجابة أن التحليل النفسي فريد؛ لا يشبه" المدارس" أو" الحركات" الرئيسية في علم النفس الأكاديمي، فهو لا يلتزم بالتشابه مع نظام واحد. فالتحليل النفسي نظام استعارة مختلط. وإن فرويد، بخلاف المنظرين الأكاديميين الرئيسيين، لم يرد أن يقيد نفسه بمقدمة استعارية واحدة. فحينما فشل أحد الأنظمة المقلدة لإيضاح جزء من الواقع النفسي، كان على استعداد لتجربة أدوات شبيهة جديدة بدلاً من أن يتجاهل ببساطة الواقع المتمرد، كما قد فعل تمامًا علم النفس التقليدي الأكاديمي. وبهذا الخصوص فإن التحليل النفسي، بالرغم من عدم انتمائه التجريبي، أقرب لروح فيزياء القرن العشرين عن علم النفس الأكاديمي المعاصر. (ص.111)

وقد ركز إرديلاي تحديداً على مفاهيم اللاشعور، والكبت، والدفاعات، وأثر التداعي الحر كوسائل لتعافي مادة صعُب النفاذ إليها سابقًا. وفي أحد دراساته التجريبية الأساسية، كان غرض إرديلاي هو فحص فروض التحليل النفسي أن التداعي الحر يسهل استرجاع مادة صعُب النفاذ إليها سابقًا. وقد عُرض على العينة صورة لمثير معقد في عرض على جهاز التاكستوسكوب وسُئلوا على الفور رسم وتصنيف كل شيء في الصورة. ثم طُلب من العينة التجريبية بالتداعي الحر التحدث بحرية لمدة 40 دقيقة، في حين استخدمت العينة الضابطة نفس المدة الزمنية لمهمة مختلفة وغير لفظية (رمي السهام). وأعقب ذلك، إجراء إختبار ثاني لاستدعائها. واستدعت كل العينة التجريبية مفردات المثير في الإختبار الثاني أكثر من الإختبار الأول، بينما العينة الضابطة لم تفعل، بما يشير إلى الأثر الإيجابي للتداعي الحر في استرجاع محتويات مثير الصورة ومن ثم تدعيم فروض التحليل النفسي.

ومع ذلك، تم تصعيد التساؤلات عما إذا كان الاستدعاء المتزايد عقب التداعي الحر ربما يكون قد عكس محك الاسترخاء للإقرار بمادة تم تذكرها، بدلاً من الزيادة الفعلية في القدرة على النفاذ لمثل هذه المادة المعنية، وأيضًا عما إذا كانت الأنماط المختلفة لموضوع البحث ربما يكون لها آثار مختلفة. وفي دراسات لاحقة، تم استخدام نموذج إرشادي للتفريق بين محك آثار التقرير الذاتي لما تم تذكره عن القدرة الفعلية للنفاذ لتلك المادة، وأنماطًا مختلفة لموضوع البحث تم مقارنتها أيضًا. ومن خلال تلك السلسلة من الدراسات، استنتج إرديلاي أنه ليس هناك دليلاً على أثر التداعي الحر على تعافي ذكريات صعُب النفاذ إليها سابقًا. وبدلاً من تمكين العينة لتذكر المزيد من مفردات المثير، فما يفعله التداعي الحر هو تمكينهم من ان يكونوا أكثر حرية بشأن ما يرغبون في تقريره. ووجد إرديلاي أيضًا أن آثار التداعي الحر طُبّقت فقط على مثير الصورة وتحتوي على قوائم ذكريات الكلمات. ويفسر إرديلاي تلك النتائج كدليل يوضح تأثير التداعي الحر على الإقرار بمادة مكبوتة ولكن يمكن النفاذ إليها، بدلاً من استرجاع مادة صعُب النفاذ إليها سابقًا أو" مكبوتة." وعلاة على ذلك، ليس ذلك أثراً عامًا ولكنه يعمل فقط لذاكرة الصور وليس الذكريات اللغوية.

والعديد من الدراسات التجريبية الأخرى التي تركز على تساؤلات الكبت واللاشعور قد تم تنفيذها، وتلخيصا في بحث كلاين (1981). وبعض نتائج تلك الدراسات، مثل نتائج إرديلاي، ذات أهمية بالغة في ذاتها، ومستقلة عما ينبغي قوله بشأن التحليل النفسي الإكلينيكي أو نظرية التحليل النفسي. وكما أشار إرديلاي، فإن المدخل التجريبي قد أظهر محاولات لتجنب المثير المؤلم، وظهور النشاط العقلي خارج الوعي، والرفض الانتقائي للمعلومات من الوعي.

وما تبقى للإيضاح، كما يشير إرديلاي أيضًا، هو العلاقة التنظيرية المحددة لمثل هذه الحقائق لمفاهيم إكلينيكية تحليلية نفسية. وفي هذا السياق، فإن قضية إرديلاي (1985) بشأن إعادة تعريفه لمفاهيم التحليل النفسي تحتاج أيضًا إلى مناقشتها. وبالتالي، على سبيل المثال، فإنه يفصل مفهوم اللاشعور عن مفهوم الكبت:

إنه من الممكن أن نعتقد في وجود اللاشعور، وحتى أنه نشط، ومزعج وبالتالي" دينامي،" دون تدعيم ضروري لقضية أن الكبت يشمل كل أو حتى بعض اللاشعور. (ص.64)

فهو يستعمل محك عدم إمكانية النفاذ" إلى قلب اللاشعور" (بمعنى، اللاشعور الدينامي) ويتعامل مع الكبت (والدفاعات) لقضايا منفصلة. وهو يفترض أيضًا عدم وجود تمييز بين كبت الشعور وكبت اللاشعور، محاجًا بأن فرويد، أيضًا، تعامل مع تلك المفاهيم بشكل تبادلي متداخل:

وإن كانت مسألة اللاشعور يجب طرحها في سياق إكلينيكي أو تجريبي معين فإن المرء بحاجة أن يحدد الدفاعات المعتبرة كالشعور أو اللاشعور- كبت الشعور مقابل كبت اللاشعور، إزاحة الشعور مقابل إزاحة اللاشعور، وهكذا. (ص.221)

وإن مفهوم إرديلاي للاشعور أيضًا يلغي أي آثار منهجية. فهو يقول أن " اللاشعور المنهجي الإشكالي تم إلغاءه على يد فرويد في عام 1923، ليصبح الهو" (ص.65-64)؛ وبالتالي، فهو يحاجج، أنه من الخطأ افتراض أن عمليات اللاشعور تتبع قواعد مختلفة عن قواعد الشعور.

وفي حين أن إرديلاي قد ادعى أن مشروعه قد كان لاختبار نموذج فرويد، وهذا يحتاج للتحديد؛ فإن مشروع إرديلاي كان ليختبر نموذج فرويد كما عُرّف من وجهة نظر إرديلاي. ومنذ أن أعاد تعريف مفاهيم الكبت، والدفاعات، واللاشعور بوضوح، فإن علاقة نتائج إرديلاي بعمل الكبت كدفاع لاشعوري، وعمل التداعي الحر كما يظهر في موقف العلاج، أو أثره على الذكريات التي تم الدفاع ضدها أو يُرجى إبعادها، تظل غير واضحة.

وبالمثل فإن رأي إرديلاي كان إشكاليًا حيث أن مدخله مُبرّر بطريقة ما من خلال فرويد حيث" ألغى" اللاشعور المنهجي. وكما قد رأينا، ناضل فرويد باستمرار مع آثار السمات العقلية، وفي الواقع، أبقى على آثارها المنهجية حتى النهاية. ولم يتخلى أبداً عن الرأي بأن عمليات اللاشعور تتبع قواعد مختلفة عن قواعد الشعور؛ والاختلاف في طبيعة تلك العمليات لا يزال النواة الأساسية

لمنهج التحليل النفسي على مدار عمله. وكما يقول:" فقد وجدنا أن العمليات في اللاشعور أو في الهو تُذعن لقوانين مختلفة عن تلك الموجودة في انا ما قبل الشعور" (1940، ص.164).

وربما نلاحظ أيضًا أن إرديلاي يبدو مبالغًا بشأن الحالة قليلاً أو ربما متفائلاً بعض الشيء بشأن علاقة المقدمات الاستعارية المتعددة للتحليل النفسي بمقدمات العلوم الفيزيائية. وفي حين أن الفيزياء ربما يكون لديها نماذج وأنظمة حسابية متعددة لمجالات مختلفة، فإن المفاهيم والعلاقات بينها مُعرّفة على نحو خاص لكل نموذج ولكل مجال. وإنها ليست تعددية نماذج التحليل النفسي للجهاز ولكن نقص أي تعددية متماسكة، في أي مجال، هو الذي يبني المشكلة لمجالنا. وإن فرويد بنفسه كان يسعى لنظرية متماسكة كهذه، وحتى خلال مناضلته مع استعاراته المختلطة والمتعددة. وفي صياغة ملخصه الأخير، لم يُعد فرويد (1940) تنظيم النموذجين الطبوغرافيين ضمنيًا فقط، بل عبر ايضًا بوضوح عن عدم رضاه العام بتناقضات صيغه المختلفة وسعى باجتهاد للواقع الضمني الذي سيقدم الأساس لملائمتهم.

وعلى مستوى أكثر عمومية، فإن الاعتراض ربما يتزايد هنا، كما في كافة التصميمات التجريبية، عما إذا كانت العمليات التفاعلية بطبيعتها ربما يكون مفيداً أن يتم اختبارها خارج السياق الشخصي الطبيعي. وإن القضايا الخاصة باختبار افتراضات بمحتويات شخصية في المعامل التجريبية قد ازدادت من وجهات نظر مختلفة, بواسطة نيذر (1976)، وثوماي وكاتشيلي (1987)، وييل (1986)، وكثير من الآخرين.

نموذج شيفيرن لحالة ما قبل الوعي
مستوى العتبة

إن عمل شيفيرن (1995) وزملائه، باستخدام الطريقة المعملية للشعور الأدنى من مستوى العتبة، يربط المفاهيم التحليلية النفسية، والمعرفية، والعصبية في نموذج تجريبي. ويناقش تصميم شيفيرن بعض الاعتراضات العامة بأن النموذج التجريبي لا يمكن تطبيقه على مفاهيم إكلينيكية واقعية عن طريق إدماج التقييم العميق للمرضى بما خبره المحللون النفسيون، الذين يقدمون صياغة نفسية دينامية لكل حالة. وإن المكون المعرفي لتصميم شيفيرن يتكون من عرض التاكيتوسكوب [4] لكلمات لكل من الشعور الأدنى من مستوى العتبة وفوق مستوى عتبة الشعور. والكلمات المعروضة تتضمن كلمات صراع لاشعوري وأعراض لاشعورية، أختيرت خصيصًا لكل مريض على أساس تقييمه الإكلينيكي. وإن العرض الأدنى من عتبة الشعور يحدد عمليًا حالة المثير كلاشعور وصفي. وكل كلمة يتم تقديمها، سواء أدنى من مستوى الشعور أو أعلى من عتبة الشعور، تسجل استجابة المخ كهربيًا؛ وهذا يشكل المكون العصبي للتصميم. ووجد شيفيرن أن أنماط التردد الزمني للاستجابات المخية لكلمات الصراع اللاشعوري كانت عكس أنماط كلمات الاعراض الشعورية، وعُكست الأنماط بالنسبة للعرض الأدنى من عتبة الشعور مقابل الأعلى من عتبة الشعور. ويحاجج بأن هذه النتائج تدعم صدق نموذج نفسي لاشعوري سببي بإظهار الفروق في النظام الزمني للعمليات العصبية كوظيفة لمستوى الشعور والمحتويات المحددة للصراع اللاشعوري لكل فرد.

وإن هذا النموذج المبتكر ونتائجه يمثل اهتمامًا معتبراً واضحًا لسد الفجوة بين المفاهيم التحليلية النفسية والمعرفية وطرقهما. فهو يطور تعريفات إجرائية لمفاهيم اشتُقّت من مجالات معرفية وتحليلية نفسية ويستخدم مؤشرات عصبية فسيولوجية كمصدر مستقل للبرهان.

٤ التاكيتوسكوب : أداة تعرض سلسلة من الصور على شاشة بسرعة عالية لاختبار الاستيعاب البصري والذاكرة والتعلم

وهنا، كما في عمل إرديلاي، مع ذلك، ينشأ التساؤل بشأن العلاقة بين بناء اللاشعور النفسي السببي، كما عُرّف واختُبر في نموذج شيفرن، وبين المفهوم كما عُرّف في النموذج التحليلي النفسي للجهاز النفسي سواء في الصياغة الطبوغرافية أو البنائية. وإن مدخل شيفرن مبني على النفاذ إلى الوعي كالمحدد الأساسي لكيفية المعالجة المعرفية، كما في النموذج الطبوغرافي. ومع ذلك، عند الاعتماد كليًا على مثير لفظي، فهو يفترض نظامًا لغويًا في اللاشعور، والذي يُعد بوضوح متباين مع الصياغة الطبوغرافية. وفي الواقع لو أن هناك مكون لغوي داخل اللاشعور السببي، كما أشار عمل شيفرن، فإن الآثار المنهجية لذلك داخل نظرية التحليل النفسي تحتاج إلى مزيد من التحقق.

وسواء من المناظير التحليلية النفسية أو التجريبية، فيبدو من الحاسم أننا نتفق على ما هو ذلك النموذج الذي نختبره قبل أن نستطيع فهم معنى النتائج التي يتم الحصول عليها. وإن عمل شيفرن وإرديلاي يقدم نتائج تبدو ذات أهمية كبيرة بالنسبة لمدخل التحليل النفسي ويثير تساؤلات مهمة بشأن بناء الجهاز النفسي. ومع ذلك، فإن النقص في نموذج متماسك للجهاز النفسي يحدد لأي درجة نستطيع أن نتحقق من بحثهما في مصطلحات التحليل النفسي.

الميتاسيكولوجي ومحاكاة الحاسوب

حاول ويجمان (1985)، الذي يعمل في مجال الذكاء الاصطناعي فضلاً عم المعمل التجريبي، أيضًا إظهار توافق التحليل النفس وعلم النفس المعرفي وإيضاح أن افتراضات التحليل النفسي يمكن إثبات صدقها ميدانيًا خارج السياق العلاجي. وقد كان مشروع ويجمان لإظهار أن جانبًا محدداً من نظرية فرويد- نظرية الصدمة في الهيستيريا- يمكن اختباره من خلال صياغة حاسوبية. فهو يلخص مخطط حاسوبي لتاريخ الحالة للسيدة لوسي آر (فرويد، 1995) مبني على شكل نص برامج تم تقديمه من خلال سكانك وأبيلسون (1977). وإن النصوص نماذج لتسلسلات توقع للسلوك كتلك التي تظهر في الأحداث المتكررة. وباستخدام تسلسلات النص كنموذج، يمكن تحديد الفجوات

أو العناصر غير المتوقعة بموضوعية، ويمكن استكشاف معانيهم الحيوية أو الوجدانية. وفي حين أن ويجمان لا ينفذ تلك المحاكاة، فهو يلخصها بشكل كافي لإيضاح معقوليتها. والمفهوم الأساسي أن جوانب نموذج فرويد يمكن أن تكون موضوع البحث العلمي المدعوم من خلال محاولات ويجمان، كما في اعمال إرديلاي وشيفيرن. ونظراً لموقف فرويد تجاه البحث التجريبي، مع ذلك، وحتى عندما ينفذ مع العينات الإنسانية من منظور إكلينيكي، فمن الشيق تخيل خطاب من فرويد لويجمان عن محاكاة الحاسوب لحالة السيدة لوسي آر.

إن موقف هذا الكتاب يتفق مع الإفتراض الجوهري للباحثين الميدانيين الذين أُخذت عينات من عملهم هنا، والذي يُعد أيضًا الإفتراض الجوهري لحقل العلم المعرفي: وإن العمليات والتمثلات العقلية والمعقدة يمكن أن تكون موضوع بحث ميداني وعلمي. ومع ذلك، ينبغي علينا التساؤل لأي مدى تكون المفاهيم التي تُخبر في الدراسات الميدانية خارج السياق العلاجي مكافئة لمفاهيم التحليل النفسي الإكلينيكي، أو هي في الحقيقة أبنية مختلفة بملامح مختلفة، محددة بنفس الشروط. ومن ناحية، فإن أنماط الأدلة يحتمل أن تكون ذات صلة بافتراض نظرية متماسكة وتعبير متماسك لعلاقات الادلة بالنظرية. ومن الناحية الأخرى، لا توجد ملاحظات داخل السياق التحليلي أو المعملي التجريبي، أو أي مكان آخر، يمكن أن تُقيّم في علاقتها بالنظرية مالم تكن الافتراضات والأبنية معروفة جيداً بشروط مفاهيمية وإجرائية.

إخفاق النظرية
وبحث العلاج النفسي

ربما يُرى حقل بحث العلاج النفسي السيكودينامي كمحاولة دقيقة ومركزة لتطبيق طرق العلم الميداني على افتراضات النظرية الإكلينيكية، مع التخلي عن إطار الميتاسيكولوجي. ومن منظور آخر، فإن حقل بحث العلاج النفسي ربما يُرى أيضًا في تفاصيل محددة كنسخة حديثة لطريقة التحليل النفسي. وبشكل أساسي، يرى البحث تأثيرات العلاجات وتدخلات محددة على مقاييس العملية والمُخرج، كما أدعى فرويد (1917–1916، 1937) القيام به مع محاولة تصحيح عيوب طريقة التحليل النفسي، كما لُخّص سابقًا. ويُقيّم الباحث تأثيرات العملية والمُخرج مستخدمًا إجراءات موضوعية تفي بمعايير مقبولة للثبات والصدق، بدلاً من الإعتماد على ملاحظاته الفردية محتملة التحيز، كما في تقارير الحالة المعيارية.وإن أدوات تحليل العملية تحول سجل الجلسة، عادة من نص حرفي، إلى صيغة ربما تشكل بيانات علمية بالمنطق.

وإن باحثي العلاج النفسي لا يرون دراساتهم كاختبار لافتراضات الميتاسيكولوجي ذاتها، كما فُهم في الأصل أن طريقة التحليل النفسي تقوم بذلك؛ فهذا الغرض قد تم وضعه جانبًا. وإن مصطلحات" الميتاسيكولوجي" و" الطاقة" غير مفهرسة في كتيب بحث عملية العلاج النفسي الدينامي (ميلر، لوبورسكي، باربر، ودوتشيرتي، 1993). ومع ذلك، فإن حقل بحث العلاج النفسي يهتم بشكل متزايد بنظرية في شكل ما، بدلاً من الإظهار المبسط لتأثيرات" جرعات العلاج" أو العلاج الفارق. وكما قد أشار داهل (1988)، فإن باحثي العلاج النفسي السيكودينامي قد انتقلوا في العقود الأخيرة من التركيز على إظهار نتائج العلاج إلى تساؤلات أساسية بشأن طبيعة المرض النفسي، والطرق التي يتخذها العلاج النفسي لمعالجة المرض، وكيف يؤدي العلاج إلى التغيير؛ فكل هذه القضايا ربما تُرى أنها جوانب جوهرية للنظرية الإكلينيكية للتحليل النفسي. ولتحقيق تلك الغايات، فقد حاول باحثوا العلاج النفسي تطوير مقاييس إجرائية للصراع وعمليات التغيير. وقد ظهرت مجموعة واسعة لتلك

المقاييس لمحتوى إكلينيكي في السنوات الاخيرة. وتتضمن مقياس لوبورسكي (1988) " موضوع جوهر صراعات العلاقة " Core Conflicual(CCRT) relationship theme؛ وتشفير هوفمان وجيل (1988) " لخبرة المريض لعلاقته مع المعالج" Patient`s experience of the relationship with the Therapest"PERT" ؛ و"التحليل الترتيبي " ConfigurationalAnalysis لهورفيتس وآخرون (1984)، وطريقة منهجية لصياغة الحالة؛ و" أنماط غير تكيفية دورية" Cyclical maladaptive patterns لستراب وزملائه (سكاكت، بيندر، وستراب 1984)؛ و"أبنية الإطار Frames Structures" لتيلر وداهل (1986)، وهي أبنية لأحداث تسلسلية متكررة مقتبسة من سرديات المريض المنفصلة؛ وويس، وسامبسون، ومفهوم " خطة اللاشعور"للمريض لمجموعة ماونتزوين لأبحاث العلاج النفسي (1986).

إن كيانات مثل موضوعات العلاقات الصراعية، وخبرة المريض للعلاقة، وخطط اللاشعور جميعها أحداث ذاتية داخلية، يتم النفاذ إليها مباشرة لمن يخبرها فقط، المريض، وغالبًا لا يمكن النفاذ لها حتى بالنسبة له. وفي المصطلحات العلمية الحديثة، فإن القيام بالبحث الميداني الذي يتضمن أحداث شخصية وذاتية يستلزم موقف معرفي معين، بالرغم من أن هذا التساؤل لا يُناقَش بشكل مباشر في حقل بحث العلاج النفسي.وبالتالي فإن الباحث، على الأقل ضمنيًا، يأخذ بعض الوصف للمواقف التالية بشأن مفاهيم إكلينيكية مثل الطرح، الصراع، أو التغير البنائي، وكيف نعرفهم:

١- وهذه الكيانات ربما تُرى على أن بها تكوينات افتراضية، مستنبطة من خلال آثارها على الأحداث التي يمكن ملاحظتها مثل اللغة والسلوك، ومُعرّفة جيداً في تلك المصطلحات. ومع ذلك، فهذا الموقف يتطلب إطاراً تنظيرياً متماسكاً، والذي كان مُفتقداً داخل الحقل.

٢- وفي حالة عدم وجود إطار تنظيري متماسك، فالبديل هو تبني وصفًا لموقف سلوكي:

أ. الموقف السلوكي الأكثر بساطة هو ألا نكون مهتمين بالأبنية الإفتراضية

أو المتغيرات المتداخلة ولكن ببساطة بالمقاييس الملاحظة ومجموعاتها. وإن ذلك مدخلاً غير فعال، والذي قد رُفض في حقله لنظرية التعلم. وفي حقل التحليل النفسي، والذي يهتم بالمعنى والخبرة الداخلية، لا يمكننا العمل بدون أبنية ومفاهيم في شكل ما، كما قد ناقشت بالتفصيل سابقًا (بوتشي، 1989).

ب. ربما يدرك الباحث الحاجة إلى أبنية تنظيرية ولكن ربما يحاول العمل بدون إطار تنظيري عام، وبناء كل مفهوم من الجانب الميداني عبر التطور للمقاييس الإجرائية المتسقة. وهذا يشبه المدخل المستخدم بواسطة بعض الباحثين السيكوديناميين لتعريف مفاهيم مبهمة مثل الذكاء، بما يعني، اتخاذ موقفًا حيث يكون المقياس هو المفهوم. ومن ثم، فالذكاء لا أكثر ولا اقل مما تقيسه اختبارات الذكاء؛ وبالمثل، ليس لدينا مطلب لصياغة تنظيرية لمفاهيم مثل الطرح والبناء النفسي فيما وراء المؤشرات الإجرائية لتلك المفاهيم.

ج. بدلاً من ذلك، فإن الباحث ربما يقوم بإجراء التباين العشوائي بمنطق وظيفة" كما-لو" المقبولة على نطاق واسع في المجالات الإكلينيكية التحليلية النفسية. وهكذا، يتابع باحث التحليل النفسي مفاهيم كما لو مثل الطرح، والبناء النفسي، والتغير البنائي مُعرّفة بصورة كافية بحيث نعرف ما نقوم بقياسه؛ وبالتالي فإن التعريفات العملية المطورة في البحث ربما تساعد في إيضاح معانيهم. وإن كان ضمنيًا، فإن ذلك يبدو الموقف الأكثر شيوعًا، بشكل معرفي داخل الحقل.

والمشكلات المرتبطة بالاستمرار بدون إطار تنظيري، في أغلب الحالات تعتمد ضمنيًا على بديل 2ج في الاعلى، ربما تُرى في مقارنات متعددة لمقاييس المحتوى الأكثر استخدامًا، وجميعها قد تم تفسيرها كمقاييس للطرح، دون أن يُعرّف الطرح ذاته بمنهجية. وقد صُممت موضوعات جوهر صراعات العلاقة أولاً بواسطة لوبورسكي كمقياس" لنمط العلاقة العامة" للمريض (لوبورسكي وكريتس- كريستوف، 1988، ص.100) وهو مقبول الآن على نطاق واسع كمقياس للطرح. ويتم تحديد موضوعات جوهر صراعات العلاقة عن طريق فحص سرديات التفاعل بين المريض وغيره من الناس. ويتم تحديدهم في"

أحداث العلاقة" ("relationship episodes"Res)، والتي تمثل قصصًا للماضي والتفاعلات الجارية، وتتضمن أيضًا حلقات في العلاقة مع المعالج. وإن بنية مقياس صراعات العلاقة تحتوي على ثلاث عناصر رئيسية: رغبات المريض، احتياجاته، أو نواياه تجاه الآخرين الذين يظهرون في القصة؛ واستجابات الآخرين؛ واستجابات الذات. وتم افتراض موضوع جوهري لصراعات العلاقة في البداية بواسطة لوبورسكي كمقياس للموضوعات المركزية للعلاقة. ويقول لوبورسكي مشيراً إلى نفسه (1988، ص.100) " وفي وقت لاحق فقط قادته خبرات موضوع جوهر صراعات العلاقة إلى إدراك أنه قد توصل إلى تعريف إجرائي للطرح."

وإن " لخبرة المريض لعلاقته مع المعالج" الخاصة بهوفمان وجيل و" أبنية الوجدان غير التكيفية الأساسية المتكررة" ("frames"fundamental repetitive and maladaptive emotion structures) لداهل (1988) توصف الآن بكونها مقاييس ذات صلة بالطرح، والتطابق لتلك الإجراءات مع بعضها البعض ومع موضوعات جوهر صراعات العلاقة قد تم فحصهم من خلال (لوبورسكي، 1988). وصُمم " لخبرة المريض لعلاقته مع المعالج" بوضوح كمقياس للطرح، وتم تحليله بواسطة حكم إكلينيكي. وعلى النقيض، فإن مفهوم " أبنية الوجدان غير التكيفية الأساسية المتكررة" يتصل بفكرة الأبنية النمطية للمعرفة، كما عُرِّف بواسطة مينيسكي (1979) داخل حقل الذكاء الاصطناعي. وتوصف " أبنية الوجدان غير التكيفية الأساسية المتكررة"" بالتسلسلات البنائية للذكريات الوجدانية"، والتي تفي بعدد من المحكات الإضافية المحددة، والتي" تقدم الإطار لنظرية تغيير مستقلة عن أي فنية نظرية محددة" (داهل، 1988، ص.61).

وإن مفاهيم خبرة المريض للعلاقة مع المعالج ، وأبنية الوجدان غير التكيفية المتكررة ، وموضوعات العلاقة العامة (موضوعات جوهر صراعات العلاقة) من المفترض أن تتقاطع. ومع ذلك، فالمسألة أيضًا أن لهم أصول وتعريفات مختلفة، وعلاقتهم التنظيرية تحتاج للإيضاح قبل أن يتم فهم علاقاتهم

الميدانية. وإن مفاهيم "البناء الوجداني" و" نمط العلاقة الجوهري" بها حالة الأبنية النفسية. ويختلفون فيما يتعلق بالمستوى التوضيحي عن مفهوم الخبرة الظاهراتية للمريض، والتي تكمن في جوهر مقياس جيل وهوفمان. ومن منظور ملموس أو واقعي، ربما يقال بالتأكيد أن خبرة المريض للعلاقة ربما تنبثق من اعتبارات الواقع المعنية بشخص وسلوك المحلل، بدلاً من أن تعكس فقط، أو في المقام الأول، أبنية المريض الوجدانية أو أنماط العلاقة التي تم إسقاطها على صورة حيادية. وإن التنبؤات المختلفة بشأن التوافق الميداني للمقاييس ربما يتم إجرائها على هذا الأساس.

والنقطة التي تظهر من تلك المقارنات، والتي لم تُناقش من قِبل باحثي العلاج النفسي، هي أن تقارب المقاييس الإجرائية يمثل صدقًا لها" إذا وفقط إذا" لو كان من المفترض أن تقيس نفس الشيء؛ وهذا ليس الصدق وربما في الحقيقة لا تثبت صدقهم، إذا كان من المفترض أن تقيس أشياء مختلفة. وإن دلالة التقارب والتباعد للملاحظات كأساس لنمو الصدق البنائي يعتمد على تعريف الأبنية داخل الشبكة الإصطلاحية. وبدون نظرية عامة، يمكن بداخلها تعريف أبنية تنظيرية بصورة ثابتة، لا يمكننا افتراض العلاقة المتوقعة بين المقاييس، ولا آثار تباعدهم أو تقاربهم؛ فنحن على خلفية متغيرة باستمرار. وإن المفهوم الأساسي للصدق البنائي، كما يعتمد على إطار تنظيري، مبني على تلك المقدمة.

مشكلة إيضاح آثار العلاج

بينما كان حقل بحث العلاج النفسي معنياً بشكل متزايد، وملائم، بفهم عملية العلاج، فإنه يظل من الضروري أيضًا إظهار آثار العلاج. وسواء أكنا نتحدث عن عملية العلاج أو النتيجة، فنحن مهتمين في الأساس بكيفية إحداث تغييرات في التمثلات أو المعاني الداخلية– كيف نشعر، كيف ندرك الأشياء، ماذا نعتقد، بدلاً من تغيرات السلوك أو الأعراض وحدها.

وغير ذلك، من الضروري تمييز التطورات الإيجابية الهشة والزائفة عن غيرها من التطورات التي من المحتمل استمرارها. وكمسألة ذات صلة، من المهم تمييز لأي مدى تعكس التطورات الظاهرة التأثير المباشر للطرح أو عوامل

أخرى على نقيض أثر تفسير ما في تسهيل الاستبصار. والمسألة المطروحة لا تزال أكثر تعقيداً من خلال إمكانية استمرار الطرح بشكل مستدخل بعد انتهاء العلاج. ومثل هذا الاستدخال ربما يكون في الحقيقة أكثر عمقًا أكثر استمراراً في العلاجات الناجحة.

وإن كنا نستطيع بواسطة مقاييسنا تحديد أن التغير البنائي قد حدث، فنحن قادرون على معالجة مسألة كيفية حدوث هذا التغيير. ولفعل ذلك، فنحن نحتاج للتمييز بين هذه العوامل كما ارتكز الاستبصار على التأويلات الصادقة، والتأثير المستمر للعلاقة، ووسائل التغيير الأخرى. وإن القضايا التي أُثيرت هنا تتحدث مباشرة عن الحاجة لبحث ميداني قائم على نظرية. واستخدام النصوص وطرق البحث المنهجية يمكن أن يقدم بشكل محتمل المؤشرات التي يمكن ملاحظتها للخبرة الداخلية؛ فالدعامة لنموذج تنظيري أمر ضروري للسماح بتفسير متسق للمقاييس التي قد طورت. وتعيد النظرية تعريف الأحداث الذاتية كالأبنية النفسية وتربط الأحداث الملاحظة عن طريق الباحث (أو الإكلينيكي) بتلك الأحداث.

وربما نلاحظ أيضًا أن مثل هذه الصياغة العامة مطلوبة لمعالجة مشكلة مركزية– ولكنها لا تحظى باهتمام كافٍ– لحقل بحث العلاج النفسي:

لأي مدى تشبه العلاجات التي يكون فيها الملاحظ– الباحث– حاضراً ضمنيًا لتلك العلاجات التي تكون فيها حميمية الحوار هادئة؟ ربما تظهر الملاحظات بدرجات متفاوتة للتدخل، من الحد الأدنى لوجود مسجل صوتي إلى توقع مرتفع لوجود تسجيل مرئي، ومقاييس نفسية مستمرة، وجلسات إضافية مع فريق البحث. ويمكننا فقط في سياق النموذج العام لعلم الأمراض والعملية الاجرائية أن نأمل معرفة إلى أي مدى تتوافق المفاهيم التي تتم دراستها في أنماط مختلفة لبحث العلاقات مع المفاهيم داخل الاستخدام الإكلينيكي. وتلك القضايا سوف تتم مناقشتها في الفصل الثامن عشر.

إن إخفاق نظرية، وعدم معرفة ذلك الإخفاق، يقدم مخاطر في الممارسة لكل المشاركين في منظومة التحليل النفسي. والمحللون والباحثون على حد

سواء يستمرون في العمل، كما يجب عليهم، بوظيفة ضمنية" كما–لو" – كأنهم يعرفون لأي شيء تشير مفاهيم النظرية، وكأن غياب نظرية عامة لا يؤثر على العمل. ومن ثم، فإن المحللين الذين يرفضون بوضوح نظرية الطاقة، ويدركون الطبيعة معطوبة التحديد لمفاهيم مثل توظيف الطاقة والليبيدو، يستمرون مع ذلك باستخدام مصطلحات مثل" الهو،" و" الدافع،" و" الكبت،" و" العمليات الأولية والثانوية،" كما لو كانوا يفهمون جيداً ماذا تعني تلك الكلمات.

وقد أكد ثوماي وكاتشيلي (1987) على الأثر الشائع لأزمة النظرية على الإكلينيكي الممارس:

وتقترح اللغة البنائية والمدهشة لنظرية فرويد تشابهات بين العمليات الفيزيائية والنفسية والتي لا توجد في الحقيقة. ولو أن قوة المجازات المقترحة تقود المحلل لتطبيقها في مجالات حيث تكون المقارنة صادقة، فإن أدائه العلاجي لن يكون أيضًا ملائمًا. وإن أزمة النظرية تغوص بعمق في ممارسة التحليل النفسي.

وهنا يشيرون إلى مفاهيم مثيرة للغاية لنموذج إفراغ الدافع كما تجذّر، بطريقة غير معترف بها، في معالجة الأنشطة الجنسية للذكر، وكما يشتق أكثر معانيهم، مجازيًا، من هذا المصدر.وهناك العديد من المخاطر الأخرى للتأويل تأتي من الآثار الضمنية للميتاسيكولوجي. فلا تزال" الساحرة،" كما وصفها فرويد (1937) الميتاسيكولوجي، سواء معترف بها أم لا، تطلق تعويذتها .في حين أن القضايا المعرفية لم تُناقش مباشرة، فإن مشكلات تخطيط المفاهيم التحليلية النفسية على المؤشرات التجريبية، والتي قد أوضحناها هنا، مُدركة من خلال باحثي العلاج النفسي المفكرين. وفي ختام مقارنته للمقاييس الثلاثة التي أُشير إليها سابقًا، والتي وجد بينها توافق إمبريقي معقول، فقد قدم لوبورسكي وصفه لتلك القضية الفلسفية:

إن كل نظام من هذه الأنظمة يُجسد بعض التقريب المعقول بين مفهوم الطرح ومقياسًا محدداً له. ولكن ربما يكون هناك بعض الاختلافات في الرأي بشأن كيفية تقاربهم بعناية من المفهوم. وفيما يتعلق بذلك، كنت مستمتعًا بالخبرة

التي اكتسبتها يومًا ما. سمعت رجلين يتبادلان الألغاز فيما بينهما. وواحداً من تلك الألغاز بدا مناسبًا تمامًا لصعوبتنا في مطابقة مفهوم الطرح بكل مقياس إجرائي له. الرجل الأول، سام: لدي لغز لك. ما هو الشيء الأخضر، والذي يُعلق على الحائط ويحدث صفيراً؟ وكان الرجل الثاني، جو، يجلس بجواره، فكر برهة ثم قال: لا أعرف، ما هو؟ سام: سمكة السردين. جو: سمكة السردين ليست خضراء. سام: فلنقل أنك قمت بطلائها باللون الأخضر. جو: ولكنها لا تعلق على الحائط. سام: فلنقل أنك قمت بتعليقها على الحائط. جو: ولكنها لا تحدث صفيراً. سام: فمن يهتم إن كانت تحدث صفيراً؟ (1988، ص.114)

وفي نسخة بديلة لتلك الحكاية، من مصدر آخر، فإن تعليق سام الأخير كان مختلفًا: " لم تتوقع مني أن أجعلها سهلة جداً." فالمشكلة بالنسبة لباحثي العلاج النفسي، كما تم تمثلها هنا، تشبه المشكلة التي قد واجهناها في مناقشة البحث التجريبي على المفاهيم الإكلينيكية وليست سهلة على الإطلاق. ولأي مدى تكون مفاهيم الطرح أو الصراع أو التغير البنائي، كما تم قياسها بواسطة بس إس آر تي، وموضوع جوهر صراعات العلاقة ، و" أبنية الوجدان غير التكيفية الأساسية المتكررة"، متوافقة مع بعضها البعض، أو مع المفاهيم التي يفهمها ويستخدمها الإكلينيكيون؟ ولأي مدى ينبغي على باحثي العلاج النفسي طلاء المفاهيم الإكلينيكية باللون الأخضر، وتعليقهم على الحائط، وإنكار فشلهم في الصفير، كما قد افترضنا أن الباحثين التجريبيين مثل إرديلاي قد فعلوا أيضًا؟ وفي غياب نظرية عامة، تظل التساؤلات، كيف يمكن أن تكون المفاهيم الإكلينيكية مُعرّفة بمنهجية.

الفصل الرابع
شبكات العقل
نحو نموذج نفسي للتحليل النفسي

للحديث عن طبيعة الكون ومناقشة تساؤلات عما إذا كان له بداية أو نهاية، فيجب عليك أن تكون واضحًا بشأن ما هي النظرية العلمية. وسوف أتناول وجهة النظر العقلية البسيطة بأن النظرية مجرد نموذج للكون، أو جزءاً محدوداً منه، ومجموعة من القواعد التي تربط المقادير في النظرية بالملاحظات التي نقوم بها.فهي توجد في عقولنا فقط وليس لها أي واقع آخر (أيًا كان ما يعنيه هذا الأمر). ستيفن هوفكنج(1988، ص.9)

يتطلب الأمر نظرية شارحة جديدة للتحليل النفسي وذلك لسد الفجوة التي سببها فشل الميتاسيكولوجي. ويمكن رؤية الحاجة إلى نظرية في العمل الإكلينيكي، كما في محاولات الباحثين لدراسة آثار العلاج. وحينئذ ينشأ التساؤل بشأن النوع الذي ينبغي أن تكون عليه النظرية، والطبيعة أو المستوى المحدد للمجال التنظيري التحليلي النفسي، ومستوى التفسير الذي نحتاج إليه. وإن عالم التحليل النفسي هو الوجدان والعقل- أي التمثل للخبرة الإنفعالية الخاصة، واتصالها مع شخص آخر، وتحولها داخل العلاج. وفي حين أن نظرية التحليل النفسي ينبغي أن تكون بشأن المعاني الوجدانية الخاصة، فالشرط الذي لا غنى عنه للعلم أن تكون الأحداث قابلة للملاحظة بشكل متصاحب. وقد اعتبر هذا الأمر بمثابة معضلة مركزية للحقل، والتي قد حاول فرويد وآخرون حينها حلها بطرق مختلفة. وفي تقصّي موقف فرويد وكُتّاب التحليل النفسي الآخرين ومعاصريه، فغرضي ليس تأسيس حقيقة تاريخية، ولكن فحص وحل قضايا عديدة لا تزال إلى اليوم تشوش الحقل.

كان موقف فرويد معقداً ومتغيراً في وصف مستوى التفسير المقدم في الميتاسيكولوجي. وفي أعماله الباكرة، حاول فرويد" تأسيس علم نفس كعلم طبيعي، وذلك، لتقديم عمليات نفسية محدِّدة كميًا حالات ذرات مادة مُخصصة"

(فرويد، 1895، ص. 355). وفي نفس الفترة، في خطاب لفليس بتاريخ 10 مارس 1898، والذي قد تم اقتباسه ومناقشته على نطاق واسع، يكتب:

ويبدو لي كما لو كانت نظرية اشباع الرغبة تعطي فقط تفسير نفسي لا بيولوجي أو حتى ميتاسيكولوجي. (وعلى نحو طارىء، سأسألك بجدية إن كان ينبغي علي استخدام مصطلح" الميتاسيكولوجي" لعلم نفس يختص بي والذي يقود لما وراء الشعور.) (1954، ص.246)

ويبدو هنا أن فرويد يساوي مستوى التفسير الميتاسيكولوجي بالمستوى البيولوجي ويميزهما عن المستوى النفسي المقدم من خلال نظرية تحقيق الرغبة. ومع ذلك، فهو يشير للميتاسيكولوجي" كعلم نفسي،" والذي" يقود لما وراء الشعور" ؛وفي كتاباته منذ عام 1900 فصاعداً، تنصل فرويد بشكل عام من التفسير البيولوجي. فعلى سبيل المثال، في عام 1900 يكتب:

سأتغاضى تمامًا عن حقيقة أن الجهاز العقلي الذي نهتم به هنا معروف بالنسبة لنا في شكل تركيب تشريحي، وسأتجنب بحرص غواية تحديد موقع نفسي في أي نظام تشريحي. وسأظل على خلفية نفسية.... (ص.536)

في" المحاضرات التمهيدية" (1917-1916)، يبدي نقطة مماثلة:

لا يوجد علم فلسفي مساعد يمكن صنعه لخدمة أغراضك الطبية. فليست الفلسفة التأملية، ولا علم النفس الوصفي، ولا ما يسمى بعلم النفس التجريبي (والذي يعد حليفًا عن كثب لفسيولوجية أعضاء الحس)، كما يتم تدريسهم في الجامعات، في وضع يخبرك بأي شيء مفيد عن العلاقة بين الجسد والعقل أو إمدادك بمفتاح فهم الاضطرابات المكنة للوظائف العقلية...

وتلك هي الفجوة التي يسعى التحليل النفسي إلى سدها. ويحاول إعطاء الطب النفسي أساسه النفسي المفقود. ويأمل في اكتشاف أرضية مشتركة على أساسها يصبح التقارب الفيزيائي والاضطراب العقلي مفهومًا. وبوضع تلك الغاية في الإعتبار، فيجب أن يحافظ التحليل النفسي على خلوه من أي فروض غريبة عليه، سواء أن كانت نوعًا تشريحيًا، أو كيميائيًا أو فسيولوجيًا، ويجب أن يعمل كليًا بأفكار مساعدة نفسية نقية.... (ص.21-20)

حالة الميتاسيكولوجي: وجهات نظر حديثة

خلال كتاباته التالية، وحتى بما في ذلك صياغته التلخيصية الأخيرة، استمر فرويد (1940) في الإشارة إلى الجهاز النفسي كنموذج تنظيري مجرد وإنكار اهتمامه بالمواقع التشريحية. ومع ذلك، فقد اقترح جيل (1976) أن فرويد ظل متردداً بشأن حالة الميتاسيكولوجي، وأنها في الأصل نظرية للجهاز العصبي، بالرغم من ادعاء فرويد الواضح" بالخلفية النفسية." ووفقًا لجيل، تمثل الميتاسيكولوجي اختزالاً لمفاهيم نفسية إلى أساسهم البيولوجي، كما حاول فرويد في وقت المشروع، بدلاً من النظرية النفسية المجردة التي ادعاها منذ عام 1900 فصاعداً. فالمشكلة مع صياغة فرويد هي فشلها في إدراك الطبيعة الأساسية لمثير نفسي:

لا يمكن لمثير أن يوصف نفسيًا عن طريق بعده الخارجي، سواء أكان هذا المثير يظهر داخل أو خارج الجلد. فالمثير قابل للتعريف نفسيًا فقط في ضوء دلالته النفسية في العالم النفسي للمعنى، أو العمدية، أو أيًا كان اختيار مصطلح أخر للإشارة إلى المنظور النفسي. (ص.96)

ونحتاج لعلم نفس" نقي،" والذي يتعامل مع العمدية والمعنى، ومبني على بيانات كما هي للموقف التحليلي النفسي. وعلم نفس كهذا" يمكن أن يكون علمًا صادقًا في حد ذاته" (ص.103).

على عكس وجهات نظر جيل، وكلاين (1973، 1976)، وآخرون، يقترح روبنشتاين بأن النموذج النفسي لا يمكنه تقديم مستوى مقبول لشرح نظرية التحليل النفسي. ووفقًا لروبنشتاين (1965)، فهناك طريقتين من خلالهما ربما يقال أن التحليل النفسي نظرية نفسية بدلاً من نظرية فسيولوجية عصبية. ووفقًا لمدخل واحد، فإن المصطلحات التنظيرية لنظرية التحليل النفسي، على سبيل المثال، " الهو،" "الأنا،" و" الأنا الأعلى،" سيتم تأويلها كإشارة" لتقسيمات فعلية لجهاز عقلي فعلي،" والتي توجد على مستوى أو شكل منفصل ومختلف عن أساسها الفيزيائي، "ولن تكون قابلة للترجمة إلى مصطلحات فسيولوجية عصبية" (التأكيد على الأصل، ص. 45). ويقول روبنشتاين، أن مثل ذلك

التأويل يفترض وجهة نظر ثنائية لعلاقة الجسد بالعقل، مما يعني، " مادة عقلية أساسية،" تختلف عن الواقع الفيزيائي، وفي المصطلحات الفلسفية لديكارت، واليوم قد لا تكون متقدمة بجدية من خلال علماء أو فلاسفة العلم. ولا يبدو أن" المحللين النفسيين الذين يتحدثون كما لو كانوا يستخدمون مصطلحات تنظيرية عالية المستوى بهذه الطريقة يرغبون في تقبل التأثير الثنائي لاستخدامها" (ص.45).

إن صياغة بديلة لنموذج نفسي تنطوي على التحدث بلغة ثنائية ولكن بقصد مجازي. ويصف روبنشتاين ذلك على أنه" تأويل مجازي،" " كما لو كانت ثنائية أو ثنائية زائفة":

وهذا التأويل، كما يُرى بسهولة، يتجنب بنجاح مشكلة العقل والجسد؛ ولذا يختزل ذاته في أحسن حاله إلى نظرية منخفضة المستوى. والمصطلحات التنظيرية، ليس لها مرجعيات فعلية، قابلة للتعريف بشكل أكثر أو أو أقل استثنائية في ضوء العلاقات المستنبطة بين الأحداث النفسية الملاحظة و/ أو المستنبطة (أي، الظاهراتية والسلوكية)... وفي معناه الجوهري فإن التأويل الثنائي الزائف يمكن وصفه حينئذ بأنه معدّل... شكل للسلوكية أو الإجرائية. وبوضوح، يمكن القول بأن نظرية التحليل النفسي نظرية" نفسية نقية" وفقًا لهذا التأويل أيضًا. (1965، ص. 45)

وبرفض ثنائية" فعلية " أو" زائفة،" وعدم رؤية أي بديل آخر، يستخلص روبنشتاين (1965) أن التأويل التجريبي الوحيد المقبول للمصطلحات التحليلية النفسية التنظيرية هو الإرجاع إلى الكيانات الفسيولوجية العصبية:" وبهذا التأويل فإن المصطلحات، ربما بكلمات أخرى، ستكون قابلة للترجمة كليًا لمصطلحات فسيولوجية عصبية- أي، ستكون فسيولوجية عصبية مبدأية" (ص.47). وإن التأويل الفسيولوجي العصبي التجريبي يمكن حينئذ دمجه بموقف" الثنائية الزائفة،" ولذلك" ستكون المصطلحات التنظيرية قابلة للتعريف بطريقتين فسيولوجية عصبية وفي ضوء العلاقات النفسية" (ص.47). ولا يتطلب مدخل روبنشتاين أن يكون كل مفهوم لنظرية التحليل النفسي مترجمًا إلى

مصطلحات فسيولوجية عصبية، أو حتى يكون قابل للترجمة في المرحلة الحالية للمعرفة، ولكن يتطلب أن يكون المحك الفسيولوجي العصبي مستخدمًا في نمو وتقييم تلك المفاهيم التحليلية النفسية.

ووفقًا للمحك التجريبي، كما يصيغه روبنشتاين، فإن العديد من المفاهيم عالية المستوى لنظرية التحليل النفسي، مثل تصنيف الهو- الأنا- الأنا الأعلى، أو مفهوم الطاقة النفسية ذاته، لا يمكن تقبلها كعناصر لنظرية علمية منهجية. ومثل تلك المفاهيم غير قابلة للترجمة إلى مصطلحات فسيولوجية، ولا يوجد مؤشر أن الفسيولوجيا العصبية تتحرك باتجاه جعل تلك الترجمة ممكنة. ويستخلص روبنشتاين بأنه للوفاء بمحك التأويل التجريبي، فإن المفاهيم القديمة عالية المستوى لنظرية التحليل النفسي يجب أن تكون مستبعدة ومستبدلة بمصطلحات تحيل إلى الاحداث العقلية، مثل الرغبات اللاشعورية أو الخيالات، حيث من المرجح أن تكون جزيئاتها الفسيولوجية أكثر تحديداً.

حقائق مختلطة وجسد خارج السيطرة:
نقد هولت

وقد اتفق هولت (1967) مع روبنشتاين في رفض" علم نفس نقي" والدعوة لنموذج له أساس فسيولوجي، بالرغم من أنه يطور حجته على خلفيات مختلفة بعض الشيء. وكما يقترح هولت، يجب أن تلم نظرية التحليل النفسي بالتفاعل بين الأحداث العقلية والجسدية؛ وإن نظرية نفسية ستفشل بالضرورة في هذا الصدد، كما أدرك فرويد ضمنيًا:

التفسير المعتاد أنه بعد إدراك فشل المشروع، رفض فرويد المذهب الميكانيكي للفسيولوجيا الفيزيائية؛ وعاد بحزم إلى علم نفس نقي؛ وابتكر جهاز نفسي مجرد ليأخذ محل النظام العصبي، حيث كانت الكمية الإجرائية طاقة نفسية، لا فيزيائية.... ولكن خلال سنوات تأسيسه للنظريات، متى كان من الضروري أن يضع في اعتباره أحداث جسدية مثل أعراض التحول، فكان يتحدث فرويد دون تردد كما لو كانت طاقة الحفز غير نفسية ولكن فيزيائية

(عصبية). ولمصداقيته المستمرة، وللفائدة الضخمة للتحليل النفسي، كلما احتاجته الحقائق- حتى الحقائق المختلطة التي تتضمن ارتباط العقل المجرد مع جسد كثيف، وذو رائحة، وانفعاله غير مستقر، وخارج السيطرة- عاد فرويد إلى وجهة نظر نفسية جسدية للكائن الحي ككل. ولو كان متسقًا، ومصراً على علم نفس نقي من حيث إمكانية وجود مفهوم متسق للطاقة النفسية، لكان قد فقد التحليل النفسي ادعائه الأساسي لاهتمام علمي: وهذا وحده يضم حقًا كافة الحقائق بشأن الكائنات الحية، ورغباتهم السرية، وآلامهم وشهواتهم الجسدية، والطبيعة النفس جسدية الشائعة للسلوك والتفكير (هولت، 1967، ص.-153 154، التأكيد على الأصل)

ويبدو أن رؤية هولت Holt تخلط الطابع التجريدي للنموذج التنظيري مع طبيعة المجال الذي ينمذجهما، كما لو أن مجال النظرية النفسية يجب أن يكون بطريقة ما مقيداً بتفسير عمليات التفكير غير المجسمة. وإن النماذج التنظيرية تجريدية بالفعل ولكن قد تكون بخصوص أي نمط للأحداث النفسية أو الفيزيائية- بما يشمل" المختلطة" منها- وتفاعلاتهم. وفي رؤية هولت، فإن قضية العلاقات بين العقل والمخ مختلطة أيضًا بقضية التفاعل الجسدي النفسي. وإن العلاقات التنظيرية بين مستوى العقل (الأبنية النفسية) ومستوى المخ (المادة العصبية) تحتاج إلى أن تكون مميزة عن العلاقة بين العقل والجسد بمنطق أكبر، بما يعنى، علاقة الأحداث العقلية بالجسدية، والتي يمكن أن تشمل تمثلات حسية وعمليات وجدانية وحركية.

وربما نلاحظ أن النظريات النفسية والبحث النفسي قد تعامل بشكل تقليدي مع أنماط الوظائف الجسدية المدرجة في الإحساس والإدراك، وكذلك التناسق الحسي الحركي، وتفاعلاتهم مع صياغة المفهوم واللغة. ولم تُطوّر بعد النماذج التي من شأنها تفسير تفاعل الوظائف المعرفية مع الأحداث الجسدية، بما في ذلك الوجدانية، ولكن الإطار المعرفي في موضعه الصحيح لتطوير مثل هذه النظريات. وإن نمط النموذج التجريدي الذي سعى فرويد لتطويره للتحليل النفسي، والذي نسعى اليوم لتطويره في سياق العلم المعرفي، ينبغي أن يكون

نموذجًا لمعالجة المعلومات الوجدانية، لا معالجة المعلومات فقط، ويجب أن يفسر العلاقات بين الوظائف الحركية، والإدراكية، والوجدانية، وتفاعلاتهم مع اللغة والتفكير التجريدي.

ويفترض هولت أن الصياغة بُنيت على وظائف فسيولوجية عصبية ستضم تفاعل وظائف عقلية مع وظائف جسدية ووجدانية بطريقة لا يستطيع أن يفعلها نموذج نفسي. وهذا افتراض زائف. وإن تفسيرات تفاعل العمليات المعرفية والجسدية يمكن أن تكون وتحتاج لأن تكون متطورة على المستويات النفسية والفسيولوجية العصبية، وذلك، على مستوى العقل ومستوى المخ. ولذا على سبيل المثال، في الحالة السابقة، ربما نطرح سؤالنا في ضوء تأثير الاكتئاب على قابلية الإصابة بالمرض الجسدي؛ وفي الحالة التالية، ربما نرغب في فحص علاقة التغيرات في مستويات محددة للناقلات العصبية إلى آثار النظام المناعي.

وربما نشير أيضًا أننا فقط نبني نظريات لعالم العقل، لذا نحتاج أيضًا شبكات تنظيرية لنمذجة عالم المخ. وإن العمليات والعلاقات الفسيولوجية العصبية، التي تظهر في نظريات وظيفة المخ، لها في حد ذاتها حالة الأبنية ويجب أن يكون مُستدل عليها من الملاحظة في سياق إطار تنظيري. ونحن لا نلاحظ مباشرة عمل المخ السليم؛ فنحن نستدل عليه من المؤشرات التي يمكن ملاحظتها وهي وظائف لتلك العمليات. وربما تضم المؤشرات التي يمكن ملاحظتها السلوكيات أو، غالبًا جداً، قراءات في اتصالات، أو نصوص، أو إشارات إلكترونية أخرى. وإن أنماط الكتابة التي تعكس الآثار المحتملة ليست في ذاتها الآثار المحتملة؛ فنحن نستدل من أنماط الكتابة على وظيفة الدماغ. وإن الدراسات التي تستخدم التصوير المقطعي البوزيتروني (PET؛ بيترسين، فوكس، بوسنر، مينتان، راشيل، 1988) تسمح الآن بالتصوير الفوري لمناطق تدفق الدم إلى المخ أثناء انشغال العينة بمهام معينة. وحتى بمثل هذه التقنيات، مع ذلك، نحن نبقى العديد من الاستدلالات بعيدة عن إشتعال الخلايا العصبية ذاتها، وتبقى مساحات الشك في ذلك الاستدلال. وإن طريقة PET ليس لها عتبة واضحة معروفة، ولذا فإن نقص التفعيل لا يُبطل النشاط في جانب مفترض

(بوسنر وروثبارت، 1989). ويتم حساب متوسط عدد الصور المأخوذة من مسح PET من قراءات متعددة بدلاً من تمثل مسح واحد، لذا فإن المعلومات الفعلية في أي نقطة من الزمن لا يتم تخزينها.

وينبغي أن نلاحظ أيضًا أن موضوع تقنية التصوير بالرنين المغناطيسي يجب أن يرقد داخل اسطوانة معدنية، ولذا فإن علاقة العمليات الجارية في مثل هذه الظروف بالعمليات كما تظهر طبيعيًا في العالم الإتصالي يجب أن تُرى على أنها إشكالية.

وفيما وراء ذلك، نحن نتخذ خطوات استنباطية عديدة على مستوى مختلف في ربط مؤشرات الآثار المحتملة أو تباين تدفق الدم في المخ إلى محتويات عقلية محددة- تمثلات الصور والكلمات، والخبرات، والوعي، واللاوعي، التي يمكن ارتباطها به. وإن المعنى لخبرة ما لا يمكن ربطه مباشرة بقراءة معينة للآثار المحتملة، أو تدفق الدم للمخ، ولكن يجب الاستدلال عليه.

وما إن فهمنا أن مفاهيم النماذج الفسيولوجية العصبية (مثل مفاهيم كافة الأنظمة الفيزيائية، ومفاهيم النماذج النفسية) لديها وجود داخل شبكات تنظيرية رسمية، بقواعدها المنهجية والمعرّفة وروابطها الإجرائية، فإن أدوات وقواعد لعبة العلم الحديث في موضعها الصحيح، والمشكلات التقليدية للجسد والعقل، التي شغلت روبنشتاين كثيراً، تأخذ شكلاً جديداً ومُقيداً. وكما اقترحت ماندلر Mandler (1984):

إن الكثير من الصعوبة التي نشأت بواسطة التمييز بين العقل والجسد تنبع من الإخفاق في دراسة العلاقة بين النظريات العقلية والجسدية المُطورة جيداً. وعادة، يتم مناقشة العقل والجسد في ضوء التعريفات اللغوية العادية لأحدهما أو للآخر. ولأن تلك التوصيفات بعيدة عن كونها أنظمة تنظيرية مطورة جيداً، فمن المشكوك فيه ما إذا كانت مشاكل العقل والجسد كما تطورت من خلال الفلاسفة تتعلق مباشرة بالتمييز العلمي بين الأنظمة العقلية والجسدية.

وما أن تم الاتفاق على أن المشكلة العلمية للعقل والجسد تهتم بالعلاقة بين مجموعتين من النظريات، فإن الصرح يصبح تنظيري ميداني، لا ميتافيزيقي. ومع

ذلك، إذا قمنا بتقييد مناقشتنا لمشكلة العقل والجسد إلى التخمينات الغامضة والمتناقضة في كثير من الأحيان عن اللغة العادية، فعندها، كما قد أظهرت قرون من الأدبيات الفلسفية، يكون العائق غير قابل للتجنب وبلا نهاية. (ص.29)

وبالنسبة لهولت Holt (1967)، يبدو بطريقة ما أن نموذجًا نفسيًا يمكنه العمل فقط لتفسير واقع التفاعل النفسجسمي عن طريق مجاراة التضارب التنظيري. ويسمح مدخل العلم المعرفي برؤية مختلفة، وأكثر تفاؤلاً. وربما أقترح أن تضارب نموذج فرويد بالتحديد هو ما أوصلنا إلى العائق الفلسفي الذي وجدنا به أنفسنا اليوم وأدى إلى التخلي عن الأمل في نظرية علمية للعملية التحليلية النفسية من خلال العديد ممن كرسوا حياتهم المهنية لهذا الغرض. ونحتاج للتحرك نحو تماسك تنظيري في نفس الوقت الذي نقبل فيه الواقع الإكلينيكي، وإلا لن نكون قادرين على تحقيق أي منهما.

طبيعة النموذج النفسي

كان جيل Gill محقًا بشكل أساسي في الجدال بأن المفاهيم الفسيولوجية لا يمكنها تقديم مستوى تفسير كافٍ للأحداث النفسية. ومع ذلك، في رؤية الدلالة النفسية كمكافيء للعمدية أو ظاهراتية الخبرة، فيبدو أن جيل، مثل كلاين Klein(1976–1973) – لسبب غير مفهوم– يحدد نموذجًا نفسيًا لمستوى الأحداث الشعورية. وكان روبنشتاين Rubinstien يسعى لمستوى من التفسير غير المقيد بالخبرة الشعورية، ولكن لتطوير مثل هذه النظرية التفسيرية، وجد من الضروري تجاوز المجال العقلي أو النفسي إلى المجال الفسيولوجي.

إن مواقف روبنشتاين وهولت Holt، من تفضيل وجهة نظر واحدة، ومواقف جيل وكلاين، من وجهة نظر أخرى، قد يتم فهمها كانعكاس لشروط علم نفس علمي قبل مجيء الثورة المعرفية في الربع الأخير من القرن الماضي [5]. وفي حين أنه مهم كاستجابة للصيغ المبنية على علم الظاهراتية والعمدية، والتي تم طرحها بواسطة كلاين وجيل في ذلك الوقت، فإن الاعتراضات

٥ بدايات التطور المعرفي في علم النفس بدأت في السبعينات من القرن الماضي (المراجع).

بشان نموذج نفسي والتي تم إثارتها بواسطة روبنشتاين وهولت تبدو قد عفا عليها الزمن في السياق العلمي في يومنا هذا. وإن بناء نظرية نفسية لتشمل التمثلات والعمليات العقلية واللاشعورية وكذلك الشعورية هو العمل اليومي لحقل العلم المعرفي (Baars, 1986; Mandler, 1984). والنظرية التي نسعى إليها في نهاية المطاف هي شبكة، كما يصيغها Hawking، تربط المفاهيم والمقادير في النموذج- التمثلات والعمليات العقلية- ببعضها البعض وبالملاحظات التي نقوم بها. وإن حقل العلم المعرفي، والأنظمة المرتبطة به، يستخدم مدخل كل العلوم الحديثة، وقد قدم الوسائل التي بها ربما تُطوّرمثل هذه النظرية.

وفي العلم المعرفي،فإن التمثلات والعمليات العقلية- سواء كانت شعورية أو لاشعورية- تُعامل ككأبنية افتراضية مُعرّفة في ضوء مفاهيم أخرى مستدل عليها من الاحداث القابلة للملاحظة في سياق اطار تنظيري عام. وان الكيانات النفسية، المُعرّفة بهذه الطريقة، لها نفس الحالة التنظيرية مثل الجسيمات والكوراك [6]، والمادة المظلمة، والانفجار العظيم، والحياة في العصر البرونزي. وجميعها كيانات تنظيرية لا يمكن ملاحظتها بشكل مباشر ولكن يتم تعريفها بمستويات مختلفة من التوجيه من خلال اتصالها ببعضها البعض وبالأحداث القابلة للملاحظة. وإن المعاني الذاتية لها دوراً في الصرح العلمي عندما يتم اعتبارها مثل تلك الكيانات التنظيرية؛ فلا يمكن دراستهم علميًا بدون هذا الإطار. وإنها قوة الإطار التنظيري التي تمكن علم المعنى الذاتي أن يكون موجوداً، مثل التحليل النفسي.

ولو قبلنا وصف مثل هذه الشبكات التنظيرية بالمجازية، أو الثنائية الزائفة، أو نظريات منخفضة المستوى، كما يقترح Rubinstein، فينبغي علينا أيضًا إدراك أن كل علم النفس، وعلى نطاق أوسع، كل العلم الحديث، تعمل بهذه الطريقة. ووجود" الثقوب السوداء" أو مادة إضافية يُستدل عليها من قراءات السرعة أو مسار الكواكب، باستخدام صيغ محوسبة اشتُقت من نموذج

٦ الكوراك quark المكونات الافتراضية الاساسية المحتوية على الشخصية الالكترونية المكونة لثلث أو ثلثي الالكترون المكون للنواه الذرية(المراجع)

تنظيري. وبالمثل، فإن كتلة وسلوك الجسيمات يُستدل عليها من مؤشرات آثارها. وإن مثل ذلك الاستدلال أيضًا للأحداث غير القابلة للملاحظة هو الطريق الذي يبني به الأثريون المعرفة عن أزمنة الماضي البعيد.

وفي مثل هذه الشبكة، ربما يكون هناك مستويات مختلفة من الكيانات التنظيرية، والتي تعكس درجات مختلفة للاستلال من الأحداث القابلة للملاحظة (Feigl, 1956; Margenau, 1950). وبالتالي، فإن نظرية تحليلية نفسية ربما تتضمن المتغيرات المتداخلة، وهي خبرة قريبة من المفاهيم أقل مستوى- فعلى سبيل المثال، الرغبة، والشعور بالحزن، والشعور بالغضب- يُستدل عليها نسبيًا مباشرة من الملاحظات، مثل تعبير الوجه، والكلام، والفعل؛ وربما تشمل مبدأيًا أبنية افتراضية أكثر تجريدية، مثل الهو، والأنا، والأنا الأعلى، وأنظمة الشعور واللاشعور، وعمليات التفكير الأولية والثانوية. وإن نظام التكوينات الثانية والعليا ربما يمثل تفاعلات بين المستوى الأدنى والخبرة قرب المتغيرات، أو تركيبات منها. وإن الاختلاف في مستويات تجريد الابنية مُنعكس في عدد من الخطوات الاستنتاجية. وعلى نقيض موقف Rubinstein، فإن نظرية نفسية متسقة يمكنها استدخال مفاهيم نظامًا اعلى، ولكن لا يمكنها ذلك إلا بقدر ما يتم تعريفهم بشكل منهجي.

وفي بناء إطار تنظيري أو" شبكة أسمية" لهذا النوع، ينشأ التحدي العلمي في تطوير مؤشرات قابلة للملاحظة ثابتة وصادقة وقواعد استدلالية تحدد كيفية تعريف الأحداث العقلية. ويتصف العلم الناضج بنسبة عالية من المؤشرات القابلة للملاحظة بما يتناسب مع الأبنية الافتراضية والمتغيرات المتداخلة، وباتصلات محددة متعددة داخل الشبكة التنظيرية (Margenau, 1950). وتختلف النظريات النفسية (والنظريات في العلوم الاجتماعية عامة) عن نظريات العلوم الطبيعية، ليس مستواها التفسيري، في اعتمادها على تكوينات افتراضية، ولكن في مقاييسها القابلة للملاحظة وروابطها المعرفة المتطورة نسبيًا في حدها الأدنى. وفي ضوء هذه الشروط، فإن المشكلة العلمية الأساسية للميتاسيكولوجي ليست إلى حد كبير قضايا النظرية التي لم يتم تاكيدها، ولكن العمل العلمي

الفعلي لبناء واختبار الشبكات المنهجية للتعريفات وتطوير ربطهم بالملاحظات لم يتم تنفيذه أبداً.

وإن خطر نموذج نفسي ليس كونه" ثنائي،" أو" شبه ثنائي،" أو حتى" موقف مجازي،" في المصطلحات المستخدمة بواسطة Rubinstein. ويجب أن تُبنى النظرية العلمية على إطار أبنية افتراضية؛ فلا يوجد طريقة أخرى. فالخطر الحقيقي هو نوع التجسيد الجامح الذي قد تكاثر في نظرية التحليل النفسي، مع مضاعفة غير منتهية لمصطلحات تنظيرية خاوية. وفي الواقع فإن نظرية التحليل النفسي قد أُثقلت بشكل معين بعدد كبير من مصطلحات تنظيرية تجريدية للغاية، والتي لا تعد مرتبطة منهجيًا ببعضها البعض، أو بالملاحظات. وهذا، فضلاً عن استخدام المصطلحات المفاهيمية ذاتها،كميراث للدفاع عن الذات للميتاسيكولوجي.

وفي حين أن Rubinstein قد ناصر استبعاد تكوينات تنظيرية للنظام الأعلى لصالح تكوينات قابلة للملاحظة بشكل أكثر مباشرة، فنحن نقترح انها ليست خطوة ضرورية أو حتى مرغوبة. فيجب أن يكون غرضنا هو تقديم تعريفات متعددة لروابط العقد المفاهيمية للنموذج والاتصالات المتعددة للملاحظة، بدلاً من محاولة العمل دون أبنية افتراضية لأنهم عُرضة للتجسيد عندما تُستخدم بشكل خاطيء. وفي تلك المحاولة، ستظل مصطلحات النظام الأعلى التي يمكن تعريفها منهجيًا في الشبكة التنظيرية؛ بينما سيتم في النهاية إسقاط المفاهيم التي لا تتصل بشكل متسق بالعُقَد الأخرى للشبكة، أو بالملاحظة.

وبشكل متناقض، في نموذج تحليلي نفسي، ربما يكون من الأسهل قبول مفاهيم نظام الشعور الأعلى لامتلاكها حالة التكوينات الافتراضية من الناحية العلمية عن مفاهيم الشعور الأدنى- الرعب، والحب، والغضب، والخوف من الهجر، وتوقعات الهجوم، والضياع والفناء- والتي تعد خبرة قريبة جداً. وإن وصف الحالات الخبروية كتكوينات افتراضية ربما يكون أكثر قابلية للفهم إذا اهتممنا بما لدى الآخرين من قلق، وحب، وتوقعات العلاقات الشخصية بدلاً من أنفسنا. ومثل أي كيانات افتراضية أخرى، فإن الحالات الداخلية للآخرين يجب

أن تكون مستنبطة من الأحداث القابلة للملاحظة. وتلك الحاجة إلى الاستنباط تنطبق على النشاط العقلي الشعوري وكذلك غير الشعوري للآخرين. ومن ثُم، فإن الغضب أو القلق كما يتواجدان في شخص آخر يستدل عليهما من نطاق من المؤشرات الإجرائية والتي ربما تتضمن تعبيرات الوجه، والسلوكيات اللفظية والحركية، والمقاييس البيولوجية. وربما أيضًا تشمل فئة الملاحظات خبرة شعورية لشخص ما كمؤشر لخبرة شخص آخر، كما في استخدام ردود الفعل المضادة للتحويل أو أحكام التقدير لأنماط متنوعة. فنحن جميعًا نعمل بنظريات ضمنية معنية بمشاعر الأخرين في تفاعلاتنا اليومية معهم، وكلنا نستخدم أنظمة مؤشرات إجرائية مُشتقة من نظرياتنا الضمنية. وإن مدخل العلم المعرفي كما يُطبّق في هذا الكتاب بوضوح ليس لإنكار أو" لجعل المشاعر معرفية،" ولكن لإيجاد طريقة لاستدخال الوجدان، والشعور واللاشعور في نموذج علمي منهجي له القدرة على توسيع فهمنا لعملنا الإكلينيكي. وما تحاول النظرية العلمية فعله هو منهجة وتكامل أنواع الاستنباطات التي نعمل بها في نموذج عام، والتي ربما تخضع للفحص بطريقة منهجية.

ولابد أن يكون واضحًا أن المدخل المستخدم هنا يصف بالفعل المثير في ضوء دلالته النفسية، وبطريقة Gill، ولكن دون تقييد مجال الدلالة النفسية للتفكير الشعوري. وينبغي أيضًا أن نؤكد أن تقييد مصطلحات المشاعر – الحب، الكراهية، الحزن، الغضب– بتعريفاتهم المنهجية داخل شبكة تنظيرية لا يعني عدم الاهتمام بالمعنى الذاتي للخبرة اليومية ولكنه ضروري لإمكانية الدراسة العلمية لمثل هذه الخبرة على المستويين الشعوري واللاشعوري. وإن التحديد الشعوري أو اللاشعوري للغضب أو القلق في شخص آخر لا يمكن إجرائه إلا بالاستناد لنظرية عن كيفية أن تكون مثل تلك المشاعر مُعرّفة وموضحة، وهذا لا ينفي بحال أن ننكر الوجود أو المعنى للخبرة الذاتية. وربما نلاحظ أن التحديد للعمليات اللاشعورية داخل شخص ما يحتاج استنباطًا بنفس المنطق.

نموذج فرويد التنظيري:

نظرية الطاقة

إن محاولة فرويد لبناء نموذج تنظيري تجريدي للجهاز النفسي تسبق اليوم المدخل لبناء النموذج في علم النفس المعرفي. ويفهم Brenner وErdelyi مدخل فرويد بهذه الطريقة، وكلٍ منهما من منظوره المختلف تمامًا. وقد قدم Hartmann (1950) ادعاءات مماثلة لتاكيد أن النظرية البنائية تم انشاؤها في ضوء تجميعات للوظائف النفسية، وفي النهاية قابلة للتعريف من الناحية الإجرائية.

ومثل العديد من النماذج النفسية التجريدية، فقد استندت الميتاسيكولوجي على أبنية وعمليات مُشتقة من مجالات فيزيائية؛ وفي حالة نظرية الطاقة لفرويد، فقد استندت على مبادىء ميكانيكا نيوتن. وهذا المدخل لبناء نموذج يعمل إلى الحد الذي يقدم بناء المجال التفسيري حُسن مطابقة لمجالات الوجدان والعقل. وما هو حاسم ولكن أحيانًا يتم تناسيه عند تنفيذ ذلك المدخل هو أن الافتراضات التي تم إيجادها من نموذج بحاجة أن يتم اختبارها وفق شروطها الخاصة. وهذا ليس كافيًا، وفي الحقيقة ليس مرتبطًا باختبار المقدمات الأساسية للنموذج في مجالها الاصلي، كما نوقش في الفصل الأول.

وقد تم اختبار نظرية الطاقة لدرجة معينة واكتشاف الحاجة إليها في النماذج الفيزيائية والبيولوجية. ومع ذلك، فالمسألة أيضًا أن الاكتشافات في المجال البيولوجي لا تؤكد افتراضات الميتاسيكولوجي كنموذج نفسي، بالرغم من أنها يمكن أن تقودنا إلى مناقشة إمكانية تطبيق النموذج. وبالعكس، ربما أكثر صعوبة للتقبل، فإن دليل Pribram وGill (1976)، يدعم جوانب نظرية الطاقة لفرويد على مستوى بيولوجي، ولا يقدم صِدقًا لنظرية نفسية.

إن النموذج المحدد للجهاز النفسي، المطور من خلال فرويد استناداً إلى عمليات ميكانيكا نيوتن، لم يقدم التفسير الشارح المتماسك المنهجي الذي نحتاجه؛ وهذا لا يعني بأي حال من الأحوال أننا ينبغي أن نبتعد عن بناء النموذج كاستراتيجية. وكان الإخفاق الجزئي للميتاسيكولوجي على الأقل بسبب

أن ملائمة نموذج الطاقة لوظائف العقل لم تكن جيدة؛وإن الكائن البشري لا يمكن أن يكون مكونًا بشكل جيد كنوع لنسق مغلق حيث يمكن تطبيق مباديء توزيع الطاقة، كما تم افتراضها في الميتاسيكولوجي (Von Bertalanffy, 1950). وقد بدأ العلم المعرفي في مناقشة تحدي بناء شبكات تنظيرية لعمليات عقلية إلى مجالات معالجة المعلومات التي تبدو أكثر ملائمة. وإن المدخل الكلاسيكي للعلم المعرفي قد استند إلى بناء ووظيفة معالجة المعلومات في حاسوب فون نيومان Von Neumann، كما سنرى بالتفصيل في الفصل الخامس. وقد كان ذلك مصدراً مثمراً للفروض المعنية بالوظائف العقلية الإنسانية، على الرغم من أن حدوده تُدرَك الآن بدرجة متزايدة. ويتم الآن تطوير نماذج نفسية جديدة مستندة إلى شبكات عصبية في علم النفس المعرفي والتي تفسر جوانب الوظيفة العقلية التي لا يمكن للنماذج الرمزية الكلاسيكية تفسيرها. وتتضمن جوانب معالجة أو" حوسبة" مرتبطة بالعملية الأولية واللاشعور الدينامي، كتلك المفهومة بشكل تحليلي نفسي. وإن دراسة عمليات ما قبل الانتباه المتوازية والتلقائية، من بين دراسات أخرى، قد أمدت بطرق إجرائية لاستكشاف عمليات خارج الوعي. وكما يشيرروثبارت وبوسنر(1989) Posner و Rothbart ، فإن علماء النفس المعرفيون الآن" على وشك فهم أن الكثير من حياتنا العقلية يُشكّل خارج الشعور وأن تحكمنا العمدي في الأحداث العقلية يُمثل فقط جزءاً واحداً، ربما صغيراً، من العقل" (ص.451). ومن ثُم، عند تطوير نظرية نفسية منهجية للتحليل النفسي، فلسنا مقيدين بالمجال الظاهراتي أو الغرضي، كما أظهر Klein و Gill بافتراضهما، ولكن يمكننا كذلك مناقشة عمليات اللاشعور بطريقة منهجية.

الهروب من إشكالية الجسد والعقل

إن المدخل الحديث لعمل علم نفسي، والذي قد دافعنا عنه هنا يحررنا أن نحدد ونميز، عدداً مختلفًا فيما يخص أسئلة" العقل والجسد" أو الطرق التي ربما تكون مُعرّفة بها الأحداث العقلية والفسيولوجية والعلاقات بينها، بدلاً من" مشكلة العقل والجسد" المعتادة التي اهتم بها Rubinstein. وفي تطوير إطار تنظيري، نحتاج لتمييزثلاث مستويات لعلاقات تنظيرية تتضمن تكوينات للوجدان والعقل:

١. علاقات بين تكوينات عقلية ووجدانية وأحداث قابلة للملاحظة. وتتضمن علاقات المرجع والاستنباط والتفسير والتنبؤ.

٢. علاقات بين تكوينات عقلية ووجدانية، وتكوينات عصبية (العقل والمخ). وتتضمن علاقات قابلة للترجمة، والتي تُطبق بشكل مناسب، وعلاقات قابلة للتخفيض، والتي لا تُخفّض.

٣. علاقات بين تكوينات عقلية ووجدانية وتكوينات جسدية (العقل والجسد السليم). وتتضمن علاقات التفاعل والتمثل.

العلاقات بين تكوينات عقلية ووجدانية وأحداث قابلة للملاحظة

١. تشير المصطلحات التنظيرية للتحليل النفسي أو تدل على تمثلات أو عمليات عقلية أو وجدانية، والتي تُعتبر تكوينات افتراضية مُعرّفة داخل إطار تنظيري أو شبكة من القوانين العلمية.

٢. الاختلاف في تلك التكوينات والعلاقات بينها مستنبطة كوظيفة للتباين في ملاحظات محددة؛ والوظائف مستندة إلى علاقات محددة في شبكة القوانين العلمية. وفيما يخص نظرية نفسية للعقل؛ فإن الملاحظات ربما تتضمن اللغة والسلوك؛ وربما تتضمن أيضًا ملاحظات عصبية وبيولوجية؛ وربما تتضمن أحكام من خلال الملاحظين.

٣. وتفسر أو تشرح النظريات البيانات؛ والنظريات لا تشرح نظريات

أخرى، والبيانات لا تشرح نظريات. والتكوينات التنظيرية والعلاقات بينها ناجحة لدرجة أنها تفسر ملاحظات.

4. وفي ضوء تلك الشروط، نحن نقوم بتنبؤات من النظريات إلى التغيرات في الأحداث القابلة للملاحظة. وإن النماذج يمكن التأكد من صدقها أو عدم تأكيد صدقها في ضوء قدرتها على تفسير أو التنبؤ بالبيانات القابلة للملاحظة، وليس بتوافقها مع نماذج أخرى.

وإن نوع العلاقات المفاهيمية التي ناقشناها منذ قليل- المرجع أو الدلالة، والاستنباط، والتفسير، والتنبؤ- تهتم بالعلاقات بين تكوينات افتراضية وأحداث قابلة للملاحظة في إطار تنظيري لنموذج العقل. وتلك العلاقات بحاجة إلى تمييزها عن العلاقات بين مستويات نفسية وعصبية، مما يعني، بين مجموعات التكوينات الافتراضية التي تُشكِّل شبكات تنظيرية منفصلة" للعقل" و" المخ."

العلاقات بين تكوينات عقلية ووجدانية وتكوينات عصبية

في علم النفس الحديث، كما في علم الأعصاب؛ من المفترض أن يكون المخ هو عضو النشاط العقلي وأن المستويات المختلفة للعقل والمخ يجب أن تكون عامة قابلة للترجمة لبعضها البعض، رغم أن الترجمة قد تكون مرهِقة للغاية في التنفيذ عمليًا. فمستوى ميكانيكا نيوتن قابل للترجمة بشكل عام لمستوى فيزياء الجزيئات؛ والجزيئات تُكوّن جميع المواد. ومع ذلك، فإن افتراض قابلية الترجمة يحتاج أن يكون متمايزاً عن الموقف الوهمي لرؤية التكوينات العقلية مختزلة لأخرى فسيولوجية. فالمهندس سيعتمد على مبادىء ميكانيكا نيوتن، لا على ميكانيكا الكم أو فيزياء الجزيئات، لتصميم صاروخ أو جسر. ويعمل عالِم الحاسوب على مستوى البرنامج، لا المفاتيح الثنائية الأحادية التي تشكّل الأجزاء الصلبة للنظام. ويعمل مدرب التنس على مستوى تنسيق سلوك حسي وحركي، لا في ضوء الخلايا التي تشكل العضلات أو الخلايا العصبية التي تغذي الأنظمة الحسية. وفي كل هذه السياقات، فإن الشبكات الإسمية لمستوى

تنظيري واحد تقطع مجال الملاحظة بشكل مختلف عن الآخر؛ فلا يمكن اختزالها إلى بعضها البعض. ويعمل المحلل على مستوى الأنظمة المعرفية، واللغوية، والجسدية، والوجدانية في سياق العلاقات الشخصية. برغم أن كل نظام من هذه الأنظمة يفترض أن يكون له ركائز عصبية، فلم يتمكن المحلل من تأطير نماذجه النفسية في ضوء الخلايا العصبية، أي أكثر مما يمكن أن يقوم به المهندس في حساباته في ضوء الجزيئات.

وربما نلاحظ أن الإطارات التنظيرية للجهاز النفسي والركيزة العصبية ربما تفسر بعضًا من نفس البيانات التي يمكن ملاحظتها أثناء صياغة البناء التنظيري الضمني بطرق مختلفة إلى حد ما. وإن فشل التطابق في التنبؤات والاستنباطات لمثل تلك النظريات ربما يثير التساؤلات لكلٍ منها؛ وإيجاد التطابق سيقوي المواقف التنظيرية، كما سأوضح في النماذج المحددة لوظيفة عقلية على أن تُقدّم في القسمين الثاني والثالث.

ربما نلاحظ أيضًا أن العلاقة بين تكوينات العقل والمخ ربما تشمل استخدام بيانات عصبية كمؤشرات للتباين في تكوينات عقلية. وكما أن الملاحظات السلوكية قد تقدم دليلاً يُعنَى بنظريات نفسية، فإن الملاحظات العصبية ربما تقدم دليلاً من نفس نوعيتها. وعلى سبيل المثال في بحث بواسطة شيفرين وزملائه Shevrin (كما نوقش في الفصل الثالث)، فإن استجابات المخ المسجلة كهربيًا تُستخدم كمؤشرات للاحداث العقلية اللاشعورية والشعورية. وبالمثل، فإن التنشيط لقرن آمون يقدم دليلاً بشأن الفروق في وظائف الذاكرة في أنماط مختلفة لمواقف المهمة، كما سنرى في الفصل السادس.

وقد ناقش ويدلكر(1990) Widlocher موضوع العلاقة بين البيولوجيا العصبية والتحليل النفسي، بالشروط الحالية، وقد استدخل بعض التمييزات التي قد صُنّفت في وقت سابق. ويصرح أن الظرف الضروري لقابلية الترجمة كالآتي:

" إن مبدأ التوجيه هو جعل النظام المفاهيمي للتحليل النفسي متوافقًا مع نظام علم البيولوجيا العصبية... أي أن ما يعبر عن نفسه في منطقة ينبغي

أن يكون قادراً على التواجد في الأخرى" (ص.341)[7]. وفي نفس الوقت، يدرك أيضًا أن التأسيس لمثل هذا التوافق يتطلب نموذجًا نفسيًا:

ستكون نتائجنا أنه لا يمكن لأحد تأسيس توافق مباشر بين التحليل النفسي والبيولوجيا العصبية واننا نحتاج لمشغل وسيط، ونوع لمحول، للمرور من مجال لآخر. وكما فعل Kandel، على الرغم من الحجج الأخرى، فنحن نقترح أن ما يسمى بعلم النفس" المعرفي" يسمح ببناء مثل هذا المُشغل. (ص. 341)[8]

إن موقف هذا الكتاب يتفق مع Widlocher بشأن الحاجة لنموذج نفسي. ومع ذلك، ففضلاً عن إيجاد مفهوم للنموذج النفسي كمشغل وسيط بين التحليل النفسي والبيولوجيا العصبية، أقترح بان نموذج نفسي من المحتمل أن يعمل كإطار تنظيري مُوحّد يشمل المفاهيم الإكلينيكية للتحليل النفسي في متصل مع وظائف أخرى. وقد تُفهم الدراسة الكلية للمعرفة كتأليف لمجالات عديدة منفصلة للدراسة بما في ذلك الإدراك في كيفيات حسية متنوعة، والذاكرة، واللغة، والاستنتاج، وأيضًا كتاليف لقطاع تحليلي نفسي. وكما أن دراسة الإدراك تستدخل تفاعل التمثلات والوظائف العقلية مع نشاط الجهاز الحسي، فإن قطاع التحليل النفسي للمجال المعرفي سيركز على خبرة وحدانية ولاشعور يتضمن الوقاية العقلية، وتفاعله مع أحداث جسدية، وآثار التعبير اللفظي على تلك العمليات.

7Le principe qui nous guide est de render compatible le systeme notionnel de la psychanalyse avec celui de la neurobiology... Ce qui s'exprime dans un domaine doit pouvoir l'etre dans l'autre (trans.: J. Maskit).

8 Notre conclusion sera que l'on ne peut etablir de compatibilite directe entre psychanalyse et neurobiology et qu'il nous faut un operateur intermediare, une maniere de transformateur, pour passer d'un domaine a l'autre. Comme Kandel, mais avec d'autres arguments, nous poserons que la psychologie dite" cognitive" permet de construire cet operateur (trans.: J. Maskit).

ويدرك Reiser (1985) حالة الميتاسيكولوجي كنظرية نفسية، ولكن يناقش أيضًا من اجل مستوى تفسيري مستند إلى الفسيولوجيا العصبية. وكما ذهب Reiser، كان فرويد هو الذي أخذ زمام المبادرة في التخلي عن علم نفس القرن التاسع عشر، ولكنه فعل ذلك دون أن يقلع عن الأمل و" الاعتقاد" بأن علم المخ ربما يقدم في النهاية معلومات تفسيرية مفيدة وسديدة.وعلى سبيل المثال، لا أستطيع أن أتخيل أنه سيلغي أو يتغاضى عن المعلومات البيولوجية العصبية المتاحة في الوقت الراهن،وبعد مرور مائة عام. (ص.16)

وسأتفق مع موقف ريزر Reiser، باستثناء الإدعاء بأن علم المخ يقدم معلومات تفسيرية. وعلى أساس التمييزات التي قد جُعِلت هنا، يمكننا أن نرى أنها لا يمكن أن تكون حالة أن البيانات البيولوجية العصبية ستشرح مفاهيم تحليلية نفسية. وكما قد رأينا، فإن النظريات تفسر البيانات؛ والمعلومات (البيانات) لا تشرح مفاهيم تنظيرية. وإن وجهة نظر ريزر Reiser مفهومة جيداً، حيث أن الملاحظات البيولوجية العصبية المقدمة تُرى كدليل مُقدّم بدلاً من كونها تفسيراً لنموذج نفسي. وهكذا، فإن الاستنباط ربما يُصنع من بيانات بيولوجية عصبية وكذلك من بيانات سلوكية ولغوية، على تكوينات ونظريات نفسية، ومثل هذه البيانات قد تساهم في بناء واختبار النظريات النفسية، كما في عمل شيفرن Shevrin وزملائه الذي قد نوقش سابقًا. ونأمل أيضًا أن نظرية التحليل النفسي ستساهم بتفسير الملاحظات البيولوجية العصبية.

العلاقات بين تكوينات عقلية ووجدانية وتكوينات جسدية

بالإضافة إلى العلاقة بين المستويات المفاهيمية" للعقل" و" المخ،" فهناك نوعًا آخر للعلاقة بحاجة للدراسة لها حالة معرفية مختلفة بطريقة ما. وهذا يخص التفاعلات بين الوظائف العقلية والجسدية: أي المدى الذي تُوجِّه به الوظائف العقلية أو تُنظِّم الوظائف الجسدية، والمدى الذي تُمَثل فيه الأحداث داخل العقل. وهنا نحن مهتمون بتفسير آثار الرغبات، والاعتقادات، والمخاوف، والغضب على

الأنظمة الفسيولوجية؛ والتفاعل الذي عن طريقة قد يُسبب الوجدان الشعور بالصداع، والقُرح، والشلل الهستيري، وحتى كبح عمل الجهاز المناعي بمنطق أكثر عمومية؛ وأيضًا مع التساؤل عن كيفية تأثير حالتنا الجسدية على الوظائف العقلية.

وكما قد لاحظنا بالفعل، فإن مسألة التفاعل النفسي الجسدي ستحتاج للدراسة سواء كنا نتحدث عن الأحداث العقلية على مستوى النماذج النفسية أو العصبية. وإن النماذج النفسية، كما لوحظت في وقت سابق، قد ضمت عادة تفعيل الأجهزة الحسية والحركية. وكل مانضيفه هنا ضروري لتوسيع النماذج النفسية لتضم التفاعل مع الأنظمة الجسدية والحشوية أيضًا؛ وهذا ضروري بالتحديد لنموذج معالجة المعلومات الوجدانية.

ونوعٌ آخر من العلاقة بين العقل والجسد، والتي ترتبط بتفاعلهما، ولكن تختلف عنهما، هي حقيقة أن الخبرة الجسدية، بما في ذلك الخبرة الحشوية، وخبرة الإحساس بالحركة، والحركية، وكذلك الحسية، والتي ربما تكون ممثلة داخل العقل. ومثل التمثلات الحسية، فإن تلك التمثلات– الحرارة، والتغيرات التنفسية، والمشاعر الداخلية من جميع الانواع– ربما تكون شعورية أو لاشعورية. وتتطلب سمات التمثل الجسدي تعريفًا داخل نموذج نفسي، كما تتطلب تمامًا أشكال ومحتويات الكيفيات الحسية المتنوعة. وفي النماذج النفسية، فإن العوامل التي تؤثر على الإدراك قد فُصّلت على نطاق واسع للكيفيات المرئية وبمدى أقل للكيفيات السمعية. وإن السيكوفسيولوجي والأشكال الأخرى لبحوث الادراك في تلك الكيفيات هي مجالات بحث تقليدية في علم النفس التجريبي. وهناك الآن أيضًا بداية لوجود سيكولوجية لحاسة الشم، كما سيُناقش في الفصل السابع. وإن سيكولوجية الخبرة الجسدية أو الحشوية ربما تُطوَّر بهذه الطريقة تحديداً.

خلاصات: ما هو نوع النظرية التي نحتاج إليها ؟

هناك حاجة لنظرية جديدة قادرة على تفسير عمليات العقل والوجدان، وتفاعل العقل والجسد، والتي يهتم بها التحليل النفسي بصورة أساسية. وإن مفهوم" العقل" بما في ذلك الأحداث الشعورية واللاشعورية، قد تم صياغته في ضوء تكوينات افتراضية محددة بالعلاقة مع الملاحظات وتكوينات أخرى داخل الإطار التنظيري لشبكة إسمية. وربما يقال أن" العقل" قد تحرك (تخلص) من النطاق الفلسفي لنطاق الخطاب العلمي بتلك الوسيلة. كما تم أيضًا تمييز نمطين لعلاقة العقل بالجسد: العلاقة بين العقل والمخ، والركيزة العصبية؛ والعلاقة بين العقل والمدى الشامل للأحداث الجسدية. وقد تم تمييز أنماط فرعية للعلاقات داخل كل تصنيف من هذه التصنيفات.

إن موقف هذا الكتاب هو أن مفهوم فرويد العام لجهاز نفسي تجريدي يظل له صداه، بالرغم من أنه قد فشلت الميتاسيكولوجي. وليس من الضروري رفض غرض فرويد لتطوير نظرية شارحة للجهاز العقلي لأن المحاولة الأولى لم تنجح. وإن نظرية إكلينيكية ليست كافية كنموذج تفسيري عام؛ وهناك حاجة إلى إطار تنظيري شامل لتقديم تعريفات لمفاهيم إكلينيكية. وإن مجموعة متنوعة من الافتراضات الإكلينيكية البديلة والتي يتم افتراضها اليوم يمكن فقط أن تكون مُصاغة في شكل متماسك وقابل للاختبار، وتتمايز منهجيًا عن بعضها البعض ضمن إطار تنظيري متسق. وفي حين أن النظرية النفسية المطلوبة يجب أن تكون قابلة للترجمة إلى مصطلحات عصبية فسيولوجية، وهي لا يمكن تخفيضها إلى ذلك المستوى ، ولكنها يجب أن تنمي مفاهيمها الخاصة وتعريفاتها الخاصة على المستوى النفسي.

لم يتم تطوير نظرية حتى الآن في علم النفس المعرفي يمكن أن تمد بالتفسير الذي نحتاجه للتحليل النفسي ، تفسير للكائن البشري كشفرة متعددة لمعالج المعلومات الوجدانية ، بأساس قوي وتكامل مشترك بين الأنظمة . وفي الفصول اللاحقة سوف أطور مثل تلك النظرية المبنية على البحث الحالي في

علم النفس المعرفي ، ونظرية الوجدان ، ونظريات النمو المعرفي والوجداني . وسوف أُظهر بعد ذلك كيف يمكن لنظرية الشفرة المتعددة تقديم إطار لتطوير تعريفات ثابتة للمفاهيم والعمليات الأساسية للتحليل النفسي وتقديم أساس للبحث التطبيقي . وأتوقع أيضاً أن بعض الأفكار في هذا النموذج ، الموجهة بواسطة استبصارات التحليل النفسي ، والقابلة للاختبار في موقف التحليل النفسي ، قد تؤتى نتائجها لتؤثر على حقل علم النفس المعرفي .

وكما يدرك اليوم العلماء المعرفيون ، فإن التحدي بالنسبة للحقل لا يكمن في تحديد الحالة الوجودية للأحداث العقلية (أو الوجدانية) وإن التساؤلات الوجودية ، حالة مجالات الوجدان والعقل ، قد تم حلها الآن ، بطرق واقعية ، في الحقول الشائعة لعلم النفس كما في العلوم الفيزيائية . وقد تحول علماء النفس بتركيزهم من الميتافيزيتا لمبحث الوجود إلى واقعية مبحث المعرفة ـ والسؤال عن كيفية معرفتنا لهذه المجالات ـ وقد حققوا قراراً يسمح لنا القيام بعملنا العلمي . ونستطيع الأن إعطاء رؤية أكثر تفاؤلاً بشأن إمكانية بناء نموذج نفسي متماسك ليفسر " العواطف والعوامل القوية للحياة الحقيقية " عما قد يتناوله كلاين وروبنشتاين وهولت Klein , Rubinstein , Holt أو جيل Gill في السياق المحدد لسيكولوجيات السلوك لعصرهم .

القسم الثاني
عناصر نظرية الشفرة المتعددة :
البحث الحالي

كما رأينا ، فإن نظرية فرويد أكدت على عمل كيفيتين مختلفين من التفكير: العملية الأولية ، والتي تعد نسق تشغيل اللاشعور أو الهو وترتبط بالوظائف غير اللفظية ؛ والعملية الثانوية ، وهي نسق التفكير الشعوري أو الأنا ، وترتبط بالأشكال اللفظية . وأكدت نظرية فرويد أيضاً على دور التعبير اللفظي في التنظيم والتغير النفسي . والاكتشاف الهام أن الحديث والتحدث يمكنه شفاء الأمراض الوجدانية وحتى الجسدية يُدرَك الأن على نطاق واسع ، وحتى يتجاوز التحليل النفسي . ومع ذلك ، فإن ميتاسيكولوجي فرويد ، والتي تجذرت في المفاهيم الحيوية ، لا تساعدنا في فهم تلك الآثار المتفاعلة من الناحية النفسية .

وإن نموذج الشفرة المزدوجة (Bucci , 1985) كان أول محاولة لتطبيق مفاهيم العلم المعرفي الحديث لتطوير نظرية نفسية عامة لعملية التحليل النفسي . وقد توسع حقل العلم المعرفي بصورة مضاعفة منذ كتابة ورقة البحث هذه . ورؤية أن نظام معالجة المعلومات البشري يتم بتمثلات وعمليات متعددة ومختلفة مقبولة الآن بصورة أكبر بكثير مما كانت عليه منذ عقد مضى. والخلافات المركزية الآن تهتم في المقام الأول بوصف الكيفيات المختلفة للتمثل ، أُسس اختلافهم ، والمستوى الذي يحدث الاختلاف عنده . كما بدأ البحث الجديد في مناقشة مسألة دمج الوجدان في نظام معالجة المعلومات البشري و فحص جذور هذه العمليات في نمو معرفي ووجداني ، والآثار للعالم التفاعلي. ونحن الآن في وضع يسمح لنا بصياغة نموذج أكثر شمولية ودقة للعقل والوجدان ، كما يتم تطبيق ذلك على التطور العام لأساليب المعالجة التكيفية وعلى انهيارهم في علم الأمراض ، وعلى أساليب الإصلاح في عملية التحليل النفسي ، أكثر مما كان ممكنا منذ عقد مضى .

وفي هذا القسم ، أُلخص البحث الأساسي الذي قد ساهم في صياغتنا لنظرية الشفرة المتعددة . وأبدأ بمناقشة نماذج لأبنية العقل ، والتكوينات الافتراضية الثابتة التي طُرحت لتفسير معالجة المعلومات والذاكرة الإنسانية. ثم انتقل بعد ذلك إلى قضايا الوظائف المتعددة التي يجب على معالجة المعلومات والذاكرة خدمتها ، بما في ذلك وظائف محددة لكيفيات حسية معينة ، ثم بعد ذلك لعلاقة الوجدان والمعرفة ، كما تتطور لدى الأطفال وتستمر في حياة الكبار . وسأغطي أيضاً دليل فسيولوجي عصبي مرتبط بنموذجنا النفسي الجديد .

وفي الجوهر ، ما سأفعله في هذا القسم هو البدء في التكوين الأساسي لشبكة قوانين العلاقات التي يمكن بداخلها تحديد العمليات والتمثلات الضمنية ـ الأبنية الافتراضية ـ التي تُكَون نظرية الشفرة المتعددة . وهذا القسم يطور الأبنية التي سيتم استخدامها في نظرية الشفرة المتعددة. وفي القسم التالي ، يمكنني إذاً الانتقال إلى صياغة نظرية الشفرة المتعددة وإلى تفسير شفرة متعددة للمرض وإصلاحه في عملية العلاج .

الفصل الخامس

بناء المعرفة

معالجة رمزية ورمزية فرعية

إن " بناء " المعرفة يشير إلى الأبنية العامة التي تتضمن معالجة المعلومات البشرية. وإن البناء الرمزي ، حتى الآن ، مقبولٌ بشكل عام كبناء مهيمن ، إن لم يكن فقط مدخلاً ممكناً في الذكاء الاصطناعي والعلم المعرفي . وفي الآونة الأخيرة ، تم طرح نماذج مبنية على أنوا ع متناقضة من الأبنية ، والتي قد تم وصفها بشكل مختلف أنها نماذج رمزية فرعية و ارتباطية ، أو نماذج معالجة متوازية Parallel distributed Processing (PDP).

البناء الرمزي

وفقاً للمدخل الرمزي الكلاسيكي ، فإن الكائنات الذكية أنظمة رموز تعمل على تمثلات لها شكل الشفرات الرمزية . وإن الطبقتين الرئيسيتين للكائنات الذكية هما الكائنات البشرية والحواسيب . وإن مفهوم الرمز وعملية الترميز معرفان هنا بالمعنى العام لمعالجة المعلومات (Fodor&Pylyshyn, 1988). والرموز هي كيانات تشير لكيانات أخرى ولها القدرة على الاندماج بطرق محكومة بقواعد ، ولذا فإن مجموعة لا نهائية من وحدات ذات معنى يمكن انشائها من مجموعة محدودة من العناصر. وقد تكون الرموز صوراً أو كلمات ؛ فالرموز بالمعنى النفسي التحليلي تشكل مجموعة فرعية لها .

إن البناء الرمزي الكلاسيكي يتبع التصميم العام لحاسوب فون نيومان von Neumann . وهذا يتضمن إصداراً معيناً للأنوا ع التالية من وحدات المعالجة :

١-ذكريات مؤقته، وهي ذكريات مختصرة محددة الكيفية متصلة بالاعضاء الحسية .

٢-ذاكرة قصيرة المدى ، مع قاعدة بيانات سريعة وقدرة محدودة ، والتي تعمل بتركيز عمدي وتخدم المدخل إلى مخزن الذاكرة طويلة المدى .

٣-ذاكرة طويلة المدى ، مع وقت وصول أطول ، وليست ضمن التركيز

العمدي ، ولها قدرة افتراضية غير محدودة.

٤-أبنية تحكم لمراقبة تشغيل وتكامل وحدات المعالجة تلك.

إن ذاكرات الحماية ، والتي تتكون من عناصر بكيفية محددة تتصل بأعضاء حسية مختلفة ، هي بالضرورة متعددة في الشكل . وهناك أيضاً اتفاق عام في علم معرفي فيما يخص تشغيل قنوات المعالجة المتعددة ضمن الذاكرة قصيرة المدى ، بالاضافة إلى آليات معينة لمعالجة اللغة والصورة. والخلاف بشأن شكل التشفير ، بين الأنماط المختلفة لنظريات الشفرة الواحدة ، بما فيها الهيمنة اللفظية أو الإدراكية ، ونظريات الشفرة المزدوجة أو المتعددة ، ونماذج الشفرة العامة، تهتم بمكون التصميم الرمزي لذاكرة المدى الطويل.

نظرية الهيمنة اللفظية : الآن وبعد ذلك

إن نظريات الهيمنة اللفظية أو التوسط اللفظي تَعتَبِر التفكير مشفر في شكل لفظي ؛ وفي بعض الأمثلة ، يُعد هذا بحث تطبيقي يسمح للتجربة ؛ وفي أمثلة أخرى ، يُعد موقف تنظيري حقيقي . وقد كانت نماذج التعلم والسلوك اللفظي سائدة في دراسة المعرفة البشرية منذ وقت واطسون (1913) Waston وحتى الثورة المعرفية للستينيات (1960) . وفي أشكال عديدة لهذا النموذج الارشادي ، كانت اللغة ينظر إليها أنها تحدد ، تتوسط ، أو حتى تُكون الفكر . وإن النسبية الثقافية لـهورف (Whorf(1950 , 1964 ، وبطريقة مختلفة ، موقف التوسط اللفظي لـفيجوتسكي (1934) Vygotsky يعكس وجهة النظر هذه وبشكل تقديري ، فقد كان موقف التوسط اللفظي مؤثراً بعمق في علم النفس والفلسفة ، بالإضافة إلى نظرية التحليل النفسي ، كما فُحِصَ في القسم الأول لهذا الكتاب وكما نوقش في قسم أخر (Bucci ,1985) .

وإن نظرية تشومسكي (Chomsky(1957,1965 ، مع صياغتها لأبنية نحوية تجريدية وعميقة ، ربما توصف أنها نسخة حالية أكثر تطوراً لنظرية الهيمنة اللفظية . ووفقاً لـ تشومسكي ، فإن القدرة على اكتساب اللغة واستخدامها هي أنواع محددة وفطرية ،مع خططها النمائي الخاص ، والذي

يختلف عن جوانب أخرى للنمو المعرفي وفي حين أن تفاصيل تعلم اللغة مدفوعة بيئياً بالضرورة ، لأن الأطفال يتعلمون اللغة المحلية المعينة للبلد التي ولدوا فيها ، فإن تشومسكي يفترض بأن هناك عموميات لقواعد اللغة المشتركة بين كل اللغات والتي تعكس البناء الفطري للمخ البشري .

وأغلب العلماء المعرفيون اليوم يقبلون رؤية اللغة كوظيفة بشرية بالتحديد والتي ظهرت في وقت متأخر نسبياً على حد سواء على أساس نسبي نشوئي وتطوري ويتم تعلمها عملياً من قبل كافة البشر ، بغض النظر عن المستوى الفكري ، لا عن طريق أنواع أخرى. وفي حين أن الرئيسيات غير البشرية يظهرون قدرة معقولة على حل مشكلة وبعض السلوكيات باستخدام الإشارة ، إلا أن هناك اختلافات كبيرة في مستوى مثل تلك السلوكيات التي يمكن اكتسابها عن طريق البشر والقردة ، واختلافات كبيرة في سياقات الاكتساب الضرورية . بينما الرئيسيات على خلاف البشر فهم يتطلبون تكراراً طويلاً وكثيفاً لاكتساب مستوى القدرة على استخدام الاشارة والتي تُعد أقل بكثير عن تلك المكتسبة دون تمرين مُكثف من قبل البالغين المتخلفين من البشر. وإن المحاولات الكثيرة لتعليم جوانب اللغة البشرية (Gardner&Gardner,1969; premack&premack1983) قد كانت ، في الحقيقة ، لها الأثر العكسي في تدعم طبيعة اللغة الخاصة بكل نوع (Pinkes,1989) .

وعلى الجانب الأخر ، هناك تأييد أقل عمومية لموقف تشومسكي القوي بشأن نمطية اللغة ، وعمل العموميات اللغوية الفطرية ، وأيضاً تأييداً أقل لدور الأشكال اللغوية في تحديد أو توسط التفكير . وإن العديد من العلماء المعرفيون اليوم ، الذين يمثلون نطاقا واسعا من المداخل ، يناقشون بأن اللغة التواصلية تنشأ من تطبيق القدرات المعرفية العامة على وظيفة التواصل عبر القنوات الصوتية والسمعية (Simon & Kaplan , 1989 ; Anderson, 1983; Minsky, 1975) . والتأكيد على التوسط اللغوي يُخفض أيضاً عن طريق التعرف العام لأشكال التفكير غير اللغوية والمعقدة في البالغين العاديين ، وكما سيُناقَش ، وعن طريق وجود عمليات التفكير المعقدة للأطفال فيما قبل اللغة

والحيوانات غير البشرية ، كما في الأشخاص الصم الذين يفتقرون إلى أي شكل من أشكال اللغة ، واعتمادا على خطوط متنوعة للفحص فإن هناك اليوم تأييداً أقل داخل العلم المعرفي للأشكال اللغوية أنها تقدم بناء تقديريا حيث بها يتم تخزين المعرفة .

نظريات التصور : التنظيم النموذجي في النظام الادراكي

إن الخلاف الأساسي بشأن الأشكال التصورية مقابل اللغوية على أنها تتضمن تَمَثُّل المعرفة في العقل هو خلاف قديم في علم النفس التجريبي . وكانت دراسة التصور مركزية في الاستبطانية والترابطية , Titchener) (1910; Wundt, 1912 ، على الرغم أن الطرق المنهجية لتعريفها الإجرائي ودراستها التطبيقية لم تُطور بعد ، ومع تقدم النظرية السلوكية والسلوكية الجديدة (Hull,1943) ، تم استبعاد التصور باعتباره غير قابل للفحص العلمي وليس له دور في النظرية العلمية. وظلت دراسة التصور بعيدة عن الدعم العلمي حتى بحث بيفيو وآخرون Pavio في بداية الستينيات وفي المدخل المعرفي الحالي لا يتم تعريف " التصور" بشكل عام أنها تمثلات عقلية مؤقته يتم انشائها على أساس معلومات مُخزنة في الذاكرة لا عن طريق خبرة إدراكية مباشرة ، مستمرة ، ولكنها تعادل بشكل أساسي النشاط الإدراكي في أي كيفية مفترضة (Pavio,1986 ; Kosslyn,1987) .

ويتمثل الموقف الحديث للهيمنة الإدراكية عن كثب من خلال العمل الأخير الذي يوضح التنظيم الفئوي القائم على خصائص النظام الإدراكي نفسه ، دون وساطة من قبل اللغة . وفي العديد من الدراسات ، بناءاً على عمل بيرلن وكاي Berlin and Kay(1969) فقد أظهرت روش Rosch (1975) أن فئات اللون مُعالَجَة من حيث ذلك التنظيم النموذجي ، بما يعكس البناء الداخلي لمجال الألوان . وقد وُجِدَت التنظيمات النموذجية في الدراسات التي يتم بها مقارنة أشكال الموضوعات. وكان التنظيم النموذجي هو المستوى الأكثر شمولا حيث شكل متوسط لموضوع ، مكون بواسطة رسم خطوط لأشكال طبيعية ومتراكبة.

وقد افترضت روش Rosch أيضاً أن المفهوم العام للبناء الادراكي الداخلي ، والذي قد تم تخصيصه مسبقاً لمجالات إدراكية طبيعية فقط مثل اللون والشكل ، وكان قابلاً للتطبيق أيضاً للموضوعات التي ليس لتصنيفها أساس إدراكي واضح وفي تجربة واحدة ، وجدت روش أن الموضوعات النموذجية هي أكثر الفئات العامة التي لها أنماط مشتركة من متواليات الحركة.

وبناءاً على نتائجها ، فقد أقترحت روش أن الموضوعات الأساسية ربما تكون الفئات الأكثر شمولا التي يمكن أن تكون صورة عقلية لها مشابهة لمظهر أعضاء النوع ككل . وكلما كان الموضوع أكثر نموذجية لنوع ، كلما زادت تشاركية صفات ذلك النوع . والوظائف ، النزعات الحركية ، والصفات الادراكية ، والصورة البصرية جميعها تقود إلى نفس المستوى الأساسي للتصنيف . وكما هو متوقع ، فهي أيضاً التصنيفات الأولى للموضوعات الحسية المسماه من قبل الاطفال. وبالتالي ، يميز الاطفال "كلب" أو "بقرة" قبل "حيوان" ، منضدة قبل "أثاث" ، تفاح قبل " فاكهة " وعلى الارجح تتمثل تصنيفات المفاهيم الاساسية عن طريق "أفضل الأمثلة " (بدلاً من نوع معين من المتوسط الاحصائي) .

وإن طريقة بديلة لتمثل التصنيفات العامة كالصور ستكون مجموعة من الأمثلة على سبيل المثال ، مجموعة من أنواع مختلفة من الفواكه في وعاء . والاستنتاجات العامة التي توصلت لها روش على أساس بحثها هي أن الأشياء المادية للعالم مُصنفة في فئات مبنية على حدوث مشترك لعزو وظيفة أو شكل . وقد اقترحت روش أيضاً أن تحليلها من حيث النماذج والفئات الأساسية ينطبق على تنظيم تدفق الخبرة من ناحية الأحداث وكذلك بالإضافة إلى تطابق الفئات الأساسية للأشياء فعندما يُطلب من موضوعات البحث وصف أحداث نموذجية ، هناك توافق معقول بالنسبة لنوع الوحدة التي يتم بها تجزئة الحدث ، وهذه الأحداث تنطوي في الغالب على تفاعلات على مستوى الموضوع الأساسي . وعلاوة على ذلك ، فإن حدود الحدث تميل إلى تحديدها بواسطة عوامل مثل " تغييرات المشاركين مع الأنا ، وتغيرات في الأشياء التي يتفاعل معها الأنا ، وتغيرات في المكان ، وتغيرات في نوع أو معدل النشاط مع الموضوع ، وعن طريق

فجوات ملحوظة في الوقت بين حدثين تم تقريرهما (Rosch,1978,p.44) وهذا يتطابق مع اكتشاف دود وبوتشي (Dodd and Bucci (1997 أن الوحدات السردية عُلمت بعبارات الوقت ، والمكان ، والشخص الذي وضع المشهد وقدم وصفا يرتبط بفرد ما ، وهذا يتطابق أيضاً مع الصياغة ، التي ستُقدم في الفصل الثاني عشر ، بأن أبنية الوجدان منظمة كمشاهد نموذجية مخزنة في الذاكرة ، مبنية على الأحداث المكررة لحياة شخص ـ الأحداث التي محتواها وتنظيمها التسلسلي متماثل في الوظيفة والنموذج .

نماذج الشفرة المزدوجة والمتعددة

إن بحث روش الذي يوضح تنظيما مستقلا في النظام غير اللفظي الأولَي والمستقل عن اللغة قد وُصف بكونه مُدَعِماً لنظرية هيمنة إدراكية . ومع ذلك ، فهذه الرؤية متوافقة أيضاً مع نظرية الشفرة المزدوجة (Pavio,1971, 1986 , Bucci, 1985) ، وكذلك نظرية الشفرة المتعددة الجديدة المُقدمة في هذا الكتاب . وبالتالي ، فإن أشكال المعالجة الادراكية ، والمعالجة اللفظية ، قد تُعتبر محتويات لنموذج يستدخل أنواعاً عديدة مختلفة من الشفرات ، بدلاً من أن يكون هناك شكل واحد أساسي أو مهيمناً تُمثل فيه بالضرورة كافة المعلومات . وإن التشفير المزدوج يفترض قنوات معالجة لفظية وغير لفظية منفصلة بدلاً من سيطرة شفرة واحدة .

ونظرية الشفرة المزدوجة ، كما صِيغَت بواسطة بيفيو Pavio ، ركزت في المقام الأول على الصورة البصرية داخل النظام غير اللفظي . ونظرية الشفرة المتعددة الجديدة التي هي محور هذا الكتاب والتي سَتُقدم بالتفصيل في القسم الثالث ، تستدخل تمثلات وعمليات بجميع الكيفيات الحسية ، بالإضافة إلى معلومات حركية وحشوية ، كما تساهم في نظام معالجة المعلومات البشرية . وتلك النماذج التمثلية المختلفة تعمل على مستوى الذاكرة طويلة المدى أو اللفظية التي يتم بها تعيين المعنى ، وليس فقط في الذاكرة قصيرة المدى أو الذاكرة المؤقتة. وإن المعنى النفسي لحدث خارجي ، مثير لفظي أو إدراكي ، مُعرف

بواسطة المجموعة الكاملة من كيفيات ردود الفعل اللفظية وغير اللفظية المحددة طبقا لنموذج ما والتي عادة ما تحدث ، وقد تتضمن مترادفات الكلمة ، وصور الموضوعات ، وردود أفعال حركية غير لفظية ، وردود أفعال وجدانية. وقد راجعت بوتشي Bucci (1985) جانباً كبيراً من الدليل لدعم التشفير المزدوج ؛ وسيتم تقديم دليل تجريبي إضافي بشأن التشفير المتعدد في هذا القسم من الكتاب .

نظريات الشفرة العامة

إن الجدال الراهن بشأن تشفير النماذج داخل حقل العلم المعرفي يُظهر المعارضة الأساسية بشأن نظرية شفرة مزدوجة أو متعددة من نموذج الشفرة العامة بدلا من نظريات الهيمنة الإدراكية أو اللفظية لشفرة واحدة. وإن النموذج الرمزي الكلاسيكي أكثر إرتباطاً بشفرة عامة تجريدية أو مدخل افتراضي. ووفقاً لنظريات الشفرة العامة ، هناك شفرة تقديرية تجريدية واحدة ، وهو أمر شائع لكل معالجة المعلومات ، داخل جميع الكيفيات الحسية ، والتي يكمن وراءها معالجة لفظية وكذلك غير لفظية . وبينما الذاكرة قصيرة المدى أو الذاكرة المؤقتة قد تحتوي على أنظمة متخصصة للغة والصور ، فإن مدخل الشفرة العامة يفترض مجموعة واحدة من الآليات المشتركة المستخدمة لكل أشكال التفكير - وإن نظاماً واحداً موحداً من الدلالات تتشاركه كل النظم الفرعية التي تتعامل مع المعاني . ونفس النظام يفسر مهمة المعنى لتعبيرات اللغة العادية ، والمنطق الشكلي ، ونظام الأعداد ، وأيضاً يفسر وظائف غير لفظية مثل الصور. وهذه الشفرة الشائعة أساسية للترجمة بين مدخلات معلوماتية إفتراضية ومدخلات شبيهة بالصور .

وقد تم افتراض عدة أنوا ع مختلفة لنظريات شفرة تجريدية . وطبقاً لمدخل واحد مهيمن ، فإن المعرفة مُشفرة بواسطة نظام شفرات رمزية يتم بناؤها مثل اللغة إلى حد كبير (كما في الحساب المنطقي) ؛ وبالتالي ، سيتم تمثل المعلومات على شكل افتراضات أو شبكات من الافتراضات Simon ; Pylyshn,1973)

&Kaplan,1989;Fodor&pylyshn,1988) وقد تُخزن الافتراضات أيضاً في الذاكرة بأشكال مختلفة ، وعلى سبيل المثال ، كسلاسل تشبه جُمل اللغة الطبيعية ، في تدوين حساب التفاضل والتكامل ، أو لمكونات الشبكات.

وهناك أيضاً نظريات شفرة عامة مبنية على أشكال تقديرية غير لغوية . وهذه النظريات تتضمن نماذج يُنظر فيها إلى معالجة المعلومات على أنها عملية بحث أيقوني Heuristic لحل المشكلات ، باستخدام تمثلات قد تكون شبيهة بالصور وهذا يصيغ مجال المشكلة من نواحي محددة . وقد تخزن الصور في الذاكرة في شكل تصويري أو بياني ، أو كنقاط مصفوفة ، أو أبنية تشبه العقد مستدخلة في شبكات (Simon&Kaplan,1989) .

وطبقاً لنسخة جونسون – ليارد (1989) Johnson–Laird لمنهج شفرة مشتركة ، فإن التبرير مبني على نماذج عقلية تعادل رموز داخلية وتمثل المرجع للخطاب اللفظي ؛ فهي تمثلات داخلية للموقف الذي يصفه الخطاب . وبالتالي، في حين أن جونسون –ليارد يقبل المدخل الأساسي للشفرة المشتركة ، فقد توسع في ذلك إلى صياغة لنماذج عقلية تدمج معلومات الحواس مع معرفة عامة، مما يقدم تمثلات متماثلة أو متطابقة مع بنية الموقف الذي يتم تمثله ، عوضاً عن وصف تجريدي له.

وفي تلك الحالات ، فإن الطبيعة الخاصة للمحتوى ستحدد العلاقات المُعبر عنها المنطق الذي يتم تنفيذه ؛ وليس القواعد الشكلية للمرجع . وقد يُنظر إلى نموذج جونسون – ليارد كنوع من نظرية الشفرة العامة الهجينة (أو ربما نموذج افتراضي لشفرة متعددة) والذي يتضمن مكونات متماسكة ومحتوى– حساس، وتجريدي أيضا وبناء محدد المكونات.

الدليل على الشِفرة المزدوجة أو المتعددة
مقابل نظريات الشفرة العامة

إن عملية تمايز الصيغ الصورية واللغوية يتم أخذها في الاعتبار في مراحل معالجة مدخلات المثير والذاكرة قصيرة المدى ، حتى من قبل منظرو الشفرة المشتركة . وكما يشير كابلان و سيمون (Kaplan and Simon(1989 ، فالجنس البشري لديهم أو يكتسبون القدرة على التمييز بين الأصوات في لغتهم الأصلية ، وإدراك حدود الكلمة ، وبناء الجمل في لغتهم . ولديهم أيضاً أو يجب أن يكتسبوا القدرة على " التمييز بين صفات المثيرات المعروضة بصريا، وإدراك أنواع الموضوعات المألوفة ، واكتشاف وإدراك العلاقة بين الموضوعات في مشهد مرئي " (p.16) والأنواع الأخرى ، وبدون لغة ، ومع ذلك تعطي دليلا لمعرفة الموضوعات وعلاقتها ، ووظيفتها في عالم يتطلب مثل تلك المعرفة . " ويبدو نموذجا فاشلا ، حتى بعيداً عن الدليل الميداني لمواقع المخ ، لنفترض أن هناك آليات متخصصة لمعالجة الرسائل اللغوية ، من ناحية ، والمثير المرئي من ناحية أخرى " (p.16) .

إن الخلاف الرئيسي ، كما قد قلنا ، بشأن وجود نظام تمثلي منفصل على مستوى الذاكرة طويلة المدى التي يتم بها تخزين المعرفة واشتقاق المعنى. وقد تم تطوير نطاق واسع من الدليل يدعم تمثل الشِفرة المتعددة بدلا من الشفرة العامة على مستوى الذاكرة طويلة المدى . وإن سطراً واحداً عن الدليل ، والذي طور بواسطة بيفيو وزملائه بُنى على أن الشفرة المزدوجة تفترض نظاما للصور غير اللفظية ، والذي يرتبط بخبرة إدراكية ، من المرجح أن يتم تنشيطه بواسطة الموضوعات والأحداث الواقعية ؛ وأن النظام اللفظي يهيمن في المهام التجريدية والشكلية . وارتباطا بذلك فإن الاتصالات المرجعية ، في كلا الجهتين ، بين الكلمات و والموضوعات المرجعية أكثر نشاطاً ومباشرةً للكلمات المادية والكيانات التي تشير إليها وأقل مباشرة للمفاهيم التجريدية والأشياء ، وبالتالي ، من المتوقع أن تكون أوقات رد الفعل لإثارة الصور أسرع بالنسبة للكلمات المادية عن الكلمات التجريدية. وقد تم تأييد هذه الفروض في دراسات عديدة . وعلاوة

على ذلك فقد تبين أن الكلمات الواقعية تُسهل عملية التعلم والذاكرة في نطاق واسع من المهام (Pavio,1966) .

وهناك مقدمة رئيسية أخرى لصياغات الشفرة المزدوجة أو المتعددة وهي أن الصور من الناحية الوظيفية والبنائية تشبه الإدراك في كل كيفية وتستخدم على الأقل أجزاء من نفس نظم المعالجة . وقد أظهر نطاق واسع من دراسات الصور البصرية تأثيرات معادلة للتشريطات التخيلية في تيسير التعلم والاستدعاء . ويتم تعلم الكلمات المادية بطريقة مشابهة جداً لطريقة عرض صور الموضوعات المصممة بواسطة الكلمات ، وتعليمات لخلق صور بصرية لتلك الموضوعات (Denis,1975) . وقد وُجدت نفس النتائج بالنسبة للذاكرة بشأن العبارات التي تصف الأفعال (Engelkamp,1986) ومواضع الحروف في مصفوفة (Peteson,1975).

وفي دراسة بواسطة رايزر وبول وكوسلين (1978) Ball and Kosslyn Reiser ، طُلب من عينة دراسة خريطة لجزيرة خيالية ثم طُلب منهم تقدير المسافات بين مواقع معينة من الذاكرة . وكان وقت رد الفعل أطول بالنسبة لموقعين لزوجين من المواقع التي كانت في الواقع بعيدة عن بعضها على الخريطة ، بما يشير إلى أن الخريطة العقلية تعمل كالخريطة الحقيقية المدركة ، وأن العينة كانت تقوم بمسح عقلي من شئ لآخر .

وفي سلسلة من الدراسات التي تقارن الوظائف البصرية في الإدراك والصور ، فقد أظهرشيبرد وزملائه Shepard أيضاً أن الصور قد تُعالج بواسطة آليات تشبه تلك التي تنطبق على المبادئ وبنتائج مشابهة . وقدم شيبرد وميتزلر (Shepard and metzler(1971 رسومات لثلاث أزواج من الموضوعات ثلاثية الأبعاد في توجهات مختلفة وطلبوا من عينة التحليل تحديد ما إذا كان شكلان لزوج يمثلان أشكالا متشابهة أو مختلفة . وبالنسبة للموضوعات المتطابقة ، كان الوقت المستغرق لاتخاذ القرار متناسب مع اختلاف زواياهم ؛ وقد كُررت نفس النتائج في عدة دراسات مع نطاق واسع من المثيرات. وفقاً لـ شيبرد ومساعديه (Shepard,1975; Shepard&coop,1982) ، وتشير

النتائج إلى أن العينة تنفذ عملية تدويرعقلي لاستحضار الصورتين إلى اتحاد ، و زوايا التدوير الأكبر تتطلب افتراضيا وقتا أكثر للمعالجة.

وعلى نقيض الجانب الكبير من الدليل الذي قد طور تأييداً للتشفير المزدوج، فإن البحث التجريبي المؤيد لنظريات الشفرة المشتركة ضعيف إلى حد ما . وقد توصلت عدة دراسات أن العينة غير قادرة على تذكر ما إذا رأوا جملة معينة أو رسمة بسيطة تعبر عن نفس المعنى ، وعينة ثنائية اللغة غير قادرة في كثير من الأحيان على تذكر ما إذا كانت الجملة التي رأوها بالفرنسية أم الانجليزية (Bransford & Franks,1971; Rosenberg&Simon 1977) . ومع ذلك، فإن النتائج في نموذج البحث وجدت أنها تختلف حسب طبيعة المادة ووسائل الاختبار (Roediger & Blaxton,1987) . فالعينة ستتذكر إما الشكل العام أو السطحي ، اعتماداً على طريقة تنفيذ الاختبار. ومِن ثُم ، فإن مسألة شكل التشفير في الذاكرة طويلة المدى تتعقد مع طريقة الاستدعاء ؛ وهذا الاعتراض ينطبق على عدة نتائج تجريبية تم تفسيرها مسبقاً لدعم نظريات الشفرة العامة .

وإن الحجج المقدمة لنظريات الشفرة العامة مؤطرة بشكل كبير على خلفيات مفاهيمية كانتقادات تنظيرية أو منهجية لبحث الشفرة المزدوجة ، فضلا عن كونها مشتقة من النتائج الميدانية. وقد ناقش بعض منظروا الشفرة المشتركة (Pylyshn,1973 ; Anderson,1978) بأن النتائج التي تدعم نظريات التصور أو التشفير المزدوج ربما يتم تفسيرها بواسطة المعرفة الاستنباطية لتوقعات المُجرب وصفات المثيرات الإدراكية. وفي الاستجابة لتلك الانتقادات ، فقد نفذ الباحثون عدداً من الدراسات التي استبعدت تأثيرات المعرفة الاستنباطية أو الاذعان لتوقعات المُجرب ، والتي استمرت في دعم النتائج السابقة لصالح التشفير المزدوج أو المتعدد على المستوى التقديري للمعنى . وهكذا ، على سبيل المثال قد أظهر الباحثون أن تنشيط المسارات الإدراكية بواسطة الصور يمتد لتأثيرات معينة لهذا النوع للتنشيط الذي لم تستطيع العينات استنباطه ، بما يتضمن فارقية صورة ما بعد التحفيز البصري (Finke & Schmidt,1978) وتأثيرات دقة الصورة (Kosslyn,1975,1983;Finke& Kosslyn,1980)

.وأيضاً في الاستجابة لتلك الانتقادات المنهجية ، فقد أظهر الباحثون أن أوقات رد الفعل الفارقة في مهام تصورية يتم تحديدها بواسطة عوامل مشابهة لتلك التي تحدد أوقات رد الفعل في المهام الادراكية المطابقة (Podgorny &Shepard,1978) وقد تم التوصل لنتيجة بشكل أكثر تمييزا لتداخل كيفيات لوظيفة التصور بالإضافة للإدراك ؛ فالتصور والإدراك من المرجح في نفس الكيفية أن يتداخلا مع بعضهما البعض بصورة أكبر من التصور في كيفية واحدة والإدراك في كيفية أخرى ، (Segal,1972 ;Segal & Fusella,1970 ; Baddeley, 1986 ;Brooks,1970) . ومن غير المرجح أن يكون لعينة معرفة - استنباطية أو صريحة - تهتم بمثل هذه الصفات الفنية للإدراك البصري مثل النمط الخاص والدرجات للألوان بعد التأثير ، والحجم ، وصفات أخرى لحقل التصميم المركزي ، أو عمليات التيسيير والتداخل المعقدة .

وما لم يستطع المرء تفسير اكتساب مثل هذه المعرفة ، يجب تأويل النتائج على أنها تعتمد على استخدام آليات معالجة بصرية مشابهة لتخيل شيئاً ما كما في إدراكه بشكل مباشر ، ومن ثم ، إنها توضح كيفية محددة بدلا كونها تجريدية ، وافتراضية تشفر افتراضيا تمثلات تصورية أساسية.

الدليل العصبي الفسيولوجي

إن الدراسات التي تستخدم أساليب مثل معايير تدفق الدم للمناطق المخية التي يتم قياسها بواسطة مسح التصوير المقطعي البوزيتروني (PET) ، electroencephalogram (EEG) ، إمكانات الاستجابة المحتملة (ERPs) evoked response potentials مع عينات لأفراد عاديين قد قدمت دليلاً قوياً إضافياً يظهر أن التصور يشغل نفس القنوات التي يشغلها الإدراك الذي لا يمكن شرحه من خلال معرفة العينة أو تأثيرات الإذعان . وقد اكتشف رولاند و فريبرج Roland and Friberg (1985) أنماطا مختلفة لتدفق الدم الدماغي في مهام الصور البصرية مقارنة بمهام الحساب العقلي ومهام التصور السمعي. وقد وجد Goldenberg , Steine and willims(1987) Podreka ، أن تنشيط منطقة بصرية أكبر للمسائل التي تتطلب تصور بصري

(فعلى سبيل المثال ، "هل اللون الأخضر لأشجار الصنوبر أغمق من لون الأخضر للحشائش ؟") مقارنة بالمسائل التجريدية (فعلى سبيل المثال " هل صيغة الأمر شكل نحوي قديم ؟ ") .

وباستخدام رسم الدماغ الكهربائي (EEG) electroencephalogram ، وجد Davidson and Schwartz (1977) موضع الحد الأقصى لانخفاض التيار الدماغي ألفا، مرتبط بنشاط المخ المتزايد ، على المنطقة البصرية (مؤخر الرأس القذالي) للمخ في مهمة تصور بصري (تخيل وميض ضوئي) وعلى المناطق اللمسية (الداخلية) في شرط التصوراللمسي (تخيل ساعد أحدهم تم النقر عليه) .ومن منظور التشفير المتعدد ، تعد هذه دراسة غاية في الأهمية في إظهار أن تأثيرات التصور موازية لإدراك في الكيفيات اللمسية إضافة إلى البصرية . وفي عدة دراسات وجدت فارا وزملائها Farah (1988) زيادات إيجابية عالية التركيز لآثار الاستجابة المحتملة في الأقطاب القزالية في شروط التصور البصري .

وقد أظهرت دراسات حول المرضى المصابين بتلف في المخ أوجه قصور معينة في القدرة على التصور والتي توازي تدهورهم الإدراكي . والمرضى المصابين بعمى الألوان الدماغي المكتسب غير قادرين على ذكر ألوان الأشياء الشائعة من الذاكرة ، على الرغم من أن وظيفتهم التصورية العامة تبدو أنها لا تزال غير متدهورة (Sack & Wasserman, 1987; Riddoch & Humphreys, 1987) . والمرضى المصابين بمرض ثنائي جداري – قذالي bilateral parieto occipital غير قادرين على تحديد موقع الموضوعات المعروضة بصرياً والإشارة إلى مواضعها سواء بالنطق أو الإشارة ، وعلى الرغم من أن لديهم القدرة على تحديد الموضوعات وتوجيه المثيرات اللمسية والسمعية. وبالعكس فالمرضى المصابين بالمرض الصدغي القذالي temporo– occipital ، موصوفين بالعمه (فقد القدرة على تأويل المثيرات الحسية)، لديهم بشكل عام قدرات بصرية ومكانية ولكنهم غير قادرين على التحديد والتعرف على الأشياء المقدمة بصريا؛ وتدهورها كيفية محددة أيضًا ولا يمتد إلى مطابقة

الموضوعات عن طريق اللمس أو الصوت. وبالنسبة لكلا النوعين من التدهور ، فقد وجدت Farah فارا ومساعدوها (1988) انشطارات متطابقة في أنظمة التصور للمرضى .

وإن ظاهرة "الإهمال البصري " والتي قد يفشل فيها المرضى المصابين بتلف الفص الجداري الأيمن في كشف مثير مقدم في النصف الأيسر للحقل البصري ، تقدم دليلاً مثيراً على تأثيرات التصور . وقد سأل بيزيك ولاذاتي Luzzatti , Bisiah(1978) مريضين يعانيان من مثل هذا التلف على تخيل رؤية ميدان مألوف ، (ساحة ديل دومو في ميلانو) ، من وجهة نظر مفضلة ؛ فكلا المريضين أسقط من وصفهما المعالم التي كانت تقع على الجانب الأيسر للمشهد. وعندما سُئِل كلا المريضين على تخيل نفس الميدان من وجهة النظر الأخرى تم الحصول على النتائج المعاكسة ؛ فالمريضان الآن قد أقرا بالمعالم التي قد أُسقِطَت مسبقاً وأسقطا المعالم الموجودة حالياً في الجانب الأيسر للصورة . وقد نستخلص أن معظم الدليل التجريبي يؤيد أشكال التمثل والمعالجة المزدوجة أو المتعددة، وليس فقط على المستوى الحسي أو مستوى الذاكرة قصيرة المدى ، ولكن أيضاً على مستوى الذاكرة طويلة المدى التي يتم بها تحديد المعنى . وقد ناقش البحث التجريبي والعصبي الفسيولوجي بشكل كامل الانتقادات القائمة على معرفة موضوع المعرفة أو الاذعان بنتائج متوقعة .

وقد نقول شيئاً بخصوص الحجج المفاهيمية التي قد تم طرحها بواسطة نظريات الشفرة المشتركة . وهي تتضمن الحجج القائمة على المحك التنظيري الداخلي، مثل البساطة ، وادعاءات أن الطبيعة لنظرية افتراضية إلى حد كبير ليست عرضة بطبيعتها لعدم التأكيد، وهذا يعني أن أي شكل مبدئياً قابل للتأكيد بمصطلحات افتراضية (Anderson,1978) .

ومما ليس واضحاً كون مبدأ أوكام[9] Occam's Razor مؤيداً للشفرة

٩ ينسب إلى ويليام أوكام William Ockham، وهو راهب فرنسي، وأساس مبدأه أن هناك تفسيرات للحدث، أحد التفسيرات التي تتطلب تخمين أقل هو الصحيح (المترجم)

العامة .فعلى أقل تقدير ، يبدو أنها تسلك كلا الطريقين . وكما قد رأينا ، فإن , سايمون وكابلان (Simon& Kaplan (1989 يجادلان بأنه يبدو شحيحًا لافتراض آليات متخصصة للرسائل اللغوية والمثيرات المرئية؛ فهي تشمل بشكل افتراضي آليات معالجة المثيرات في التكيفات الحسية الأخرى أيضاً . ولو كان الأمر كذلك ، فعلى أقل تقدير ، يجب أن يكون هناك عمليات للترجمة من أشكال الادخال المختلفة والمتنوعة للتمثل الدلالي المشترك حيث يتم تشفيرهم بها ، وكذلك من الشفرة العامة للكلمات. وبدلا من تبسيط النظام ، فإن الضرورة عملية من خطوتين ـ الصور للشفرة العامة للكلمات (أو العكس) ـ ويبدو أنها تضيف خطوة علاوة على ترجمة مباشرة بين الصور والكلمات. وبشكل عام ، بينما قد يوجد عدة مصادر للتعقيد في أي من عمليات الترجمة التي قد تم افتراضها ، ويبدو من الصعب تقدير بساطة نسبيه لعمليات غير مفهومة جيداً على الاطلاق . وعلى مستوى أكثر أساسية ، في أي حالة ، من المشكوك فيه لأي مدى البساطة دليلٌ مفيدٌ لنظام مثل معالجة المعلومات الانسانية التي تطورت افتراضيًا بطرق متعددة التحديد بدلاً من كونها من خلال تطبيق تصميم مُوحد .

وإن التباين في شكل الإدخال ، والذي يُعد متعارف عليه في نظريات الشفرة العامة ، له تأثيرات أخرى تبدو أنها تثير الصعوبات لهذا المدخل . ويبدو على الأرجح أن الترجمات المفترضة من أشكال الادخال المتنوعة ستختلف فيما يخص فوريتها، توجيهها ، دقتها ، واكتمالها ، اعتماداً على الطبيعة الخاصة للشكل. وإن أشكال الادخال التي تشبه كثيراً الشفرة الضمنية من المرجح أن تتم ترجمتها بسرعة أكبر وبشكل كامل من تلك الأشكال المختلفة تمامًا. وعلى غرار هذه السطور ، يبدو واضحاً للعديد من الناس ، بما فيهم المحللين ومرضاهم ، والعلماء المبدعين ، والفنانين ، والموسيقيين ، والشعراء ، والمحبين ـ ولكن يبدو غير واضحاً بالنسبة للعلماء المعرفيين أن هناك عدة أفكار هامة لا يمكن تقديمها بصورة كاملة في شكل لفظي ولو أن بعضًا من أنوا ع معلومات الادخال يتم ترجمتها بصورة أكثر ملائمة من غيرها ، وبعضها في الحقيقة لا يمكن ترجمته اطلاقاً ، فنحن إذ ننتهي إلى نظام يبدو معادلاً لنظرية الشفرة

المتعددة . وهذا الدليل على التشفير المزدوج أو المتعدد ، والذي يعمل التحليل النفسي على زيادة تجسده ، سوف تتم مناقشته أكثر في الفصل الحادي عشر .

وقد نعلق باختصار على حجة أندرسون Anderson بأن أي شكل قابل للتكرار من حيث المبدأ بمصطلحات افتراضية، ولذا فإن أي نظرية افتراضية بطبيعتها ليست سريعة التأثر بالدحض. أولاً والأكثر وضوحاً ، قبول مثل هذه الحجة كما هي يجرد النموذج الافتراضي من أي منفعة علمية. وعلى الجانب الآخر ، لو تقبلنا المكانة التي ربما تُصاغ بها أي شفرة في شكل افتراضي، فذلك يبقي استمرارية الأمر مفتوحاً للسؤال المثير للاهتمام عما إذا كان هناك نوعاً أساسيًا واحداً أو أكثر للشكل الافتراضي على المستوى الذي يتم به تحديد المعنى . والادعاء العام للتشفير المتعدد هو أن هناك حاجة لأكثر من نوع من التشفير ؛ ويمكن تلبية ذلك مبدئياً بواسطة نظام يستدخل عدة أنواع من الشفرات الافتراضية . ومع ذلك ، يمكننا الآن أن نرى أن الخلاف يتجاوز هذا الأمر أيضاً . وإن الجدال بأن كل أنواع معلومات الإدخال قابلة للتمثل عن طريق نوع من شفرة رمزية افتراضية قد تم مناقشتها من منظور جديد ، ضمن مدخل الترابطية أو المعالجة الموزعة المتوازية.

معالجة رمزية فرعية : نموذج المعالجة الموزعة المتوازية

تفترض كلٌ من نظرية الشفرة العامة والمزدوجة تكوينًا رمزيًا أساسيًا. وعلى مستوى مختلف ، فقد ظهر خلاف آخر بشأن شكل المعالجة الذي يتجاوز الاختلاف بين اللغة والتصور ، والتساؤل عما إذا كان اشتقاق هاتين الكيفيتين للتمثل ربما يكون من شفرة مفردة أساسية أم لا. وهناك الآن تعرفًا متزايداً داخل العلم المعرفي بنطاق واسع من معالجة المعلومات الانسانية النسقية حيث نماذج المعالجة الرمزية ـ سواء نظريات الشفرة العامة أو المزدوجة أو المتعددة ـ لا تمد بتفسير ملائم. وهي تتضمن تمثلات وعمليات بها عناصر غير منفصلة ، والتنظيم غير مصنف ، والمعالجة تحدث فوريًا في قنوات متعددة متوازية ، وحدات المستوى الأعلى لا يتم تخليقها من عناصر منفصلة، ولا يمكن تحديد

يروفة أولى حسان

قواعد واضحة للمعالجة . وكما قد حاجج بعض الباحثين، فإن الحوسبة غير الرمزية المعقدة بهذه الطبيعة تخفي وراءها حل مشكلة إبداعي، وسلوك لغوي طليق، وعمليًا فإن كافة الأداء المهاري في الحيوانات وكذلك البشر ، وأنوا ع أخرى عديدة من المعالجة الحدسية والضمنية .

نحن نعتمد على مصفوفة لا نهائية من الحوسبة السريعة والمعقدة ، غالباً ما تتم خارج الوعي ، وغالباً دون مقاييس واضحة ، أو أبعاد ، أو وحدات في أغلب الافعال الشائعة للحياة اليومية ـ في الدخول في خط المرور ، وإحضار كتاب ثقيل من رف عالي ، أو التقاط ورقة قد سقطت خلف المكتب :

نحن نصل إلى الأشياء مئات المرات كل يوم . وتقريباً لا نفكر أبداً في أفعال الوصول هذه . ومع ذلك ، في كل مرة ، هناك عدد كبير من الاعتبارات المختلفة يبدو أنها تحدد معاً بالضبط كيف سنصل إلى الموضوع. مكان الموضوع، وضعيتنا في ذلك الوقت ، وما قد نحمله أيضاً ، والحجم ، والشكل ، والوزن المتوقع للشئ، وأي عقبات قد تواجهنا ـ كل هذه العوامل تحدد معاً الطريقة الدقيقة التي سنتبعها للوصول والامساك بالشئ . (McClelland , Rumelhart, & Hinton , 1989, P.4)

فالقطة تستخدم حوسبة من هذا النوع لاختيار موضع الهبوط على طاولة مليئة بالأشياء ؛ ولاعب كرة القدم لإلقاء الكرة حيث يتوقع أن يكون زميله ؛ ولاعب التنس لضرب الكرة حيث يأمل ألا يكون خصمه . والمحلل يستخدم الحوسبة من هذا النوع ليستنبط الحالة الوجدانية للمريض من كافة المؤشرات المتشعبة المقدمة له ، بما في ذلك المشاعر التي يتم تنشيطها استجابة للمريض ، ولأخذ القرار بشأن متى وكيف يتدخل .

وفي مثل هذه المجالات من معالجة المعلومات ، يتم التعبير عن المعاني بأشكال تتجاوز الكلمات أو حتى الصور المنفصلة ، فالفنان التجريدي لا يضع خططه لفظيًا لمشروع ما وغالباً لا يتمنى ـ في الواقع ، لا يستطيع ، أن يشرح رؤيته بالكلمات . فخطته يتم تاسيسها بواسطة أنماط ليست بالضرورة تمثلية والتي يتم تخليقها داخل نظامه البصري ذاته. ومن الصعب على الراقصين

تجزئة تسلسل حركات الجسد والافعال التعبيرية الى وحدات منفصلة ، ومما هو أصعب ترجمتها إلى كلمات. فأشكال التمثل للراقصين حركية ؛ وكيفية اتصالهم في المقام الأول لعرض وتوجيه بالحركة .

فكبير الطباخين البارع ينبغي أن يتصور ، لا أن يتلفظ ، باحساس العجين الذي قد تم عجنه بصورة كافية ، ومظهر وإحساس صفار البيض الذي قد ثخن بما فيه الكفاية ولكن ليس أكثر من اللازم. ونفس الشئ ينطبق، بطرق مختلفة، على عمليات ومهارات غير لفظية أخرى .

فالتلمذة الصناعية عامةً ـ مطلوبة بصورة أكبر من الكتب النصية لاكتساب مثل تلك القدرات. وجميعها تكون أشكالاً لمعالجة المعلومات ، ولكن ينبغي علينا توسيع أفكارنا للمعلومات ونظرياتنا لمعالجة المعلومات لتفسيرها.

وإن نوع المعالجة الحدسية السريعة والمعقدة الموضحة هنا تدعو لدراسة فورية لعدة أجزاء للمعلومات (أو"قيود ") ، والتي قد تحدث على عدة مستويات للوعي ، والتي قد تكون مُعرفة بشكل ضعيف، وغير واضحة، وتحدث بسرعة للمعالجة كاملاً. ومثل هذه المعالجة تتطلب القدرة على الحساب بدقة مع إدخال معلومات جزئي ومنخفض وتحمل كميات معقولة من الضوضاء (من الناحية المعلوماتية) . فنحن نتعرف على الناس الذين نعرفهم جيداً من أي زاوية ، وفي أي وضعية ، وافتراضيًا تحت أي ظروف ـ رؤيتهم في وقت الغروب، وعلى بُعد مسافة ، أو من خلال نافذة ، وتحت العديد من التحولات ـ كزيادة أو فقدان الوزن ، والتقدم في العمر ، وأن يصبحن حوامل ، وتغير لون أو تصفيفة الشعر ، وسواء كن يرتدين ملابس سباحة أم معاطف شتوية ثقيلة. فنحن نتعرف على أسلوب فنان ما من لمحة سريعة؛ وندرك مقطوعة موسيقية من أول نوتتين ؛ ونُميز الحالة الوجدانية للمريض من تغير بسيط في نبرة الصوت أو اختلاف طفيف في وضعية الجسد على الأريكة . فنحن ننفذ مثل هذا التعرف على الفور ، وفي أغلب الأحيان بدون أدنى شك ، وعادة دون القدرة على تحديد العوامل أو الملامح المعنية التي نستجيب لها. وعلى ما يبدو يمكن خفض المثير وزيادة الضوضاء لنقطة يتم بها إعاقة التعرف، كما في مسرحيات شكسبير الهزلية أو جيلبرت

وسوليفان. ومع ذلك ، فإن الطبيعة غير العادية لفشل مثل هذا التعرف منعكسة في جودة الخيال الترفيهي لتلك الطبيعة.

إن النموذج الارشادي للمعالجة الموزعة المتوازية، المشار إليه أيضاً بنماذج رمزية فرعية أو ترابطية، يتعرف مباشرة على الطبيعة المتوازية ، والضمنية، وغير المصنفة بشكل هائل لمثل تلك المعالجة ، ويركز على ذلك في تطور النموذج. ووفقاً لنظريات المعالجة الموزعة المتوازية، فالناس أكثر ذكاءاً من الحواسيب– على الأقل تلك المستخدمة اليوم ـ لأن المخ يوظف تكويناً حاسوبيًا أساسيًا بملامح مختلفة. وإن بعض الصفات الهامة للتوظيف العصبي ، التي قد " ألهمت " أو قديت النماذج الاتصالية ، والتي لم تنعكس في النماذج الرمزية الكلاسيكية ، تتضمن الآتي ، كما نوقش بواسطة ماكيلاند وروميلهارت Mcclelland, Rumelhart ومجموعة بحث المعالجة الموزعة المتوازية (1986):

١–تُعد الخلايا العصبية أكثر بُطئاً من مكونات الحاسوب . فالعمليات الأساسية في حواسيب التسلسل الحديث يتم قياسها بالنانو سكند (مليار جزء في الثانية)، بينما تعمل الخلايا العصبية بسرعات يتم قياسها بالميلر سكند (ألف جزء في الثانية) أو أطول . والبشر قادرون على تنفيذ معالجة متطورة جداً ـ كما في الأنشطة المشار إليها سابقا ـ في بضعة مائة جزء من الألف في الثانية و وإن كانت المعالجة تسلسلية، سيسمح ذلك فقط بمائة خطوة تقريباً، بينما تتطلب برامج الحاسوب عدة ألاف من العمليات حتى في المهام البسيطة .

٢– يوجد عدد كبير للغاية ، ولكن ليس بلا حدود ، للخلايا العصبية في المخ ـ مقدر بشكل عام على نظام من عشرة إلى العشر أو الحادي عشر. وهذا يسمح بموازاة هائلة ولكن أيضاً يضع حدود للنماذج الأكثر تعقيداً .

٣– كل خلية عصبية تستقبل ادخال من عدة خلايا عصبية أخرى . ويُقدر أن خلية عصبية قشرية واحدة قد تحتوي من ألف إلى مائة ألف مشتبك عصبي على تشعباتها. وإن تنشيط أي خلية عصبية مفترضة يتطلب بناء عدد كافي من احتمالات الفعل؛ وهذا يفترض أن الحوسبة الإنسانية تعتمد على عمليات إحصائية بدلا من الكل أو لا تصنيف لدوائر منطقية.

٤–ما يرتبط بذلك صفة المعالجة التي قد أطلق عليها روميلهارت وآخرون Rumelhast مصطلح " التدهور الرحيم." ولا توجد خلية عصبية واحدة يُعد تشغيلها أساسي لأي عملية معرفية معينة ، ولا توجد نقطة حرجة واحدة تتعطل فيها المعالجة . وبينما فقدان منطقة بأكملها للمخ قد يكون له آثار معينة وقابلة للقياس، فإن الأداء داخل المناطق يتدهور تدريجياً ونسبياً كلما تدمرت وحدات عصبية أكثر . وذلك التدهور التدريجي لا يمكن نمذجته من خلال نماذج المعالجة الرمزية التسلسلية، التي تنطوي على كل أو لا وظيفة بدلا من الفقدان الجزئي . وإن فشل خطوة واحدة في برنامج ضخم في النماذج الرمزية المعيارية سيتسبب عادة في تدهور البرنامج بأكمله .

٥– إن التحكم في وظيفة المخ موزعة بدلا من كونها مركزية ؛ فلا يوجد نظام تنفيذي يشرف على معالجة التنسيق والتدفق الكلي، فلا يوجد جزء من القشرة الدماغية يعتمد عليه تشغيل كل الأجزاء الأخرى. وبدلا من ذلك ، فالتنظيم ينشأ من خلال عمل كل الأجزاء معاً ، وتأثير أحدها على الآخر، ومع كل منطقة تساهم بوظائف معينة ، وقيود ، ومصادر للمعلومات .

الوصف الشكلي لنموذج المعالجة الموزعة المتوازية

إن بنية نماذج المعالجة الموزعة المتوازية متوافقة مع الصفات الأساسية للمخ التي قد تم استعراضها سابقا . وبينما لا يمكن فهم نماذج معينة للمعالجة الموزعة المتوازية بطريقة كلية في ضوء الأنظمة الحسابية ولغات البرمجة التي تم تطويرها بهم ، والمفاهيم المحددة للنظرية يمكن تلخيصها لتقديم مذاق لذلك المدخل.

إن نظام المعالجة الموزعة المتوازية هو شبكة بمجموعة محدودة من العُقَد العصبية ، وكل عقدة متصلة بالعُقَد الأخرى ، وكل منها في حالة حالة مختلفة من الإثارة . وإن حالة النظام هي حالة كل عقدة من العقد في وقت معين ، مما يعني، مستواها من الإثارة . وإن مستوى الإثارة لأي عُقدة في وقت معين يعتمد على مستويات الإثارة لكل العُقد في الوقت السابق . ويتم حساب القيمة من حالة

الإثارة لكل عقدة ومصفوفة الأوزان؛ وإن تعلم وخبرة الفرد تحدد طبيعة الأوزان. وربما توصف الشبكة و مصفوفة الأوزان على أنها نظام ديناميكي ، يمكن تكراره. وبافتراض المدخلات لحالة معينة من الاثارة لكل خلية عصبية ، فإن النظام يحدد حالة جديدة من الاثارة لكل منها ، والتي يمكن حينئذ استخدامها كإدخال جديد للنظام . وإن الأنظمة تستمر في تلك العملية التكرارية ، وتختبر التشابه مع المخطط المرغوب وتقييم الخطأ ، والفرق بين الوضع الفعلي والمرغوب، إلى أن يصبح الخطأ صغيراً بما يكفي للمضي قدماً . وإن الأبعاد والمقاييس المستخدمة بواسطة النظام لتقييم الخطأ مخصصة لكل مشكلة ؛ وبذلك المنطق يتميز النظام بأنه حساس للمحتوى. وقد يلاحظ أحدهم تلك العملية في عدة قرارات للحياة اليومية . فالطفل الصغير الذي يحاول النزول من المنضدة يصل قليلاً للأسفل بشكل فوري بينما يحاول تقييم المسافة بصريًا بين قدمه والأرض ؛ فلا ينزل حتى تتوافق المسافة البصرية مع مخطط المساحة الآمنة للقفز التي قد كونها وخزنها. وعند التقاط براد الشاي الذي يختلف وزنه تبعاً لكمية المياه التي يحتوي عليها ، دون أن يكون الاختلاف مرئياً ، نقوم بسلسلة ضمنية وسريعة من التخمينات بواسطة تطبيق كميات مختلفة من القوة، والتي لا تُعد كبيرة بشكل كافي لرفع البراد ، وذلك لتحديد كمية القوة المطلوبة .

إن مدخل المعالجة الموزعة المتوازية لا يستدخل التمييزات الرمزية الكلاسيكية بين مناطق ذاكرة التخزين المؤقت ، وقصيرة المدى ، وطويلة المدى. ويتم فهم المخططات في ضوء التنشيط أو العملية ، التحسن المستمر، بدلا من كونها أبنية ثابتة ، كما قد تم بناء مكون الذاكرة طويلة المدى . وفي كل مرة يحاول الطفل الوصول إلى الأرض تختلف الحوسبة ؛ ويختلف مخطط القفزة الآمنة مع زيادة مهارته وقوته ، وتبعاً لمكانه. وفي هذا المعنى ، فنماذج المعالجة الموزعة المتوازية ليست تمثلية . ويحدث التخزين في نماذج المعالجة الموزعة المتوازية أوليًا في الاتصالات بين الوحدات وتوزيع الأوزان وهذا يعني أن المعرفة ضمنية في البنية للجهاز المُنفِّذ للمهمة ، بدلاً من كونها صريحة في محتويات الوحدات . وإن نقاط القوة للاتصالات ومستويات الإثارة للعقد تظل في تغير

فوري كلما تم حصول توازن جديد .

وهذا يستتبع أيضاً أن شبكات المعالجة الموزعة المتوازية لا يمكن تصور أن يكون لها قدرة معينة ثابتة . وبدلا من ذلك ، يوجد ببساطة المزيد من التداخل والاختلاط مع إفراط في تحميل النظام . ولأن العديد من الوحدات تشارك في تخزين كافة الأنماط ، يمكن الاحتفاظ بقيمة المعلومات خلال تدهور المثير أو فقدان القليل من المكونات. وإن ملامح بنية المعالجة الموزعة المتوازية تلك تفسر القدرة على العمل بضوضاء عالية نسبياً بمعدل لافت، وبمثير متدهور وجزئي ، وايضاً تفسر التعلم الجزئي، و المستمر، أو التدريجي ، كما تُبنى الأنماط المخزنة أو المخططات .

تطبيقات نموذج المعالجة الموزعة المتوازية

وقد طُورت أوليًا نماذج المعالجة الموزعة المتوازية على مستوى العلاقات بين الخلايا العصبية الفردية . وإن وحدة المعالجة الأساسية قد تُفهَم على أنها تجريد لخلية عصبية . وإن التطبيق الجوهري لنماذج المعالجة الموزعة المتوازية ، كما هو مفهوم حاليًا ، على المستوى المصغر للمعالجة ، فتنظيم المعالجة الموزعة والمتوازية الهائل على مستوى الوحدات أو المستوى العصبي. وإن النتائج الإيجابية في تجسيد معالجة المعلومات الانسانية داخل النموذج الترابطي قد حُققت على مستوى مهام خاصة جداً وقابلة للتعريف مثل حركات الإصبع من قبل كاتب ماهر في كتابة لكلمة واحدة (Rumelhart & Norman, 1982) ، والوصول لشئ ما دون أن يفقد المرء توازنه أثناء الوقوف (Hinton, 1984) وأمثلة معينة لإدراك عمق مجسم ، على سبيل المثال ، في الأشكال المجسمة العشوائية (Marr & Poggio , 1976) . وإن نماذج أخرى قد طُورت تفسر إدراك الحروف المحوسبة في الكلمات المقدمة بصريًا، وتأثير الاعادة الصوتية ، حيث يسمع المنصتون أصواتًا قد تم اقتطاعها من كلمات كما لو كانت موجودة .

أنظمة المعالجة الموزعة المتوازية كنماذج للعقل

قد توصف أيقونات المعالجة الموزعة المتوازية على أنها استبدال لتصميم الحاسوب الذي قد سيطر على العلم المعرفي بتنظيم المخ ، لتوفير ملائمة أفضل لعمليات العقل . وبينما تُعد نماذج المعالجة الموزعة المتوازية "مستوحاه عصبياً " ومقيدة بقوة عصبيًا ، تظل معالجة المعلومات الموزعة المتوازية أو النموذج الترابطي ضمن العلم المعرفي ، وخاصة ، مجال بحث الذكاء الاصطناعي . وتُعد نماذج المعالجة الموزعة المتوازية نفسية ، لا عصبية . فهي لا تركز على . "نمذجة عصبية " أو تحليل مفصل لدوائر وأعضاء معينة للمخ . وبدلاً من ذلك تُستخدم وظيفة المخ كأساس لنمذجة أنماط معينة من معالجة المعلومات ، وداخل نموذج المعالجة الموزعة المتوازية، وبنفس المنطق كانت المبادئ المشتقة من مجال ميكانيكا نيوتن تخدم كأساس لنموذج فرويد للجهاز النفسي ، والمبادئ المشتقة من بنية وظيفة حاسوب فون نيومان تخدم كأساس لنمذجة معالجة المعلومات في النموذج الرمزي الكلاسيكي.

وكما في نماذج نفسية اخرى ، فإن مفاهيم المعالجة الموزعة المتوازية لها حالة التكوينات الافتراضية ، ومُعرَّفة داخل شبكة أسمية للمدخل الترابطي . وإن نماذج المعالجة الموزعة المتوازية لا يمكن اختزالها لنماذج عصبية ، ولكن، كأي نماذج عقلية ، ينبغي أن تكون قابلة للترجمة في النهاية إليها ، حيث لو كانت التكوينات في كل منها معرفة بشكل جيد . وتستخدم الحواسيب لمحاكاة أنظمة في المعالجة الموزعة المتوازية كما في النموذج الرمزي ، وتعرف النماذج باستخدام مصطلحات حسابية وبرمجية. و الفرق بين نماذج المعالجة الموزعة والمتوازية والرمزية في هذا الصدد أن السابقة تستعمل تكوينات افتراضية مستنتجة من مجال عصبي بدلاً من كونه حوسبيًا ، وايضاً تؤكد على قيود عصبية بصورة أكثر مما قد أكدته النماذج الرمزية.

وقد يستغرق الأمر قفزة معينة من الخيال لإدراك أن المخ والذي يعد ، بالطبع ، الأساس الفسيولوجي للنشاط العقلي ، يستخدم هنا كأساس لبناء نموذج للعقل ، بدلاً من استخدامه على مستوى الفسيولوجي . وإن الخصوصية هذا المدخل في الحقيقة تتم مشاركتها مع مدخل فرويد لنمذجة الجهاز النفسي

. وكما نوقش سابقاً ، عندما نتحدث عن الطاقة ككونها " غير مُقيدة " في اللاشعور أو الهو ، فنحن نشير إلى علاقات تنظيرية بين تكوينات افتراضية ، لا إلى شئ يمكن قياسه على مقياس فيزيائي في السنتيمتر/ الأمبير. وأن الشبكات العصبية كتلك التي توجد في نماذج المعالجة الموزعة المتوازية هي تكوينات تجريدية وافتراضية ، بنفس المنطق .

العلاقة بين الأنظمة الرمزية و المعالجة الموزعة المتوازية : بناء واحد أم أثنين ؟

وبينما قد تم هكذا تطبيق أنظمة المعالجة الموزعة المتوازية بنجاح فقط على المستوى المحدد على صعيد المهام الضعيفة، فإن بعض العلماء المعرفيين يرون أيضاً هذه النماذج على أن لها تطبيق محتمل على وظائف المستوى الأعلى ، بما في ذلك نوع المعالجة المعقدة ، والإرادية ، والمتوجهة بالهدف والتي تُعد مركزية للنموذج الرمزي. وبالعكس ، فبعض الباحثين داخل المدخل الرمزي يفترضون بأن نماذجهم يمكن بشكل محتمل تكييفها لتفسر المعالجة الحدسية ـ التي تنطوي على التمييزات الدقيقة التي أُجريت على التدرجات المستمرة، دون أبعاد أو قياسات واضحة، ودون وحدات منفصلة– المرتبطة بالمجال الرمزي الفرعي.

وإن الخلافات بشأن المعالجة الموزعة المتوازية وأنظمة رمزية توازي بشكل ما الخلافات السابقة ضمن المدخل الرمزي، وبين الهيمنة الادراكية ، والهيمنة اللفظية، ومداخل الشفرة المشتركة والشفرة المزدوجة ، كما نوقش بواسطة بوتشي(1985) Bucci. وقد تم افتراض مجموعة متنوعة من المواقف بشأن العلاقة بين المعالجة الموزعة المتوازية والأنظمة الرمزية ؛ وهي تتضمن أنظمة أحادية الشكل بالإضافة إلى اطروحات لدمج النماذج الرمزية والمعالجة الموزعة المتوازية.

ومن جانب ، فبعض مؤيدي نماذج الرمز يأخذون ما قد يوصف بأنه مدخل "هيمنة الرمزية" فعلى سبيل المثال ، وفقا لفودر وبابليشن Fodor and Pylyshn(1988) المعالجة الرمزية يمكن من حيث المبدأ أن تُنفذ بأشكال ضمنية خارج تركيز الانتباه وحتى في كيفيات متعددة القنوات ، ومتزامنة :

ويبدو من المرجح للغاية أن العديد من العمليات الرمزية الفرعية الكلاسيكية تجرى بالتوازي في الإدراك ، وأن تلك العمليات تتفاعل مع بعضها البعض (فعلى سبيل المثال قد تكون منغمسة في نوع ما من انتشار قيود الرمزية). والعمل على الرموز يمكن أن ينطوي على تنظيمات "متوازية بشكل كبير " ؛ وقد يعني هذا فعليًا تكوينات جديدة ، ولكنها جميعاً تشارك المفهوم الكلاسيكي للحوسبة كمعالجة رمزية. (PP.55–56)

و في ضوء هذه السطور ، فإن عدة اطروحات محددة لشبكات معالجة رمزية متوازية قد تم افتراضها (على سبيل المثال Hewett , 1977 ; Hillis,1985) ولكن تطبيق النموذج الرمزي على المعالجة الحدسية والأداء الماهر الذي هو مجال نماذج المعالجة الموزعة المتوازية لم يتم تطويره .

وعلى الطرف الأقصى، الموقف الذي يرى فقط المعالجة الموزعة المتوازية للوظائف العقلية صادقة علميًا؛ وأن التفسيرات على المستويات الأعلى من تلك الخاصة بالعُقد والروابط الاتصالية ، بما في ذلك نماذج الرمزية ، لن يكون لها أساس علمي. وقد يوصف ذلك بأنه وضع " هيمنة رمزية فرعية. " ووفقاً للباحثين الاتصاليين الذين يؤيدون هذا الموقف، فإن نماذج الرمزية الفرعية في النهاية قد يتم تطويرها والتي بها " السلوك المتسلسل يتم وضعه في تراكم متتالي لشبكة أو مجموعة من الشبكات المتوازية " , Rumelhast et al .) (1986, vol.2,p.548 ولذا فإن نماذج المعالجة عالية المستوى يمكن في النهاية تطويرها اعتماداً على الخصائص الناشئة لشبكات اتصالية فردية :

ولا نرى أي مبرر لافتراض أن الآليات التي تتحكم في المعالجة المعرفية ليست هي ذاتها مُكونة من نفس الجزء الصلب المتوازي الأساسي مثل الجوانب الأخرى للأنظمة المعرفية ، و ..... نحن نفضل ألا نرى النظام كثيراً في ضوء الوحدات الخاضعة للسيطرة والمسيطرة ، ولكن من حيث المزيد من أشكال السيطرة الموزعة. (vol.2,p.549)

ومِن ثُم ، فهؤلاء الباحثون يناقشون بأن نماذج المعالجة الموزعة المتوازية التي يمكن تطويرها في النهاية ستفسر معالجة المعلومات الانسانية على كافة المستويات، بدئاً من المهام الخاصة ومنخفضة المستوى والوظائف الحسية التي

تم نمذجتها بواسطة أنظمة المعالجة الموزعة المتوازية ، وصولاً إلى المستويات الأعلى التي قد تم ضمها من الناحية التقليدية داخل المجال الرمزي.

ومع ذلك ، لا يوجد مُنَظر أو باحث اتصالي قد قدم بعد صيغة واضحة عن كيف لنفس العمليات التي تحدث موضعيًا (على مستوى الوحدات) أن تحدث أيضاً شموليًا ـ على المستوى الكلي للمخطط أو النموذج المبدئي ـ وإن المفاهيم الأساسية لنظرية الأنظمة الديناميكية التي تُبنى عليها النماذج تنطبق على مستوى الوحدة الفردية والعلاقات بينها، وينبغي أن تعاد صياغتها إن كانت لتنطبق بصورة مكررة على وحدات مكونة من وحدات ، أو شبكات مزودة بشبكات مُترسخة .

وإن التساؤل عن كيف لنماذج المعالجة الموزعة المتوازية ربما تتكامل مع بعضها البعض هو إشكالية بطبيعته، كما يشير ديار(1988) Dyer :

وحيث أن نماذج المعالجة الموزعة المتوازية تشكل أنماط للأنشطة الخاصة بها خلال التعلم ، فإن نمط النشاط المُتعلَّم من شبكة واحدة سيكون عامة صعباً بالنسبة للأخرى. ونتيجة لذلك ، من الصعب جداً نقل معرفة من منطقة في الذاكرة لمنطقة أخرى. وإن أغلب نماذج المعالجة الموزعة المتوازية الحالية مصممه لأداء مهمة واحدة ؛ ونفس الشكبة لا يمكن استخدامها لمهام متعددة (p.32)

وهذا يستتبع أن نموذج المعالجة الموزعة المتوازية غير كافٍ ليفسر كافة معالجة المعلومات : فنظام المعالجة الموزعة المتوازية جيد للادراك والتحكم الحركي، وجيد للتصنيف . ويحتمل أن يكون بالضبط هذا هو نوع النظام المطلوب لكل تفكيرنا التلقائي ، ولاشعورنا الفرعي. ولكن اعتقد أن هناك الحاجة للمزيد ـ إما لمستويات أكثر لأبنية المعالجة الموزعة المتوازية أو أنوا ع أخرى للنظام ـ للتعامل مع مشكلات الشعور ، والتفكير التأملي ، والتخطيط ، وحل المشكلات. (Norman 1986,p.541)

ومن وجهة نظر هذا الكتاب ، فإن المعالجة الموزعة المتوازية أو التصميم الاتصالي ذو أهمية محتملة في تقديم تفسير منهجي ، مستند إلى بناء معرفي بدلاً من محتوى معرفي ، لنوع معالجة حدسية وتناظرية والتي نُقلت من نماذج رمزية معيارية والتي يربطها المحللون بالعملية الأولية. وعلى الجانب الآخر، فإن

هذا المدخل لا يضم تنظيمًا للوظيفة العقلية ، ولا يوجد أي تطبيقات للمعالجة الموزعة المتوازية لتضم معالجة الوظائف العليا.

فالناس يستطيعون فعل أنشطة متعددة في وقت واحد، وبعضها مرتبط ببعضه البعض وبأغراض متشاركة ؛ والبعض الآخر غير مرتبط تماماً . وكما يوضح نورمان Norman ، فإن تطبيقات المعالجة الموزعة المتوازية لنظام معالجة المعلومات الانسانية عامة سيتطلب وحدات متعددة ، ربما عدة آلاف من أنظمة المعالجات الموزعة المتوازية المستقلة كأنظمة أو شبكات ، وكل تراكم في حالة معينة في وقت ما .

ونظراً لهذه التعددية المتأصلة لأنظمة المعالجة الموزعة المتوازية التشغيلية المستقلة، فلابد من وجود ميكانيزم يمكن الاتصالات بينها؛ ولابد من وجود ميكانيزم أيضاً يراقب السلوك المعقد لرؤية ما إذا كانت الأمور تسير على ما يرام ، والتي تقرر ما يجب أن تكون عليه المخرجات المرغوبة ، ويُقيِّم الأداء والمخرجات ، وهل هو مُرضي أم لا . ويحاجج نورمان Norman بأن ذلك التنظيم يتطلب نظام ثاني تقييمي، والذي يتغاضى عن السلوك ويقارن التوقعات بالمخرجات. وبالتالي ، فهو يفترض نموذجًا لنظام مزدوج ، ويستدخل نوعاً ثانياً من النظام له صفات المعالج الرمزي ، مع نماذج المعالجة المتوازية:

والمسألة هي أنه بالرغم من أن النظام متوازي بشكل مرتفع وسريع جداً عند رؤيته على مستوى التشغيلات الحاسوبية ، فهو متسلسل بصورة مرتفعة وبطئ نسبياً عند رؤيته على " المستوى الأعلى " لتأويل وتحليل تغييرات الحالة الناتجة. وهذا المنظور المزدوج هو ميزة قوية لنمذجة الإدراك الانساني، لأن تلك الازدواجية تعكس الفهم الحالي ... فالناس يبدو أن لديها على الأقل كيفيتين للتشغيل ، إحداهما سريعة ، وفعالة ، ولا شعورية ، والآخرى بطيئة، وتسلسلية، وشعورية. (Norman,1986 p. 542) .

وبالمثل ، يقترح شنايدر (1988) Schneider أن المعرفة الرمزية و المعرفة النمطية أو الاتصالية قد تكون عمليات مختلفة تماماً ، وتُنفذ في التكوينات بطرق مختلفة جداً . وغالباً يحدث التعلم الرمزي من خلال تجربة واحدة، بينما يتطلب التعلم الاتصالي عادة آلاف او ملايين التجارب ؛ ويبدو أن السلوك البشري

مختلف نوعياً في استخدام هذين الصنفين من المعرفة . وفي حين أن أشكال التصنيف التي لها صفات رمزية واضحة قد تُؤدَّي في بناء اتصالي ، فهناك حاجة لمئات من التجارب ، وينبغي تنفيذ آلية تحكم معينة لا تطرأ مباشرة من عملية الادخال-الاخراج التشاركية ومن ثُم فهي خارج تصميم المعالجة الموزعة المتوازية. وفي عمليات الحاسوب، يُقلل مستوى التحكم-المعالجة التفاعلات التي تحدث عندما تكون الرسائل المتعددة بحاجة إلى مضاعفتها تسلسليًا للحد من الكلام المتقاطع . وفي معالجة المعلومات الانسانية ، يرتبط ذلك بالحاجة إلى مستوى معالجة يتعامل مع التوجه بالاغراض وتكامل الأنظمة . وعلى أساس تحليله للأنظمة فإن شنايدر Schneider ، مثل نورمان Norman ، يشير إلى الحاجة إلى " تكوينات هجينة يمكنها تغطية فضاء السلوك الانساني بشكل أفضل " (P.51) :

تُعد الترابطية تقدم رئيسي في نمذجة الإدراك وقد كان لها بالفعل تأثير دال على علم النفس ... ومع ذلك، ينبغي أن تصبح عضوا لفريق من المفاهيم والأدوات لدراسة الإدراك، فضلاً عن محاولة إنتاج تغيير في النموذج لحل محل أسلافه . ونطاق واسع ينبغي استكشافه من التكوينات في محاولة لتغطية مجال السلوكيات الانسانية اثناء استخدام قيود فسيولوجية، وسلوكية، وحوسبية متاحة. وعلماء الفسيولوجيا العصبية يروون قصة أنه إن كان بإمكانك التفكير بخمس طرق أن المخ يستطيع فعل شئ ما ، فهو يفعله بالطرق الخمس ، بالاضافة إلى خمس طرق لم تفكر بها بعد وفي دراسة الإدراك نحن بحاجة إلى السيطرة على رغبتنا في الحصول على إجابة واحدة ، أو رؤية واحدة ، والعمل برؤى متعددة . (1988, PP.51-52)

وإن الخلاصة المراد التوصل إليها من هذا الاستطلاع هو الحاجة إلى بناء متكامل ، ومتعدد ، يستدخل تكوينات رمزية وتكوينات رمزية فرعية، وكلاً منهما يفسر وظائف مختلفة مطلوبة، وهذا هو الموقف الذي اتناوله في هذا الكتاب . وتلك الخلاصة تتوافق مع دراسات الوظائف التي يجب على معالجة المعلومات الانسانية خدمتها ، كما سيُناقش في الفصل القادم .

الفصل السادس
تعددية الأنظمة
دليل من المدخل الوظيفي

إن النظريات والبحوث التي ناقشتهم قد ركزوا حينئذ على أنواع مختلفة من تكوينات معالجة المعلومات الانسانية . ويتم تصورها على أنها تنظيمات أو أبنية ثابتة، كما يتم دراستها أولاً في تصميمات تجريبية أو من خلال نمذجة حاسوبية ضمن نموذج الذكاء الاصطناعي. ومن منظور مختلف فإن علماء آخرين قد تعاملوا مع مسألة تنظيم المعرفة عن طريق فحص الوظائف العقلية بدلا من البنية وقد فحصوا أيضا الجذور التطورية لتلك الوظائف في أنواع أخرى غير الإنسان . وقد ركزت هذه النظريات مبدئيًا على تنظيم الذاكرة؛ كما قد تم افتراض عدة أنظمة تصنيفية بديلة.

وعلى نقيض وجهات النظر في العلم المعرفي منذ عقد مضى ، فإن مفهوم تعدد أنظمة الذاكرة يبدو الأن مقبولاً على نطاق واسع . وأن الخلافات تهتم بالاساس الذي تتمايز وتُعرف عليه وظائف الذاكرة .

وإن عدداً متزايداً من الباحثين في علم النفس المعرفي ، وعلم النفس العصبي ، وعلم الاعصاب قد حاججوا بشأن وجود أنظمة ذاكرة متعددة. وفي أغلب الحالات ، فقط طُوِّرت تصنيفات ثنائية التفرع للذاكرة مثل الاجرائي مقابل التصريحي (Cohen,1984;Squire,1982)، والدلالي مقابل التصورية (Tulving,1972,1983) والمرجعي مقابل العامل (Hoing , 1978;Olton,Beches & Handelmann, 1979) ، والدلالي مقابل المعرفي (Warrington & Weiskrantz,1982) والخلق مقابل التذكر (Hirsch , 1974 , 1980 ;Hirsch & Krajden , 1982; Mahut, 1985 ; Mishkin et al , 1984 ; Mishkin & Petri,1984) ، السماتي مقابل التمثلي (Thomas & Spafford,1984) ، و التصنيفي مقابل الموضعي (Jacobs & Nadel , 1985; O Keefe & Nadel,1978) ، والمبكر مقابل المتأخر (Schacter & Moscovitch , 1984) . ومع ذلك ، فإن التمييزات بين ثلاثة أنظمة للذاكرة أو

حتى أكثر قد تم طرحها أيضا (e.g. , Johnson , 1983 ; Oakley, 1983 ; Tulving , 1985) . ; (Sherry & Schacter , 1987, p.446) ، (فإن صياغات إضافية بشأن أنظمة الذاكرة المتعددة قد افترضت أيضاً)

ومن وجهات نظر أخرى ، داخل الاطار العام لنمطية الوظيفة ، فإن صياغات إضافية بشأن أنظمة الذاكرة المتعددة قد افتُرضت أيضًا بواسطة Fodor , 1975 Minsky 1983 , Gardnes(1983) , Gazzangia Kosslyn (1987) و 1983,1985,1988), Farah (1984,1988,1991), . وإن مفهوم النمطية يشير مبدئيًا إلى وظائف معالجة المعلومات الخاصة بمهام معينة، وتُرى في بعض الحالات من الناحية النفسية ، وفي بعض الحالات من الناحية الفسيولوجية العصبية. وقد ناقش الباحثون أيضا مسألة الجوانب الخاصة بكيفية معالجة المعلومات وتأثيرات هذه التمييزات بالنسبة لاجمالي معالجة المعلومات .

وفي تمييزه بين عمليات التفكير الأولية والثانوية ، قد قام فرويد أيضاً بفرضيات معينة لطبيعة الاختلافات الوظيفية التي كانت تتعلق بنموذجه للجهاز العقلي . وإن المبدء الرئيسي بالنسبة إلينا لفحص ما هو معروف عن وظائف الذاكرة لتقييم لأي مدى تظل الأنظمة التي وصفت بواسطة فرويد صادقة في ضوء هذا العمل الحالي . وسوف نراجع باختصار المخططات لتصنيف وظائف الذاكرة البشرية التي كانت مقبولة ومؤثرة على نطاق واسع في السنوات الأخيرة؛ ثم نحدد الفروق الوظيفية الاساسية الأكثر ارتباطاً بصياغة نظرية جديدة .

الذاكرة التصريحية مقابل غير التصريحة
(أو الإجرائية)

إن الاختلاف بين المعرفة التصريحية والاجرائية قد أُدرك بواسطة العديد من باقي الذاكرة . فالمعرفة التصريحية تدل على تخزين المعرفة التي يمكن للمرء استحضار محتوياتها أو "اعلانها "للعقل. وبينما تهتم المعرفة التصريحية بما

نعرفة أو بما نتعلمه ، فإن المعلومات الاجرائية تهتم بالعادات والمهارات ـ نتعلم أو نعرف كيف. وظهر هذا التمايز أولا من تحليل لكيفيات التمثل في برامج الحاسوب ضمن سياق الذكاء الاصطناعي (Winograd, 1975) . وهنا ، يرى نظام معالجة المعلومات الانسانية على أنه مماثل لبرنامج الحاسوب الذي يتضمن كل من قاعدة بيانات (الذاكرة التصريحية) ونظام انتاج يتكون من وظائف لمعالجة ذلك (الذاكرة الاجرائية). وقد عُرِّفت أيضاً الذاكرة التصريحية على أنها تهتم بتمثلات المُخرَج لعملية المعالجة المتاحة للتذكر الشعوري ، بينما الذاكرة الاجرائية على أنها تتضمن اكتساب عمليات المعالجة ;Cohen , 1984) (Squire,1982 وكانت الذاكرة التصريحية مرتبطة مبدئيًا بالمعالجة اللفظية والشعورية . ومع ذلك ، كما قد حاجج سكواير Squire (1952) مؤخراً ، فإن خاصية أن تكون قابلة للاعلان أو صريحة لا تنطبق بالضرورة فقط على المعرفة اللفظية ، بالرغم من أنها ستتضمن بالتأكيد مثل هذه القدرة . وبالتالي فإن الذاكرة التصريحية تعرف الأن على أنها تضم " ذاكرة للوجوه " التخطيطات المكانية ، ومادة أخرى معلنة عن طريق احضار صورة مُتذكرة إلى العقل " ، بالاضافة إلى المعرفة اللفظية ، وقد تضم أيضا المعرفة العامة والذاكرة لأحداث معينة (Squire, 1992, p.205) .

إن مصطلح " إجرائي " كان يُستخدم أولاً على نقيض " تصريحي " وأشار في المقام الأول إلى العادة أو تعلم المهارات . والأن يعطي سكواير Squire هذه الفئة " غير تصريحي" الدلالة الأكثر حيادية، ويعرفه على أنه يضم السلوك البارع أو العادات (مهارات إدراكية حركية، وإدراكية ، ومعرفية)، والتشريط البسيط (يشتمل التعلم الوجداني) ، وظاهرة التأثير الضمني للذاكرة، وأمثلة أخرى حيث تغير الخبرة سهولة التشغيل في العالم ولكن دون منح منفذ شعوري لاحداث معينة في الماضي . وبينما تهتم الذاكرة التصريحية بالموائمة ، فإن الذاكرة غير التصريحية تهتم بالتغير السلوكي . (Squire , 1992, p.210) .

ومِن ثُم ، بداية من فكرة التمايز بين قاعدة البيانات وأنظمة الانتاج التي تعمل على ذلك داخل نموذج الذكاء الاصطناعي ، فإن الذاكرة التصريحية تُفهم

الأن على أنها تضم ذاكرة لاحداث معينة ومعلومات عامة ، والتي تُعد صريحة ، أو يمكن جعلها كذلك ، وقابلة للاعلان بمنطق ما ولكنها ليست بالضرورة لفظية أو شعورية . وإن تمثل حدث ماضي يتم تذكرة ، أو يمكن تذكره كذكرى معينة ، سيتم تصنيفه على أنه تصريحي ؛ وتمثل مُخزَّن لحدث ماضي لا يمكن استرجاعه ولكنه يؤثر على وظائف الفرد الذي يعتبر جزءا من المعرفة الاجرائية. وقد يحدث تغيراً في المستوى الاجرائي خلال عملية الادخال ، والاسترجاع ، واعادة التنظيم في المعرفة التصريحية ، بالرغم من أنه قد لا يمكن النفاذ إلى الذكريات المحددة . وفي هذا التعريف ، فإن الذاكرة الاجرائية لا تضم فقط المعرفة السلوكية ، ولكن أيضاً أنواعاً معينة لتسجيل خبرة ادراكية ، والتي لا تُعد صريحة ولا يمكن استرجاعها عامة . وإن نوع الوظائف المرتبطة بالذاكرة الاجرائية سيتم نمذجتها مبدئيًا في أشكال المعالجة الموزعة المتوازية، بينما الصفات الغالبة للذاكرة التصريحية تتطابق مع الأشكال الكلاسيكية للنماذج الرمزية.

الذاكرة الدلالية مقابل العرضية للأحداث

إن مدخلاً آخراً مؤثراً لتصنيف متعدد لأنظمة الذاكرة ، وواحداً من نماذجها الباكرة ، كان التمييز بين الذاكرة الدلالية والذاكرة العرضية المقدمة بواسطة تولفينج (1972) Tulvin. وهنا، تشير الذاكرة العرضية إلى النظام الذي يستقبل ويخزن المعلومات بشأن أحداث معينة ، ومؤرخة مؤقتاً والعلاقات بينها، ويخزن أيضا معلومات بشأن علاقات تلك الأحداث بالهوية الشخصية للفرد كتلك التي تُبنى في مكان وزمان ذاتيين (Tulving,1983;claparede1911 (. والذاكرة الدلالية كما عُرِّفت أولاً بواسطة توفلينج Tulving ، تدل على أن الذاكرة ضرورية لاستخدام اللغة . فهي ذخيرة عقلية ، ومعرفة منظمة يمتلكها الشخص عن الكلمات ورموز لفظية أخرى ، ومعانيهم ومرجعيتهم ، وبشأن العلاقات بينهم ، وبشأن قواعد ، وصيغ ، وخوارزميات لمعالجة الرموز ، والمفاهيم والعلاقات . (1972, p.386)

وفي نظام توفلينج Tulving ، تعد الذاكرة الدلالية والعرضية شكلين " لما نعرفه " : من جانب ، معرفة عامة ؛ وعلى الجانب الآخر ، ذاكرة لاحداث خاصة. ومن حيث التقسيم السابق ، فإن كلاً من فئتي توفلينج Tulving يبدو أنهما داخل نظام الذاكرة التصريحية. وإن تقسيم توفلينج Tulving يتغاضى عن عملية التغير السلوكي - " تعلم كيف " - والتي يشملها المجال غير التصريحي. وكلا من الذاكرة العرضية والدلالية لها صفات الأنظمة الرمزية. وكان تقسيم توفلينج Tulving للوظيفة مفهوما أيضا في البداية على أنه انعكاس للتمايز بين المعرفة غير اللفظية (التصورية) والمعرفة اللفظية (الدلالية) . ومع ذلك ، يمكننا رؤية أن هذا يتغاضى عن كل من المعرفة اللفظية لأحداث محددة والمعلومات غير اللفظية النموذجية العامة .

الذاكرة الضمنية مقابل الذاكرة الصريحة

إن تصنيفاً وظيفياً آخر ، طُور بواسطة شاكتر Schacter (1987) وآخرون ولُخِّص بواسطة Schacter, 1989 يقارن الذاكرة الصريحة التي تدل على التذكر الشعوري لخبرات حديثة خاصة مع الذاكرة الضمنية ، والتي بها يتم اكتشاف الدليل على الذاكرة في المؤشرات السلوكية، وعلى الرغم من أنه ربما لا يوجد أي تذكر شعوري للخبرات التي وضعت فيها الذاكرة. وقد كانت الذاكرة الضمنية تُرى على أنها مرتبطة بمفهوم التحليل النفسي للاشعور ؛ ومع ذلك ، فإن الذاكرة الضمنية مُعرفة بصورة أكثر تحديداً وتفتقر إلى الاثار السيكودينامية. وإن الذاكرة الضمنية ، كما دُرست تجريبيا، يُستدل عليها بشكل عام من دراسات التغيرات في الأداء بعد تدخلات تجريبية معينة موصوفة بأنها أثار للذاكرة، حيث لا يوجد وعي أو تذكر شعوري للتدخل . ومثالاً على آثار الذاكرة سيكون التعرض دون الوعي subliminal لكلمة ، مما يؤدي إلى دقة أو سرعة متزايدة في لتحديد تلك الكلمة في تعرض لاحق، على الرغم من أن الشخص لا يتذكر أنه قد رآها سابقاً . ومثالاً آخر ربما يكون تعرُّض سابق لمجموعة من الكلمات التي تؤثر على محتويات أو سرعة اكتمال الكلمة ، دون وعي

بالأثر . وهذا البُعد يختلف عن التمييز بين كل من الذاكرة الإجرائية والتصريحية ، والتقسيم الدلالي مقابل العرضي في التركيز على مستوى الوعي بدلاً من اختلاف محتويات أو اشكال المعرفة .

وقد تم اكتشاف دليلاً على التمايز الأساسي ، والنسقي بين الذاكرة الضمنية والصريحة في عدة ظروف نفسية عصبية وفسيولوجية عصبية. فبعض مرضى فقدان الذاكرة يُظهرون عجزاً لافتًا للذاكرة الضمنية بالنسبة للخبرات الأخيرة عبر فترات احتفاظ قصيرة جداً (على سبيل المثال ، خمس دقائق) ، في حين أن الذاكرة الضمنية غير ضعيفة بشكل عام ، وحتى للأحداث الأخيرة (Milner , Corkin, & Teuber, 1968; Warring ton & Weiskrantz, 1974 ; Squire & Cohen, 1984) فعلى سبيل المثال ، أظهر مرضى فقدان الذاكرة آثار ذاكرة لدراسة قائمة من الكلمات على أن يقوموا باستكمال الكلمات الناقصة بعد بضع دقائق وبما يشير إلى وظيفة الذاكرة الضمنية ، ولكنهم كانوا يعانون من ضعف شديد مقارنة بالعينة الضابطة، في الذاكرة الصريحة لمحتويات القائمة (Warrington & Weiskrantz , 1968;1974) . ومرضى الرؤية العمياء Blindsight (تلف قشري يؤدي إلى عمى لجزء من الحقل البصري) قادرين في بعض الاحيان على الاستجابة بشكل مناسب لمثيرات مُقدمة في حقولهم البصرية دون خبرة شعورية بالمثيرات ، وبخبرة ظاهراتية للاستجابة بواسطة التخمين (Weiskrantz, 1986)؛ وهذا يقدم دليلاً على معالجة ضمنية، بينما يتم فقد المعالجة التصريحية . وبينما المرضى الذين يعانون من القصور المعروف بعَمَه التعرف على الوجوده Prosopagnosia غير قادرين على ادراك الوجوه المألوفة بشكل صريح ، إلا أن هناك عدة دراسات توصلت لدليل فسيولوجي وسلوكي بشأن التعرف على الوجوه بشكل ضمني (Bauer , 1984 ; Tranel & Damasio, 1985) .

وهنا يبدو بعض التوافق بين الذاكرة الصريحة ونوع الوظائف التي وصفت بأنها تصريحية ، والذاكرة الصريحة ، مثل التصريحية ، والذي قد يبدو أنه مُنمذج بشكل كافي بواسطة أنظمة رمزية. وبالعكس، فإن الذاكرة الضمنية لها وظائف مرتبطة بشكل وثيق بأنظمة رمزية فرعية، وبالرغم من ذلك ، كما لكافة

التوافقات الأخرى التي قد لوحظت، فإن وجهات النظر التنظيرية لتلك التمايزات مختلفة ، والتوافق غير مكتمل .

العمليات العمدية مقابل العمليات الآلية

إن التمييز بين الذاكرة الصريحة والضمنية يرتبط في جزء ما بالفرق المُلاحظ بواسطة بوسنر وسنايدر Posner ، Snyder (1975) بين العمليات الشعورية والآلية. وقد وصف بارج Bargh (1989) العمليات الآلية بكونها " غير عمدية ، لا إرادية ، بلا مجهود (بمعنى ، غير مستهلكة لقدرة المعالجة المحدودة) ، مستقلة ، وتحدث خارج الوعي " (p.3) وجميعها تتعارض مع العمليات الشعورية أو المُتحَكَّم فيها، وتُعرّف على أنها " تلك التي تخضع للتحكم المرن والعمدي للفرد ، والتي هو أو هي على دراية واعية بها، والتي تكون مُجهِدة ومُقيّدة بواسطة كم المصادر الانتباهية المتاحة الأن. (p.4) ومع ذلك فقد قدم باحثون آخرون دليلاً على أن العمدية والتحكم لا يتقاربان بالضرورة مع مستوى الانتباه والوعي ؛ ولذلك فإن الصدق البنائي لهذا البعد قد خضع للدراسة (Zbrodoff & Logan , 1986)

نظام شيري وشاكتر الأول مقابل الثاني

كما أقترحت شيري وشاكتر Sherry ، Schacter (1987) ، أنه من غير المرجح أن كلا من الابعاد السابقة للوظيفة التي يتم دراستها الأن يشير إلى نظام ذاكرة مختلف . ونظراً لتعددية الأبعاد التي قد حُددت ، فهناك حاجة لمحك لانتقاء أبعاد تحدد أنظمة الذاكرة المختلفة ، ولتفرقة تلك الأنظمة من الاختلافات التي لها اهتمام وصفي فقط . وقد افترضت شيري وشاكتر Sherry و Schactrs أساساً تطوريًا لمثل هذا الاختلاف لأنظمة وظيفية . وحاججا بأنه لا يمكن لتكيفات محددة أن تنمو لخدمة احتياجات وظيفية، بسبب طبيعتها المتخصصة، خدمة احتياجات أخرى بكفاءة ، ومثل عدم توافق وظيفة يقدم حينئذ أساساً مستقلاً للتفريق بين أنظمة الذاكرة (P.439) . وقد ميزا نظامين

متخصصين للذاكرة يظهران عدم توافق الوظيفة بهذا المنطق. والنظام الأول والذي يشيران إليه أنه نظام أ ، مُكرس للكشف التزايدي والتدريجي، والتسجيل لصفات لا تزال ثابتة عبر مجموعة من الأحداث ، دون الاحتفاظ بالصفات الفريدة والغريبة لمشاهد محددة. وعلى النقيض ، فإن النظام ب نظام تمثلي ...، ووظيفته الرئيسية هي الحفاظ على التفاصيل السياقية التي تحدد الخبرات الفردية بشكل فريد - الحفاظ على الاختلافات بين الاحداث بدلاً من الثبات عبرها .

وإن أمثلة لذاكرة النظام أ ، كما حُدِّدت في عدة أنواع، تمتد من تعلم الطائر الذكر لأغاني سلالته، وتعلم هاديات التوجه الشمي بواسطة أسماك السالمون ، وتعلم التوجه النجمي بواسطة الطوير المهاجرة , Rozin & Schull 1989 ; Sherry & Schactes (1987 ; Shettleworth 1983) ، وبالنسبة للبشر تعلم الكتابة ، وركوب الدراجة ، ولعب التنس ، والتزحلق على الجليد ، أو التفريق بين ظلال الألوان أو أنواع الخمور. فالطائر المغرد الذكر يتعلم أغاني فصيلته كي يدافع عن أرضه وكي يجذب قريناته. وإن أصناف الأغاني الخاصة بالأنواع يتم تعلمها والاحتفاظ بها خلال عدة أنواع من التغيرات السياقية. فيتم الاحتفاظ بها من موسم تزاوج للتالي، ويتم نقلها بين كل ذكور النوع، وتُدرك بواسطهم ، بغض النظر عن المغني أو الموقع المحدد. وهذا النوع من المهارة أو تعلم الأداء ، والذي ينطوي على اكتساب مفاهيم وتعلم التفرقة بين أعضاء فئة عمن هم ليسوا أعضاء بها ، قد تم ايضاحه في سياقات تجريبية مثل التمييز ومهام تعلم المفاهيم. ومثل هذا التعلم يحدث تدريجياً ، وصولا إلى (ليصل) مستويات مقاربة بعد عدة محاولات .

ومثالاً على تعلم نظام ب هو اكتساب الطائر ذاكرة لمواقع تخزين الطعام . ومثل هذا التعلم يتطلب تسجيل لموقع مكاني معين وفريد يمكن استخدامه بأمان مرة واحدة فقط . وإن تعلم نظام ب ، والذي يهتم بذاكرة المعلومات وبخاصة لحدث واحد ، في عدة حالات قائم على التعرض المفرد ، ويتضارب من الناحية الوظيفية مع نوع عمليات الذاكرة التي يكمن وراءها تعلم الغناء، حيث يتم تكرار الأداء في سياقات عديدة، متبعاً القالب المشترك للنوع . وإن الذكريات الخاصة بأحداث ، وأشخاص ، وأماكن معينة، مع غناهم بالصفات الفريدة ،

يتضمنها نظام ب ، ومثل هذه الذاكرة يتم ايضاحها أيضاً تجريبيًا في مهام التوافق التي يتم بها عرض قوائم مفردات مرة واحدة ، ويتم اختبار العينة فيما بعد بشأن ما إذا كان بإمكانهم تحديدها معرفتها وتمييزها عن عناصر لم يسبق رؤيتها في هذا السياق.

وإن التمييز المرتبط بأنظمة شيري وشاكتر تم تحديده منذ أكثر من 70 عاماً بواسطة سميث ومكدوجل Mcdougall, Smith (1920). ووجدا أن الأداء في المهام التي تطلبت تعلم تدريجي ، وتسلسلي ومتكرر (مثل تعلم الكتابة) لم يكن مرتبطًا مع الأداء على المهام التي تطلبت تذكر أحداث فريدة (على سبيل المثال ، التعرف على صورة تمت رؤيتها مرة واحدة) .

وإن الدليل على الاختلاف بين النظام أ والنظام ب قد ظهر في دراسات تجريبية على الرئيسيات غير الإنسانية وحيوانات أخرى ، بما في ذلك الفئران والطيور ، وكذلك في دراسات للأنماط التطورية. وفي دراسة نمائية، كانت القردة الصغار قادرة على تعلم التمييزات البصرية كالكبار ولكنهم لم يكونوا متعادلين (متساوين) في مهام التطابق المؤجل التي تطلبت ادراكًا لمفردات تم رؤيتها مرة واحدة فقط (Bachevalies & Mishkin, 1984)

وتحديداً في مرضى فقدان الذاكرة، فإن تعلم نظام ب يتأثر ، بينما يبدو تعلم نظام أ سليماً نسبياً . وهؤلاء المرضى ليس لديهم القدرة على تذكر الاحداث الأخيرة وتعلم عدة أنواع لمعلومات جديدة ؛ فقد يخفقوا في تذكر أو إدراك أحداث بعد مرور بضع ثواني ومع ذلك ، فهم قادرين على تعلم مهارات إدراكية وحركية جديدة مثل قراءة نصوص معكوسة في المرآة، والاستجابة لنمط تسلسلي متكرر، وحل الألغاز ، ومهام تتبع المرآة ، حتى دون تذكر أنهم قد قاموا بأداء المهمة (Cohen & Squire , 1980 ; Nissen & Bullemes , 1987 ; Brooks & Baddeley , 1976 ; Milnes , 1962)

وإن أنماط مشابهة للانشطار قد وُجِدَت في العينات العادية الذين تم حقنهم بدواء سكوبولامين scopolamine ؛ وقد أظهروا معدلاً عادياً للتعلم في مهمة نمط متكررة وتدهوراً كبيراً في مهام الذاكرة أحادية التجربة (Nissen , Knopman , & Schactes, 1987)

تقاطع مخططات التصنيف الوظيفية

وإن كل نظام من أنظمة الذاكرة التي قد تم تلخيصها هنا يجزء مجال الذاكرة أو المعرفة لمفاصل مختلفة قليلا . وان ثلاث فئات وظيفية أساسية ربما يتم تحديدها في الأنظمة العديدة التي قد تم مراجعتها:

١. السلوكية (العادات والمهارات) مقابل المعرفة التمثلية المنعكسة أوليًا في الاختلاف التصريحي مقابل الاجرائي أو غير التصريحي .

٢. المعرفة العامة مقابل الذكريات الخاصة المنعكسة بطرق مختلفة في نظام أ لشيري وشاكتر Schaeter, Sherry مقابل نظام ب ، وفي الاختلاف الدلالي–العرضي لتوليفنج Tulving .

٣. المعرفة الشعورية مقابل المعرفة اللاشعورية التي يكمن وراءها الاختلاف بين الوظيفة الصريحة مقابل الضمنية والوظيفة العمدية مقابل الآلية.

وقد تم تحديد عدة تصنيفات وظيفية ثلاثية والتي تستدخل مجموعات فرعية لتلك الأبعاد الأساسية وقد عكس تقسيم توليفنج Tulving الأول للذاكرة العرضية مقابل الدلالية اختلافاً داخل المجال العام " لما نعرف " تاركاً العادة واكتساب المهارة خارج الحسبان. وبتجاوز هذا التقسيم ، افترض توليفنج Tulving (1985) لاحقاً تصنيفا ثلاثي التقسيم، في موازاة الذاكرة الدلالية العرضية، نظاماً " للذاكرة الاجرائية " يُعرَّف بأنه الاتصالات المُتعلَّمة الأساسية بين المثيرات والاستجابات ، بما في ذلك أنماط المثير المعقدة وسلاسل الاستجابة .

وإن مخططات الذاكرة الثلاثية المشابهة لتلك التي اقترحها توليفنج Tulving قد تم تطويرها أيضا بواسطة باحثون آخرون. وقد افترض روجيرو وفلاج(1976) Flagg , Ruggieso نموذجا يتكون من أنظمة لذاكرة المثير والاستجابة ، وذاكرة تمثلية ، ومنظمة ؛ وأشار أوكلي(1983) Oakley إلى أنظمة الذاكرة الترابطية ، والتمثلية ، والتجريدية ، وفي كلا المخططين ، التصنيف الأول يُعد مشابهاً للذاكرة الاجرائية وينطوي على التعلم التدريجي والاحتفاظ بالمهارات. أما التصنيف الثاني فهو مشابه للذاكرة العرضية في تمثل مواقف معينة معاً بسياقهم الزماني (زمكاني) spatiotemporal. وأما الثالث فهو

مشابه للذاكرة الدلالية ويمكن تخزين حقائق خالية من السياق مستخلصة من أمثلة معينة .

وعامة ، كما يمكننا أن نرى ، فإن العلاقات بين الأنظمة الوظيفية غير واضحة فيمكننا أيضا ملاحظة أن الاختلاف بين المعالجة اللفظية وغير اللفظية مستقل عن أي منها في الأساس. فعلى سبيل المثال ، قد تم ربط كلا من المعالجة اللفظية وغير اللفظية بالذاكرة التصريحية. وإن الفرق بين النظام أ والنظام ب لشيري وشاكتر Schactes , Sherry قد تم تحديده أولا على أنه ينطبق على أنواع غير الإنسان ، ومن ثم يعمل جوهريا داخل الكيفية غير اللفظية. وإن أبعاد المعالجة تتقاطع أيضا مع الفرق اللفظي وغير اللفظي. ومن وجهة نظر نظرية التحليل النفسي ، من المهم رؤية أن المعالجة الضمنية قد تم عرضها مع المعالجة اللفظية بالاضافة إلى غير اللفظية ، وأيضا أن العمدية والوعي لا يتقاربان بالضرورة.

فما يوضحه هذا البحث بشكل لا لبس فيه ، بغض النظر عن كيفية تحديد تقاطع الوظائف ، هو وجود نطاق واسع من الوظائف العقلية المنهجية ، والمنظمة ، والمتوجهة بالهدف التي تعمل خارج المجالات الوظيفية اللفظية أو الصريحة أو العمدية، والتي تستمر طوال الحياة العادية ، والناضجة ، واليقظة. وإن افتراض عملية موحدة لا شعورية، وغير لفظية، مرتبطة بأشكال نكوصية أو مرضية ، أو بحالات بديلة ، وتتصف بمحتويات إشباع الرغبة ، مما يعني ، بالصفات التي ربطها فرويد بالعملية الأولية ، هو أساسيًا غير مؤكد بتلك النتائج البحثية. سأناقش آثار تلك النتائج بالنسبة لفهمنا لمفاهيم التحليل النفسي بصورة أكثر تفصيلا في القسم الثالث.

الارتباطات العصبية للفروق الوظيفية

ربما نقدم أسسًا إضافية لتعددية الأنظمة، وربما بعض المؤشرات عن كيفية رسم الخطوط بشكل مناسب ، عن طريق فحص القيود التشريحية بالاضافة إلى الوظيفية. وفي حين أن غرضنا هو تطوير نموذج نفسي للمعالجة العقلية والوجدانية ، فإن البيانات العصبية تقدم مصدراً إضافياً للدليل على

الابنة النفسية . وإن الوظائف التي تم تعريفها على أنها الذاكرة التصريحية قد تبين أنها تعتمد على قرن آمون وأبنية ذات صلة في الحيوانات ، بالاضافة إلى البشر ، على نقيض مجموعة غير متجانسة ومجموعة وظائف غير تصريحية معرفة بغموض، والتي لا تتطلب قرن آمون . وتلك الخلاصة مدعومة بواسطة اعتلالات الذاكرة الانتقائية المرتبطة بتلف في قرن آمون لدى مرضى فقدان الذاكرة وأيضاً في الحيوانات التي أجري لها ذلك جراحياً، بما في ذلك الفئران والقردة، كما لُخص بواسطة سكواير(1992) Squire . إن القدرة على تذكر أن حدثاً ما قد حدث وأنه حدث في سياق معين ، والذي يُعد مرتبطاً بجوانب معينة للذاكرة التصريحية ، تتطلب تفاعلاً بين القشرة المخية الحديثة ونظام ذاكرة الفص الصدغي الأوسط على أن يتم تأسيسه وقت التعلم. وإن قرن آمون يقوم بتنفيذ وظائف التنسيق هذه في الإدراك والذاكرة قصيرة المدى، بما يمكن تكامل مواقع موزعة للنشاط القشري الذي يمثل جوانب متعددة لحدث معين. وبينما النشاط القشري ذاته كافياً للذاكرة الادراكية وقصيرة المدى ، فإن إمكانية التخزين طويل المدى واسترجا ع صريح (على عكس الذاكرة الضمنية التي يُدرك من خلال تأثيرها على الأداء) يعتمد على ذلك التنسيق لقرن آمون.

وكما هو متوقع ، فإن شيري وشاكتر Schactes , Sherry يجدان تدخل قرن آمون في وظائف النظام ب ، والذي يتطلب تنسيق صفات متعددة لحدث معين ، ولكن ليس في نظام أ. وإن الاصابات الموضعية لقرن آمون وأبنية حوفية أخرى في القرود تضعف الأداء في مهام التطابق ولكنها لا تضعف تعلم التمييز (Malamut , Saunders, & Mishkin , 1984) . وقد وجدت أيضاً أنماط مشابهة من الانشقاق في الفئران المصابة بجروح موضعية في قرن آمون) (Okeefe & Nadel, 1978 . ويمكننا هنا رؤية تقاربًا للبيانات بشأن تشغيل قرن آمون على أنه مرتبط مع نوع معين لوظيفة تنظيمية، كما يحدث ذلك في النظام غير اللفظي بالاضافة إلى اللفظي، وتشتمل على بيانات بشأن أنوا ع غير الإنسان. وكما سنقترح أيضاً ، فإن الجذور الوظيفية الترميزية تكمن هنا بالتحديد.

الفصل السابع
التمييزات الوظيفية لأنظمة
حسية معينة

ربما نحصل على منظور إضافي بشأن تعددية أنظمة معالجة المعلومات الإنسانية وبعض الاستبصار فيما يخص الفروق التي ربما تكون أكثر أساسية بواسطة عن طريق فحص اختلاف الوظائف كما تحدث في أنظمة حسية مختلفة. سأفحص المعالجة في النظامين الحسيين اللذين ربما تكون عملياتهما الوظيفية بعيدة ومميزة ؛ وهذه هي الانظمة البصرية والشمية.

الوظائف المتعددة في النظام البصري

وفقاً لكوسلين (Kosslyn (1987، فإن عمليات معالجة المعلومات للنظام البصري ربما تُفهم من خلال تحليل الوظائف التي يطلب من النظام القيام بها. فالرؤية لها غرضين عامين: (1) للتعرف على الموضوعات وأجزاء الموضوعات؛ (2) للتنقل عبر الفضاء وتتبع الحركة. وفي تنفيذ تلك الوظائف، فإن النظام يحتاج لموازنة عدداً من المطالب المتعارضة.

وإن واحدة مثل تلك المجموعة من المطالب المتعارضة تهتم بإدراك الأشياء كما هو الحال بشأن تغييرات الوضع مقابل حوسبة التباينات التي تحدث فنفس الموضوع سيظهر في عدة أوضاع مختلفة في الحقل البصري ، وصورته ستقع على عدة أجزاء مختلفة لشبكية العين . ومع ذلك ، يمكننا أن نتعرف على شخص نعرفه بشكل عام، أو موضوعًا مألوفاً، بغض النظر عن موقعة في الحقل البصري . وعلى الجانب الآخر ، فنحن نعرف أيضاً أين يوجد الشئ ومتى رأيناه ، ونتذكر ذلك الموضع. وبالتالي، بينما نحن قادرون على تخزين تمثل لموضوع ما مستقل عن موقعه ، ونحن قادرون أيضاً على تخزين موضعه والتغييرات في ذلك .

إن مجموعة مشابهة من المطالب المتعارضة تنطبق على التغييرات في الشكل. والعديد من الموضوعات تقدم نطاقًا من التباينات التي لا حصر لها في الشكل ، ومع ذلك يتم التعرف عليها على أنها نفسها . والموضوعات الحية

تتغير دائما في الشكل البصري؛ فنحن نتعرف على الأشخاص الذين نعرفهم تقريباً في كافة مثل تلك التباينات ـ وقوفا، أو رقودا، أو واقفين على رؤسهم، أو من الخلف، أو جانبهم، أو من الأمام. فحروف الأبجدية يتم التعرف عليها عبر ظهورها بخطوط ، وأحجام، وألوان عديدة ، وكذلك معظم النماذج المكتوبة بخط اليد. وعلى الجانب الآخر، فنحن أيضا قادرين على التعرف وتمييز التباينات في الشكل والتكوين، وتمييز كتابة شخص ما عن غيره، وعلى الاخبار عندما يبدو شخصا ما أكثر نحافة، وعلى التعرف على التغييرات الطفيفه في تعبير الوجه .

إن نوعا آخر من المطالب المتعارضة للنظام البصري يهتم بالتعرف على موضوعات متعددة الاجزاء ككل مقابل إدراك الأجزاء الفردية . فعندما يتم تخزين صورة لموضوع ما في الذاكرة ، يتم تنظيمها وتشفيرها ككل وأيضا على أنها تتكون من أجزاءها المكونة . ولو أن جزءاً من موضوع تم رؤيته لاحقاً يتطابق مع مكون كهذا تم تشفيره سابقاً، فإن التعرف عليه سيكون سهلا؛ وإلا، فلا. ويستعين كوسلين Kosslyn بمثال نجمة داوود: فإن المثلثات مدركة بالفعل كمكونات لهذا الموضوع ؛ بينما متوازيات الأضلاع المتقاطعة غير مُدركة . وعندما يتم تشفير الاجزاء وإدراكها بشكل منفصل ، فإن وظيفة التعرف على الشكل تكون مستقلة عن الموقع ، كما هي الحالة في تشفير أي كيان أحادي، الكل أو الجزء. وسيتم التعرف على المثلث بمثل هذه الطريقة بغض النظر عن موقعه أو توجهه. وفي نفس الوقت ؛ فإن المواقع النسبية للاجزاء خاصية مهمة لكافة الموضوعات. وان تشفير نجمة داود يعقد على موقع نسبي للمثلثات ؛ وصورة العلم الأمريكي تعتمد على موقع الشرائط والنجوم ؛ وتشفير وجه أو شكل شخص ما يعتمد على موقع نسبي لاجزائه . ولحل مشكلة التعرف على الموضوعات وأجزائها ، فلابد من وجود نظام لتشفير الاجزاء (النجوم ، الشرائط ؛ أو العيون ، الأنف ، الفم ، الاذنين) بشكل مستقل عن موقعهم في الكل ؛ ونظام لتشفير المواقع النسبية (عين واحدة على جانبي الانف وأعلى قليلاً ، أسفل الشفاة ، وهكذا) ؛ ونظاماً لتنسيق "ماذا " و" أين " .

ويناقش كوسلين Kosslyn أن الأنماط الوظيفية المتعارضة الموضحة هنا

تدعو لنظامين مختلفين للتشغيل، واللذان قد وصفهما بالتصنيفي والمستمر ، داخل الكيفية البصرية ذاتها .

النظام التصنيفي : تمثل نموذجي

يجب أن يكون هناك نوعا معينا من التمثل الثابت المبني والمخزن في الذاكرة البصرية طويلة المدى لتمكننا من ادراك شكلا معيناً . لم تم رؤيته من قبل كشخص ، أو قطة ، أو شجرة ، أو جبل ، أو حرفاً من حروف الأبجدية . وبالتالي ، فإن نظاماً أساسياً واحدا تم تحديدة بواسطة كوسلين يجب أن يسجل صورا نموذجية للموضوعات (البيت الأصفر ، الكلب ، الأم ، جبل رينيه، مثلث ، العلم الأمريكي) المخزنة في الذاكرة طويلة المدى ، والتي يمكن حينئذ الوصول إليها عن طريق المظاهر البصرية دائمة التغيير لذلك الموضوع، والذي يسمح فيما بعد لادراك كل هذه المظاهر بنفس المعنى . وهذه التمثلات النموذجية للموضوعات وأجزاءها المكونة ثابتة خلال التغييرات في الموقع والشكل . فهي تشكل تمثلات عالم الموضوعات في النظام البصري للإنسان ـ والرئيسيات. وإن مدى التباينات البصرية التي تخدم الوصول إلى الصورة النموذجية لموضوع معين يشكل ما أطلق عليه كوسلين مصطلح طبقة التكافؤ الوظيفي . وإن المعالج التصنيفي للنظام البصري يتجاهل التغيير داخل مثل هذه الفئة ، مستجيباً لذلك النطاق من المظاهر كما لو كانت ذاتها .

وبالإضافة إلى تمثل الأشياء ، فإن النظام التصنيفي لديه أيضا المقدرة على تمثل علاقات ، وخاصة علاقات مكانية مطابقة نموذجية، وعلى سبيل المثال: فئة إدراكية للوجود على قمة ، دون تحديد المسافة لأعلى ؛ " متصل بـ " أو " بجوار " أو " بين " دون تحديد مدى القرب او أي زاوية ، ومثل هذه العلاقات بين الموضوعات، كالموضوعات ذاتها ، تتمثل في الذاكرة بشكل نموذجي .

إن طبقة المظاهر البصرية لعلاقة معينة ـ أشياء ترى أعلى ، داخل ، أسفل ، بين أشياء أخرى ـ تشكل طبقات مكافئة وظيفيًا لعلاقات مكانية قابلة للتطبيق بذاتها عبر تباين واسع لموضوعات محددة.

أنظمة فرعية لمعالجة مستمرة

والنوع الثاني من النظام بصري وظيفي تم تحديده بواسطة كوسلين هو الذي يحسب المسافات والزوايا الفعلية ، أين يقع موضوع معين، وأين يوجد الشخص ذاته بارتباطه بهذا الموضوع. وهذا هو نوع المعالجة البصرية الضرورية لأغراض التنقل والبحث ، ولتوجيه الافعال الحركية ، ولعمل تمييزات جيدة. فلاعب كرة السلة يستخدم مثل هذه الحسابات للتصويب نحو السلة ؛ والفنان ، لإلتقاط تعبيراً معيناً للوجه أو الجسد ؛ والقط ، لتوجيه قفزته لأعلى الحائط. وهنا، فإن الصور النموذجية الثابتة التي تعمل على مظاهر متنوعة ليست تلك المطلوبة ؛ فالمعالج لابد أن يسجل التقلبات على الأبعاد المستمرة لمعرفة مواقع الاشياء بالتحديد ، وفي وقت معين ، في علاقتها مع بعضهما البعض ومع ذاتها.

وإن الحسابات الضمنية ، والمستمرة المُنفَّذة في النظام البصري ليست مقاييس بالمنطق الرياضي المعتاد ولكنها حسابات منهجية من نوع فريد . فالحوسبة بالمعنى الرياضي تتطلب نظاما قياسياً بوحدات واضحة وتنسيقات محددة أو نقاط أساسية وأن نظام معالجة المعلومات البصرية المكانية يفتقد لمثل هذا القياس الواضح ومع ذلك ، فهو يتيح نظاما من الحسابات ذو طبيعة حدسية وتناظرية، والذي يساعد بدقة تامة على توجيه فعل حركي ويسمع بتنبؤ حركة الموضوعات.

وهذه الوظائف المتعارضة داخل النظام البصري تتوافق عامة مع بعض من التمييزات الوظيفية الملخصة سابقاً. والمعالجة المستمرة سترتبط بشكل كبير بالمعرفة الاجرائية (أو غير التصريحية) ، والذاكرة الضمنية ، ونظام أ لشيري وشاكتر للوظائف التصنيفية ستكون غالبة في الذاكرة التصريحية والصريحة ونظام ب ، وفي كل من الوظيفة العرضية والدلالية . وإن التمييزات التي قدمها كوسلين تتطابق أيضا مع التمييزات بين تكوينات الرمز الفرعي والرمزية. وإن نظام المعالجة المستمر لدى كوسلين ستيم نمذجته بواسطة الرمز الفرعي أو تكوينات المعالجة الموزعة المتوازية ، بينما تتسم المعالجة التصنيفية بصفات مرتبطة بأنظمة رمزية.

تكامل أنظمة المعالجة

إن صياغة كوسلين تمثل مساهمة حاسمة إضافية في تقديم فهم عن كيف يمكن تكامل الأنظمة المختلفة مع بعضها البعض وأيضاً ربطها باللغة. ووفقاً لكوسلين، فإن المعلومات العامة ، الضمنية في أنظمة المعالجة المستمرة يتم تقسيمها وتوجيهها لطبقات تمثل متعادلة وظيفياً، إلى صور نموذجية، بما في ذلك تمثلات الموضوعات والعلاقات.

إن نظام الطبقات المتعادلة وظيفياً يقود لتصور نموذجي وبالتالي يلعب دوراً محورياً في كل من الترتيب للنظام البصري ذاته واتصال الخبرة البصرية باللغة وداخل النظام الحوسبي الضمني ، المستمر، لا وجود لوحدات منفصلة وتنسيقات صريحة والتي يمكن تعيين تسميات لها . ولا يمكننا التلفظ بالتباينات ، على الأبعاد المستمرة، التي يكمن وراءها ادراك التغييرات في الموضع أو التي تشكل أو توجه الفعل الحركي . فتكوين طبقات التعادل الوظيفي يجب أن يحدث في النظام غير اللفظي ، وذلك لتكوين نماذج مبدئية وتسجيلها في الذاكرة ، والتي يمكن حينئذ تعيين تسميات لفظية لها . وهذا التقدم يقدم الأساس الضروري للتطور المبدئي للغة ولربط كل أنواع الخبرة غير اللفظية باللغة .

دليل عصبي فسيولوجي
لأنظمة فرعية بصرية منفصلة

ان التقسيم الوظيفي الذي حدده كوسلين داخل النظام البصري مُدعم بواسطة التشريح العصبي والفسيولوجيا العصبية، وكذلك بيانات سلوكية (Desimone , Albright, Gross, & Bruce , 1984 ; Ungerleider & Mishkin, 1982 ; Van Essen, 1985) وقد حدد مشيكين وأنجيرلدر Ungerleider (1982) Mishkin , Ungerleider ومشيكين وأنجيرلدر وماك Mishkin , و (1983) Mack نظامين بصريين في مخ الرئيسيات :

نظاماً بطنياً ، يمتد من القشرة البصرية الأولية نزولاً للفص الصدغي السفلي ، والذي يمكن تحديد الموضوعات وأيضا ارتباط الموضوعات البصرية

بأحداث أخرى ، مثل المشاعر والأفعال الحركية ؛ ونظاما ظهرياً جزئياً موجود في وظائف التوجيه والموقع المكاني، مثل ذلك التكوين للخرائط المكانية الحركية وتوجيه الأفعال. وبالتالي ، فإن الأشكال الكلية للموضوعات وأجزائهم المكونة سيتم تشفيرها في النظام الصدغي البطني دون الاحتفاظ بالموقع ؛ بينما يمثل النظام الظهري الجزئي موقع الموضوعات في مشهد ما ، وكذلك علاقات مكانية بين أجزاء الموضوع . وكما يشير مشيكين Mishkin وآخرون ، هناك تساؤلاً هاما طُرح من خلال تلك النتائج عن كيفية تكامل هذين القطاعين من معالجة المعلومات . وبشكل غير مفاجئ ، فهم يفترضون بأن موقعاً محتملاً لمثل هذا التكامل قد يكون الفص الأمامي والنظام الحوفي ، وخاصة ، تكوين قرن آمون. وإن هذا الافتراض يتوافق مع البيانات المُلخصة سابقاً ، بشأن دور قرن آمون في تأسيس ذاكرة تصريحية بالاضافة إلى ذاكرة صريحة لاحداث معينة ، وأيضا بشأن اكتشاف شاكتر وشيري لتواجد قرن آمون في نظام ب. ومرة أخرى ، نحن نرى دوراً حاسماً لقرن آمون في تنظيم ميزة غير لفظية ، وتنظيم خبرة في أنواع غير الانسان .

إن وجود أنظمة فرعية منفصلة تعمل على تشفير الموضوعات والعلاقات المكانية مُدعم أيضاً بواسطة إكتشافات عصبية من قبل العديد من الباحثين . وقد وجد فارا وفارتش وليفين Levin , Warach , Farah (1985) مريضين باضطرابات التصور التكميلي : أحدهما يمكنه تصور الشكل دون المواقع ، تبعاُ لتضرر المناطق الجدارية القذالية ؛ والآخر يمكنه تصور المواقع والعلاقات المكانية دون الأشكال ، تبعاً لتضرر المناطق الصدغية القذالية.

وقد حددت فارا(1988،1991) Farah أيضا أنظمة مختلفة للتعرف على الموضوع والتصور المكاني داخل النظام البصري . فإن نظام الذاكرة المطلوب للتعرف على الموضوع يسجل معلومات معينة بشان المظهر الواقعي للموضوع، بما في ذلك معلومات عن اللون ، والشكل ، و المنظور؛ ويعرض نظام آخر تخطيط نموذج للموضوعات في الفضاء فيما يتعلق بالمشاهد وبعضه البعض. وقد وجدت فارا أيضا دليلاً لتعددية التمثلات داخل نظام التعرف على الموضوعات

ذاته ، بما في ذلك نظاماً يعمل على تشفير معلومات بشأن وظيفة يتعارض مع آخر ليسجل ملامح وصفات بصرية معينة ، ونظام بصري يشفر أجزاء معينة لموضوع يتعارض مع آخر يعمل على تشفير أنماط عالمية.

وقد حدد في نتيجة ذات صلة شاكتر وكوبر وزملائهم , Cooper (Schactes , Cooper & Delaney , 1990; Cooper , Schactes Schactes , Ballestros & Moore,1952) مجموعة من الخلايا العصبية في نظام التمثل البصري ، والتي أطلقوا عليها نظاماً بنائياً ، والتي تحسب لا شعوريا أو "ضمنيا" بنية الموضوع العالمي وتوجهه فيما يتعلق بإطار المرجع ؛ وهذا النوع من التمثل لا يتأثر بصفات معينة ، مثل حجم أو لون الموضوع. وإن نظاما مناقضًا، والذي أطلقوا عليه نظاماً نوابيًا، يحدد شعورياً أو " بوضوح " صفات معينة للموضوع، مما يمكن من التعرف على موضوع معين والتفريق عن الموضوعات الأخرى.

وقد حدد أيضًا بيدرمان وكوبر Cooper , Biedesman (1992) طريقين مختلفين للنظام البصري يتأصلان في نفس منطقة الإسقاط البصري الأساسي . فأحدهما يعالج موضوع الشكل والاجزاء الهندسية ، ويتناول تمثل موضوع منفصل عن بيئته أو موقعه في الفضاء ؛ وهذا المسار يمتد بطنيًا للقشرة الصدغية السفلية . والنظام الآخر ، والذي يتوسط الذاكرة المكانية ، يمتد من الناحية الظهرية للقشرة الجزئية العلوية. وهذا النظام يرسل معلومات بشأن الموقع والوجهة ، ويُمكن من اتساق الفعل لموضع ، وتوجه ، وحجم الموضوع.

وفي حين أن التحاليل المتنوعة للمسارات العصبية الفسيولوجية البارزة تقدم أقسام مختلفة نوعا ما للوظيفة والموقع، إلا أنها تتقارب بشكل عام في تمييز نظام بطني يدعم تحديد الموضوعات وارتباطها بأحداث أخرى، ونظام ظهري، جزئي يتناول الوظائف المكانية. وهناك ايضا اتفاقا عاما بأن موقع تكامل تلك الأنظمة من المرجح أن يكون تكوين قرن آمون.

كيفية متباينة :
النظام الشمي

إن أنواعا مختلفة من معالجة المعلومات قد يتم تحديدها بكل كيفية حسية ، وكذلك بأنظمة حشوية وحركية ، بأشكال يتم تحديدها بسمات كل كيفية. وكما قد أوضح كوسلين، فإن النظام البصري يستدخل كلا من تمثلات تصنيفية منفصلة ومعالجة مستمرة . فالمعالجة المستمرة سيتم نمذجتها بواسطة أنظمة رمزية فرعية والتمثلات التصنيفية بواسطة عمليات رمزية. وداخل النظام البصري ، مع ذلك ، وحتى عمليات النظام المستمر ، بما في ذلك معالجة علاقات مكانية ، أو أنماط ، او ألوان أو ظلال ، ربما يكون من المحتمل قدرتها أن تكون مخططة بإنتظام على أبعاد فيزيائية بمقاييس محددة ، وبالتالي فإن الموقع الحدسي لموضوعات بصرية قد تم ترجمته لأبعاد مكانية محددة (على سبيل المثال ، يمين ، يسار ، أعلى ، أسفل) ولمقاييس على تلك الأبعاد . وإن صفات لونهم وظلالهم ربما يتم تحديدها أيضا بناء على أبعاد درجة اللون ، واللمعان ، والتشبع، مع كل بُعد له علاقة مباشرة ومنهجية بخصائص فيزيائية للمثير .

إن الشم يتناقض مع الرؤية في أغلب هذه الأمور . فالحقل الشمي ليس له صفات أو مقاييس منفصلة ، وبدون أبعاد قد تكون محتملة التحديد. ومن المفترض بشكل عام أن خبرة الشم تنتج من فعل الجزئيات المنبعثة من مادة عطرية على الأنسجة الشمية. ومع ذلك ، فإن الميكانيزم الدقيق الذي يكمن وراءه هذا التأثير غير مفهوم جيداً ، ولا يوجد حتى الأن أساسا متماسكا للتمييز بين أنوا ع مختلفة من العطر على أساس خصائصهم الفيزيائية أو الكيميائية .

ويبدو أن كل عطر يتم تشفيره بشكل فردي وفقا لأنماط النشاط الكيميائي في حاسة الشم والمستقبلات، ولم يتم تحديد الأبعاد التي ستسمح بتصنيف تلك التأثيرات. وقد فشلت المحاولات لتطوير نظام تصنيفي للعطر مقارنة بالنظام المُطَّور لرؤية اللون . وافترض هيننج Henning (1916) نموذجا " لمنشور شمِّي "

حيث تم تعريف الشذرات الشمية في الطرفين عن طريق ست صفات

افتراضية أولية (زهري ، فاكهي ، متعفن ، حار ، صمغي ، ومحروق) فكل العطور الممكنة حينئذ مبدئيا، كانت قابلة للتعريف عن طريق موقعها على سطح المنشور ومع ذلك ، لم تنجح محاولات إظهار صدق المنشور بواسطة تجارب منهجية ووسائل أخرى (Engen,1987) . ولم تُكتشف أي علاقة منهجية بين منشور هيننج Henniny ، أو أي نظام تصنيف عطري ، وبين الصفات الفيزيائية لأي من المثير أو المستقبلات الشمية. ولا يوجد ارتباطات فيزيائية أو كيميائية معروفة للعطر تشبه الترابطات النفسية الفيزيائية المعروفة جيداً للطيف البصري ولا يوجد دليل على الخلايا العصبية للمستقبل الشمي مشابه للقضبان والأشكال المخروطية (Gesteland, 1986) .

إن الشم والرؤية يظهران اختلافات دالة في الوظيفة ترتبط بالتنظيم المختلف بتلك الكيفيات. والصور البصرية تُستخدم كأدوات مساعدة للتفكير ، والتعلم ، والذاكرة . فهي توفر معرفة لموضوع في غيابه ، وفي بعض الحالات تمكن من تحديد الخصائص البصرية التي ربما لم يتم استحضارها سابقا، وتمكن من أداء المحاكاة والحسابات العقلية. وربما نخطط لمسار موضوع في خيالنا لتحديد أين سيقع ؛ وربما نحسب عدد النوافذ لمنزل ما عن طريق رؤية صور لكل غرفة بالترتيب ونصل لإضابة لم تحدد بوضوح من قبل .

وعلى النقيض ، فنحن لا نحاول عادة استرجا ع ذكريات الروائح لاسشتقاق معلومات منها . " فالوظيفة الرئيسية لحاسة الشم حينئذ ، ليست لتذكر عطور لأسباب معرفية ، ولكن للاستجابة لعطور تم مواجهتها بالفعل ، كما يشير إينجن Engen (1987, p.503) . ويبدو أن الشم مرتبط في المقام الأول بوظائف دافعية بدلا من معرفية ـ موجهة الاستجابة لموضوعات موجودة بدلا من صور لاشياء غائبة ، وتجنب التوجيه والاقتراب. فالروائح تحذرنا من خطر (حريق أو طعام فاسد) ، وتنشط الشهية للطعام والشراب (رائحة تخمير القهوة ، ورائحة الخمر) ، وتثير الرغبة الجنسية ، وتثير الحماس والحب.

في حين أن تمثلات الرائحة غير قابلة لاسترجا ع أو إعادة النوع الممكن للتصور البصري، فمع ذلك يجب أن يكون هناك ذاكرة للروائح بشكل ما لدعم

وظائف التعرف الشاملة التي قد تم توثيقها . فالبشر ، وكذلك الحيوانات ، يظهرون دليلاً واضحا على تمثلات شمية مخزنة في الذاكرة طويلة المدى ، وفي مخططات معقدة ، ومترابطة . فالكلب المدرب يسجل الرائحة الخاصة بملابس الهارب لتوجيه المطاردة . وبالنسبة للبشر ، فإن ذاكرة الرائحة طويلة المدى ، والروائح ، مثل الأطعمة ، لديها القوة على استحضار ذكريات لأحداث منذ فترة طويلة . وكما يقول بروست Proust في تذكر أشياء ماضية :

من الماضي البعيد لا شئ يبقى ، بعد موت الناس ، بعد انكسار وتناثر الأشياء ، يظل وحده ، أكثر هشاشه ، لكن بمزيد من الحيوية .

أكثر ضعفًا، ومزيد من المثابرة ، والايمان ، رائحة ومذاق الاشياء ... وتحمل دون تزعزع ، في الانخفاض غير المحسوس والصغير جداً غالبًا جوهرها ، والبناء الكبير للتذكر . (Quoted in Engen , 1987, p.497)

وقد أكد نابكوف Nabokov أيضا على قوة الروائح في إثارة الذاكرة ، وقد أكد على نمطها الاسترجاعي أحادي الاتجاه . وبينما تستحضر الروائح التصور البصري للعقل ، فإن الصور البصرية لا تعمل لتخزين الروائح ، وكما يقول في روايته المبكرة ماري Marry : " يمكن للذاكرة استعادة كل شئ للحياة عدا الروائح ، برغم أنه لا شئ يعيد إحياء الماضي بصورة كاملة كرائحة كانت مرتبطة به " (Quoted in Engen 1987, p.497)

فالطبيعة المختلطة وغير المتماثلة لذاكرة الرائحة قد تم إيضاحها في بحث حول تعلم وذاكرة الرائحة. فتعلم الروائح وتسجيلها في الذاكرة يتصف بنمط اكتساب بطئ ومرات تكرار طويلة، وهو ما يُعد مناقضاً لنمط التعلم للرؤية والسمع. وفي التجارب التي أُجريت على التعرف على الرائحة لعينات بشرية ، أنه يتم تعلم العطور بصورة بطيئة وجزئية مقارنة بالتعلم البصري ، ولكن بمجرد أن يتم تعلم الروائح يقل نسيانها عبر الزمن، مما يؤدي إلى منحنى نسيان خاص منتظم. (Schab,1991) وعلى النقيض ، فالتكرار الأول جيد بشكل أساسي بالنسبة للرؤية والسمع ، ولكن يحدث نسيان معقول عبر 30 ثانية . (Campbell & Gregson, 1972)

وإن الطبيعة الخاصة لمعالجة الرائحة منعكسة أيضا في عدم التوافق الموجود بين القدرات البشرية لتمييز الرائحة مقابل التعرف على الرائحة. وعلى نقيض بعض الاعتقادات الشائعة ، فإن حاسة الشم ذاتها بعيدة عن الضعف في البشر ، فالناس يظهرون قدرات حساسة جدا لاكتشاف وجود أو غياب الروائح، ولتمييز روائح مقدمة جنبًا إلى جنب (Richasdson & Zucco, 1989). وإن الضعف في الادراك الشمي لدى البشر لا ينشأ في اكتشاف الروائح ولكن في التعرف عليها وبمعدل متوسط ، كما اكتشفت عدة دراسات ، فإن العينات قادرة على التعرف على أقل من نصف الروائح الشائعة المقدمة لهم في المحاولة الأحادية ، ودون مساعدة ومهام تحديد الرائحة (Summer , 1962 ; Cain & Krause,1979)

فالعينات ستخبر غالبا رائحة مألوفة ولكن لن تكون قادرة على استعادة اسمها. فهذه الظاهرة قد وصفت بأنها حالة " طرف الأنف" (Lawless & Engen ,1977) . على نقيض ظاهرة " طرف اللسان " المعروفة جيدا (Brown & Mcneill, 1966) ، فالعينات في حالة " طرف الأنف " لا يمكنهم تقديم أي معلومات عن اسم الرائحة المألوفة ، مثل أول حرف أو عدد المقاطع ؛ ومع ذلك، فهم قادرون على إجابة أسئلة عن نوعه وسياقه . وبالعكس ، فالروائح التي تختلف كيميائياً قد تنشط نفس الاسم ، حتى لنوع واحد (Engen, 1982).

تنظيم تمثل الرائحة في الذاكرة طويلة المدى

في القدرة على التمييز الدقيق على أبعاد مستمرة ، ولكن دون تحديد واضح لتلك الأبعاد ، ودون تحديد لسمات أو مخططات منفصلة ، يبدو أن معالجة الرائحة تقدم نموذج مثال للرمزية الفرعية أو شكل المعالجة الموزعة المتوازية. ومع ذلك ، فإن الناس قادرين أيضا على تصنيف الروائح ولديهم ارتباطات خيالية لهم ، تؤشر إلى معالجة رمزية بمنطق ما .

استكشف إنجين Engen الاساس للتعرف على الرائحة وعلاقته بتنظيم ذاكرة الرائحة مستخدما نموذجا للتعرف. فقد طلب من العينات تحديد روائح شائعة، والتي تنوعت في درجة الالفة والتشبع. وتم الحصول على النتائج المعتادة لمهام التعرف على الروائح ، بمتوسط أقل من 50% للعينات تعرفوا على كل الروائح بدقة وتباين معقول بين العطور (على سبيل المثال لا توجد استجابات صحيحة لرائحة المسك مقارنة بنسبة 83% ردود لرائحة العرقسوس). ومن ثم قامEngen إنجين بتحليل الاستجابات، بما في ذلك الاستجابات الخاطئة ، وذلك لتقديم معلومات بشأن طبيعة الارتباطات بالرائحة كأساس للاستنباط على بنية ذاكرة الرائحة. ووجد أن 44% من الاستجابات كانت تحديداً صحيحًا للمصطلح أو المصدر (على سبيل المثال، الليمون، العرقسوس) ؛ و 3% من الاستجابات كانت لفئات رائحة شاملة ، (على سبيل المثال "فاكهي ") ؛ و 1% من الاستجابات كانت متعلقة بفئات الاحساس (على سبيل المثال ، لاذع؛ و 5% من الاستجابات لم تُحدد. وإن باقي الاستجابات ، والتي شكلت النصف تقريبا (47%) ، أشارت إلى موضوعات متعلقة بالرائحة ، بما في ذلك العطور المتشابهة ، وجوانب السياق التي ربما يتم بها إدراك الرائحة (على سبيل المثال ، حلوى صلبة ، منتجات تنظيف) ، وبما في ذلك ايضا استجابات تمييزية وشخصية . وأظهرت النتائج أن تمثلات الرائحة من المرجح تحديدها بواسطة السياقات التي يتم بها إدراك الروائح ، والموضوعات التي ترتبط بها والملامح الحسية لتلك الموضوعات في كيفيات متعددة ، والمشاهد التي تظهر فيها الروائح ، بدلا من تجديدها بواسطة ملامح أو أبعاد الحقل الشمي .

تشفير الرائحة في الأحداث العرضية

إن التسجيل عابر- الكيفية والتسجيل الخبروي للرائحة يتم إيضاحه خلال تلك السطور من بودلير Baudelaire:

هناك روائح نقية كبشرة الطفل ، حلوة كالمزامير ، خضراء كالعشب، وروائح أخرى، فاسدة، غنية وغالبة (Baudelaire, Correspondences, 1857;Quoted in stern , 1985, p.155)

وكما يشير شتيرن Stern ، في تلك السطور الثلاثة فقط ، " إن بودلير Baudelaire يطلب منا ربط الروائح بالخبرات في مجالات اللمس ، والصوت ، واللون ، والشهوانية ، والمالية والقوة " (1985, p.155) فذاكرة الرائحة ، كالتي تحدث في الحياة الحقيقية، قائمة على " مشاهد أُحادية مُدرَكَة... موضوفة في معجم خاص " كأحداث محددة ومتميزة (Engen , 1987, p.501). فالذاكرة التي يتم استرجاعها ليست ذات رائحة منعزلة / منفصل، ولكنها ذات رائحة مترسخة في حدث ما مع أشخاص بعينهم، وأماكن ، وبنبرة وجدانية معينة. وفي وقت مبكر كعام 1929 ، أدرك أتشيليز Achilen أن الانطباع الأول للرائحة هو ليس إحساساً نقيا ، كما يمكن أن يكون وربما غالبا هو كائن في الرؤية والسمع ، ولكنه حالة شعورية معقدة . فهو ارتقاء لتلك الحالة التي تأخذ وقتاً حيث أنها تستتبع تفاعلات مع جوانب أخرى للموقف. وبالرغم من أن إدراك الرائحة بطئ للحضور في العقل، إلا أنه قد يستمر طويلا . Quoted in) Engen , Kuisma , & Eimas , 1973, p.225) وإن طبيعة تشفير الرائحة في المخططات المعقدة والمتقاطعة والمترابطة تلم بالعديد من صفات المعالجة الخاصة بها ، بما في ذلك الاكتساب البطئ جدا والطويل، وأساسيًا لا غنى عنه للاحتفاظ به وخاصية التذكر ، كما هو موضح في كل من الملاحظة الطبيعية والبحث التجريبي .

وقد قدم لوليس(1978) Lawless دليلاً تجريبيا للعلاقة بين غياب الخصائص أو الأبعاد والتميز الذي يمكن تحديده في مثيرات شمية والاكتساب البطئ وفترات الاحتفاظ الطويلة . فقد قدم عينات بأنواع مختلفة من المثيرات بما في ذلك الروائح ، وصور لموضوعات معينة وتصاميم بصرية حرة الشكل تفتقر لسمات معينة ، قابلة للتحديد ، واختبر أداء الادراك على مدار أربعة أشهر .

وتم الحصول على النتيجة المعتادة للذاكرة المبدئية المرتفعة لكن النسيان الحاد فيما بعد قد حصل لصور لموضوعات معينة ، وتطور اكثر بطئا ، وأقل اكتمالا للذاكرة الفورية وقليل من النسيان لاحقا للعطور، كما في البحث السابق. وكما هو متوقع فقد وجد أن وظائف التعلم والنسيان للاشكال الحرة البصرية

موازية لوظائف الروائح ، بما يشير إلى تشابهات في عمليات التشفير . وبكلمات أخرى ، بالنسبة للمثيرات التي كانت صفاتها القابلة للتحديد غائبة ، فقد كان التشفير بطيئا وكان الاحتفاظ طويلا بالنسبة للمثيرات البصرية وكذلك الشمية .

وافترض لايمان وماكدانيال Lyman , Mcdaniel (1986) أن التعرف على الروائح قد يتم تحسينه عن طريق تقديم حدثاً يتعلق بالرائحة أو عن طريق تسمية لفظية وفي كل من الحالتين توضيح للطبيعة الساكنة نسبيا للمثير الشمي كما تم اختباره في المعمل . وقد طلب من العينات إيجاد اسم وتعريف قصير لكل رائحة ، أو وصف حدث معين في حياتهم عندما قاموا بتجربة كل رائحة . وقد ازداد ادراك الروائح بشكل دال تحت كلٍ من الظرفين . وقد كان عدد الاستجابات الصحيحة افتراضيا بشكل مباشر بالنسبة لدقة الاسماء التي وجدت في حالة واحدة ، ولدرجة خصوصية الخبرات المتذكرة في الحالة الأخرى.

المعالجة التصنيفية والمستمرة
في النظام الشمي

إن النتائج التي تمت مراجعتها تفترض أن تميز الوظيفة المحددة بواسطة كوسلين داخل النظام البصري تنطبق كذلك على الشم. لكن بطريقة محددة بمتطلبات معينة لتلك الكيفية. فالنظام الشمي يعمل مباشرة لتمييز الاختلافات البسيطة في الرائحة على أبعاد مستمرة ، وضمنية . ومع ذلك ؛ فإن نطاقات الروائح مقسمة أيضا إلى فئات منفصلة . وقد يكون هناك تنوع بين روائح الازهار المختلفة ، ولكن عطر الزهرة يمكن تمييزه عن الياسمين والليلاك ، والزنابق . وكما في الحقل البصري وكيفيات أخرى ، فإن نطاق مستمد من الروائح يخدم وظيفيًا الوصول لتمثل نموذجي لصيغة رائحة ما معادلة وظيفيًا لفئة ما. وأيضا ، كما في النظام البصري ، فإن مثل هذه النماذج الشمية من المفترض تكوينها قبل التحاق الاسماء بها .

وبينما تمثلات الرائحة النموذجية المخزنة في الذاكرة كافية بشكل مفترض لتسمح بتمييز الرائحة ، وأحكام الألفة ، تحديد الرائحة ـ تحديد بواسطة تسمية لفظية ـ يتطلب عامة أن ترتبط تلك التمثلات بموضوعات أو أحداث بخصائص بصرية وسمات أخرى متقاطعة–الكيفية والتي تستدخل عناصر منفصلة وخاصة يمكن تنميتها . فالصور والاحداث المنفصلة تشكل منظمو الشم، كما في النظام البصري ، وأيضا يكمن وراءها الاتصال باللغة . ومع ذلك ، في النظام الشمي، يتم رسم الصور المنفصلة عامة من مجالات حسية أخرى ـ عادة من كيفية متقاطعة.

علاقة تمثل الرائحة والوجدان

إن الكيفية الشمية ذات فائدة معينة لمشروعنا الخاص لتنمية نموذج للتمثل والتعبير عن خبرة وجدانية ، كما يعمل ذلك في عملية التحليل النفسي. فالرائحة مرتبطة جداً بالوجدان ، من الناحية العصبية الفسيولوجية والوظيفية ، وإن التشريح العصبي لحاسة الشم لدى الانسان يتصف باتصالات مباشرة نسبياً (مشتبكات عصبية قليلة) لأبنية المخ المتضمنة في الذاكرة والوجدان ، بما في ذلك قرن آمون ، والمهاد ، والقشرة الأمامية ، وباتصالات قليلة نسبيا بالقشرة الجديدة وأبنية مترابطة (Lynch & Baudry ,1988) . وإن ارتباط الشم بميكانيزمات الجهاز الحوفي منعكس أيضا في التأثيرات الانتقائية لتلف المخ بشأن معالجة الرائحة. وإن مرضى كورساكوف لديهم صعوبة بالغة في كل جوانب وظيفة الرائحة ، بما في ذلك اكتشاف ، وتمييز وتخزين الروائح. وهذا الخلل الوظيفي يتم التحقق منه من تسجيلات مباشرة من الأقطاب الكهربائية المزروعة في المنطقة الحوفية (Halgren ,1976) وقد اكتشفت دراسات أخرى ضعفاً في اكتشاف الرائحة في المرضى الذين يعانون من صرع الفص الصدغي، بما في ذلك المرضى الذين قد تعرضوا لاستئصال الفص. وإن علاقة تمثل الرائحة بخبرة شخصية وجدانية قد تم ايضاحها مباشرة في عدة دراسات تجريبية . وقد أوضح كيرك سميث وفان تولر ودود (Kirksmith , Vantoller , Doold, 1983) أن الروائح الطبيعية قد تكتسب قيم وجدانية عن طريق

اقترانها بأحداث دالة وجدانيًا. ووجد جولد سميث وجروت وروبن Goldsmith , Groth , Rubin (1984) أن الروائح تثير ذكريات وجدانية أكثر مما تفعله الهاديات البصرية أو اللفظية ، وأيضا تثير ذكريات ذاتية التي لم تستعيدها العينات من قبل.

وقد اقترح شاب Schab (1951) أن تحديد الروائح ربما يفهم أنه كتقدم يبدأ بأحكام الجاذبية أو أحكام الألفة (على سبيل المثال ، رائحته جيدة ، " أنا متأكد أني قد شممته سابقاً ") ، ثم ينتقل عبر عدد من الخطوات المتداخلة وصولا إلى استرجاع الاسم المحدد (" رائحته كالموز") . وبالاتفاق البيانات المقررة بواسطة إنجين وآخرون Engen (1987) ، فإن تلك الخطوات المتداخلة كان من المرجح أنها تشتمل على خصائص نوابية وإدراكية للرائحة وصفات الأحداث التي ظهرت بها .

كما افترض ريتشاردسون وزوكو Richardson , Zucco (1989) ، أن "المعالجات الشمية ، والصور البصرية والتمثلات اللفظية ربما تشكل ثلاثة أنظمة من المعالجة المعرفية المستقلة وظيفيًا لكن على الأقل مترابطة جزئيا " (p.358) . وإن تسلسل المعالجة المترابط الملخص سابقا للرائحة يتوافق في المعاني العامة مع العملية التي عن طريقها تتصل الخبرة في كل الكيفيات الحسية ، وفي الخبرة الجسمية والحركية ، بالتصور الرمزي والكلمات. وإن مثل تلك الاتصالات تُعد مركزية في تنظيم أبنية الوجدان وتعبيراتها اللفظية ، كما سنرى في الفصل الثامن والثاني عشر وقبل الانتقال للبحث الحالي حول الوجدان وتعبيراته اللفظية ، سأفحص بإيجاز عمل تسلسل المعالجة هذا في الكيفيات الحسية الأخرى ، فجميعها يظهر في المخططات الوجدانية بطرق مختلفة .

ترميز الخبرة الحسية

إن تفسيرات التصور الخاصة ببيفيو وكوسلين وآخرون Kosslyn, Pavio ، ركزت كليا تقريبا على النظام البصري . وإن صياغة كوسلين لنظام تشغيل بصري ثنائي ، بما في ذلك معالجة التدرجات المستمرة وتكوين صور

نموذجية ، تقدم نموذجا عاما للعملية الترميزية كما يعمل في النظام الادراكي البشري (وربما أنواع أخرى أيضا) ، بصفات وقيود معينة مفروضة بواسطة كل كيفية حسية . وقد أوضحت تطبيق ذلك المدخل على النظام الشمي ، والذي يختلف بوضوح عن الرؤية ، في شكله الرمزي الفرعي المهيمن وغياب صفات منفصلة أو قياسات واضحة ، وفي اعتماده المتوالي على صور نموذجية رُسمت من مجالات متقاطعة الكيفية. وأفترض أن تمييزاً ثنائيا مشابها يمكن إيجاده في كيفيات حسية أخرى ، بأشكال متنوعة خاصة لكل كيفية . وإن التنظيم الحسي غير اللفظي يعمل قبليًا وبشكل مستقل عن تنظيم من قِبَل اللغة في كافة الفصائل ، لا البشر وحدهم، ولكن ربما يتأثر أيضًا بطرق دالة باللغة داخل نظام معالجة المعلومات الانسانية .

تمييز وتحديد المذاقات

إن عمليات التذوق تبدو موازية بشكل أساسي لعمليات الشم .فالناس قادرون على التمييز بين المذاقات بصورة اكثر دقة وأكثر وضوحا عن قدرتهم على تحديدها بالكلمات. فعندما لا يمكن تحديد المذاق بشكل خاص ، كالرائحة ، فمن المرجح أن يشير الناس إلى صور أو احداث معينة ، عادة بصفات متقاطعة الكيفية.

إن وصف كيان ما بالرجوع إلى كيانات أخرى بعدة صفات متقاطعة الكيفية ربما قد وصل لأعلى مستوياته من التنقيح في حقل تذوق النبيذ . ولربط خصائص نبيذ ما ـ كلا من الطعم والرائحة ـ بالقارئ ، وللتفريق بينه وبين غيره ، فإن كُتاب النبيذ العظماء يستحضرون ارتباطا بنطاق واسع من موضوعات متماسكة ومعينة، باستخدام مراجع متقاطعة الكيفية تحرراً في تلك المحاولة. ووفقا لباركر Parker (1990, P.720) ، فإن نوعا من النبيذ عام 1983 غني جداً، ومستدير وفاكهي ، مع مجموعة غريبة من ورق مقوى متعفن ، ودخان ، وفاكهة نباتية . ومع ذلك فالنكهات جيدة وقوية . اشربه . " وآخر من نفس المجال ونفس العام ، " أقل نضجاً وأكثر حامضية بشكل واضح ، ومع تزايدها في الكأس تبعث روائح لحم متعفن ، وطوفي ، وكراميل ، وجوز. وله ملمس ناعم

ونهاية طويلة جداً " (P.720) . وآخر عنابي ، من مجال آخر وعام آخر ، " غني ، كريمي ، ملئ بالفواكه " ؛ وآخر " لين ، وباهظ الثمن ، ومعقد جدا في الأنف (توت العليق ، والبلوط الجديد ، وورود) " (P.725) وإن التمييزات البسيطة بين أنواع النبيذ لا تظهر من المصطلحات العامة التي تشير لأبعاد تجريدية ، مثل غني أو حمضي ، ولكن من صور خاصة ، غالباً متقاطعة الكيفية ـ مذاقات مستديرة ، وناعمة ، ولينة ، مع ترابطات مثل ورق مقوى متعفن ودخان، بالإضافة غلى ورود وفاكهة . وتسمح مثل هذه الصورة بالتعبير عن هذا التعقيد أوليًا، الكيفية التمثلية الرمزية الفرعية. فالصلة بالرموز ، وأخيراً باللغة ن تتم بهذه الطريقة . ولو أن الاتصالات فعالة ، سيتم استثارة المذاقات والروائح للقارئ أيضاً .

تمثلات حركية ، لمسية ، وجسدية

إن التقسيم الوظيفي الذي حدده كوسلين يمكن تطبيقه لأنماط قائمة على أساس مكاني مثل حركة الجسد ، وتمثل لمسي ، وتمثل لبعض أنواع الخبرة الجسدية . وإن نظام التنسيق المكاني الضمني الذي قد حدده كوسلين للرؤية تتم مشاركته مع تلك الكيفيات. فعلى جانب، نحتاج لعمل حسابات دقيقة ومرنة بشأن قياس مستمر وضمني عندما نحاول التقاط أو وضع موضوع ما خارج محيط الرؤية، أو وضع أقدامنا بصورة صحيحة بينما نحاول تسلق صخرة منحدرة. وعلى الجانب الآخر فنحن نتعلم تمييز وتحديد الموضوعات بواسطة اللمس ، ونطور صورة دائمة خاصة بأجسادنا ، داخلياً وخارجياً لنكون قادرين على الاخبار" بما يؤلمنا " ولتمييز ألم معدي عن ألم عضلي . ولتمكين مثل هذا التمثل (ولجعل مثل هذا التمثل ممكنا) ، لابد من تكوين صور ثابتة ونموذجية لبيئتنا الخارجية وأنظمتنا الداخلية .

وبالنسبة للأعمى ، فإن نظام اللمس متعدد للغاية ، ينظم خبرة خلال كيفيات حسية أخرى وتقديم مجازات تنظيمية لافكار تجريدية وكذلك للوجدان. فعالم هيلين كيلر Helen Kelles قد بُني بشكل كبير على حاستها اللمسية ـ فكان لها بمثابة رموز واستعارات بصرية بمرجع بصري للشئ المرئي :

وعن طريق حاسة اللمس أعرف أوجه الأصدقاء ، وحيوية التربة ، والاشكال الرقيقة للأزهار ، والأشكال النبيلة من الأشجار ، ونطاق الرياح القوية. وإلى جانب الاشياء ، والاسطح ، والتغيرات الجوية ، أشعر باهتزازات لا حصر لها (1908,P.43) .

وبالتالي ، فهي تشير إلى تدرجات مستمرة ، ومكانية (على سبيل المثال ، تنوع الأسطح) وصور نموذجية (أوجه الأصدقاء ؛ الاشكال الرقيقة للازهار) ، بالإضافة إلى تمثلات يتم بها دمج تمثلات ملموسة أو حركية مع خصائص أنماط أخرى ("نطاق الرياح القوية ، " " اهتزازات لا حصر لها").

السمع

إن وظائف السمع موازية لوظائف الرؤية واللمس ، فهي تعمل في شكل تسلسلي مع صفاتها الخاصة. فنحن نستجيب للتدرجات الدقيقة جدا في إدراك الاختلاف في إشارة سمعية ونقوم أيضا بتسجيل صور سمعية نموذجية ثابتة تسمح لنا بالتعرف على طبقات الاصوات عبر اختلافات سياقية وغيرها وللتفريق بين طبقة وأخرى . وبالتالي ، من ناحية نحن نستجيب لتنوع مستمر في حدة الصوت ، وجرسه ، وعلو الصوت ، ولاختلافات بسيطة في نبرة الصوت ، والتي تخبرنا متى يكون الشخص متعبا أو غضبانا أو حزينا . فنحن نستجيب وجدانياً لاختلاف التعبيرات اللفظية للطفل ، حتى عندما لا نستطيع تحديد أو توضيح معناهم. ومن ناحية أخرى، ندرك ونحدد ألحان أو تناغمات معينة ، ونميز صوت الكمان عن تشيللو أو الكلارينت . فيمكننا تحديد صوت صديق ، سواء شخصيا ، أو عبر الهاتف ، أو على مسجل صوتي ، حيث يتم الاحتفاظ بنطاقات كافية من الإشارات. ونميز صوت بكاء طفلنا عن غيره ـ حتى في غرفة مزدحمة ـ (أو على الأقل نعتقد أننا نفعل ذلك). فكل كيان من تلك الكيانات التي يمكن تحديدها يشكل " أشياء" منفصلة في المجال السمعي . وكما هو الحال بالنسبة للصور البصرية ، فيبدو أن مثل هذه الكيانات السمعية يتم تكوينها بواسطة مدخلات (إدخال) سمعية معالجة على أبعاد مستمرة متحولة إلى طبقات متعادلة وظيفيا

متمثلة بواسطة صور نموذجية ـ لحن مُتَذكَّر، صوت الكمان .

إن حاسة السمع تشبه الرؤية وتختلف عن الشم والتذوق بهذا الخصوص ، وربما يمكن تحديد أنظمة التنسيق ، حتى لأبعاد المعالجة المستمرة. وكما في الرؤية ، فإن التنسيقات الضمنية التي يكمن وراءها حوسبة في النظام السمعي يمكن تحديدها بخواص المثير (مثل حدة الصوت وسعة الصوت) وبسمات خاصة للمستقبلات التي تسجل الاختلافات بتلك الخواص. وربما يكون هناك تنسيقات سمعية مكانية تتوازى مع تنسيقات بصرية مكانية وتعكس قدرة الصوت على تمثل المسافة والموقع .

وفي حين أن الأساس الحسابي لتكوين تمثلات لموضوعات وعلاقات بينها يختلف عبر الكيفيات ، فإن العمليات الثنائية العامة لتكوين الرمز تحدث بكيفيتها المحددة الأشكال فيها جميعًا. وأقترح أن تطبيق ذلك المدخل لكل منها بكيفية حسية فردية يُعد حقلا خصبا للبحث الأساسي الذي يحتاج للاستكشاف. وفي كل الكيفيات ، يسجل الناس تمييزات دقيقة جداً ، تسمح لهم بتوجيه حركاتهم ، أو تتبع تغييرات في الموقع والوجهة ، أو تمييز تحولات في الصفات الحسية المتعددة للمثير . وفي كل الكيفيات ، يتغاضى الناس أيضا عن مثل هذه التمثلات الدقيقة ويقومون بتكوين نطاقات متعادلة وظيفيا للتمثل والصور النموذجية وتلك التمثلات للموضوعات ربما يتم بنائها داخل نمط معين لتمثلات بصرية ، أو سمعية ، أو لمسية ، أو ربما تكون صورا أو تسلسلات متقاطعة الكيفية للصور في مشاهد ، كما يحدث على الأرجح لخبرة الرائحة ، والتذوق ، والحشوية ، والحركة. ومع ذلك ، فإن الانتقال العام من تمثل الرمز الفرعي لتصور نموذجي لكلمات ربما يُعالَج في كل كيفية ويُكوِّن النموذج المركزي للعملية الترميزية .

الفصل الثامن
الوجدان والإدراك
تكاملاً جديداً

إن الغرض من هذا الكتاب هو تطوير نموذج جديد للوجدان والإدراك يمكن تطبيقه في التحليل النفسي. وفي تطوير هذا النموذج ، أضع الأساس على مدخل معالجة المعلومات المركزي في العلم المعرفي اليوم . وقد قمت بتحديد أبنية ووظائف العقل التي تتصل بتفسير بعضا من العمليات الأساسية التي يهتم بها التحليل النفسي. ومع ذلك ، فإن التحليل النفسي مهتم بخبرة وجدانية ومعاني وجدانية في سياقاتهم الجسدية والحسية ، وإن النماذج المعرفية أقل قابلية للتطبيق على وجه التحديد في هذا الصدد. وفي هذا الفصل ، سأراجع بإيجاز النظريات والبحث حول الوجدان ، وعلاقته بالإدراك ، ومادته العصبية الفسيولوجية ، لتطوير أساساً لنظرية متكاملة للوجدان والعقل .

وحتى الآن ، فإن علم النفس العلمي الحديث قد تقبل ضمنياً الرؤية الافلاطونية أن النفس البشرية تنقسم إلى وظائف منفصلة للإدراك ، والوجدان ، والنزوع أو الدافع. وفي هذا السياق ، فقد تركزت دراسة الوجدان بشكل كبير على صفات الخبرة الوجدانية الشخصية . وقد حاول العلماء المعرفيون دراسة المعرفة بالاستقلال عن العوامل الوجدانية ، كما انعكس في معظم البحث الملخص سابقا . وفي ظل الرؤية الافلاطونية أيضاً ، معظم المنظرين قد افترضوا عدة نظريات ترى المشاعر على أنها عمليات تقاطع تنسيق التسلسلات المعرفية الجارية والتسلسلات السلوكية وقد ميزت الوجدان عن الدافعية طبقا لهذا الأساس وبالتالي ، فإن بريبرام Pribram (1984) يُعرِّف الوجدان أنه مشتق من عمليات تقوم بإيقاف سلوك جارٍ"، و يعرف الدافع في ضوء ميكانيزمات تنشيط الاستعداد ، عندما يكون الكائن الحي "مستعدا 'للانطلاق' والاستمرار في 'الانطلاق' " (P.26) .

وباتخاذ موقفا مشابها ، فقد ناقش سايمون Simon (1967) أن المشاعر يمكن تمثلها في محاكاة حاسوبية بنظام مقاطعة يستدعي برامج فرعية

تصحيحية عندما تنشأ الصعوبات في البرنامج الرئيسي .

وقد بدأ مؤخراً بعض منظري الوجدان في فحص التمييزات الافلاطونية والتركيز على الجوانب الظاهراتية للوجدان. وقد خضع حقل نظرية الوجدان لتحول في نموذجه الارشادي ، متعلق بالثورة المعرفية ، بداية من التركيزعلى خاصية لخبرة وجدانية وإلى التأكيد على المعنى الوجداني للاحداث ، والذي قد تتم معالجته خارج الوعي بالاضافة إلى داخله .

سأبدأ هنا بإيجاز مراجعة عدة نظريات قديمة هامة للتنشيط الوجداني ودوره . ويوجد أيضا عدداً من التصنيفات المتنافسة للمشاعر منفصلة قد تم افتراضها خلال عدة قرون ماضية ، منذ زمن ديكارت Descartes (1650) وحتى يومنا الحالي (انظر ، على سبيل المثال Panksepp 1982 ؛ Plutchik, 1980; Tomkins & Mccastes1964) ؛ لن أحاول تغطية تلك الأمثلة. وفي النهاية ، فأنا معنية بتطوير نظرية عامة ستفسر كيفية حدوث المعالجة الوجدانية ، بدلا من وصف الابعاد المحددة التي ربما تختلف على أساسها المشاعر ، أو الاشكال المعينة التي قد تأخذها المشاعر .

النظريات المبكرة للوجدان :

تحديد الاساس الفسيولوجي

سعت النظريات القديمة في المقام الأول إلى تفسير الخصائص التجريبية للوجدان وقد صاغت التفسير بمصطلحات فسيولوجية. وبالرغم من أني سأناقش المادة العصبية الفسيولوجية للوجدان ، لا يزال غرضي صياغة نظرية نفسية بدلا من عصبية . وبناءا على " نظرية حشوية " للانج Lange (1885) ، فقد أقترح جيمس James (1894) بأن التغيرات الجسدية ، بما في ذلك التغير الوجداني ، تحدد الخبرة الوجدانية ، بدلا من أن تسبق أو تحدد المشاعر التعبيرات الجسدية ، كما في رؤية المنطق السليم. ووفقا لجيمس ، فإن إدراك حدث مثير عن طريق القشرة الحسية يقود لتغييرات جسدية ، بما في ذلك تغيرات في تعبير الوجه والنشاط العضلي والحشوي ـ الارتجاف، الصراخ من الرعب ، والهجوم ،

والفرار . وإن هذا التنشيط قد فُهِم أوليًا على أنه نوع انعكاسي أو غريزي . فخبرة تلك التغييرات الجسدية تشكل حالة الوجدان.

إن صياغة جيمس الأولى استدخلت أنماطا معقدة لأحداث جسدية ، وحشوية ، وعضلية كتمييز للمشاعر . وقد وصفت الاستجابات الفسيولوجية التي تُكمن وراءها وتمييز حالات الوجدان على أنها " تكاد تكون لامتناهية وبالغة الدقة " (1884, p.250) ، " تعكس الطبيعة الدقيقة بشكل لا نهائي للحياة الوجدانية".(مقتبسة في Ellswrth ، 1994 ، P.223) . وإن وصف جيمس الحي لتلك الاستجابات يشمل الحركات التعبيرية ، والتغذية الراجعة الحشوية ، والأفعال و"عدة "انقباضات" ، و"توجهات "، "امتلاءات" و "وخزات " والتي يصعب تصنيفها " : "توهج ، ووخزة في القلب ، ورعشة ، وارتجاف أسفل الظهر ، رطوبة العينين ، تقلب في أسفل البطن ، بجانب الآف من الأعراض التي لا يمكن تسميتها ، قد يُشعَر بها في اللحظة التي يثيرنا فيها الجمال " James) , 1890 , p.470; Quoted in Ellsworth,1994, p.225) ويصف جيمس خبرته في الاستيقاظ من كابوس أكثر وضوحاً في ضوء مثل هذه الأحداث الجسدية مجتمعة : " وفي مثل هذه الأحداث فإن الرعب بداخلي مركَّب بشكل كبير من شعور قوي بحدة ولكن لا يمكن وصفه في صدري وكل عضلاتي ، وخاصة عضلات الساقين ، والتي أشعر كما لو كانت تُغلي إلى التمزق أو متفككة داخلياً " (1894 , P.207) .

إن تعقيد وبراعة مثل تلك الاستجابات الفسيولوجية كانت كافية في الأساس لتفسير نطاق دقيق بشكل لا نهائي لخبرة وجدانية . ومع ذلك ، تراجع جيمس لاحقا لنسخة مبسطة بشكل معقول لتلك النظرية ، وأقرب لتركيز لانج الاكثر حصرية تركيزاً على الوجدان كما حُدد بواسطة عمل الأنظمة الحركية. وإن نظرية جيمس ولانج قد فهمت بشكل عام وانتقدت بهذا الشكل المبسط ، وخاصة أنها تفترض أن المشاعر المختلفة تتميز عن طريق أنماط وخصائص محددة لتنشيط الجهاز العصبي اللاإرادي .

وحاجج كانون (1927) Cannon بأن التنشيط اللاإرادي بطئ جدا، وحساس للغاية، وغير مختلف بشكل كافي لتفسير وقت الاستجابة والنطاق الدينامي، وتنوع خبرة وجدانية ، وعلى نقيض صياغة جيمس ولانج ، فقد وضع كانون وسيط الوجدان الحرج أعلى في الدماغ البيني ، في الدماغ الأمامي للقشرة الفرعية . ووفقا لكانون (1927,1931) فإن المخ له نظام وجداني خاص والذي تعد بنيته التكاملية هي الهيبوتلاموس.

وافترض بيبز Papez(1937) ، بناء على عمل كانون ، نظرية وجدان دائرية ، تتمركز على الهيبوتلاموس . فالمثيرات الحسية تنشط الهيبوتلاموس ، والتي حينئذ تقوم بالافرا غ للحواف لانتاج استجابات وجدانية والافرا غ للقشرة لانتاج خبرة وجدانية . وطبقا لهذا المدخل ، تنشأ المشاعر داخل الجهاز العصبي المركزي عن طريق الهيبوتلاموس ، قبل تنشيط القشرة .

إن دورا لوظائف الفص الصدغي في معالجة وجدانية قد عرض أولا بواسطة كلوفر وبوكي (1937) Kliives , Bucy . واكتشفوا أن الجروح الكبيرة في الفص الصدغي للقرود أنتجت متلازمة والتي وصفوها على أنها " عمى نفسي " فلم تكن الحيوانات تعاني من العمي للخصائص الحسية للمثيرات ولكنها أخفقت في حساب دلالتها الوجدانية، ولذلك أصبح سلوكهم غير تكييفي بطرق معينة. فعلى سبيل المثال، لم تعد مهددة بوجود المثيرات المخيفة سابقا ، وحاولت ممارسة الجنس مع أعضاء من فصائل مختلفة ، ولم تميز بين الموضوعات الصالحة للأكل عن غير الصالة للأكل

وافترض ماكلين(1952، 1949) Maclean وجود مجموعة معينة من أبنية قشرية وأبنية قشرية فرعية ، ومخ حشوي ونظام حوفي، على أنها تكون نظام المعالجة الوجدانية للمخ ووفقا لماكلين، فإن النظام الحوفي مكون من أبنية قديمة تطورية والتي تكون نظاماً تشريحيا موحدا ومخصصا للوجدان . ومنذ ذلك الوقت فقد تم دراسة وتعديل بعضا من جوانب نموذج ماكلين Swanson) (1983; Brodel, 1982 , . وان المناطق الحوفية ، وخاصة قرن آمون غير مخصصة بشكل استثنائي لمعالجة الوجدان ولكنها تساهم أيضا في العمليات

المعرفية الأخرى . بما في ذلك السلوك المكاني (Okeefe & Nadel , 1978) وأشكال الذاكرة التي تتميز بكونها تصريحية ، كما نوقش سابقا . ومع ذلك ، فإن ادعاء ماكلين الأساسي بشأن دور الميكانيزمات الحوفية في توسط الوجدان مقبول اليوم بشكل عام (Ledoux , 1989; Buck, 1988) . وإن البحث العصبي الفسيولوجي الحالي حول المشاعر ربما يُرى أنه بناء على فروض النظام الحوفي الاساسي ، ويوضح ، ويوسع ، ويؤهل ذلك ، كما سيناقش لاحقاً.

خلاف العزو والتقييم المعرفي

كانت المشكلة الرئيسية التي ظهرت للمنظرين القدماء مثل جيمس- لانج وكانون هي اخفاق التراسل بين خبرة وجدانية وتغييرات فسيولوجية .

وتم اكتشاف أن نفس الخبرة الوجدانية والتعبير الوجداني مرتبطين بأعراض عضوية مختلفة ؛ وعلى العكس ، ظهر اختلاف في الوجدان دون تغير في الاحداث العضوية . وإن الاستجابات العضوية أو الحشوية المستحثة كيميائيا لا تُنتِج وحدها الوجدان ، وإن الاستئصال الجراحي للاحشاء لا يمنع حدوثها . وفي سلسلة من التجارب ، أظهر شاكتر Schachter أن المعنى الوجداني أو العزو لنفس الحالات الفسيولوجية المستحثة كيميائيا تتباين كوظيفة للسياق التجريبي (Schachtes, 1959; Schachtes& Singes, 1962). وهذا الاختلاف في المشاعر يعتمد على عوامل معرفية معقدة ، ليس بشكل مباشر على تغييرات عصبية فسيولوجية فقط. فعندما يكون الإنسان في حالة إثارة يحاول حينئذ تفسير حالته في سياق فهمه للموقف الحالي ؛ وبالتالي ، فهو يُعرف طبيعة الإثارة على أناس معنى أحداث معينة.

وحاجج المنظرون المعرفيون الآخرون ، الذين يتجاوزون مدخل شاكتر، بأن قدرة مثير على إثارة استجابة فسيولوجية يجب تحديدها بذاتها بواسطة تحليل عقلي سابق. وبدلا من العمل على عزو حدث فسيولوجي جارٍ لعنصر في موقف المثير، فإن الخبرة الوجدانية تبدأ بتقييم لدلالة الحدث المثير. وإن مثل هذا التقييم المعرفي يحدث في مراحل عدة : أولا، التقييم الأولي لدلالة الموقف ، يليه تقييمات إضافية للموقف الذي قد يشمل الآن التنشيط الفسيولوجي ، ثم يليه

انتقاء استجابات مناسبة (Lazarus,1984).

وعلى عكس نظريات التقييم المعرفي، حاجج زايونس (1980) Zajonc بأن المعرفة والوجدان يمكن انفصالهما وعلى الأقل كأنظمة مشغلة جزئيا . وإن الدليل الرئيسي على استقلال الوجدان والمعرفة جاء من دراسات " تأثيرات التعرض" (Zajonc,1980) والتي يعد بها ميل أو تفضيل موضوع المثير مُستحث بواسطة التعرض المتكرر ، دون ادراك الموضوع أو الوعي بألفته. وبالتالي: فإن موضوع التحليل يظهر ميل لموضوع ما ، مبني على ألفته دون تقييم معرفي للألفة بعد حدوثها ولا يزال الخلاف طويل الأمد بين لازاروس وزايونس عما إذا كان الوجدان يسبق أو يعقب التقييم المعرفي إشكاليا (Lazarus,1984; Zajonc,1984a , 1984b)

ويحاجج منظرو التغذية الراجعة الوجهية (على سبيل المثال Tomkins 1962;Ekman,1984 ; Izard,1977) , بأن التغذية الراجعة من الجهاز العضلي للوجه تشتمل على الخصوصية التي تفتقر إليها الإثارة الفسيولوجية ، والفورية التي يفتقر إليها التقييم المعرفي ، وأن الأنماط المتداخلة لتعبير الوجه والاستجابة الجسدية كافية لتفسير تحيز الأحداث الوجدانية .

وإن البحث الأخير بواسطة إيكمان وزملائه Ekman قد أوضح علاقة بين تعبير وجه معين وأحداث لاإرادية متباينة (Ekman,1984) . ومع ذلك ، لا يزال السؤال فيما يخص أين المعنى الوجداني الذي يحدد التغير في تعبير الوجه ربما يتم حسابه لاستجابات جوهرية أخرى.

نماذج جديدة لمعالجة المعلومات الوجدانية

في السنوات الأخيرة ، انتقل حقل نظرية الوجدان من التأكيد المبكر على تفسير خبرة وجدانية ، إلى التركيز على معالجة معلومات وجدانية . وهذا يقدم المنظور المطلوب بشأن التكامل الجوهري للوجدان مع الوظائف المعرفية. ويعرف العديد من الباحثين اليوم المشاعر على أنها تكيفية في الأساس ، وميكانيزمات دافعية والتي تتفاعل مع أو تكون جوانب المعرفة. ويصف شيرر Scherer(1984) الوجدان "الرابط بين الكائن الحي وبيئته في التوسط بين

المواقف المتغيرة باستمرار والاحداث والاستجابات السلوكية للفرد " (P.295)
ومن هذا المنظور ، فإن المشاعر ترى على أنها أنواعا معينة من مخططات معالجة المعلومات ، والتي تجعل تقييم معنى الاحداث ممكنا لسعادة فرد ما كما تقدم الاساس لتوجيه الفعل . وهذا لا ينكر الخبرة الشخصية كمكون لبنية الوجدان ولكنه يتجنب اقتصار الوجدان على جانبه الظاهراتي . وفي دراسة مسحية لمواقف تنظيرية حول الوجدان ، يقول شيرر Scherer(1984) :

يبدو أن هناك الأن إجماعا متزايدا بين منظري الوجدان بانه من الأفضل التعامل مع الوجدان على أنه بنية نفسية تتكون من عدة جوانب أو مكونات :

أ- مكون التقييم المعرفي أو تقييم المثيرات والمواقف.

ب- المكون الفسيولوجي للتنشيط أو الإثارة .

ت- مكون التعبير الحركي .

ث- المكون الدافعي ، بما في ذلك نوايا السلوك أو الاستعداد السلوكي .

ج - مكون حالة الشعور الشخصي . (P.294)

وفي إطار العمل الحالي " فإن الباحثين يمكنهم المضي قدما من الخلافات بشأن العوامل المعرفية مقابل العوامل الفسيولوجية إلى نمو صياغة أكثر إحاطة ، وتكامل لمعالجة المعلومات الوجدانية . ومن هذا المنظور ، فإن التساؤل الحاسم الذي يجب على نظرية لوجدان الإنسان الإجابة عنه هو كيفية نقل المعانى الوجدانية المتباينة لأحداث مختلفة ، وكيفية نقل معنى وجداني لبعض المثيرات دون غيرها . والتساؤل الاساسي هو كيفية حوسبة المعنى الوجداني لحدث ما - دلالته لسعادة الكائن الحي - ، لا كيفية تحديد الخبرة الوجدانية . وإن هذا المدخل الجديد يسمح أيضًا بصياغة لمفهوم الوجدان اللا شعوري، والذي قد بدا متناقضاً من منظور افلاطون المعياري.

وفي الثدييات الدنيا و الفقاريات غير الثديية ، يتم حساب دلالة المثير إلى مدى مُعتبر ، مُستدخل وراثيًا. وإن المثيرات البيئة الرئيسية لديها القوة على استحثاث واطلاق استجابات انعكاسية، غريزية مثل الاستجابات الوجدانية التي توجه السلوك. ومع ذلك فإن الرئيسيات والثدييات العليا تحتاج لمعالجة وتقييم

الدلالة الفارقة للإدخال الحسي (ثعبان ، صورة لثعبان ، ظل في مدخل الباب) لتحديد بطريقة مرنة ، عما إذا كان - أو لأي درجة - سيتم نقل دلالة وجدانية. ولفعل هذا ، ينبغي أن يكونوا قادرين على تعلم الدلالة الوجدانية للمثيرات ، ونقلها لمثيرات أخرى ذات صلة ، والتمييز بين المثيرات ، تغيير القيم التي قد تم نقلها.

تخيل ان فردا ما يسير في الغابة . وأن شيئا طويلا ، ورفيعا يشق طريقه إلى وجهة هامشية فما هي طبيعة الاستجابة التي قد تكون متوقعة ؟ ويبدو أن نظريات جيمس - لانج ، وكانون والأكثر حداثة ، زايونس وإيكمان تركز على استجابات أكثر ثباتاً، إنعكاسية ، فطرية. فعندما يدرك أحدهم مثل هذا الموضوع الملتف ، سينفعل ، أويصرخ أو يقفز ، أو يهرب (أو بعضا من هذه الأمور مجتمعة) وحينئذ يبدأ الشعور بالخوف كوظيفة للاستجابة التعبيرية ، أو الحركية ، أو اللاإرادية . وعلى الجانب الآخر ، كما تؤكد نظريات العزو ، فإن رد الفعل الجسدي والحركي لمتنزه أمريكي يسير لأول مرة في تلال توسكان أعلى سيينا ، والذي قد رأي للتو لافتة تحذير من الأفاعي ، سيكون مختلفا عن رد الفعل لنفس الشخص وهو يسير في منتزه مألوف في لونج أيلاند ، حيث من المعروف أنه لا توجد ثعابين سامة ، وحيث قد سار عدة مرات سابقا ، حتى وان كانت الصور الادراكية كما ترى في الرؤية الخارجية متشابهة لحد كبير . فيجب أن تتوسط نظرية مناسبة للوجدان ذلك الاختلاف في الاستجابة ، وفي الواقع ، يجب أن تفسر كلا من الاستجابة السريعة والفورية التي تصف العديد من مثل هذه المواقف التي يبتعد فيها الشخص (المرء) قبل أن يدرك المرء أنه قد ادرك التهديد ، وأيضا تفسر التقييم المعرفي الذي يُعدل تلك الاستجابة لدرجات متفاوتة .

سأناقش هذا التساؤل في هذا الفصل في ضوء النظريات الحالية للمادة العصبية الفسيولوجية للوجدان لاكمال دراستنا المسحية لتلك المداخل . وفي صياغة نظرية الشفرة المتعددة لمخططات الوجدان ، في الفصل الثاني عشر ، سأقدم حينئذ نموذج معالجة المعلومات الوجدانية الذي يتفق مع الدوائر الوجدانية

التي سيتم تلخيصها هنا.

الدائرة المهادية القشرية اللوزية

إن النظريات العصبية الحالية للوجدان قد تفسر حوسبة معرفية تختلف منهجياً بين المثيرات اعتمادا على دلالتهم التكيفية لكائن ما ، ولكن قد تحدث أيضا بفورية وخارج الوعي . وقد تم تحديد الأميجدالا حاليا بواسطة العديد من الباحثين على أنها الوسيط الوجداني الحرج ، والتي تؤدي الوظائف التي تعزى لمراكز حركية لجذع الدماغ بواسطة جيمس ـ لانج ، للهيوتلاموس بواسطة كانون وبيبز والتي تفسر الاتصالات بوظائف قشرية . وقد أظهر فيسكرانتز وآخرون Weiskrantz (1956) أن تأذي الأميجدالا ، والتي تقع بعمق داخل الفص الصدغي ، تضعف القيمة الدافعة الإيجابية للمثيرات البصرية. في حين أن الضرر في القشرة الجديدة الصدغية يعطل التميز البصري وإدراك الموضوعات ، فإن الخلايا العصبية اللوزية أكثر حساسية للدلالة الوجدانية للمثيرات عن خصائصهم الحسية . فاللوزة تستقبل واردات من المناطق البصرية ، والسمعية ، والحسية الحركية ، والمذاقية ، والشمية للقشرة . وان مقاطعة الاتصالات بين مناطق قشرية محددة الكيفية وبين الأميجدالا تؤدي إلى حدوث عمى نفسي محدد الكيفية ، كما في متلازمة كلوفر ـ بوسي (Downer , 1961 ; Horel & Keatirg , 1969) .

مسارات الوجدان

ان النماذج العصبية الفسيولوجية تتقارب الآن بشكل عام حول المسار التالي لمعالجة الدلالة الوجدانية للمثير. حيث إن المدخلات المستلمة في المستقبلات الحسية يتم نقلها للمهاد الحسي ، ثم للقشرة الجديدة الحسية ، ومناطق الترابط القشرية ، وقرن آمون ، وأجزاء من القشرة الشمية ، وبين أبنية أخرى ، ولمناطق مقدم الدماغ الأمامي للقشرة الفرعية ، والتي تضم الأميجدالا الهيوتلاموس ، والمهاد الأمامي ومكونات أخرى . ثم تنحدر المسارات الصادرة من مقدم الدماغ الأمامي لتحديد تنشيط وتنظيم أجهزة العضلات والعظام ، واللاإرادية ، والغدد

الصماء ، والتي يكمن وراءها التعبير عن المشاعر في أشكالها الجسدية ، بما في ذلك تعبيرات الوجه ، والفعل ، والاثار الجسدية . وربما ينطوي المكون اللاإرادي على إسقاطات على الخلايا العصبية في الهيبوتلاموس الجانبي بالإضافة إلى مناطق أخرى للمخ مُتضمنة في التنظيم اللاإرادي .

وان عمل دائرة قرن آمون والأميجدالا تتحدث مباشرة إلى التساؤل عن كيفية حساب الدلالة الوجدانية للمثيرات على المستوى العصبي الفسيولوجي . وإن الاتصالات بين قرن آمون والأميجدالا تسمح للأميجدالا استقبال المعلومات المعرفية التكاملية المعالجة عبر القشرة . ومثل هذه المعلومات تساهم في حوسبة الأميجدالا الدلالة الوجدانية للمعلومات الحسية من البيئة أو داخل الجسد ، ومن ثم تفسر درجات متنوعة لاستجابة وجدانية لمثيرات مختلفة .

ويُعد تعريف " معلومات المثير " كما يبدو ذلك في الدوائر الوجدانية ، واسعا ويتضمن مثيرات تأتي من البيئة الخارجية (مثيرات خارجية) بالاضافة إلى مثيرات تنشأ داخل الجسد (داخلية) والمخ (الأفكار والذكريات) . وقد ظهر أن الأميجدالا يتم اشراكها في تقييم الدلالة للمدخلات الحسية الحشوية بالاضافة إلى معلومات عن العالم الخارجي (Kapp, Pascoe, &Bixles, 1984)

فعلى سبيل المثال ، العصب المبهم ، المكون من واردات من أنسجة تجويف البطن ، بما في ذلك الأمعاء ، والقلب ، والأوعية الدموية ، ينمو على نواة النخاع ، والتي من خلالها حينئذ تظهر الألياف العصبية على الأميجدالا . وإن الاستثارة الكهربية للعصب المبهم تنعكس على الخلايا العصبية للأميجدلا (Radna & Maclean,1981) وان مقاطعة النشاط المبهم يعيق الأداء في المهام الوجدانية (Albiniak& Pouell, 1981) وإن البحث الحالي حول تأثيرات الاثارة الوجدانية على الذاكرة يدعم أيضاً دور الأميجدالا في معالجة مدخلات حشوية حسية . وان افراز هرمونات الادرينالين والنورادرينالين ، والتي تُهيأ ردود الفعل الفسيولوجية في مواقف الطوارئ ، ويعمل أيضا على مسارات في الأميجدالا لتعزيز الذاكرة لاحداث معينة محملة وجدانياً . وإن العقاقير التي

تعيق التأثيرات المعتادة لتلك الهرمونات تضعف الذاكرة الوجدانية على وجه الخصوص ، دون التأثير على الذاكرة للتفاصيل الحيادية (Cahill, prins, webs& Mcgaugh,1994)

وتقوم الأميجدالا أيضا بتعيين دلالة المعلومات الوجدانية المسترجعة من الذاكرة وللصور والافكار . وربما يتم إنشاء تنشيط الدائرة الوجدانية كليا داخل الجهاز العصبي المركزي دون طلب مشاركة الانظمة الحسية المحيطة . وأن الصورة تظهر في الذاكرة وتُفعل الشبكات القشرية قد تثير الوجدان ، بكل متتالياتها الصادرة ، وربما تثير المعلومات من مستقبلات جسدية ، أو حركية ، أو خارجية وبالتالي ، فإن الدافعية متأثرة بالاحتياجات ، أو الدوافع الجسدية ، وأيضا بعوامل بيئية ، ولكن لا يعتمد عليها.

وان المعلومات من كافة المصادر ، تغذي الأميجدالا ، ثم تؤثر على الصادرات التي تحدد تعبير الوجدان عبر قنوات جسدية ، ولا إدارية ، وسلوكية.

وان تلك الصادرات ربما ترتد عكسياً للإسقاطات القشرية أيضا ، ولذا فإن المعلومات الجسدية والحركية ربما تساهم في التقييم وإعادة القييم المستمر للمعنى الوجداني .

وقد يتم جلب المعلومات المعرفية لتعديل النشاط الصادر خلال الاسقاطات الحصينية (قرن آمون) على الأميجدالا . وأن قرن آمون يعيق المثيرات ليست ذات الصلة من إحداث الاثارة ويسمح بتباين المثيرات على أساس الخصائص الادراكية والاتصالات الترابطية ؛ ومن ثم ، ربما لا نقفز لنفس المثير في لونج ايلاند كما في توسكا ، أو ربما نقفز بصورة أقل . وان جروح الحصين تتداخل مع تعديل الاستجابات الوجدانية المشروطة بواسطة معلومات معرفية (سياقية) كما تم إيضاحه في دراسات تجريبية وبينما تعد الأميجدالا مطلوبة لتشريط الدلالة الوجدانية ، فإن الاسقاطات الحصينية مطلوبة لمنع الأميجدالا من تخصيص وزناً وجدانياً لمثيرات ليست ذات صلة (Soloman ,1977; Rickert, Bennet, Lane &French , 1978)

في غياب التعديل القرني ، فمن المرجح أن تكتسب أي استثارة القوة

على زيادة أو حث الاثار الفسيولوجية للضغط . وإن ذلك مدعم بواسطة دراسة للادوار المتناقضة لقرن آمون الحصين والأميجدالا في علم الأمراض المعدية . وفي حين أن جروح الأميجدالا قد تبين أنها تقلل من تطور القرح التي تعقب الضغط . فإن الجروح الحصينية تزيد من حدة مثل هذا التكون للقرحة المستحثة من الضغوط (Henke,1982)

وان الدائرة الملخصة هنا ثنائية الاتجاه . فالأميجدالا تظهر مباشرة لقرن آمون ؛ وبالتالي ، فإن الدوائرش~ التنازلية يمكن تنشيطها ، والتي تظهر مجدداً لنفس المناطق التي ساهمت مبدئيا في تنشيط الأميجدالا . وعن طريق تلك الاسقاطات ، يتم توسط القيمات الوجدانية عن طريق تأثير إدراك الأميجدالا ، والذاكرة والتفكير ومن ثم ، فإن تعقيد قرن آمون والأميجدالا يقدم أساسا عصبيا فسيولوجيا للتفاعل ثنائي الاتجاه لتقييم وجداني ومعالجة معرفية ، تنطوي على أنظمة معالجة حسية ، وحركية ، وجسدية ، والتي تعد مركزية لتقييم المعنى الوجداني ، كما يظهر ذلك في نظرة معالجة المعلومات الوجدانية .

دوائر بديلة : المسار المهادي اللوزي

بالاضافة إلى الدائرة المهادية القشرية اللوزية (T — C—A) Thalamo – Cortico – Amygdalar الملخصة هنا ، فقد عرف لودو LeDoux أيضا مسارا بديلا لحوسبة وجدانية من نوع أكثر بدائية وفورية ، تتجاوز أبنية قشرية . وان الأنوية المتناوبة للمهاد الحسي تقوم بإرسال اسقاطات مباشرة للأميجدلا ، بالاضافة إلى الإسقاط على مناطق حسية في القشرة الجديدة . وإن الإسقاطات المهادية اللوزية (الأميجدالا) (T—A) أُحادية التشابك وبالتالي أسرع من المسار المهادي القشري اللوزي ، حيث تتدخل على الأقل ثلاث نقاط إضافية للاشتباك العصبي (Ledoux,1989) . وتختلف الدائرتان أيضا في ان الإسقاطات المهادية اللوزية (T – A) المباشرة تنشأ في المقام الأول في مناطق مهادية مع خلايا تتميز بأنها غير محددة نسبياً وضعيفة الضبط ، بما يتناقض مع مدخلات عالية التكامل من مناطق ترابطية محددة الكيفية ومناطق متعددة الكيفية معالجة عبر قرن آمون.

وعلى نقيض الإسقاطات القشرية اللوزية التي تفسر تقييم المثيرات المعقدة ، فمن المحتمل أن يكون النظام المهادي غير قادر على إدراك الموضوع ، ولذا تبدو الاسقاطات المهادية اللوزية (T – A) منظمة في معالجة الدلالة الوجدانية لإشارات حسية بسيطة نسبياً وفي تشريط النماذج . على سبيل المثال ، يبدو أن تلك الميكانزمات ضرورية وكافية لتشريط استجابات خوف بسيطة (Ledoux , Sakaguchi , & Reis ,1984, , Ledoux , Sakaguchi , Iwata , & Reis , 1986, Iwata, Ledoux , Meeley & Arnesic ,1986)

وكما حدد لودو Ledoux ، فإن الدائرة المهاد ـ الأميجدالا لها جذور في أنظمة المعالجة السابقة من الناحية التطورية . وفي الفقاريات البدائية ، والتي تفتقر لقشرة جديدة متطورة وتقدم الأبنية الحسية للقشرة الفرعية المدخلات الأولية لمناطق القشرة الفرعية الدما غ الأمامي مثل الاميجدالا . وبالتالي ، فإن الدائرة المهادية اللوزية ربما تلعب دورا هاما في معالجة المعلومات الوجدانية في المقال البشر قبل النضج الكامل للقشرة الجديدة واتصالاتها التشريحية . وان مسارات المهاد ـ اللوزة قد تتوسط أيضا ردود الفعل الوجدانية لدى أكثر الراشدين ، والتي تحدث قبل إدراك التعرف على صفات إدراكية معينة أو التعرف على الموضوعات .

وإن مسار المهاد ـ اللوزة والذي يمد الأميجدالا بتمثلات "سريعة وقذرة" لمثيرات محيطية ، ربما يكون له وظيفة تكيفية إضافية في إعداد الخلايا العصبية اللوزية لاستقبال معلومات معقدة واتباع أكثر بطئاً عن طريق مسار المهاد ـ القشرة ـ الأميجدالا ، على سبيل المثال من خلال اخبار الأميجدالا بالطريقة الحسية التي يتم تفعيلها وبخصائص المثير الأساسية . وهذا ربما يمكن انتقاء وضبط مجموعات عصبية مناسبة في اللوزة وتسهيل معالجة المعلومات التي يتم تلقيها بعد ذلك بوقت قصير عبر الاسقاطات القشرية (Ledoux , 1989)

ومن ثم فإن دائرة المهاد ـ اللوزة قادرة على تفسير استجابات فورية ، ودفاعية قائمة على معلومات مثير خام وموجهة عبر اتصالات صادرة للأميجدلا . وإن أنواع سمات المثير المحددة بواسطة زايونس (1980) Zajonc كما

تتوسط تكوين التفضيل ، واكتشاف زايونس بأن تفضيل الموضوع يسبق إدراكه ، جميعها تتفق مع قدرات المعالجة الخام لمسار المهاد ـ اللوزة . وبينما ربما تنشأ مثل هذه الاستجابات بطريقة غير مناسبة في بعض المواقف ، فإن الاستجابات الايجابية الخاطئة للتهديد من المرجح أنها تشكل قليل من مشكلة لبقاء الكائن الحي عن الانفاق في الاستجابة لخطر حقيقي ، كما قد حاجج Ledoux . وعلاوة على ذلك ، فإن رد الفعل الدفاعي يمكن إيقافه بشكل عام ان كان التحليل الادراكي الاكثر تفصيلاً (مقدم بطريقة الاتصالات القشرية اللوزية) يشير إلى أن التهديد غير حقيقي .

وعلى الجانب الآخر ، هناك دليل متزايد بأن التفعيل غير المختبر للأميجدلا ومخرجاتها الصادرة ربما ، في بعض الحالات ، يكون خطراً في حد ذاته ، بما يستحث استجابات عدوانية أو تفعيل أنظمة حشوية في مواقف غير مناسبة . وإن الاثارة الداخلية المفرطة والطويلة بهذه الطبيعة مرتبطة بقرح معدية وتوتر مرتفع بالاضافة إلى تعطل الدفاعات المناعية (Ledoux,1986) .

وبالإضافة ، فإن المسارات الحسية المهاد ـ اللوزة ، ان لم يتم تنسيقها بواسطة معالجة قشرية ، قد تؤدي إلى تعلم وتفعيل استجابات متضاربة لنفس المثير . وبالمثل ، فإن الارتباطات بصفات حسية معينة ربما ، في مواقف لاحقة ، تكون معممه بطريقة غير ملائمة لصفات أخرى بواسطة تفعيل طبوغرافي لخلايا عصبية مهادية ضعيفة بتشفير حسي محدود وقدرات متميزة .

وهذا التحليل للدائرة العصبية الفسيولوجية الضمنية يعيدنا إلى المنتزه في توسكانر أو لونج أيلاند . فصورة الموضوع الذي يلتف على طول الطريق يتم نقلها من شبكية العين إلى المهاد ثم للقشرة البصرية . ومن خلال مسارات المهاد ـ اللوزة ، قد يتم بشكل مباشر تفعيل الاستجابات الوجدانية بمكونات صادرة لاإرادية وحركية فقد تزداد ضربات القلب ؛ وقد يصرخ الشخص ويستعد للجري ؛ وربما يتم تكييف المستقبلات البصرية . وفي نفس الوقت تقريبا ، خلال شبكات قشرية (بما في ذلك قشرية جديدة حصينية) ، فإن خصائص المثير يتم حسابها وتكاملها ؛ وتلك الشبكات تقوم أيضا بتفعيل التمثلات الوجدانية عبر

الاتصالات القشرية اللوزية . ومن خلال تلك المسارات ، فإن الاستجابات الفعالة المعينة التي تحدث سيتم تعديلها لدرجات متفاوته وبطرق متفاوته عن طريق معرفة الشخص بالثعابين عامة ، وبحيوانات المنطقة التي يتنزه بها ، واستجاباته الحركية والجسدية سيتم تحديدها عن طريق ذلك . وبالنسبة للمنتزه في لونج ايلاند ، فإن تنشيط المهاد ـ اللوزة لمعدل القلب والاستجابة الحركية سيتم تعديلها عبر دوائر المهاد ـ القشرة ـ اللوزة عن طريق معرفته بأنه لم يتم التعرف على ثعابين سامة هناك . وبالنسبة لنفس الشخص الامريكي في توسكاني ، فإن المعلومات المعالجة خلال القشرة ستخدم في تكثيف الاستجابة الأولية المدفوعة بواسطة المهاد – اللوزة . وان تقييم الدلالة الوجدانية يحدد أيا من الصادرات التنازلية مفعلة وايا منها الاستجابات اللا إرادية ، الخلطية المناعية ، والسلوكية التي تحدث.

نموذج نفسي لمعالجة معلومات وجدانية

في هذا الكتاب اهتم بتطوير نظرية نفسية ، لا عصبية . ومع ذلك ، عند بناء نموذج نفسي ، من المهم إظهار أن ادعاءاته تتوافق مع ما هو معروف بشأن المادة العصبية والجسدية . وان تطوير نموذجا نفسيا أو نموذجا لمعالجة معلومات الوجدان يُعد أمرا معلوما ، ومقيدا ، بمعرفتنا بالأبنية والعمليات العصبية التي قد تم ايضاحها هنا . وإن الدائرة المعقدة ، ثنائية الاتجاه لنظام الوجدان ، والتي تستدخل معلومات من أنظمة حسية وجسدية ، ومن القشرة ، كما انعكس في النماذج العصبية الحالية ، تتوافق مع التنظيم التفاعلي لمعالجة المعلومات الوجدانية في نظرية الشفرة المتعددة المفترضة في هذا الكتاب . وأن الموقف الأساسي ، والذي يتفق كثيرا مع بحث الوجدان الحالي ، كما يتفق مع اكتشافات عصبية فسيولوجية ، هو أن معالجة المعلومات الوجدانية ربما يتم تفسيرها على النحو الأفضل باتباع نفس قواعد المعالجة الاساسية كما في كافة معالجة المعلومات . وإن الاختلافات بين معالجة المعلومات الوجدانية والاشكال الأخرى تكمن في مكونات النظام المعلوماتي السائدة ، لا في الأبنية أو الوظائف الأساسية في حد ذاتها . فنحن بحاجة لتطوير المفهوم الأوسع للمعلومات حيث

أنها تستدخل عدة أنوا ع من أحداث جسدية وحسية ؛ فلا يمكننا اقتصار مفهوم المعلومات على التصور البصري واللغة فقط . وهذا لا يعد هاما فقط بالنسبة لبناء نظرية تحليلية نفسية لمعالجة المعلومات الوجدانية ، ولكن أيضا للتطوير طويل الأمد لنماذج عامة لوظائف معرفية بشرية .

وفي منظور معالجة المعلومات الجديد ، تستدخل المشاعر وظائف معرفية ،وسلوكية وفسيولوجية من عدة أنوا ع ، وإن دراسة الوجدان تحتاج لأن تشتمل عليها جميعاً . ونظراً لتعقيد مكونات الوجدان ، فإن تصنيف الانفعالات معقد أيضا . وإن تطوير النماذج من خلال تقسيم الخبرة إلى طبقات متعادلة وظيفيا ينبغي أن يحدث للوجدان كما يحدث لكافة الأنوا ع الأخرى من الخبرة . وداخل فئة متصنفة بالغضب على سبيل المثال ، سيكون هناك نطاق واسع من النسخ، مع تباين داخل الافراد وعبرهم وان نظرية الوجدان مثل نظريات الإدراك أو المعرفة ، ينبغي أن تكون قادرة على تفسير النطاق المعقد من التباين في الانفعالات ، بمكوناتهم المتعددة ، بالاضافة إلى تصنيفهم وتمثلهم في شكل لفظي . وبينما لن نتحدث عن طبيعة انفعالات محددة ، منفصلة أو الأبعاد الممكنة للتفريق الذي قد تم افتراضه ، فإننا سنناقش ، في القسم الرابع بعضا من القضايا العامة عن تكوين تصنيفات عامة لمخططات الوجدان ـ التكيفية وغير التكيفية .

ربما تلاحظ أن الصياغة الجديدة لشبكات الوجدان تتجنب بشكل أساسي خلاف التقييم المعرفي طويل الأمد . فهو ليس أن الوجدان يسبق بالضرورة المعرفة أو مستقل عنها ، كما حاجج زايونس (1980,1984a,1984b) ، أو أن التقييم المعرفي ضروريا دائما في انتاج معنى وجداني ، كما في صياغة لازاروس (1984) Lazarus . فضلا عن ذلك فإن عدة أشكال مختلفة من ادخال المعلومات ستشارك في انتاج معنى وجداني ، مهيمنة في بعض الحالات بواسطة اشكال رمزية فرعية ، وفي حالات أخرى بواسطة اشكال رمزية ، بما في ذلك اشكال لفظية ، وكما قد أكدت أيضا ، فإن كلا من المعرفة والوجدان له نطاق من العملية الوظيفية أوسع مما قد تم ادراكه في وجهات النظر السابقة ، وأن مجالات التشغيل هذه متداخلة لدرجة كبيرة ، كما سأوضح في صياغة

نظرية الشفرة المتعددة في الفصلين الحادي عشر والثاني عشر .

دور الوعي

مثل كل معالجة المعلومات ، فإن معالجة المعلومات الوجدانية تحدث إلى حد كبير خارج الوعي . وإن تعقيد الاستجابات التي تصف وجدانا ما مرتبطة دائما بمشاعر شخصية معينة ولكن ربما يتم تعريفها بشكل مستقل عن ذلك. وكما يشير لودو Ledoux (1989) ، أن المنتجات النهائية لكل من المعالجة الوجدانية ربما يصل لوعي الشعور ، ولكن لا المعالجة الوجدانية ولا المعرفية مرادفة أو تتطلب مشاركة خبرة ظاهراتية " (P.281) . وإن الوعي أو افتقار الوعي بمعالجة المعلومات الوجدانية هو متغير يحتاج للدراسة في ذاته .

ويفهم كلا من الانتباه والوعي بذاتهما كتكوينات تنظيرية، معرفتان في ضوء تكوينات أخرى داخل نموذج للعقل ويُستدل عليهما من نطاق من الأحداث التي يمكن ملاحظتها(Posnes & Rothbart, 1989) . وبمصطلحات فسيولوجية فإن المعلومات المعالجة عن طريق قشرة حسية ووجدانية ، تتضمن تغذية راجعة من الجسد ، أو معلومات من البيئة الاجتماعية أو الفيزيائية ، مع معلومات تغذية راجعة من المسارات الصادرة للأميجدالا ، ربما تكون شعورية عن طريق إسقاط للنظام الانتباهي المركزي ، والذي يرتبط تشريحيا بالفصوص الأمامية (Shallice, 1982) وإن المعالجة المستمرة ، متعددة الأوجه التي تحدث خارج الانتباه المركزي تكون جوهر اللاشعور المعرفي والوجداني . وان اللاشعور الدينامي ، أو مفهوم التمثلات التي " يتم منعها ، يتضمن مجموعة فرعية لها ، مع مسببات محددة وسماته الخاصة به ، كما سيناقش . ومن ثم ، فإن المدخل الجديد يفسر " حوسبة " خبرة وجدانية لا شعورية وكذلك شعورية والتي تُعد ضرورية لنموذج التحليل النفسي .

الفصل التاسع

العالم المعرفي والوجداني للرضيع

ان تفاعل الإدراك ، والفعل ، والخبرة الحشوية ، والتي تحدد المشاعر، له جذوره في بداية الطفولة في سياق التفاعل بين الأم والرضيع ويستمر في النمو بشكل معقد بصورة متزايدة على مدار الطفولة والحياة . وان تطور معالجة المعلومات الوجدانية في حاجة لأن يكون مفهوما في سياق ارتقاء المعرفة والكفاءة اللغوية للطفل ، واطار العلاقات الشخصية المتبادلة الخاص الذي يتم به حدوث هذا التطور .

ووصف جيمس James(1890) العالم الادراكي للرضيع على أنه اغراق مزدحم صاخب . وبالمثل ، رأي بياجيه Piagel(1950) أيضا الحياة العقلية المبكرة للرضيع على أنها غير متباينة نسبيا باعتبار البارامترات الأساسية مثل الزمن ، والمسافة ، والسببية . ووصف الرضيع في السنة الأولى والنصف من حياته على أنه غير قادر على تمثل عالم الموضوعات ، أو أن يكون لديه ذاكرة عن الماضي ، أو إنتاج توقعات لأحداث مستقبلية .وطبقا لـ بياجيه Piaget ، فإن معرفة الرضيع للعالم أثناء تلك الفترة قائما على تطور مخططات حسية حركية ، مجموعات من مهارات إدراكية وحركية ، والتي تمكن من إدراك الموضوعات والسلوكيات المناسبة في الاستجابة لها ، والتي يتم تطويرها عبر المحاكاة لأنشطة معقدة بصورة متزايدة وحركية دقيقة . فالمخططات الحسية الحركية ليست مفاهيم بالمنطق الرمزي . ويتم تحقيق التمثل المفاهيمي أو الرمزي ، وفقا لبياجية Piaget ، عندما تتطور تلك المخططات الحسية الحركية المعقدة بصورة كاملة ، وتصبح مستدخلة في شكل صور محررة من تفاعلات فيزيائية مع الموضوعات . وهذا يحدث في مرحلة ما قبل العمليات ، وعادة ما تبدأ في عمر السنة والنصف . وان بحث كل من وينكوت وماهلر Mahler , Winnicott ارتكز على وجهات النظر الخاصة بالحياة العقلية المبكرة للرضيع تتصف بنقص التمييز بين خبرته الذاتية عن الآخر.

إن الوظائف المعرفية للرضيع قد أصبحت مؤخراً سهل النفاذ إليها من الملاحظة المنهجية بطريقة جديدة . ومن المسلم به عموما الأن أن العالم الإدراكي للرضيع يمكن التعبير عنه بوضوح أكثر بكثير مما افترضه بياجيه ، وينكوت ، أو ماهلر Piaget ، أو Winnicott ، أو Mahler وباستخدام المدخل العام لعلم النفس المعرفي ، فإن الباحثين مثل فاجان(1974) ، وفانتز(1964) ، إيماس (1975) قد طوروا إجراءات تجريبية لدراسة الذاكرة والتنظيم الإدراكي للرضيع. وإن تلك الفنيات تتضمن قياس التفضيل الانتباهي عن طريق طول التثبيت والاجراءات القائمة على أنماط اعتيادية. فعلى سبيل المثال ، عندما يتم تعويد الرضيع على مثير معين ، فإن التغيير أو الجِدَهْ الملموسة سوف تنتقي تأثيرات قياسية معينة (على سبيل المثال ، تغييرات في تثبيت العين أو استجابات حركية متعلمة مثل ركلات القدم) . وان قدرة الطفل على تمييز المثيرات يمكن حينئذ تقييمها عن طريق قياس كمية التغيير بشأن أبعاد مثير محدد كافيا لانتقاء استجابة جديدة وأن مثل هذه الفنيات تقدم الآن مؤشرات يمكن ملاحظتها والتي تمكن الاستدلال المنهجي على الحياة الداخلية للرضيع .

وقد قدم البحث الامبريقي للطفولة دليلا هاما بأن الجدول الزمني وترتيب ارتقاء الوظائف المعرفية يختلفان بشكل كبير عن التسلسل المفترض بواسطة بياجيه وإن العالم الإدراكي للرضيع يُرى الأن على أنه منظم إلى حد كبير بطريقة مشابهة للعالم الإدراكي للبالغين . وإن نوع التنظيم الادراكي الذي ربطه بياجيه بتكوين المفهوم يُرى الأن على أنه في موضع جيد قبل التنظيم المعقد الذي يُكمن وراءه المخططات الحسية الحركية . ومن ثم ، لا يمكن القول بأن تكوين المفهوم يعتمد على مخططات حسية حركية ، كما افترض بياجيه .

وتظهر النتائج أن الرضع ، وحتى في النصف السنة الأولى من عمرهم ، يعيشون في عالم الموضوعات الثابتة والدائمة ، التي يمكن التنبؤ بها - البشر وغيرهم - والتي تتفاعل وتؤثر على بعضها البعض (Spelke, 1985;leslie, 1982,1988) . فهم يولدون مع القدرة على ملاحظة الفترات الزمنية ولديهم قدرة كبيرة على الإدراك المكاني . فالرضع عند الميلاد قادرين على تمييز الاختلافات

البسيطة في الايقاع ، والتنغيم ، واختلاف التردد ، والمكونات الصوتية للكلام ، والتي يتم قياسها عن طريق مؤشرات سلوكية لعدم الراحة ومعدل الرضاعة (Decasper & Carstens , 1980 ; Decasper & Fifes , 1980) ومن 3 حتى 4 أشهر ، يفهمون أن الاشياء دائمة ولا تزال موجودة عندما تكون خارج نطاق البصر (Mandles,1991) وهناك أيضا دليلاً جديرا بالاعتبار على تذكر الاحداث الماضية ، على مدار فترات 24 ساعة على الاقل ، في عمر 9 أشهر (Meltzoff, 1988) ، وحتى بعض الأدلة على التذكر في سن مبكرة نحو 4 أشهر (Baillasgeon,1987) .

وإن الرضع ذوي الخمسة أشهر يدركون ويتذكرون أنماطا على مدار فترات طويلة كأسبوعين (Fagan, 1974; Fantz , Fagan, &Miranda,1975) . والرضع ذوي ثلاثة أشهر يمكن تذكر موضوعات معينة في تدريب متحرك واكتشاف تغييرات صغيرة في تكوينه (Oreco , Hayne , &Rouee- Collies,1990) . وقد قدم ديكاسبر وزملائه Decasper دليلا على الذاكرة والتعلم في رحم الأم. فالأطفال عند الميلاد فضلوا شريطا تسجيليا لأمهاتهم وهم يقرأن قصة دكتور سيوس Dr.Seuss قد سمعوها أولاً عندما كانوا في الرحم عن قصة أخرى لنفس الراوي ، وأيضا تُقرأ بواسطة أمهاتهم (Decasper& Spence,1986) .

وقد قدمت دراسات تجريبية أخرى دليلا مباشرا لإرتقاء نماذج إدراك الرضيع وعرض شتراوس (1979) لرضع ذوي 10 أشهر سلسلة من الرسومات التخطيطية لأوجه اختلفت من حيث السمات الجسدية مثل مكان العيون والأذنين، أو طول الأنف . وباستخدام النموذج الارشادي للتعود ، والذي يقيم إدراك الجدة، "طلب" حينئذ من الرضع "انتقاء " الرسمة الوحيدة التي مثلت السلسلة على أحسن وجه ؛ وبكلمات أخرى ، تم تحديد الرسمة التي تم عرض أدنى متوسط استجابات الجدة لها . وإن الرسمة التي حددها الرضع بهذه الطريقة كانت الرسمة الأكثر تمثلا بمنطق توسط الصفات المعروضة سابقا ، ولكن في الحقيقة لم يسبق لهم رؤيتها من قبل ؛ بمعنى، النموذج المتوسط .

المعالجة المستمرة مقابل التصنيفية في النظام الإدراكي للرضيع وإن الوظائف المنفصلة للإدراك المستمر مقابل الإدراك التصنيفي والتي ، تعمل بطرق محددة الكيفية ، وترى على أنها مركزية للعالم المعرفي والإدراكي للبالغين تبدو أنها في وضعها الصحيح للرضيع أيضا . وفي العديد من الدراسات التي تستخدم فنيات التعود والتفضيل (الملخصة بواسطة 1985 ، 1979 Bornstein) فقد تم اكتشاف أن قدرات الرضع لمثل هذه الوظائف الثنائية داخل الأنظمة السمعية والبصرية تشبه قدرات البالغين .

النظام السمعي للرضيع

إن إدراك الأصوات يعتمد على الاختلافات في طبقة الصوت ووقت بدء الصوت . وإن البارامترات المادية التي يكمن وراءها كلا من طبقة الصوت ووقت بدء الصوت تتنوع باستمرار ، والرضع بداية من وقت ولادتهم فما فوق يظهرون حساسية شديدة للتغييرات في تلك البارامترات (Weir,1976) . وبينما يُعد الاختلاف الفيزيائي الاساسي مستمر فإن الأصوات التي يتم ادراكها بواسطة البالغين من الناحية التصنيفية ، وبشكل عام في ثلاث تصنيفات صوتية ، وصفت بما قبل الصوت ، وصوتي ، وصامت ، وأظهر إيماس وسيكويلاند وجوسزيك وفيجوريتو Vigorito , Jusczyk, Siqueland, Eimas (1971) معالجة تصنيفية للإدراك الصوتي في الرضع ذوي 4 أشهر بطريقة توازت مع الإدراك الصوتي لدى البالغين . فالرضع كانوا قادرين على تمييز الأصوات المتراسلة مع التغايرات الصوتية للبالغين ولكنهم لم يستجيبوا لاختلافات الحجم الصوتي المتساوي داخل نطاقات التصنيف الصوتية . وأن تلك النتائج قد تم اعادتها مع كل من مثيرات الكلام الاصطناعية والطبيعية ، وامتدادها لتناقضات الكلام الأخرى ، كما أعيد النظر فيه بواسطة بورنشتاين (Bornstein(1979,1985.

وقد حاججت إيماس وآخرون Eimas بأن الإدراك التصنيفي للصوتيات في الرضاعة المبكرة يشكل دليلا على حالة الكلام على أنه فطري في الأنوا ع الإنسانية (Eimas,1975 ; Liberman, Coopes, Shankweilles & Studdet-Kennedy, 1967; Summarized in Bornstein 1979)

ومع ذلك ، فقد أوضحت أيضا عدة دراسات الإدراك التصنيفي للصوتيات في الرئيسيات وفصائل ثديية اخرى ، بما في ذلك القرود وحيوان الشنشيلة [1] ، والتي تُعد أنظمتها السمعية مشابهة لأنظمة البشر ; Morse&Snowdon,1975) Waters & Wilson , 1976; Kuhl & Miller, 1975, 1976)

الوظائف البصرية في الرضع والأنواع دون البشرية

إن عمل كوسلين كما نُوقش سابقا ، ركز على القدرة الثنائية الأساسية للتمييز على أبعاد مستمرة ، إدراك تصنيفي ، في النظام البصري للبالغين . وقد تم اكتشاف وظائف بصرية ثنائية شبيهة في الرضع وأنواع أخرى غير بشرية . فكافة الفصائل غير الإنسانية التي ترى اللون قد وجدت أنها تقوم بتجزئة السلسلة اللونية إلى فئات لون (Bornsteins1979) وإن النظام القاطع التصنيفي للحقل الإدراكي مثل إدراك الصوتيات والألوان المنفصلة - يبدو أنه يتعلق بالوظائف الإدراكية الأساسية ، معا مع معالجة محددة الكيفية . وإن مثل هذه المعالجة التصنيفية ، والتي تقدم العمل التحضيري لوظيفة الترميز ، ليست وظيفة معينة ، فطرية مرتبطة باللغة ، أو ظيفة خاصة بالبالغين أو الرضع من البشر ، ولكنها جانبا لمعالجة إدراكية يتم مشاركتها عبر الأنواع والكيفيات .

وهذا لا ينكر التأثير المحتمل لخبرة حياتية متباينة في إحداث اعادة تنظيم للحقل الإدراكي في كل كيفية . وبينما قد تظهر العينات من ثقافات مختلفة اختلافات في وضع حدود للتصنيف داخل ألوان الطيف ، الا أنهم يظهرون اتساقاً عندما يتم تقييم تنظيم اللون بطرق أخرى ، مثلما من خلال دراسات سيكوفيزيقية لقياس اللون . وقد تم اكتشاف نتائج مشابهة مع البالغين من نطاق واسع من اللغة والتجمعات الثقافية وفي دراسات الإدراك مع الرضع وأنواع أقل دون البشر . وكما يشير بورنشتاين إلى أنه أينما تم البحث عن مثل هذه الاشكال التصنيفية للإدراك "في النحلة ، الحمامة ، والقرد ، والشامبنزي ، كما في الإنسان - فقد تم إيجادها (1979 , p.54) .

١ حيوان في أمريكا الجنوبية من القوارض شبيه بالسنجاب له فراء رمادي اللون .

فالخبرة لها تأثيراتها ، والتنظيم المتباين للحقل الإدراكي يحدث إلى حد ما ، كما حُدد واقعيا بواسطة الثقافات الفردية . ومع ذلك ، فإن النتائج ـ في بحث الرضع ، والدراسات السيكوفيزيقية للبالغين ـ والبحث مع أنواع دون البشر ، وكذلك الدراسات عبر الثقافية ـ تقدم دليلا بأن تلك النسبية تتصف بصورة أكثر دقة بإعادة تنظيم حقل منظم بشكل أساسي قد حدث التصنيف به بشكل أولي اعتمادا على مبادئ إدراكية ومن ثم تم إعادة تنظيمه أو تنقيحه اعتمادا على أحداث خبروية ففي أي الحالات هل نرى الخبرة فارضة تنظيماً أوليا على ما قد كان حتى الأن اغراقاً صاخبا أو حقلا متجانسا ، غير متمايز .

ارتقاء واجهة اللغة ـ الفكر

ان الطبيعة الثنائية للأنظة الإدراكية والمعرفية غير اللفظية ، بما في ذلك المعالجة المستمرة والتصنيفية ، في وصفها الصحيح منذ بداية الحياة البشرية وقد وجدت في أنواع أخرى ايضا . فالوظيفة التصنيفية ، والتي بها يتم انقسام التدرجات المستمرة لخبرة إدراكية إلى صور نموذجية منفصلة ، هي جوهر العملية الترميزية كما تعمل في الأنظمة غير اللفظية ، وتسبق جيدا اكتساب اللغة ، وبينما يتم تطوير ذلك وقدرات معرفية رئيسية أخرى قبل اكتساب اللغة ، وتحدث التطورات الرئيسية أيضاً عندما يتم اكتساب اللغة . وان بداية اللغة ذات أهمية أساسية في السماح بوسائل جديدة بتنظيم وتوجيه الذات ، وأشكال جديدة للاتصال والتشارك مع الآخرين .

وان الباحثين والمنظرين في مجال الارتقاء المعرفي قد تطلعوا مبكراً بشكل عام إلى معالجة غير لفظية دون تناول واجهة المعرفة ـ اللغة . وعلى النقيض ، فإن علماء النمو اللغوي قد حددوا بشكل عام أنواع المفاهيم التي يتم تمثلها في اكتساب اللغة دون ربطها بالارتقاء المعرفي السابق أو الحالي . وكما تشير ماندلر(1992) Mandler ، لم يساهم أي من الحقلين بنظرية كافية تربط الاثنين .

فكما ان عمل بياجيه لا يقدم أساسا كافيا لنمو مفاهيمي رمزي، فهو أيضا لا يفسر عملية الربط بين الخبرة غير اللفظية والكلمات وإن العمليات

الحسية الحركية التي تميز السنة والنصف الأولى من الحياة المعرفية ، في نظرية بياجيه تعد أجهزة تحكم حركي متطابق نمطي تتعامل مع معلومات معقدة ، مستمرة ومن ثم فهي ضعيفة الملائمة للتخطيط لداخل النظام الرمزي للغة ، كما قد حاججت ماندلر Mandler (1992). ان الاخفاق العام للمنظرين النمائيين في معالجة اتصال التفكير باللغة يتوازى مع الاخفاق المتواصل على مدار علم النفس المعرفي واللغويات ، مع قليل من الاستثناءات ، كما سيتم مناقشته بالتفصيل في الفصل الحادي عشر .

وكان العمل الريادي للعالم النفسي الروسي فيجوتسكي Vygotsky (1934) استثناءا كبيرا . وان عمل فيجوتسكي يسبق التقدمات الحديثة في بحث الرضع بما يقرب من نصف قرن . ومع ذلك فإن مساهمته المفاهيمية لفهمنا لواجهة المعرفة باللغة في إرتقاء الطفل لا تزال قيمة بشكل فريد في يومنا هذا. وفي تحليله الهام لمفهوم "معاني الكلمة " وتطورها ، يستخلص فيجوتسكي (1934, p.83) النتائج الهامة الآتية :

١. للتفكير والكلام جذور مختلفة في النشوء كما في التطور.

٢. **يمكننا تحديد مرحلة قبل لغوية في إرتقاء التفكير للطفل البشري** ، كما في أنوا ع أخرى لا تُطور اللغة . ويمكننا أيضا تحديد مرحلة قبل فكرية في تطور الكلام للرضيع البشري .

٣. وحتى نقطة معينة في نمو الطفل ، فإن الوظيفتين يتطوران بامتداد خطوط مختلفة وباستقلالية عن بعضهما البعض .

٤. وعند نقطة معينة ، تلتقي تلك الخطوط ، وعندئذ يصبح التفكير لفظيا والكلام عقلانيا . ومنذ ذلك الوقت تؤثر كل من الوظيفتين بالتبادل على بعضهما البعض .

إن الجذور قبل الفكرية للكلام في إرتقاء الطفل تشتمل على الثرثرة ، والتي قد توصف بأنها ممارسة مع أصوات لكلام ، وبكاء ، وألفاظ بأنوا ع عدة ، حتى الكلمات الأولى للرضيع ؛ فجميعها وظائف وأشكال وجدانية واجتماعية في الغالب وان أشكال التفكير قبل اللغوية تشتمل على أفعال هادفة ، وحل مشكلة

، واستخدام أداة . فكل من خطوط الارتقاء يبدأ بشكل منفصل لمستوى مرتفع نسبيا قبل أن يمكن جمعها معا :

"عند لحظة معينة لعمر العامين تقريبا فإن منحنيات إرتقاء التفكير والكلام ، المنفصلان حتى ذلك الحين ، يلتقيان ويجتمعان لبدأ شكلا جديدا للسلوك ... فالطفل " يكتشف الاكتشاف الأعظم لحياتة ، " وأن " كل شئ له اسمه " (Stern,1914,p.108) ... وحتى تلك النقطة ، فإنه لا تزال العُقدة مرتبطة بمشكلة التفكير واللغة (vygotsky, 1934,pp.82–83).

وإن الوحدة النفسية المعقدة " لمعنى الكلمة " هي المنتج الحاسم لهذا الاتحاد بين التفكير والكلام " وإنه لمظهر داخلي ، في معنى الكلمة ، من حيث أن كل من التفكير والكلام يتحدون في التفكير اللفظي ...

فمعنى الكلمة هو التفكير والكلام (Vygotsky,1934,pp.5–6) . وقد حدد فيجوتسكي كيفية للتمثل يطلق عليها مصطلح " الحديث الداخلي " هي استدخال لأشكال الحديث الاتصالي التي يتم تعلمها بواسطة الطفل . فالحديث الداخلي ، وهو الحديث مع الذات ، يختلف عن أشكال الحديث الخارجي في الاعتماد على العزو فقط ، بدلا من أن يشتمل على بنية الفاعل والفعل المطلوبة للغة اتصالية. وطبقا لـ لفيجوتسكي ، فإن مثل هذا الحديث الداخلي هو شكل التفكير ، وهو الوسيلة التي يمثل بها الطفل كافة المعارف بشأن العالم ، والتي يستخدمها للتحكم في نفسه وتوجيهها .

وكان عمل فيجوتسكي هاما في تحديد الخطوط الفاصلة لإرتقاء التفكير والكلام ، قبل اكتساب التفكير اللفظي ، واندماجهما في شكل مفاهيمي جديد. ومع ذلك ، فنظرية تخرج من الحسبان استمرار تلك الوظائف المنفصلة طوال الحياة . وإن نظريته تُعد شكلا مفضلا لنظرية التوسط اللفظي عُرضة للاعتراضات التي قد أثيرت على تلك الفئة من النظريات . وإن اعتقاده بالحديث الداخلي قد يفسر المعالجة داخل المجال الرمزي ، وربما يشتمل على تصور رمزي منفصل داخل بنية الحديث الداخلي ، ولكن لا يستدخل النطاق الواسع من وظائف معالجة المعلومات التي قد حددناها كما تظهر في المشاعر .

وفي الحقيقة ، إن فيجوتسكي (1934) ، يستبعد مجال التعبير الوجداني من الوحدة التكاملية للنطق والتفكير :

وإن الأشكال الأعلى للإتصال النفسي الإنساني على وجه التحديد ممكنة لأن تأمل الإنسان للواقع محقق في مفاهيم معممة . وفي ميدان المشاعر ، حيث يسيطر الاحساس والوجدان ، لا يعد أيا من الفهم أو التواصل الحقيقي ممكنا، ولكن فقط عدوي عاطفية . (P.8)

وهكذا فإن فيجوتسكي يُبعد تعبير الوجدان إلى جذور الحديث قبل الفكرية، المتمايزة عن التفكير ، ويقيد الاعتقاد القوي بتطوير معاني الكلمة لمجالات معرفية أكثر حيادية . وهذا مدهش بالتحديد في رؤية معرفته الجيدة بالمؤلفين الروسيين العظماء ، الذين كانوا خبراء في الاشكال اللفظية التعبيرية المثيرة .

المداخل البدائية قبل اللغوية : مدخل ماندلر

أن بحث ماندلر بشأن " المراحل البدائية قبل اللغوية " يعد محاولة حديثة لتفسير رابطة اللغة بالتفكير كما تنمو في السنة الثانية من الحياة . وان عملها يجعل البحث الحالي داعماً لقبول اتصال التفكير باللغة الذي درسه فيجوتسكي. فقد ناقشت ماندلرالعلاقة بين الإرتقاء المفاهيمي واكتساب اللغة في ضوء طبيعة التنظيم الخاص بعالم الرضيع الذي يُعد ضروريا لتقديم أساسا ليتم ربط الكلمات .

ومن غير المرجح أن يتم تخطيط اللغة بشكل مباشر على المخططات الحسية الحركية . فهناك رابطا مفقودا : نظاما مفاهيميا قد قام بالفعل ببعض العمل المطلوب لوضع التفاصيل. واعتقد ان واحدة من وظائف ذلك النظام المفاهيمي القديم ، هي إعادة وصف معلومات حسية حركية في شكل أكثر اتساقا (انسجاما ـ تناغما) مع عملية التخطيط ؛ مما يعني ، أنها تشكل اتصالا بين وظائف حسية حركية تناظرية والرموز المنفصلة للغة ... وللتوضيح ، سيكون من الصعب جدا الانتقال مباشرة بارامترات فيزيائية متغيرة باستمرار للحركة المستخدمة في التقاط موضوع ووضعه في موضوع آخر للتعبير " الكرة الزجاجية موضوعة داخل الكأس " (التأكيد على الأصل ، 1991,PP.414– 415)

وبينما رأي بياجيه إرتقاء المفهوم القديم على أنه يعتمد على وظائف حسية حركية ووصف فيجوتسكي العالم المعرفي للرضيع بأنه مبني أولا على النشاط الهادف وفيما ثم بعد ذلك منظم بالحديث الداخلي ، فإن ماندلر تحاجج بأن المفاهيم يتم تكوينها بواسطة ميكانيزم " التحليل الادراكي " والاختزال وإعادة وصف المعلومات الواردة في المستقبلات الحسية التي يمكن أن تحدث افتراضيا وان اعتقاد ماندلر بالتحليل الادراكي قد ينطوي على مقارنة موضوع بآخر ، أو التعامل مع جوانب شئ لم تتم ملاحظته من قبل . وطبقا لماندلر، فإن مثل هذه المعلومات الإدراكية قد تمتلك في البداية خاصية عامة ، وشاملة على نحو كبير للنوع الذي قد وصفناه بمعالجة مستمرة أو معالجة رمزية فرعية . وان تحليل السمات التصنيفية (على سبيل المثال " أخضر" ، " له ساقين " إلخ) التي قد يتم التعبير عنها في شكل لغوي أو افتراضيٍ يُعد منفصلا ، وربما في بعض الحالات : انجازا فكريا فيما بعد إنجازا عقلياً .

وقد افترضت ماندلر ان صفات تكوين مفهوم الرضيع ، كما نُفذت خلال التحليل الادراكي ، تُعد متسقة مع مفهوم مخططات الصور ، كما صِيغت بواسطة اللغويين المعرفيين (على سبيل المثال Johnson, 1987 ; Lakoff, 1987;Langackes,1987) .

وتتكون مخططات الصور من خرائط من أبنية مكانية ، والتي تشمل جوانب عامة لمسارات الموضوعات وتفاعلاتهم داخل حيز ، إلى أبنية مفاهيمية ، ومعاني الموضوعات ، وأنواع الأحداث التي يشاركون فيها . فالرضيع لديه القدرة على تشفير البنية المكانية التي يدركها في شكل تخطيطي ؛ وهذا يسمح بتكوين صور حسية في الذاكرة ويقدم الشكل الفماهيمي الذي ربما يتم عليه تخطيط اللغة بعد ذلك فيما بعد .

وإن إرتقاء مخططات الصورة يعتمد فقط على خبرة إدراكية ولا يتطلب لمعالجة فيزيائية للموضوعات والتي كانت مطلوبة في نظرية بياجيه ؛ ومن ثم ، يمكن أن يفسر تكوين المفهوم قبل ظهور المهارات الحركية عالية التطور.

وقد حددت ماندلر عدة أنواع من المفاهيم التي قد يتم تكوينها في مرحلة

الرضاعة خلال مخططات صور مستنده إلى أبنية مكانية ؛ وتتضمن هذه الحيوية، والهدفية ، والاحتواء ، والدعم . وتشير الحيوية إلى الاختلاف بين الموضوعات التي تشارك ولا تشارك في الحركة البيولوجية. وطبقا لماندلر ، فإن الرضع يسجلون معلومات ادراكية بشأن بداية المسار ، بالإضافة إلى معلومات بشأن إتجاهه . فهم يلاحظون أن الموضوعات التي تبدأ بالحركة من تلقاء نفسها تختلف عن الموضوعات التي يتم تحريكها على سبيل المثال ، فالموضوعات ذاتية الحركة قد تستجيب للرضيع أو لموضعات أخرى من بعيد وتتخذ مسارات غير منتظمة أو غير متوقعة . فالرضع حينئذ قد يميزون. فئة من الموضوعات النشطة وفقا لهذا الأساس . وهناك دليل على أن الرضع يمكنهم تمييز تلك الأنوا ع من الحركة في سن مبكرة كما في عمر 3 أشهر (Mandler , 1992) .

أن مفهوم التوجه بالهدف Agency سيتم بناءه عن طريق الجمع بين مخططات الصور لحركة نشطة والحركة المسببة . وإن الرضع في عمر الأربعة أشهر يظهرون دليلا للدهشة تجاه فيلما ليد تلتقط موضوعا ما دون الاتصال به ، بما يشير إلى مخالفة توقعات مكونة بالفعل وافتراض أن مخطط التوجه لهدف بالفعل في وضعه الصحيح حتى ذلك الوقت . وإن مخطط صورة الاحتواء يمثل الموضوعات في فضاء مغلق جزئيا على الأقل . ويمثل مخطط الدعم موضوعا أعلى ومتصل بالظاهر والأطفال في سن الخمسة أشهر والنصف يندهشون عندما تمسك حاويات دون قيعان بالأشياء ، بما يشير إلى حضور مخطط الدعم.

وان مخططات الصور المحددة إدراكياً تقدم الاساس لاكتساب عدة مفاهيم نحوية أساسية ، بما في ذلك الافعال الشرطية (Sweetser,1990 ; Talmy, 1988) . وحروف الجر (Brugman,1988) ، والزمن (Langacker, 1987) . وإن مفهوم التوجه بالهدف مرتبط مباشرة بتمييز الفعل والفاعل الذي يكمن وراءه بناء نحوي . وان حروف الجر "في" و "على" موضحة بشكل إدراكي في مخططات الصور للاحتواء والدعم . وكما لاحظت ماندلر ، تلك هي حروف الجر الأولى التي تظهر في كلام الطفل ويتم تعلمها بطريقة صحيحة (Clark , 1977; Johnston, 1988) , وان مخططات الصور الادراكية تمكن التمثل

المكاني لمفاهيم تجريدية إلى حد كبير وتخدم كجسد للغة بواسطة تلك الوسائل .

وعلى أساس تحليلها لإرتقاء مخططات الصور وتشغيلها ، فإن ماندلر تفترض بناء المعالجة الآتي ذو الثلاث طبقات كما يتطور أثناء فترة الطفولة ليفسر إرتقاء المفهوم ووضع خرائط اللغة على التفكير :

١. الإجراءات الإدراكية بالإضافة إلى الحسية الحركية ، والتي تعد عامة بشكل كبير في البنية ـ مثل الخبرة الادراكية للاحتواء والدعم، والخبرة الادراكية للحركة.وكيفية إحداثها ـ تقدم الأساس للتعرف على الموضوعات والعلاقات بينها .

٢. المعلومت الإدراكية المشفرة بهذه الطريقة يتم إعادة وصفها داخل مخططات الصور ، والتي يتم بداخلها استخدام بنية مكانية كأساس للبنية المفاهيمية ، وتشتمل على المفاهيم الأساسية للحيوية ، التوجه بالهدف والاحتواء والدعم . وإن مخططات الصور تلك يتضمن تحليلاً للسمات بشكل غير لفظي ، وتصوري والتي يُحتمل أن تكون قابلة للشكل الافتراضي ، و"تقدم المعاني الأولى المتاحة للرضيع لاغراض التفكير" (Mandler,1992 ,P.8) .

٣. وحينئذ قد يتم إعادة وصف مخططات الصور باللغة .

رؤى جديدة للعالم الوجداني للرضيع

إن صياغة ماندلر تركز على الإرتقاء المعرفي بدلا من الوجداني . وقد حدثت التغيرات أيضا في فهمنا للإرتقاء الوجداني للرضيع ، والتي توازي التغيير في فهمنا للعالم المعرفي للرضيع وتعتمد على ذلك التغيير . وإن النتائج الجديدة بشأن إدراك وذاكرة الرضيع ، بالإضافة إلى الدراسات الحديثة للإرتقاء الوجداني ، تثير الآن تساؤلات هامة بشأن رؤى التحليل النفسي . وإن صياغة ماهلر(1968) Mahler للمراحل التوحدية والتعايشية كصفات للحياة الباكرة للرضيع قد خضعت للتساؤل من ذلك المنظور الجديد . وطبقا لماهلر ، فإن الرضيع الوليد الجديد في المرحلة التوحدية يتجنب الإثارة الخارجية وبالتحديد المثيرات الاجتماعية . وهذا يتبعه " تكيف تعايشي " والذي يستمر تقريبا من الشهر الثاني وحتى الشهر الثامن أو التاسع تقريبا . ويرى الرضيع في هذه

المرحلة على أنه يمر بحالة اندماج أو "وحدة ثنائية مع الأم ، والتي تظهر منها تدريجيا ذات منفصلة وغيرها . وعلى نقيض صياغة ماهلر ، فقد أظهر البحث الحديث أن الرضع الصغار قادرين على تمييز التعبيرات الوجدانية للآخرين وأن لديهم توقعات بشأن الأخرين وأغراض للمشاركة والتفاعلات معهم وقادرين على تقييم ما إذا كانت تلك الأغراض يتم الوفاء بها ، بناء على الحالة الوجدانية الخاصة بهم . وبالتالي فإن هذه التقييمات تقود لمزيد من التأثيرات الوجدانية والسلوكية.

إن الكفاءة الوجدانية للرضع في عمر 3 أشهر قد تم اظهارها بوضوح في تجارب " الوجه الثابت " لترونيك وكوهن (Tronick , Cohn (1989. وفي هذا النموذج الارشادي ، يُطلب من الأمهات أن تظل تعبيرات وجوههم ثابتة أثناء النظر إلى أطفالهم ، بدلا من الاستجابة بطريقتهن المعتادة . ويصف ترونيك (Tronick (1989 نتائج هذا السلوك الأمومي كالآتي :

بمواجهة تلك التلاعبات ، فإن أغلب الرضع في سن ثلاث أشهر يشيرون في البداية لأمهاتهم بتعبيرات الوجه ، الأصوات ، والإيماءات في محاولة لجعل أمهاتهم يستعدن سلوكهن المعتاد . في حالة الرضيع هي أنه ينبغي لأمهاتهم أن يغيرن ما يقمن به . وعندما تحقق السلوكيات الموجهه للآخر في تحقيق هذا الغرض ، يعبر الرضع عن مشاعر سلبية ويستخدمون سلوكيات تنظيمية موجهة للذات في محاولة للتحكم في استجابتهم الوجدانية فينظرون بعيدا ويطمئنون أنفسهم . وإن ردود الفعل هذه تحدث حتى عندما تكون تعبيرات أوجه الأمهات ثابتة لبضع ثوان فقط . وعلاوة على ذلك فإن التأثير السلبي للرضع واستخدام سلوكيات تنظيمية موجهة للذات لا ينتهي ببساطة بمجرد استعادة الأمهات لسلوكهن المعتاد . فبدلا من ذلك ، هناك استمراراً للحالة المزاجية السلبية للرضع وخفضا في النظرة البصرية لأمهاتهم لبضع دقائق تالية . وهذه النتيجة تقترح أن حتى الرضع في سن ثلاثة أشهر ليسوا فقط ببساطة تحت سيطرة موقف المثير الفوري ولكن أن الاحداث لها آثار مستمرة ، مما يعني أنها تمثلاً داخليا (P.114)

إن الافتراضات التقليدية بشأن الطبيعة غير المتمايزة للحياة العقلية للرضيع قد تم بحثها أيضا بواسطة شتيرن Stern (1985) . فهو يحاجج بأن الرضع لديهم نظاماً داخل حقلهم التجريبي ، بما في ذلك الشعور بالذات والآخر بداية من الميلاد : فهم مصممون مسبقا على أن يكون لديهم الوعي بعمليات تنظيم الذات .

فهم لم يمروا أبدا بفترةعدم التمايز التام بين الذات والآخر . فليس هناك حيره بين الذات والآخر في البداية أو عند أي نقطة أثناء الطفولة . وأيضا مصممين مسبقا أن يكونوا متجاوبين بشكل انتقائي للأحداث الاجتماعية الخارجية ولا يجربوا مرحلة شبه توحدية .

وخلال الفترة من شهرين لستة أشهر ، يقوى الرضع إحساس بجوهر الذات كوحدة منفصلة ، ومتماسكة ومحددة ، وجسدية ، بإحساسهم المتوجه بالهدف الوجداني والمستمر عبر الوقت. فليس هناك مرحلة شبه تعايشية . في الواقع ، الخبرات الشخصية للاتحاد مع آخر يمكن أن تحدث فقط عقب تواجد الإحساس بجوهر الذات والآخر. (P.10)

وطبقا لـ شتيرن فإن الفترة من 9 أشهر تقريبا وحتى 18 شهرا ليست مكرسة فقط للمهام النمائية للفردية والاستقلالية ، ولكن أيضا بالتساوي للسعي وخلق القرب والمشاركة ، " العلم بأن الحياة الشخصية لفرد ما ـ محتويات العقل لفرد ما وخصائص مشاعره ـ يمكن مشاركتها مع آخر " (P.10) وليس من الضروري أن يبدأ البشر بالذاتوية والتكافل ، وأنه ينبغي عليهم السعي للانفصال والاستقلال ؛ فالمهمة النمائية في المجال الوجداني والشخصي أكثر تعقيدا. فالرضع البشر يخبرون أنفسهم منفصلين ووحيدين ، ومدفوعين للسعي نحو التقارب . وإن هذه الدافعية جوهرية لتنظيم وجداني ، لا ثانوي لاشباع احتياجات جسدية .

وفي صياغة شتيرن ، فإن تنظيم الرضيع لجوهر الذات والتمثلات التكميلية لجوهر الآخرين مبنية على اكتشاف ثوابت أساسية لتسلسلات خبرة لأحداث تنطوي على ذات أحدهم في التفاعل مع الموضوعات والناس ، والتي تتكرر وتقدم

نظاما للخبرة . وقد خصص شتيرن أربعة ثوابت خبروية تعمل داخل النظام غير اللفظي وتساهم في تنمية إحساس متكامل بالذات كما قد ناقش القدرات الخاصة التي يحتاجها الرضيع للتعرف على تلك الثوابت . وإن تلك الأبنية الأربعة الأساسية للوجدان التي يتم تنظيم الذات عن طريقها ـ التوجه بالهدف ، والتماسك ، والوجدانية ، والذاكرة ـ معرفة بواسطة Stern كالآتي :

١. يتم تعريف القدرة المدركة Agency بإمتلاك الإرادة والسيطرة على الأفعال المخلقة ذاتيا كتمايز عن أفعال الآخرين . وإن الارادة يتم تمثلها في شكل خطط حركية ؛ ومثل هذه الخطط موجهة بواسطة تغذية راجعة ذاتية التحفيز وإن عواقب الافعال يتم اختبارها حينئذ بطرق مختلفة . وبالنسبة للتصرفات على الذات ، سيكون هناك عواقب محسوسة ؛ وبالنسبة لتصرفات الآخرين سيكون هناك بشكل عام استجابات منهجية ، ومشروطة بواسطتهم .

٢. ويشير التماسك Coherence إلى الإحساس بكيان فيزيائي محدد وفردي . وهذا يعتمد على عوامل مثل وحدة الموقع ، على سبيل المثال ، إتيان الصوت من نفس إتجاه صورة الوجه . فالذات والآخرين يظهرون أيضا تماسك الحركة ، البنية الزمنية ، والشكل ، وتدرجات الحدة.

٣. وتشير الوجدانية الي مجموعات مميزة لأحداث ذاتية مرتبطة بحالات وجدانية منفصلة . وهذه تتضمن تغذية راجعة ذاتية ، وأحاسيس نمطية للإثارة، ومؤهلات شعورية خاصة نحو الانفعالات .

٤. وتتضمن الذاكرة استمرارية الخبرة التي تحتفظ بجوهر تاريخ وبالاضافة إلى الذكريات الحركية ، والتي تظهر في مفهوم بياجيه لمخطط حسي حركي ، هناك الأن دليلا معتبراً لأنظمة الذاكرة الادراكية يعمل بداية من الشهور الأولى للحياة ، كما عُرض في البحث المحدد سابقا بواسطة ماندلر وآخرون .

التكامل لمظاهر الخبرة

ويثير شتيرن Stern (1985) بعد ذلك تساؤلا عن كيف للصفات المكررة، والثابتة للخبرة والتي قد تم تحديدها ـ خبرات التوجه بالهدف ، والتماسك ، والوجدانية ، والذاكرة ـ أن تصبح متكاملة في المناظير المنظمة التي توصف كإحساس بالذات ، وتكميلياً للآخرين كما ويفترض أن الذاكرة للحلقات المكررة تقدم الأساس لمثل هذا التكامل . وكما عرف بواسطة شتيرن فإن التفاصيل صغيرة ولكنها أجزاءً متماسكة من الخبرة ، والتي تتضمن " الأحاسيس ، والادراكات ، والأفعال ، والأفكار ، والانفعال ، والأغراض " والتي تحدث في علاقة زمنية ، وفيزيائية ، وسببية معينة " (P.95) ويعطي مثال لحدث "الثدي ـ الحليب " ، مع الصفات الآتية : " أن يكون جائعا، تم وضعه على الثدي (مع مصاحبة أحاسيس وإدراكات لمسية ،وشمية ، ومرئية) ، يمد فمه ويتحسس ، فتح الفم ، بدأ الرضاعة ، الحصول على الحليب " (P.95) . وبتكرار تفاصيل معينة ، فإن الرضيع يبدأ في تكوين ذاكرة معممة والتي يصفها شتيرن :

كتوقع فردي ، وشخصي عن كيف من المرجح أن الأشياء سوف تجرى على أساس لحظة بلحظة . فحدث حليب الثدي المعمم لم يعد في ذاته ذاكرة خاصة ؛ فهو تجريد لعدة ذكريات محددة ، جميعها مختلفة اختلافا طفيفا لا محالة ، تنتج بنية واحدة لذاكرة معممة . فهي ، اذا جاز التعبير ، خبرة متوسطة جعلت نموذجية (PP.95-96) .

وإن تلك الأبنية النموذجية للذاكرة تتضمن على أفعال ، وأحاسيس ، وإنفعالات ، وجميعها تحدث في علاقة زمنية وفيزيائية ، وسببية في سياق تفاعلي ، واتصالي ، ومن ثم تشكل الأساس للمخططات التمثلية غير اللفظية التي يطلق عليها شتيرن مصطلح تمثلات التفاعلات المعممةRepresntations of interactions Generalized (RIGs) . وإن الدراسات بشأن تجريد الصفة في مجالات الصوت ، واللون ، وادراك الشكل والتي قد تم وصفها سابقا، تدعم رؤية شتيرن بأن الرضيع قادر على تمثل مثل هذه الخبرة التصنيفية والنموذجية من بداية الحياة.

وقد قدم لويس وبروكس (1975) Brooks , Lewis ولاشمان وبيبيي (1988) Lachmann, Beebe دليلا بأن الرضع الصغار جداً قادرين على تمثل الصفات المتمايزة للتفاعلات ، وتكوين نماذج مركبة من الخبرة ، واستخدام تلك القدرات مباشرة في خبرة اتصالية ووجدانية ، ويحاجج لانشمان وبيبيي بأن أبنية التفاعل الباكرة والمتكررة تنظم تمثلات غير لفظية متطورة في عضون السنة الأولى . وطبقا لهؤلاء المؤلفين ، فإن الرضيع " يمثل الصفات المتمايزة لتفاعلات اجتماعية قبل أن يتم تجريدها وترميزها " وتشمل تلك الصفات أنماط زمنية ومكانية مميزة للسلوك المنفذ بواسطة كلا الطرفين في التفاعل بالإضافة إلى الأنماط الانفعالية للوجه ، وأن أبنية التفاعل يتم تمثلها . " كأنماط لتنظيم تبادلي، كما يتم تنظيمها عن طريق الزمان ، والمكان ، والانفعال " (1988, PP.310-311). فالقدرات الضرورية لنمو تلك الأبنية للتفاعل المعرفي والاجتماعي في وضعها الصحيح في السنة الأولى ، قبل اكتساب اللغة بمدة طويلة .

وإن الانفعالات ، بأبنيتها متعددة الكيفيات ، تعد مناسبة على وجه التحديد للمساهمة في الاحساس المستمر بالذات الجوهرية .

وإن مجموعة الثبات الذاتي الذي ينتمي لكل وجدان منفصل يحدث ، لأي رضيع ، في عدد من السياقات وعادة مع أشخاص مختلفة . فتعبيرات الوجه التي تقوم بها الأم ، ومداعبة الجدة ، وإلقاء الأب للرضيع في الهواء ، والأصوات التي تحدثها جليسة الأطفال ، والدمية التي يجعلها العم تتحدث قد تكون جميعها خبرات للبهجة . فالأمر المشترك بين العوامل الخمسة " للبهجة " هو مجموعة الأنوا ع الثلاثة للتغذية الراجعة : من وجه الرضيع ، ومن وصف التنشيط ، ومن نوعية الشعور الذاتي . (Stern , 1985, p.90) .

والتعبير ، ومن المفترض، الخبرة بالانفعالات الأساسية تتغير قليلا على مدار الحياة ، فالرضيع يستخدم العضلات ذاتها للتبسم أو البكاء كالبالغ وحينئذ فإن التغذية الراجعة الذاتية لتلك التعبيرات ستتراسل أيضا . وقد أشار إيمدي(1983) Emde إلى استمرار خبرة انفعالية ، تبدأ في الرضاعة ، تشكل

أساساً انفعاليا ثابتا لما يسميه بالذات " قبل التمثلية " وهناك دليلا أيضا على أن الرضع بتذكرون الحالات المرتبطة بخبرات انفعالية معينة . فالرضع في سن ٦ أشهر لـ ٧ أشهر ، الذين قد رأوا وضحكوا على التصرفات المسلية التي تقوم بها دمية اليد ، ابتسموا عندما عرضت عليهم الدمية في حالة هادئة، وبلا حراك عقب اسبوع ؛ والرضع الذين لم يلعبوا من البداية مع الدمية لم يتسجيبوا بانفعال ايجابي للعرض الساكن (Nachman & Stern, 1983)

البيانات المتقاربة في الوظيفة الرمزية

وكما يمكننا أن نرى من ذلك العرض الموجز للمخططات المنظمة في الارتقاء المعرفي والوجداني ، فإن مفهوم ماندلر للتحليل الادراكي ، والذي يقود لإرتقاء مخططات الصور ، ويتوازى مع تحليل كوسلين للوسائل التي بها معالجة المعلومات الإدراكية في أنظمة المعالجة المستمرة مجزأة أو موجهة عبر طبقات متعادلة وظيفيا إلى نموذج تصوري ، بما في ذلك تمثلات العلاقات وكذلك الموضوعات . وإن تلك المفاهيم تتقارب أيضا مع صياغة شتيرن للتنظيم الوجداني عبر إرتقاء مخططات تجريدية نموذجية خبروية . وإن آثار ذلك التقارب سيناقش بالتفصيل في تقديم العملية المرجعية والتعبير عن الوجدان في الفصلين الحادي عشر والثالث عشر .

الفصل العاشر
التشفير المتعدد على المستوى العصبي الفسيولوجي
جانبية وتركيبية الوظيفة

إن نظرية الشفرة المتعددة ، والتي سيتم تقديمها في القسم الثالث ، تُعد نموذجا نفسيا ، ونظرية للعقل ، لا نموذجا عصبيا فسيولوجيا أو نظرية للمخ ، وعناصر نظرية الشفرة المتعددة هي تكوينات نفسية ، مُعرفة في ضوء تكوينات نفسية أخرى ويستدل عليها من سلوكيات يمكن ملاحظتها ضمن إطار تنظيري لشبكة مفاهيمية ، كما قد ناقشتها في الفصل الرابع . وإن التكوينات العقلية لا يمكن اختزالها لأبنة عصبية فسيولوجية وحيث أن كلا المستويين للنظرية يصبحان مطورين بشكل جيد ، فمع ذلك سنتوقع أن تكوينات العقل والدماغ يحتمل أن تكون قابلة للترجمة لبعضها البعض . وقد نتوقع أيضا بأن البيانات العصبية ، مثل الملاحظات السلوكية واللغوية وغيرها ، ستقدم دليلا سيساهم في تأكيد ، أو عدم تأكيد ، النظريات النفسية

ومن هذا المنظور ، تم استعراض دليلا عصبيا فسيولوجيا جديرا بالاعتبار في الفصل السابع ، مُظهرا أن التصور يشغل قنوات المعالجة ذاتها كما يتم استخدامها بواسطة الادراك في الانماط البصرية وغيرها ، ومن ثم مؤيدا للطبيعة محددة الكيفية للتصور ، كما افترض في نظرية الشفرة المتعددة . وقد تم استعراض بيانات عصبية فسيولوجية أيضاً جديرة بالاعتبار بشان تقسيم الوظيفة في النظام البصري الانساني .

وإن الدراسات المتنوعة ، المُناقشة في الفصل السابع ، عامة في تمييز نظام باطني يكمن وراءه تحديد الموضوعات ، والترابطات بينها ، عن نظام ظهريا جداريا مخصصا لوظائف مكانية ، وفي وضع موقع تكامل تلك الأنظمة في شكل الحصين . وإن الاختلاف في الوظيفة بين حاسة الشم والبصر ، والتراسل القريب لحاسة الشم لمعالجة خبرة وجدانية قد ارتبطت أيضا في النظام الفسيولوجي . وقد اشتملت الفصول السابقة نتائج عصبية فسيولوجية متعلقة بالبحث الجديد على المعرفة والوجدان وتكاملها في نظرية عامة لمعالجة

المعلومات الوجدانية .

ومناقشة الدليل العصبي الفسيولوجي المتعلق بالتشفير المتعدد والعملية المرجعية لن يكون مكتملا دون الرجوع لدراسات تخصصات وجانبية الدماغ بواسطة جازينجا وآخرون Gazzaniga خلال العقود العديدة الماضية ، بالإضافة إلى البحث الأحدث بشأن نمطية الوظيفة بدلا من جانبيتها . ومن هذا المنظور ، فإن الأهمية الكبرى للنتائج التي سيتم تقديمها في هذا الفصل ليست بالقدر الذي يوضح موقع عمليات محددة ، ولكن لتقديم دليلا إضافيا من علم الفسيولوجيا العصبية بشأن الانقسام النفسي الأساسي للوظيفة بين المعالجة التصنيفية والمستمرة ، وتكامل تلك العمليات .

سأقوم أولا بمراجعة بعضا من البحث الأساسي بشان جانبية الوظائف العقلية ، بما يشمل جانبية الوجدان ، ثم تفحص دليل عصبي فسيولوجي لمعالجة محددة الكيفية ، ثم دراسة التمييز الهام عن قرب بين المعالجة التصنيفية والمستمرة وبين تطبيقاتها محددة الكيفية . وسأوضح أيضاً كيف أن التصنيفات الرئيسية للوظائف العقلية تظل في النمط الجديد أو حسابات تكوينية ولكن في شكل أكثر تعقيداً .

النصفية الجانبية للوظائف اللفظية وغير اللفظية

وقد قدمت الدراسات دليلا حول مرضى اصابات الدماغ من جانب واحد ، قبلت ما يقرب من قرن ، بما يشير لتخصص النصف الأيسر بوظائف اللغة . وإن تلف النصف الدماغي الأيسر يمكن أن يسبب فوضى حادة لوظائف اللغة ، بينما يتسبب تلف النصف الأيمن ، على العكس ، القليل من هذا الاضطراب . وبينما بعض الأشخاص مستخدمي اليد اليسرى قد يكون لديهم النصف الأيمن هو المسيطر للغة ، فإن البيانات الحالية تشير لتخصص النصف الأيسر لأكثر من 95% من عامة الناس (Rasmussen & Milner,1977) . وإن دليلا قائما على اصابات الدماغ البؤرية يدعم أيضا تخصص النصف الأيمن ببعض الوظائف الادراكية غير اللفظية (Milner, 1974) .

وإن تلك النتائج ، بناءاً على موقع الاصابات ، تتوافق بجزء كبير مع النتائج المبنية على الشق الجراحي للألياف العصبية في الدماغ [2] أو فنية تجزئة الدماغ . وإن إجراء فصل نصفي الدماغ جراحيا عند الجسم الجاسئ[3] قد طُور في بدايات 1960 ، في محاولة جاهدة لمعالجة الصرع المستعصي والا أصبح صرعا معقدا في الدماغ السليم ، يتم تبادل المعلومات باستمرار بين النصفين الكرويين عبر الجسم الجاسيئ ، وإن الفصل الجراحي للنصفين يسمح بتقييم مستقل لوظائف كليهما . وإن دراسات تجزئة الدماغ قد ركزت في المقام الأول على النظام البصري وبدرجة أقل على الدراسات التي تنطوي على المثيرات الملموسة .

وفي مرضى الفصل الدماغي ، من الممكن توجيه الإدخال البصري بانتقائية للنصف الأيسر أو الأيمن عن طريق اسقاط الصورة البصرية لنصف الحقل المعاكس لشبكية العين ، ومن ثم دراسة قدرة كل من النصفين باستقلال نسبي عن الآخر فالرؤية هي النمط الوحيد الذي يسمح بمثل تلك الجانبية الدقيقة. وإن معلومات اللمس جانبية أيضا لحد كبير ، وهناك جانبية ما للمعلومات السمعية . ومع ذلك ، بالنسبة للمس والصوت ، هناك دليلا بأن المحسات الجسدية والحسية يتم تسجيلها بنفس الجانب ، وبالتالي تثير تساؤلات بشأن النتائج في تلك الكيفيات .

وإن المضمون الرئيسي للنتائج بشأن جانبية الوظيفة في مرضى الفصل الدماغي معلوم جيدا . ومثل هؤلاء المرضى يسمون بسهولة المثيرات البصرية التي تومض في الحقل البصري الأيمن (وصولا للنصف الأيسر) . وعندما تومض المثيرات للحقل البصري الأيسر ، يخبر المرضي بعدم رؤية شئ . وبالمثل، فإن المرضى معصوبي العينين ، يمكنهم تسمية الأشياء الممسوكة باليد اليمنى بسهولة لا اليد اليسرى . وعلى العكس ، فقد اكتشف تخصص النصف الأيمن لبعض العمليات غير اللفظية ، بما يتضمن التعرف على النمط الوجهي وغيرها

٢ Commissurotomyإجراء جراحي يعتمد على قيام الجراح بفصل مكونات في الجسم "القلب أوالمخ" (الترجمة)

٣ Corpus Collosumمجموعة واسعة من الألياف العصبية التي تنضم إلى نصفي المخ(المترجم)

من الانماط ، والذاكرة الادراكية للمثيرات التي لم يتم تسميتها بسهولة ، مهام بصرية حركية ، ومكانية ملموسة ، ومجموعة متنوعة من المهام الهندسية ومهام أخرى حسابية.

والدليل على انفصال الوظيفة في مرضى الفصل الدماغي يمكن أن يكون مثيرا. وفي سلسلة من الدراسات ، يعرض على مريض الفصل الدماغي تصميما بسيطا ، مثل مكعبا ، ويطلب منه رسمه . فيده اليسرى ، والتي تستقبل سيطرتها الحركية الرئيسية من النصف الأيمن ، ليس بها مشكلة مع تلك المهمة ؛ ويده اليمنى ، الموجهة بواسطة النصف الأيسر ، لا يمكنها فعل ذلك. وبالمثل ، فإن اليد اليسرى يمكنها تجميع مكعبات لمطابقة مجسما ما ؛ واليد اليمنى لا يمكنها . فاليد اليسرى ربما تحاول التدخل ومساعدة اليد اليمنى العاجزة وإذا أُخبر المريض أنه ربما يستخدم أيا من اليدين ، تصبح اليدان متشاركتين في صراع ما . فاليسرى تحدث التقدم ، واليمنى تتدخل وتلغي ذلك (Gazzaniga 1988 , 1985 ,) .

ومنذ بداية بحث الجانبية ، فإن نتائج ذلك النموذج الارشادي قد تم توضيحها ، وتعديلها ، وفحصها أيضا بطرق عديدة . وان النتائج الأساسية لبحث تجزئة المخ قد تم توسيعها بواسطة بعض الباحثين لرؤية أكثر عمومية للنصف الأيسر على أنه يتحكم في العمليات التحليلية والنصف الايمن على أنه يشتغل بطريقة تناظرية وشمولية . وقد افترض بعض الكتاب أيضا أوصافا واسعة لوظائف النصف الأيمن كمهيمن في الابداع والتفكير التركيبي كمقابل للتفكير التحليلي. وإن الصفات العامة للأساليب المعرفية للنصفين الأيسر والأيمن قد تم تعميمها بواسطة أورنشتين (Ornstein(1972 .

على طول تلك السطور ، فقد افترض عدة كتاب (Bogen , 1969 ,Galin, 1974; Hoppe, 1977; Mclaghlin 1978) ارتباط العمليات الاولية والثانوية للتفكير بوظائف دماغية جانبية . ولاحظ بوجين Bogen فقدانا لروايات الأحلام وكذالك فقدانا في الذكريات البصرية المكانية في مرضى تجزئة الدماغ . وناقش جالين Galin ارتقاء التيارات المنفصلة للشعور الموزع على

النصفين الدماغيين ؛ في موقف ما معقد ، على سبيل المثال ، فإن الفص الأيسر قد يعالج ويوصل استجابة لفظية محايدة أو إيجابية ، بينما يعالج النصف الأيمن خبرة غير لفظية للغضب ، والتي يتم حينئذ نقلها من خلال تعبيرات الوجه، وكما يلاحظ جالين Galin أيضا ، فإن نوع المعرفة المعالجة بواسطة نصف دماغي واحد قد لا تترجم جيدا للغة الآخرين . وقد لاحظ هوبي Hoppe فقر الأحلام والخيالات في مرضى تجزئة المخ ، وكذلك في مريض استئصال النصف الأيمن . ويقترح أن مرضى الاضطرابات النفجسمية الذين يظهرون نقصاً في النفاذ لتفكير العملية الأولية ، وتلفظات عنيفة وغير واضحة ، قد يعانون مما يطلق عليه مصطلح "فصل دماغي وظيفي ".

مشكلات في بحث الجانبية

تم تحديد عددا من المشكلات المنهجية ، وتحديدا في المراحل المبكرة لهذا العمل ، والتي تثير التساؤلات بشأن بعض الجوانب لنتائج الجانبية . أولا ، تختلف كفاءة الفصل الدماغي بين مرضى تجزئة المخ ، بحيث قد يتبقى بعض درجة الاتصال بين النصفين الكرويين . هناك الآن اختبارات للتحقق من كفاءة العملية الجراحية ، ولكنها لم تكن مستخدمة في المراحل المبكرة للبحث . وعلاوة على ذلك ، فحتى عندما يكون الفصل الدماغي مكتملا ، فإن الانشقاق الفصلي لا يخلق حجزاً على مستوى وسط الدماغ ، وهناك احتمالية للتفاعل هناك . وبالاضافة ، فإن عينات البحث هم مرضى قد عانوا من نوبات حادة لعدة سنوات ، ولهذا السبب فإن قدرتهم الكلية قد يتم خفضها . وكما يشير جازينجا (Gazzaniga(1985 فإن الاختبار قبل العملي ضروري قطعا لجعل نتائج تجزئة المخ ذات معنى ، مما يعني ، لاظهار كيفية تنفيذ المخ كله لتلك المهام. ولكن مثل هذا الاختبار لم يكن مطبقا بدقة في أغلب البحث المبكر . ولم تكن أيا من مشكلات ذلك الحقل ، وفقا لجازينجا Gazzaniga وباحثي الجانبية الميدانيين الآخرين ، الزيادة التخمينية لمفاهيم معينة بالتخصص النصفي ، وتحديدا بشأن وظيفة النصف الأيمن ، دون أن يتم تقديم دليل منهجي . وكلما

اتسعت الادعاءات بشأن جانبية الوظيفة ، كلما كان الدليل أكثر اشكالية بالنسبة لهم.

وظيفة النصف الكروي الأيمن :
هيمنة أم إخفاق ؟

إن طبيعة وظيفة النصف الكروي الايمن قد ظهرت كمصدر رئيسي للتساؤل والاختلاف في السنوات الأخيرة . وفي سلسلة من التجارب مع مرضى تجزئة الدماغ ، وجد ليفي وزملائه Levy , Trevarthen & Sperry Levy) (1972 ; Levy,1983 , دليلا تجريبيا لتفوق النصف الكروي الأيمن لعدد من المهام الادراكية وفي تلك الدراسات قدمت المثيرات المتنافسة معا لنصفي الحقل البصري لمرضى تجزئة الدماغ ، وطلب من المرضى الاشارة إلى اختيار مطابق من بين بدائل معروضة في رؤية حرة . وإن هيمنة النصف الكروي الأيمن ، المحددة بواسطة مطابقة العينة للمثيرات المعروضة للحقل البصري الأيسر ، قد وجدت لأنواع عدة من الموضوعات والانماط ، بما في ذلك الوجوه ، وأشكال بلا معنى ، وموضوعات شائعة ، وأشكالا هندسية . كما وجدت هيمنة النصف الكروي الأيمن أيضا لتوجهات الموضوعات واتجاه الحركة للمثيرات المتحركة. وهيمن النصف الأيسر في مطابقة الكلمات بالصور ، ومطابقة الصور وفقا لأسماء مُقفاه ، وانتقاء ملصقات ملونة مسماه بكلمات الألوان ، ومطابقة الصور وفقا لارتباط وظيفي (على سبيل المثال ، قبعة وقفازات) وإن تلك المهام لهيمنة النصف الأيسر توصف بواسطة ليفي Levy على أنها تنطوي على اتصال كلمة بصورة أو كلمة بالادراك .

وان النصف الكروي الأيمن متفوقا في مجموعة متنوعة من مهام ادراكية وهندسية أخرى ، بما في ذلك مطابقة أشكال " بلا معنى " لأسلاك مشكلة بطريقة غير منظمة عن طريق اللمس (Gazzaniga & Ledoux,1978) ؛ لتقرير ما إذا كانت صفوف النقاط المقدمة بواسطة التاكيستوسكوب مصفوفة في صفوف أم أعمدة ، كما هو محدد بواسطة المسافة النسبية للنقطة (Nebes,1973)

ومطابقة أشكال هندسية صلبة برسومات ثنائية الأبعاد (Leny , 1970) ؛ ومطابقة أقواس الدوائر بالدوائر ككل لنفس القطر (Nebes , 1972)

وفي دراسة تفحص علاقة وظيفة النصف الأيمن بجوانب التفكير الحسابي ، عرض فرانكو وسبيري Sperry , Franco (1977) على المرضى مجموعة من الموضوعات مرتبطة ببعض الثوابت الهندسية أو الطوبولوجية ثم طلبا منهم أن ينتقوا عن طريق لمس موضوع ، من بين ثلاثة موضوعات أخرى ، التي تنتمي إلى المجموعة . فالمهمة تتطلب فهم الخصائص المحددة للمجموعة في المجالات الهندسية والطوبولوجية والقدرة على ربط تلك الخصائص بنماذج جديدة في نمط مختلف . وبالنسبة لجميع المرضى كان متوسط دقة النصف الأيمن أكبر مما كانت عليه بالنسبة للنصف الأيسر ، وأكمل النصف الأيمن المهمة بسرعة أكبر ، وأن تلك النتائج تشير إلى تفوق النصف الأيمن على الأيسر في الوظائف الهندسية والطوبولوجية ، وحتى في أنواع التفكير المعقدة نسبيا المستخدمة بواسطة تلك المهمة .

رؤية بديلة لوظيفة النصف الأيمن :

انتقاد جازينجا

شكك جازينجا (1985 ، 1983) في عدة نتائج بشأن تفوق النصف الأيمن في الوظائف البصرية المكانية كما قدم تفسيرات بديلة لبعض الاختلافات الظاهرة في الأداء الذي قد تم اقراره وبينما التفوق القوي للدماغ الأيمن ثبت أولا للأداء في مهام التلاعب المكاني مثل تصميم كتلة كوز[4] فإن النتائج الحديثة التي توظف فحصا أكثر حرصا لكل من القدرات قبل التشغيلية وبعد التشغيلية قد اقترحت أن كلا النصفين ، في التفاعل ، كانا يساهمان في أداء تلك المهام . وقد اقترح جازينجا Gazzaniga أيضا أن الاختلاف الحاسم لمثل هذه المهام ربما يكون في المكون الحركي أكثر منه في المكون الادراكي . فالمرضى الذين

٤ Kohs Block Design Testإختبار تصميم الكتلة لصامويل كوز وهو أحد تلامذة لويس ترمان ، واختباره تم تصميمه لكي يقيس معامل الذكاء(المترجم)

يظهرون تفوق النصف الأيمن للإدارة المعيارية لاختبار تصميم الكتلة قد لا يظهرون مثل هذه الاختلافات عندما يحول المهمة إلى مهمة إدراكية ، على سبيل المثال ، لايجاد تطابقا بين صور التصميمات.

وقد وجد في عدة دراسات أن النصف الأيمن متفوقا على الأيسر في مهام التمييز الوجهي ؛ فمرضى اصابات النصف الأيمن يظهرون اعتلالا في مثل هذه المهام . ومع ذلك ، وجد جازينجا وسمايلي (1984) Gazzaniga و Smylie ميزة النصف الكروي الأيمن فقط للوجوه المتشابهة بصورة عالية ؛ فلم تكن هناك فروقاً دالة في الأداء بين الفصين الكرويين بالنسبة للأوجه غير المتشابهة . ووجدت نتائج مشابهة في دراسة باستخدام مجموعة من الألوان التي يصعب تسميتها ، والمختلفة بدقة كمثيرات . وبناءاً على تلك النتائج وغيرها ، فقد حاجج جازينجا (1988) بأن النصفين الكرويين ، في الحقيقة ، لهما قدرة متساوية لحل المهام الادراكية ، بدلا من كون النصف الأيمن متخصصا في المعالجة الادراكية . وميزة النصف الأيمن الظاهرة تتبع بالفعل لأن النصف الكروي الأيمن يشرع مباشرة بالمعالجة الادراكية ، بدلا من أن يشتغل تلقائيا لتوليد الأسماء بينما يتحول الدماغ الأيسر تلقائيا إلى كيفية معالجة لفظية ، بغض النظر عما إذا كانت هذه هي الطريقة المثلى لأداء المهمة ومن ثم ، فإن النصف الكروي الأيسر يشتغل تلقائيا لاطلاق الأسماء على الأشياء ويمكنه فعل ذلك بسهولة أكثر للمثيرات غير المتشابهة من المثيرات المتشابهة . وسيستمر أيضا في المحاولة لمارسة وظيفته في التسمية ، حتى عندما لا تكون هناك تمييزات واضحة ويمكن تسميتها ، ولا توجد علامات متاحة ، بدلا من التحول إلى الكيفية الادراكية . وهذا بدلا من القدرة المخفضة للمعالجة الادراكية . طبقا لجازينجا، يكون عيبا في مواقف مثل تلك المهام . وإن الدليل على ذلك يأتي أيضا من دراسات حول قدرات المخ المرتبطة بالاحداث والتي وجد بها أن مكون موجة المخ البشري المرتبط بمثيرات غير متوقعة أو لا يمكن تصنيفها أكبر بشكل عام في النصف الكروي الأيمن وطبقا لجازينجا ، فإن النصف الكروي الأيسر يتفاعل مع مثير ذو احتمال ضعيف عن طريق تسميته أو تصنيفه ، وبالتالي

يخفض أو يستبعد ذلك المكون لموجة المخ ، بينما الفص الكروي الأيمن لا يشتغل تلقائيا بتلك الطريقة .

وعلى أساس نطاق واسع من النتائج أقترح جازينجا بأن النصف الكروي الأيسر معد أيضا لتذكر الأنماط كالنصف الأيمن ، ولكن وظيفته اللغوية تتدخل تلقائيا في بعض المواقف للمهام المتخصصة . فهو يذهب لأبعد من ذلك في التخمين بأن في ارتقاء تخصص جانبي للغة في النصف الكروي الايسر ، فإن الكائن البشري يدفع ثمن التطور المكبوح في النصف الأيمن : " وقد يجادل بأن المهارات المعرفية لنصف كروي أيمن عادي منفصل دون لغة تعد أقل جداً شأنا من المهارات المعرفية للشامبانزي " (1983, P536) . ويعد هذا الموقف بالتأكيد تأملي بصورة كبيرة ومثيرا للجدل ، وقد حدد جازينجا ذاته ببعض الطرق : " فالنصف الكروي الأيمن لا يبدو قادرا على نحو فريد على أنوا ع معينة للمعالجة البصرية ، واللمسية ، والسمعية ، ومن المهم توضيح طبيعة مثل ذلك التخصص " (P.547) . وكما يلاحظ ، فإن طبيعة الوظيفة النصفية ستظهر فقط عن طريق اختبار خاضع للسيطرة الكاملة لمرضى الفصل الدماغي.

القدرة اللغوية في المخ الأيمن

إضافة إلى ذلك التعقيد كانت النتيجة ، خلال منتصف 1970 للقدرات اللغوية في النصف الأيمن لبعض مرضى تجزئة المخ . فعندما تستثار الكلمات للحقل البصري الأيسر عادة يصرح المريض بأنه لا يرى شيئا . على الرغم من أن مريض فصل المخ مع بعض من القدرة اللغوية للنصف الكروي الأيمن يمكنه انتقاء موضوع ما على نحو صحيح اعتمادا على كلمة معروضة لنصفه الأيمن. ومن ثم فإن نصفه الأيمن يمكنه فهم معنى الكلمات ، بالرغم من أنه كان صامتا ولم يستطع تقرير ذلك ، كما استجاب نصفه الأيمن أيضا لأوامر لفظية . واستطاعت حالة أخرى كتابة رسائل حول معلومات مقدمة لمخها الأيمن المنفصل، بالرغم من أنها لم تستطع التحدث منه.

وإن بعضا من النتائج الباكرة لوظيفة لغة المخ الأيمن ربما قد كانت

غامضة في أن الضوابط الضرورية ، كما وصفت باكرا ، لم تطبق بشكل كامل ومع ذلك ، فإن قدرة لغة النصف الأيمن قد وجدت أيضا لبعض مرضى تم التحقق من قسم فاصل الدما غ كاملا ، بما في ذلك الفاصل الأمامي ، وحيث قد طُبقت الضوابط الصارمة على جانبية السؤال وكيفية الاستجابة . وفي الحالات التي قد تم بها التحقق من صحة القدرة الفعلية للغة النصف الأيمن ، يحاجج جازينجا بأن ذلك ربما قد تطور بطريقة تعويضية كنتيجة لظهور تلف النصف الأيسر قبل قسم الفاصل الدماغي . وتبقى القضية مثيرة للجدل ، ويبقى مصدر وطبيعة وحدود قدرة اللغة للنصف الأيمن غير واضحة (Zaidel, 1983) ومما زاد تعقيد تلك النتائج ، أن جازينجا وزملائه قد أظهروا وجود بعض التفاعل بين نصفي المخ ، حتى في مرضى فصل الدما غ (Holtzman , Sidtis , Volpe, Wilson , Gazzaniga, 1981;Gazzaniga, 1988) ، وهكذا ، فإن الموقع الفعلي لوظفيه اللغة الملاحظة قد يكون بذاته عرضه للشك .

وتبقى نتائج بحث الجانبية غير واضحة بطرق عديدة . وإن دراسات المرضى الذين يعانون من إصابات المخ من جانب واحد ومرضى فاصل الدما غ تلتقي بشكل عام في إظهار اختصاص النصف الأيسر باللغة . وقد وجد دليلا جديدرا بالاعتبار أيضا لتفوق النصف الأيمن في عدد من المهام الادراكية . ومع ذلك ، هناك دليلا ما على الأقل (وتخمينا جديرا بالاعتبار) بشأن قدرة النصف الأيسر على المهام الادراكية ، وكذلك بعضا من القدرة اللغوية للنصف الأيمن . وإن كل نتائج الجانبية يتم تعقيدها عن طريق تساؤلات مثل فشلها في اختبار اكتمال فاصل الدما غ في العمل الباكر ؛ وإمكانية التفاعل على مستوى منتصف المخ ؛ وحتى حيثما يكون الانعزال الفاصل كاملا ؛ وفشلها في تأسيس مستويات قبل عملية للوظيفة في كثير من البحث ؛ وتنوع فردي جدير بالاعتبار بين العينات . وما يمكننا أن نستنتجه ببعض اليقين ، اعتمادا على النتائج حتى الأن ، هو أن الانشطار البسيط للوظيفة المفترضة في البحث الباكر لم يتم تأكيده ، وأن الموقف أكثر تعقيدا بكثير مما تم اعتقاده في البداية .

التوليد ووظيفة النصف الأيمن :
دليل من التطور

إن منظورا آخر بشأن الاختلاف بين وظيفة النصف الأيمن والأيسر قد قدم بواسطة كوربيلس (1989) Corballis . وذلك العمل ، المبنى على الدليل من التطور والذي يركز على المخ العادي ، يلقى ضوءا جديدا على تمييزات الوظيفة التي نهتم بها . وقد ركز كوربيلس على اخفاق التوليد كخاصية مركزية وحاسمة للمعرفة الإنسانية ؛ وطبقا لمدخله ، فإن التوليد ، بدلا من اللغة ذاتها، يُعد الوظيفة الاساسية النصف المخي الأيسر . فالتوليد هو القوة على إنتاج مجموعات حديثة عن طريق تجميع العناصر بطريقة مقوعدة (تحكمها قاعدة) ؛ وإن تلك المكونات الجديدة قد تكون كلمات ، أو جمل ، أو أدوات مُصنعة متعددة الأجزاء أو صور متعددة الأجزاء .

فالقدرة على التوليد مكون أساسي لعملية الترميز ، كما نوقش في الفصل الخامس وكما قد أوضح كوربليس في تحليله التطوري ، ظهر التوليد مع الانسان المنتصب وثقافة الأداة الأشولينية[5] منذ قرابة مليون ونصف سنة ووصل لتكوينه الكامل مع الإنسان العاقل وتطور استخدام الاداة المعقدة ، والكلام السريع والمرن خلال المائتي ألف سنة الماضية وان القدرة على تكوين كيانات متعددة الاجزاء من أجزاء أساسية بطريقة مقوعدة كانت جوهرية للتكوين الباكر للأدوات المعقدة. وبينما استخدمت الاشياء الطبيعية كأدوات في أوقات سابقة ، فإن صناعة الأدوات لوظائف محددة تبدو فريدة بالنسبة للهوميندس[6] (Foley,1987) . وان التقدم التطوري لاستخدام الأداة يتبع نفس المسار لظهور اللغة .

وإن تحليل كوربليس يقدم مصدراً مختلفاً من الدليل بشأن التمييز الأساسي بين معالجة الرمز الفرعي أو التناظر وبين معالجة رمزية ، والذي يتصف بالتوليد . وقد ظهر التمييز بعدة طرق مختلفة في البحث المعاد النظر فيه

٥ Acheuleanالفترة الأشولينية هي جزء من ثقافة العصر الحجري ، واشتهرت بالفؤوس الحجرية (المترجم).

٦ Hominidsبمنظور تطوري هي عائلة من الرئيسيات تضم البشر وأجدادهم الأحفوريين (المترجم).

في هذا القسم . ويناقش كوربليس إدراك النمط كعملية يجب أن تُفسر خارج المجال التوليدي أو الرمزي . وربما من الممكن ، مبدأيا ، فهم تطابق أو إدراك النمط كمهام توليدية . ومع ذلك ، لإدراك وجه ما ، أو تمييز وجه جزء ما عن آخر باستخدام عملية توليدية ، سيتطلب ذلك تحليلا أوتفكيكا للنمط ككل إلى مفرداته الإدراكية عن طريق التطبيق العكسي لقواعد تجميعه ، ويعقبها مقارنة ذلك بنمط مخزن في الذاكرة والذي قد طبق له تفكيكا مشابها للمفردات . وعلاوة على ذلك ، فإن التمايز والحوسبة ستحتاج لأن يتم تنفيذها داخل الاطار الزمني الذي ينفذ فيه البشر بالفعل مثل هذا الادراك ؛ وهناك دليل على أن تلك الشروط لا يتم الوفاء بها . وتنشأ نفس القيود ، وربما حتى أكثر قوة ، للتمييزات داخل الكيفيات الحسية الأخرى . ويمكننا أن نرى أن أنظمة المعالجة الموزعة المتوازية أو الأنظمة الرمزية الفرعية مصممة تحديدا لتشمل نمط المعالجة التناظرية التي لا يمكن تنفيذها في كيفيات توليدية أو رمزية . وإن التمييز المحدد بواسطة كوربليس يقدم منظورا تطوريا مثيرا للاهتمام حول التمييز الرئيسي بين المعالجة الرمزية و المعالجة الرمزية الفرعية التي قد نوقشت في الفصول السابقة ، وبعض الأدلة للجانبية على ذلك الأساس .

جانبية الوجدان

وعلى ما يبدو أن البحث الباكر يشير إلى جانبية النصف الأيمن العامة للوجدان ، فهناك الأن دليل جدير بالاعتبار ، بالرغم من ذلك ، يوضح الاختلافات في الجانبية للانفعالات الايجابية والسلبية . فقد اتضح أن تخصص النصف الأيسر لمعالجة أشكال معينة للانفعال الإيجابي وتحديدا الاهتمام وحب الفضول، بينما يوضح النصف الأيمن تخصص للانفعالات السلبية (Davidson,1984). فالبيانات من مرضى الاصابات الدماغية ومرضى الاضطرابات الانفعالية ، والدراسات التجريبية مع عينات عادية ، والنتائج النمائية للرضع ، وبيانات التطور الجيني جميعها تتسق مع ذلك الاستنتاج .

واقترح جالن (1974) Galin أن الكبت قد ينطوي على انفصال وظيفي

بين مناطق محددة لنصفي المخ . وفي ضوء ذلك ، فإن كبت المعلومات الوجدانية السلبية ربما يعنى أن مثل هذه المعلومات ، المكبوتة في مناطق محددة للنصف الأيمن ، لا تحصل على النفاذ الكامل للمراكز اللفظية في النصف الأيسر . وقد حدد ديفيدسون ومساعدوه Davidson الأفراد الذين سموهم كابتين ، " الذين يُظهِرون على نحو مميز استجابة لفظية قليلة للمعلومات السلبية . " فالكابتون " يُظهِرون تنشيطا عضلياً ولا إرادياً متزايداً في الاستجابة لاثارة ضاغطة بعض الشئ ، بينما يخرجون تقارير لفظية للقلق البسيط . فكلا من هاتين الصياغتين تعكسان افتراضات محددة بخصوص دور المعالجة اللفظية التي لا تُرى اليوم على أنها قابلة للتطبيق ومن الواضح أيضا أن مفهوم ديفيدسون عن الكبت ، بناءا على مفهوم معمم للانفعال السلبي ، يحتاج لتمييزه عن المفهوم التحليلي النفسي ، والذي يهتم بأحداث مهددة صراعية بطرق فردية ومحددة . ومع ذلك، فإن نتائج ديفيدسون بشأن خصائص " الكابتين " تعد موحية وذات أهمية لنموذج تحليلي نفسي .

وعلى غرار تلك السطور ، فقد قدم ديفيدسون اقتراحا آخر بأن تصنيفاً للمشاعر ، كهذا يرتبط بسيطرة مخية ، قد تعتمد على اتجاه مدخل التجنب بدلا من اتجاه إيجابي سلبي . ومن ثم ، ربما يكون النصف الأيسر متخصصا في المشاعر المرتبطة بالمدخل ، بما يشمل الغضب والاهتمام وكذلك الرغبة ، بينما يكون النصف الأيمن مسيطرا للتجنب . وقد وجدت الدراسات التجريبية لادراك انفعال الوجه موقع النصف الايسر للوجه الغاضب كما هي الوجه السعيد ، وكما يشير ديفيدسون ، فإن مدخل السلوك ينطوي على تنفيذ تطوعي ومتسلسل للأفعال ، بما في ذلك سلوك الحركة السليم ؛ فمنطقة الحركة السليمة للنصف الأيسر مخصصة لسيطرة السلوك الجسدي السليم والحركات المنفذة بصورة تسلسلية على جانبي الجسد . وإن طبيعة الحركة المرتبطة بالانسحاب تميل لأن تكون أكثر تلقائيه وانعكاسية ، وأقل تماييزا ؛ وربما يكون النصف الأيمن متخصصا لذلك . وهكذا فإن " الكابتين " من وجهة نظر ديفيدسون ، ربما يصدرون تقاريرا لفظية مرتبطة بالمدخل ، بينما ينفذون سلوكيات غير متمايزة

بصورة أكبر مرتبطة بالانعزال . ويقترح ديفيدسون أيضا أن الاكتئاب قد يتدخل مع معارف مكانية مشاركة في البحث والمدخل ، بينما قد تعزز المشاعر الايجابية تلك المعارف .

جانبية معالجة الرائحة

تظهر أيضا الأفكار بشأن النظام العصبي الفسيولوجي وعلاقته بعمليات سيكودينامية من البحث حول جانبية وظائف محددة الكيفية مثل الرائحة . وقليل ما هو معروف عن الموقع الدماغي لمعالجة الرائحة. وإجمالا ، هناك دليل ما يفضل سيطرة النصف الأيمن لمعالجة الرائحة ، بالرغم من أن دور النصف الأيسر قد يكون حاضرا . ووجدت عدة دراسات Rausch , Sefetetiniden) & Crandall,1977; Abraham& Mathai,1983) عجزا أكثر وضوحا في ذاكرة الرائحة لمرضى تلف الفص الصدغي الأيمن ، ومع ذلك يظل هناك خلافا جديرا بالاعتبار بين الباحثين في ذلك الحقل ، وإن التنظيم العصبي التشريحي للمخ لمعالجة الرائحة لم يتم فهمه بعد بطريقة منهجية . ووجد اسكانزي وكين ونوفالي وماستون ضعفا دلاليا لادراك الرائحة مرتبط بتلف في كلا النصفين ؛ ويقترحون أن الاختلاف مع النتائج السابقة ربما قد نتج عن استخدامهم مثيرات واقعية بيئيا ، المحتمل أن تكون مشفرة مسبقا من قبل العينة ، على نقيض الروائح الكيميائية النقية المستخدمة بواسطة الباحثين الأخرين . وإن اقتراح اسكنازي وزملائه يتسق مع النتيجة ، التي تم الوصول إليها في الفصل السابع، بأن ذكريات الرائحة غالبا ما يتم تمثلها على أنها أحداث كاملة ، وواحدية. وربما نتوقع أن التفاصيل التي تستدخل نطاقا واسعا من تصور متقاطع الكيفية، واللغة ، والوجدان سيتم تمثلها في كلا النصفين المخيين .

وإن الصبغة الواقعية للمثيرات المستخدمة بواسطة اسكنازي وزملائه ستسهل تمثلها في شكل تفصيلي .وفي ضوء تحليل معالجة الرائحة في الفصل السابع ، ربما نفترض أن حاسة الشم ، مثل الوجدان ، تستدخل نطاقا من الوظائف التي لا يمكن تصنيفها بسهولة في العلاقة بالجانبية . ومن ثم ، في

حين أن تمثلات الرائحة الخالصة ، وحتى نماذج الرائحة التي قد افترضت ، قد تكون في المقام الأول وظائف النصف الأيمن ، فإن تمايز وتنظيم الرائحة يستدخل صورا معينة للناس ، والأحداث ، والأماكن مثل تلك المرتبطة بوظيفة النصف الأيسر .

الكيفية المحددة والأقسام التكوينية للوظيفة :
التفسير المعياري

وإجمالا ، فإن البيانات تقترح أن هناك في الواقع بعض الجانبية المتسقة للوظيفة ولكن يعد ذلك أكثر تعقيدا بكثير مما تم تصوره في الأيام الباكرة لبحث الجانبية . وإن ذلك التعقيد الأكبر يتماشى مع الفهم الجديد والمتغير باستمرار لوظيفة المخ عامة . ويوجد الكثير من الاطناب والمعالجة المتوازية في الأنظمة الحسية للإنسان ، بالإضافة إلى أنظمة وظيفية متعددة ، والتي تعمل بشكل مختلف في مناطق متنوعة للمخ . والنقطة الواضحة ولكنها هامة والتي قد يتم إغفالها أحيانا عند مراجعة بحث الجانبية اعتمادا على دراسات تجزئة المخ ، هي أن كلا النصفين المخيين يشاركان ، بشكل عام في مهام معالجة المعلومات في المخ السليم والعادي . وقد حاجج جازينجا ، وكوسلين وآخرون بأن الرؤية الباكرة للجانبية ينبغي أن يتم استبدالها بتفسير معياري والذي لا يعد ببساطة مرتبطا باختلافات النصفين المخيين. وإن المدخل المعياري يمكن تفسيرا أكثر دقة للمادة العصبية الفسيولوجية للانماط المستمرة والتصنيفية لمعالجة المعلومات .

الوظيفة التكوينية في النظام البصري

وباستخدام فنيات تشريحية وكهربية عصبية بشكل موسع ، فإن العمليات البصرية مثل كشف الحركة ، وكشف اللون ، وسمات أولية أخرى للإدراك البصري قد تم تحديد موقعها بالنسبة لأبنية المخ المختلفة ، مع القنوات المختلفة التي تبدأ بأن يتم تحديدها في شبكية العين وتستمر إلى القشرة الرابطة. وطبقا لكوسلين (1987) Kosslyn فإن المعالجة البصرية التي تولد تمثلات صريحة

للأشياء وأجزاء الأشياء ، كما في المجموعة التصنيفية للأنظمة الفرعية ، والتي تعمل باستقلال عن اللغة ، قد تصبح مسيطرة في النصف المخي الأيسر بدلا من الأيمن وستتضمن (1) أنظمة فرعية تعالج تمثلات تصنيفية لترتيب الاجزاء في مواقعها المناسبة لصورة ما ؛ (2) وأنظمة فرعية لتشفير الشكل والتي تنتج تمثلات لأشكال مصنفة بسهولة ؛ (3) والأنظمة الفرعية التي تنفذ نفس تمثلات تصنيفية لتحويل الانتباه لعنصر معين أو فئة من العناصر . وعلى الجانب الآخر ، فإن سيطرة النصف الأيسر تلك لن تكون متوقعة لوظائف التصور التي تنطوي على المعالجة المستمرة لعلاقات مكانية ؛ مثل (1) الأنظمة الفرعية التي تشفر الموقع لأغراض التنقل أو البحث ؛ (2) أنظمة فرعية تقوم بتشفير الأشكال كما تظهر من وجهات نظر أو أزمنة مختلفة ؛ (3) وأنظمة فرعية تنفذ لتمثلات تنسيق مخزنة لتوجيه الانتباه عند موقع محدد . وهكذا ، يرى كوسلين أن عمليات تكوين الصورة وتوليد اللغة وظائف النصف المخي الأيسر ، بينما لا يتوقع سيطرة النصف المخي الأيسر للوظائف غير التوليدية والتصور التناظري . وان ذلك التمييز مدعم بواسطة بحث ميداني جدير بالاعتبار .

والعديد من التنبؤات المنبثقة من نموذج كوسلين قد تم اختيارها باستخدام الفنيات التجريبية لنموذج تجزئة المخ . وإن سلسلة من الدراسات تم تنفيذها مع مريض جسمه الجاسئ قد تم تجزئته تماما قبل ثلاث سنوات تقريبا . وإن ذلك المريض قد تم اختباره سابقا على نحو متسع ، وكان معلوما أن نصفه المخي الأيمن قادرا على استيعاب التعليمات اللفظية وتقديم استنتاجات وتصنيفات بسيطة (Sidtis, Volpe, Wilson , Rayport& Gazzaniga,1981) . وفي تلك الدراسات ، كان المريض يعطى عدة مهام تختلف في الدرجة التي تتطلب فيها المهام معالجة المعلومات التصنيفية مقابل المعلومات القائمة على قياسات مستمرة وضمنية .

وإن المهام التصنيفية انطوت على عمليات مثل توليد صورة مكونه من أجزاء متعددة ومنفصلة في علاقات معينة ببعضها البعض . ومن ثم (سئل) المريض لتقرير عما إذا كانت حيوانات معينة (على سبيل المثال ، قطة ، أو فأر

، أو قرد ، أو خروف) لها أُذن تبرز أعلى قمة الجمجمة . وبافتراض أن تلك المعلومات المحددة لم يسبق أن تتم تشفيرها لفظيا ، فإن بحاجة لتوليد صور للحيوانات للإجابة على السؤال . وعُرضت دلالة كبيرة للنصف المخي الأيسر لمهمة التصور تلك . وأجاب المريض بشكل صحيح مع تقديم النصف المخي الايسر 87.5% من المحاولات ، بينما كان النصف المخي الايمن صحيحا مع 45% فقط .

وعلى النقيض ، فإن مهام مقارنة الحجم تتطلب وظائف تناظيرية بدلا من بناء تصوري توليدي . وفي مجموعة واحدة من المهام ، سئل المريض أسئلة مثل أي الشكلين متساويين الحجم أكبر ، أو عما إذا كانت الموضوعات المحددة أطول من كونها عريضة . وان مواد المثير والاجراءات العامة كانت نفسها تلك التي قد استخدمت في مهام الصور متعددة الاجزاء ، وكانت الاسئلة فقط هي المختلفة ؛ ولم توجد ميزة النصف المخي الأيسر لمهام مقارنة الحجم تلك . ومن ثم ، كما ستتنبأ صياغة كوسلين ، فإن موقع وظائف التصور تختلف اعتمادا على ما إذا كانت المعالجة التصنيفية أو المعالجة المستمرة ، والضمنية مطلوبة .

وان دليلا إضافيا لميزة النصف المخي الأيسر للادراك التصنيفي قد قدم ايضا في بحث عصبي . فالتلف في مؤخرة النصف المخي الايسر مرتبط بقوة بفقدان التصور المنفصل (Farah,1984) . وقد قررت عدة حالات أيضا بعجز محدد في توليد صور متعددة الاجزاء عقب تلف النصف المخي الأيسر (Deleval, Demol , Noterman , 1983 ;Grossi , Orsini & Modafferi,1986) وأن التجارب مع عينة عادية والتي توظف عرض التاكستوسكوب السريع للمثير لحقل بصري واحد ، تدعم أيضا موقع النصف المخي الأيسر للتصور التوليدي والوظائف التصنيفية (Kosslyn,1987) وإن هذا التقسيم للوظيفة متلائم أيضا مع فروض كوربليس بشأن التوليد على أنه سمة محددة ورئيسية لوظيفة النصف المخي الأيسر.

التقسيم التكويني للوظيفة والعقل الشعوري

إن التركيز على التقسيم التكويني للوظيفة ، بدلا من التمييزات التي ارتكزت على الجانبية ، يقربنا لأنماط الانشقاق الوظيفي التي يهتم بها المحللون وعلاقتهم بالنشاط العقلي اللاشعوري . وان واحد من اكثر الجوانب وضوحا لبحث تجزئة المخ هو الانشقاق الشديد للوظيفة المعروض بواسطة أو لتلك المرضى. وكما قد أشار جازينجا : " هناك ميزة غريبة محددة لمشاهدة يداً ترسم أو تشير إلى أماكن في حين أن المخ الأيسر للمريض لا يعلم في الحقيقة تحت أي سلطة يستجيب نظام الحركة الأيسر " (Gazzaniga, 1988, pp.446-447) وبافتراض مفهوم النمطية ، يقترح جازينجا بأن مثل تلك الملاحظات قد تكون ممتدة لانشطار وظيفي وكذلك جراحي . وهكذا ، فقد قدم جازينجا رؤية للمخ البشري الطبيعي على أنه منظم لوحدات وظيفية مستقلة نسبيا أو قياسية والتي تعمل في توازي ؛ وذلك التنظيم يشمل التحولات في الوعي وعمل الفكر المهمل .

وتحدث عدة عمليات في وحدات مستقلة خارج الوعي في توازي مع تفكير شعوري . وان تلك الوحدات يمكنها الافراغ وانتاج الافكار والصور ، وحتى السلوكيات :

وعلى مستوى الخبرة الشعورية ، نسأل أنفسنا مرارا من أين تأتي أفكار معينة عندما تظهر في شعورنا . فعلى سبيل المثال عندما نكتب ، نفكر فجأة بالطريقة المضبوطة لكتابة فكرة ما ، من أين يأتي مثل ذلك الاستبصار ؟ لا يبدو أننا نعرف . فيبدو أننا فقط ننفذ لمنتج وحدات (أنماط) المخ تلك لا للعملية ذاتها (Gazzaniga, 1985, pp.4-5) .

ومن وجهة نظر جازينجا فإن السلوكيات التي لا أصول لها في عمليات تفكيرنا الشعوري تتصف بكونها " متقلبة " :

على سبيل المثال ، أن يحدث ونأكل أرجل الضفادع لأول مرة أو نقرر قراءة كتابا من نوع مختلف. ولكن كما سنرى ، نحن البشر نقاوم تأويل أن مثل هذه السلوكيات متقلبة لأنه يبدو أننا مزودين بقدرة لا نهائية على توليد فروض عن سبب انخراطنا في أي سلوك . (1985,P.5)

فعندما تحدث السلوكيات التي يتم دفعها عن طريق واحدة من تلك الوحدات ، وتعمل خارج الشعور ، فإن مكونا خاصا للمخ ، والذي يطلق عليه جازينجا المفسر يتم تفعيله حينئذ ويقوم بتوليد الفروض لذلك . وإن " المفسر " هو مكون للمخ وجد في النصف المخي الأيسر المهيمن للبشر مستخدمي اليد اليمني فالصورة المنبثقة هي أن نظامنا المعرفي ليس شبكة موحدة بغرض واحد وسلسلة من الأفكار . فالاستعارة الأكثر دقة هي أن إحساسنا بالوعي الشخصي ينشأ من الحاجة الصارمة لنصفنا الأيسر المسيطر لشرح أفعال مأخوذة من واحدة من العديد من الأنظمة العقلية الكامنة بداخلنا (Gazzaniga and Ledoul , 1978) وتلك الأنظمة والتي تتواجد مع نظام اللغة ، ليست بالضرورة على اتصال مع عمليات اللغة قبل سلوك ما . وما أن يتم اتخاذ الاجراءات ، فإن النصف الأيسر ، الذي يلاحظ تلك السلوكيات ، يبني قصة فيما يخص المعنى ، ويصبح ذلك في المقابل جزءا من فهم النظام اللغوي للشخص . (Gazzaniga ,1983, PP.535–536) وفي ضوء ذلك المنطق ، يوجه السلوك الاعتقادات ؛ فنحن نتصرف ، ونلاحظ أنفسنا نتصرف ؛ ثم يبنى النصف المخي الأيسر اعتقادا لتفسير ذلك .

ويشير جازينجا وزملائه إلى البحث التطبيقي مع مرضى تجزئة المخ على أنه يدعم ذلك الموقف . وفي تجربة مع لودو Ledoux ، قدمت صورا مختلفة لكل نصف ، على سبيل المثال ، صورة لمخلب للحقل البصري الأيمن (المخ الايسر)، ومشهدا للبحليد للحقل البصري الأيسر (المخ الأيمن) . يتم وضع بطاقات لصور لهم أمام المريض ، ووجهت له تعليمات لانتقاء البطاقة التي تتماشى مع الصورة التي يراها . والانتقاء الصحيح للنصف المخي الايسر ، والذي تلقى صورة لمخلب ، هو صورة لدجاجة ؛ وبالنسبة لمشهد الجليد ، فالانتقاء الصحيح هو صورة لمجرفة . والاستجابة النموذجية لعينة مرضى فصل المخ هي الإشارة لصورة الدجاجة باليد اليمنى والمجرفة. وعندما سئل لشرح الاستجابة ، أجابت العينة ، على سبيل المثال ، على أن مخلب الدجاجة يتماشى مع الدجاجة وأن أحدهم بحاجة لمجرفة لتنظيف كوخ الدجاج . ومن ثم يحاجج جازينجا ، بأن

المخ الأيسر لا يعرف لماذا تشير اليد اليسرى للمجرفة ، ولكن يرى ذلك يحدث وبالتالي يعمل على تقديم نظرية لاعطاء معنى لما يقوم به جسده .

وإن نسخا أخرى لتلك التجربة ، والتي ترتبط تماما بقضايا تحليلية نفسية، قد فحصت آثار التنشيط الوجداني لدى مرضى فصل المخ . وفي تجربة واحدة ، عُرض فيلم رعب لنيران ، استمر لأكثر من دقيقة ، على النصف المخي الأيمن للعينة . (والتحقق من صدق العرض الجانبي لفترات عرض طويلة نسبيا جعل ممكنا بواسطة جهاز تتابع العين ، فهو يقيس بدقة حركة للعين ويوقف العرض للمثير في أقل حركة للعين .

وأفصحت الحالة عن رؤية ضوءا أبيض فقط . وأفصحت أيضا عن شعور مثل " الخوف " و"العصبية " على الرغم من عدم معرفتها السبب حقيقة . " أعتقد أنني ربما لا أحب تلك الغرفة ، أو ربما أنت .

فأنت تجعلني عصبياً . " ثم تحولت لمساعد في الغرفة وقالت : "أعرف أنني أحب دكتور جازينجا ، ولكن حتى الآن أنا خائفة منه لسبب ما . " وحصلت على النتيجة العكسية لمقاطع سينمائية ممتعة .

وطبقا لجازينجا فإن نظام اللغة للنصف المخي الأيسر " مرتبط بحميمية بنظام معرفي يناضل للاتساق والنظام في الفوضى المزعجة للسلوكيات التي يتم إصدارها باستمرار من قبل كافة الكائنات الحية " (1983, P536) . وإن التمييز الحاسم بين النموذج التحليلي النفسي وموقف جازينجا من وجهة نظره ، أن العمليات لكل من النمطين غير اللفظي والتأويلي متقلبة وغير محددة . وهكذا فهو يصف أفعالا مثل إشارة المريض إلى المجرفة واستجابة القلق عقب فيلم الحريق على أنها متقلبة بتلك الطريقة . وبنفس المنطق ، يتحدث عن "الطريقة الصحيحة لكتابة فكرة ما ، " والتي " تنفذ للوعي دون معرفتنا من أين تأتي" على أنها تظهر صدفة.

ومع ذلك يبدو من الواضح أن الدراسات الميدانية مع مرضى تجزئة المخ المنفذة بواسطة جازينجا نفسه وزملائه تقدم نقطة مناقضة ؛ فهم يقدمون دليلا لا للتقلب ، ولكن للادعاء التحليلي النفسي أن السلوك محدد. فالتصميم التجريبي

كأننا نعرف تحديدا كيف تحدد الاستجابات ، على الرغم من عدم معرفة المريض ، فالمعالجة التي تحدث في وحدات الشعور المشترك مكونة ومنظمة عن طريق عمليات محفزة ، كما توضح نتائج جازينجا الخاصة به والطريقة الصحيحة لكتابة فكرة ما لا تظهر صدفة ولكن تحدد بواسطة عمليات تفكير محفزة والتي لسنا على دراية بها . وكما يقول جازينجا دون استكشاف آثار تلك الصياغة ، فإن كل فعل من الأفعال التي تكون " الفوضى المزعجة " ينشأ من واحدة من " مجموعة الأنظمة العقلية الكامنة بداخلنا "

ولكن ربما تكون منشطرة عن بعضها البعض وعن اللغة ، فالمريضة خائفة لأنها قد رأت مقاطع سينمائية مخيفة قابلة للنفاذ لأحد أنظمتها العقلية ولكن ليس للنظام الذي يؤول ويتحدث .

الانشقاق الوظيفي في المخ السليم :
نحو نموذج نفسي

في المخ السليم ، تعد الوحدات المنفصلة جزءا من العدد الكلي ، أكثر أو أقل تكامل وظيفي لنظام معالجة المعلومات الوجدانية . ومن الهام إدراك الطبيعة الجزئية وغير الكافية لذلك التفاعل ، حتى في الأفراد الأصحاء . فالوحدات غير اللفظية ، وتحديدا الوحدات بأشكال الرمز الفرعي ، من المرجح أن تخبر على أنها خارج ذات أحدهم ، أو تظل خارج الوعي . فنظرية معالجة المعلومات الوجدانية ينبغي ان تفسر مثل ذلك الانفصال وتفسر أيضا التفاعلات التي تحدث فالقصة المكونة لتفسير معنى السلوك ربما لا تكون القصة الصحيحة وقد يأخذ جهدا كبيرا لايجاد المُستحث الفعلي للسلوك أو الانفعال ، إما في الخبرة الحالية أو في مخططات الوجدان التي قد كونت سابقا . ومع ذلك ، فقصة واحدة ليست جيدة كقصة أخرى ؛ فهناك عوامل محددة يمكن أن تكتشف

فالموقف التحليلي النفسي هو أن تلك الظواهر ، والتي قد أظهرت في مرضى انشطار المخ ، تطور ذاتها باستمرار في كل الافراد ، ومن ثم ، فإن جازينجا (1985, P.78) يعطي مثالا لقضاء مساءً ممتعاً مع الأصدقاء والشعور

بأن كل شئ على ما يرام ، ثم الاستيقاظ في الصباح التالي مع الشعور بالقلق والاكتئاب . وبوضوح ، لاشئ قد حدث في 12 ساعة البينية ليغير النصيب الجيد لأحدهم . ومن وجهة نظر جازينجا ، فإن وحدة غير لفظية مع ارتباطات وجدانية سلبية ، قد تم تفعيلها بطريقة ما بعشوائية أو " بصورة تقلبية " ولذا يتم الشعور بمزاج سلبي . وهذا يحدث فقط ؛ ثم تقوم الوحدة اللفظية بإلقاء الضوء أو التكلم عن الحدث ، البحث عن تفسير ما له .

إنها مجرد خطوة قصيرة لإعادة صياغة ذلك في ضوء بعض التخمينات التحليلة النفسية . فعلى سبيل المثال ، شيئا ما حدث أثناء الاجتماع مع الأصدقاء أو بعد الاجتماع ، إستحث القلق أوالاكتئاب ، شيئا ما مسجل بشكل محتمل في الوحدات غير اللفظية الشعورية المشتركة لا في الوحدات اللفظية فمن المرجح أن يكون حدثا تافها بشكل واضح ، غير مسجل بكونه هاما ، ولكنه مرتبط بأحداث باكرة مسببة للقلق ، بما في ذلك خبرات مهددة أو مخيفة يحفز الفرد لتجنبها. فقد تصنع الرابطة بطريقة تناظرية من خلال القدرات القوية للمخ الأيمن على مطابقة النمط ، دون تضمن ميكانيزمات المعالجة الرمزية للنصف المخي الأيسر. ربما تحدثت زوجته معه بطريقة متهكمة بعض الشئ أو ابتعدت قليلا عندما أحاطها بذراعه في لحظة عاطفة ، أو ابتسمت لأعز أصدقائه بحرارة بالغة قليلا. لا شئ من ذلك يتسجل في النصف الأيسر (أو الأنظمة الرمزية ، أو اللفظية)، ربما في الغالب " كالضوء أبيض " ومع ذلك ، فإن قدرات مطابقة النمط للمخ الأيمن (أو معالج رمزي الفرعي ، أو الضمني) ربما تعمل حينئذ وتنشط ذاكرة أو صورة منتجه للقلق ومشاعر مرتبطة . فهو لديه ذكريات بكونه مرفوضا عندما أظهر عاطفة لشخص أحبه ؛ هو يشعر بالغضب من ذلك الشخص ؛ فهو يتوقع أن يُتخلى عنه مرة أخرى . وإن عملية مطابقة النمط هذه ، والتي تنشط ذكريات مقلقة وتوقعات سلبية ، ربما لا تقع في نفس لحظة الحدث ـ ربما تحدث فقط فيما بعد ، أو ربما تبدأ في لحظتها ، بصورة كافية فقط ليتم تسجيلها ، ثم تنتشر عبر شبكات الترابطات ، وفي النهاية تثير القلق أوالاكتئاب الذي ليس له مصدرا واضحاً .

ومن ثم يعمل النصف المخي الأيسر للإمداد بتفسير مقبول عن سبب نشاطه اليقظ مع الشعور بالإحباط. وربما لا يكون له ارتباطا مباشرا بالأحداث الفعلية التي حدثت ، أو بمشاعر الغضب أو الخوف من الهجر التي يتم تنشيطها، ولكن سيكون له بعض الارتباطات المتعلقة بتلك الأمور ، والتي تشارك صفات أو أنماط وجدانية . وربما يتذكر أن رئيسه في العمل تحدث معه بطريقة مهينة. ولاحقا ، يبدو أن محلله لديه تعبيرا باردا بينما يفتح باب مكتبه . فكل تلك الارتباطات ربما تستخلص من جوانب الذاكرة الوجدانية التي تظل قابلة للنفاذ إلى الوعي ، بينما جوهر الذاكرة قد تم إيقافه . وإن الأحداث التي حددت المشاعر المحبطة أو المقلقة التي أيقظها تُعد منهجية وواقعية كفيلم النيران المسبب للقلق في الموقف التجريبي ؛ فالفرق هو أن الأولى كانت خاصة ، وغير معروفة للملاحظين ، وكذلك لا يمكن النفاذ إليها بالنسبة للنفس فالأحداث التي تستحث ، والذكريات المرتبطة بها ، وفي الحقيقة قابلة للتحديد بشكل عام تحت ظروف خاصة فقط ، كما في العمل التحليلي النفسي ، وفي عملية العلاج ، فإن العوامل المحددة ، والتي لا يمكن النفاذ إليها بالنسبة للمريض ، ربما تظهر في النهاية في الذاكرة وفي الخبرات المشاركة للعلاقة فافتراض التحديد ، كما يعمل ذلك في التداعي الحر ، قائم على المقدمة بأن الارتباطات التي تظهر هي مشتقة بواسطة الحالة الوجدانية الأساسية.

ويدرك جازينجا (1985) بنفسه التشابه الكبير بين وحدات العقل كما يصيغها ومفهوم فرويد للوظفائف العقلية اللاشعورية يمكن لأحدهم أن يكيف نظرية فرويد لنظرية الوحدات عن طريق تغيير مفهومه عن العملية اللاشعورية للفكرةالتي أقدمها هنا عن وحدات عقلية شعورية مشتركة ولكن غير لفظية"

فنزوع الاستجابة ، والقرار لفعل ما من جانب وحدة عقلية غير لفظية ، لا يعد لا شعوريا . فهو شعوري بدرجة كبيرة ، وقادر تماما على التأثير في الفعل، فأحد سماته ، أنه لا يمكنه التواصل داخليا مع اللغة المسيطرة للنصف المخي المهيمن والنظام المعرفي ، فلا يجب أن أجده يوصف بأنه " لا شعوري " وبذلك التصحيح الوحيد في صياغة فرويد ، أن الكثير مما يدعي أنه مهم في الحياة

العقلية يمكن أن يرى بمصطلحات ميكانيكية حديثة . (PP.117–118)

ويبدو أن جازينجا يفترض هيمنة النظام اللفظي كمنظم معرفي فهذا الافتراض يرى في صياغته للتقسيم لوحدات كما في وجهة نظره ، المشار إليها سابقا ، للمهارات المعرفية لنصف مخي أيمن منفصل دون لغة على أنه أقل بكثير من المهارات المعرفية لحيوان الشامبنزي . " فأحدهم ربما يكيف مفهوم جازينجا عن الوحدات العقلية لرؤية تحليلية نفسية ، ويحتمل لنظرية شفرة متعددة ، كما سنرى ، مع تعريف محدد " لمصطلحات ميكانيكية حديثة " والتي تستدخل معالجة غير لفظية منهجية ، بما يتضمن اشكال الرمز والرمز الفرعي ، ومع استبدال مفهوم التحديد الوجداني لصياغة في غير محلها للتقلب . ومع تلك التغيرات ، يمكننا إذا رؤية نتائج جازينجا أنها إمداد بدعم ميداني جديد لمفاهيم التحليل النفسي على مستوى عصبي فسيولوجي فالفرد ربما لا يكون واعيا بمصادر وجدانه أو سلوكه ؛ فغرض العملية التحليلية النفسية الكشف عن أسبابها. وفي بحث جازينجا توجد تلك الأسباب بالتأكيد ؛ فيتم تصنيفها في التصاميم التجريبية فافتراض التحليل النفسي هو أن الأسباب توجد في حياة الفرد أيضا .

القسم الثالث
نظرية الشفرة المتعددة والدائرة المرجعية

إن نموذج الشفرة المتعددة نظرية عامة للتنظيم النفسي التي بنيت على أساس الحقول المتنوعة التي روجعت في القسم الثاني . وقد غطيت نماذج التكوينات المعرفية ونظريات الوظائف المعرفية . وقد غطيت أيضا البحث حول وظائف الكيفيات الحسية الخاصة ، بالإضافة إلى البحث حول الوجدان ، والارتقاء المعرفي والوجداني . وفي تقديم ذلك البحث الأساسي ، فقد ضمنت أدلة من الملاحظات العصبية الفسيولوجية وكذلك السلوكية . وكما قد أكدت ، على الرغم من ذلك ، فنظرية الشفرة المتعددة تُعد نظرية نفسية ، لا ظاهراتية أو عصبية فسيولوجية . وإن النظرية ككافة النظريات النفسية الحديثة ـ تصاغ على أساس التكوينات الإفتراضية ، ومعرفة في ضوء تكوينات أخرى ويستدل عليها من مؤشرات يمكن ملاحظتها داخل شبكة إسمية .

وفي هذا القسم ، أجمع البحث الذي رُوجع حتى الآن لتطوير صياغة تلخيصية لنظرية الشفرة التمعددة كما ينطبق ذلك بشكل عام في العمل التكيفي وكذلك ضعيف التكيف وما إن تكون مكونات ومفاهيم التشفير المتعدد في وضعها الصحيح ـ بما في ذلك مفاهيم العملية المرجعية التي توصل كافة الأنظمة ومخططات الوجدان ـ سأتابع تطبيق ذلك النموذج لعلم الأمراض وإصلاحه في العلاج . وسأتتبع أيضا عمل العملية المرجعية في نطاق واسع من الوظائف ، بما في ذلك الارتقاء الوجداني ، والاختراع والاكتشاف العلمي ، والاحلام ، والتداعي الحر . وفي الفصلين الأخريين ، ألخص أجندة بحث بناءا على ذلك الأساس التنظيري وأقدم دراسة تجريبية لتحليل نفس طويل المدى ومسجل بشكل كامل . ومن ثم أناقش الوعود التي من المفترض الوفاء بها والتحديات التي ينبغي مواجهتها في تنمية الطريقة التحليلية النفسية في ثوب حديث.

بروفة أولى حسان

الفصل الحادي عشر
المفاهيم الأساسية لنظرية الشفرة المتعددة

إن نظام معالجة المعلومات الوجدانية يستدخل مكونات متعددة متنوعة، كما أوضحت بالتفصيل في القسم السابق. وقد حُددت الوظائف المتعددة وأشكال المعالجة. ولا يستطيع نموذج شفرة مفردة أن يفسر نطاق الوظائف التي قد لوحظت. وتلك هي الحالة أيضًا أن الناس يجب أن يتصرفوا بطريقة متكاملة نسبيًا في تنظيم السلوك، والعمل نحو أغراض معقدة، وطويلة الأمد، وتبادل الخبرة مع الآخرين. فنظرية الشفرة المتعددة تقدم تفسيراً لمعالجة المعلومات الوجدانية، باستخدام التكوينات الاساسية لأنظمة الرمز والرمز الفرعي.وفي الجزء الأول من هذا الفصل، سأصف المكونات الأساسية لنظرية الشفرة المتعددة؛ وفي الجزء الثاني، سأقدم مفهومًا مركزيًا للعملية المرجعية، والتي تفسر تكاملهما. وإن الإطار النظري يُمكِّن من تطوير المقاييس التطبيقية التي تخدم كمؤشرات إجرائية لطبيعة التكوينات الأساسية وتكاملها أو انفصالها؛ والمقاييس الأساسية للنشاط المرجعي (RA) المُطوَّر في سياق نظرية الشفرة المتعددة، ستُقدَّم في الجزء الثالث من هذا الفصل.

مكونات نظرية الشفرة المتعدة
الأشكال الرمزية الفرعية

كما لُخّص في الجدول 11.1، فإن أنظمة معالجة الرمز الفرعي (المنمذجة من خلال المعالجة الموزّعة المتوازية أو الترابطية [PDP]) تُعد معالجات عامة وتناظرية، تعمل على أبعاد مستمرة دون مفردات منفصلة أو وحدات قياس محددة. فالنظام الرمزي الفرعي متوازي بدرجة كبيرة، مع تشغيلات متزامنة متعددة، ويوصف بأنه محتوى بدلاً من كونه بنية محددة.وإن الأبعاد، والتنسيقات، والوحدات، ومبادىء المعالجة جميعها جوهرية لكل مكون من المعالجة ولكل نمط من المحتوى. وإن معالجة الرمز الفرعي تُطبق، بطرق مختلفة، في كل الكيفيات الحسية ومُهيمنة على الشم والتذوق. فهي الكيفية الأساسية لتشغيل أنظمة

حشوية وحركية، وتُمثَّل في المقام الأول، بحكم طبيعتها، شفرات خاصة، والتي تُعد غير قابلة بسهولة أن يتم نقلها أو مشاركتها.

وإن معالجة الرمز الفرعي توائم بشكل لا نهائي التباينات الدقيقة؛ وتلك المعالجة لا تُمثَّل بواسطة أنظمة قياسية معيارية أو قواعد حاسوبية. فنحن ندرك تغييرات الحالات الوجدانية للآخرين بناءاً على إدراك التحولات الواضحة في تعبيرات وجوههم أو وضعية أجسادهم، وندرك تغييرات في حالاتنا الخاصة بنا بناءاً على خبرة جسدية أو حركية؛ فنحن ننفذ تلك المعالجة دون أن نكون قادرين على تحديد الأساس الذي تُبنى عليه الأحكام.

وفي العمل دون قصد أو اتجاه صريح، فإن عمليات وتمثلات الرمز الفرعي ربما تُخبر على أنها، بمنطق ما، " خارج النفس،" خارج مجال النفس حيث يبدو لأحدهم أن له سيطرة مُتعمَّدة عليها. وكعامل خارجي، ربما تبدو معالجة الرمز الفرعي تعمل في بعض الحالات بطريقة حميدة، وفي بعض الحالات بطريقة خبيثة. فممن ناحية، نحن نشتاق للإغراق في التأمل الذي يقوي تدفق العملية الإبداعية؛ ومن ناحية أخرى، غالبًا ما نشعر بأننا تحت رحمة عملياتنا الوجدانية أو الجسدية ونشعر بأننا غير قادرين على توجيهها بشكل عمدي. هذا هو السبب في أننا أحيانًا نعتمد على عوامل خارجية- الكحول، والقهوة، والحبوب المنشطة، والمهدئات، والحبوب المنومة، ومضادات الإكتئاب- لتنظيم تلك الوظائف.

جدول ١١.١ خصائص أشكال التشفير المتعدد

شفرات الرمز		شفرات الرمز الفرعي
لفظي	غير لفظي	
كلمات بسمات صوتية ونحوية ودلالية	تصور محدد ، ومنفصل ، أو انماط تناظرية	شفرات تناظرية على أبعاد مستمرة
شكلية	محددة الكيفية، جميع الكيفيات الحسية	شفرات محددة الكيفية ، حسية ، حشوية ، حركية
تسلسلية ، قناة مفردة الشكل.	تسلسلية أو متوازية منمذجة من خلال أنظمة رمزية كلاسيكية	شفرات منمذجة من خلال أنظمة المعالجة الموزعة المتوازية

أنظمة معالجة رمزية: الصور والكلمات

في مصطلحات معالجة المعلومات، كما لُخّصت في الجدول 11.1، تُعرَّف "الرموز" على أنها كيانات منفصلة بخصائص مرجعية وتوليدية. فالرموز ربما تكون لفظية أو غير لفظية.

التصوري: شفرة الرمزغير اللفظي

ربما توصف الصور بأنها مرحلية في الشكل، وأنها تجمع بعض السمات لكل من تمثلات الرمز الفرعي والرموز اللفظية. فالصور كالكلمات، تُعد كيانات منفصلة تماثل كيانات أخرى وربما يتم جمعها بطرق محكومة بقاعدة. (وإن نمط الرمز التصوري الذي قد حُدد على أن له معنى تحليلي نفسي يُشكِّل مجموعة فرعية أو حالة خاصة.) فالصور ربما تشبه أو تصف الكيانات التي تمثلها ولكن ربما تكون أنماطًا تناظيرية أيضًا، أو ربما حتى تمثل كيانات أخرى بطريقة تجريدية أو اعتباطية، كالنجوم والشرائط في ترتيب معين تمثل الولايات المتحدة. فالصور يمكن أن تكون مُعالجَة ومُجمّعة بطريقة تسلسلية ومتوازية، كما

أن تسلسلات الصور يمكن أن تمثل حلقات وأحداث. وعلى نقيض أنظمة الرمز الفرعي، والتي تعمل دون تحديد صريح للعناصر، والأبعاد، أو القياسات، فإن المعالجة الرمزية تعتمد على تحديد مَعلَمات صريحة وأكثر قابلية للتحكم المتعمد. فيمكننا عمداً بناء صور أو استدعاء صور لموضوعات في غيابها، بالرغم من أن الصور ربما تأتي أيضًا للعقل بطريقة لم يتم دعوتها.

وكما في معالجة معلومات الرمز الفرعي، فإن معالجة التصورية محددة الشكل، وتشغل نفس القنوات كتلك المستخدمة للإدراك في كيفية مفترضة. والصور، مثل المُدركات، تُسجَّل داخل كيفيات الفرد وربما أيضًا تملك ملامح الكيفية المتقاطعة. فنحن ندرك، أو نتذكر قفزة وانسيابية راقصة الباليه، ونتذكر أيضًا جودة تناغمها مع الموسيقى المصاحبة. ونستطيع تخيل صوت كلمات أحدهم كما يتحدث- بغضب، أو بخوف، أو بحب- مُتغير أو مكثَّف وعن طريق تعبير وجهه. وإن الصور المنفصلة، بما تشمل من تسلسلات صور في حلقات بملامح متقاطعة الكيفية، تقدم أساسًا جوهريًا لتنظيم وترميز خبرة الرمز الفرعي، والتي تعمل ضمن النظام غير اللفظي خارج اللغة، وتقدم أيضًا الأساس لربط الخبرة غير اللفظية بالكلمات.

الشفرة اللفظية

تُعد الكلمات أهم العناصر الرمزية، والتي تجسد الملامح المركزية لأنظمة الرمز بشكل مباشر جداً. فالكلمات، مثل الصور؛ ربما تكون ممثلة في نطاق لأشكال مختلفة في ذاكرة المدى الطويل. وإن التمثل الأساسي للغة من المرجح أن يكون نوعٌ من التكوين المنطقي أو الافتراضي، بدلاً من الأشكال السطحية للغة. وأنا لا اتخذ موقفًا بخصوص الطبيعة المحددة للشكل الأساسي إما الكلمات أو الصور؛ فادعائي الأساسي فقط أن تلك الأشكال يجب أن تكون مختلفة، وأن طبيعة كل شكل أساسي لمثل تلك المطابقة للمحك مُوضّح في الجدول 11.1. وإن عدداً من النماذج المختلفة للتكوينات الأساسية ربما يتم افتراضها والتي تفي بتلك المحكات، كما ناقشتُ بإيجاز في الفصل الخامس.

وإن الكلمات لها مرجع اعتباطي، مع بعض الاستثناءات، كما في المحاكاة الصوتية، وإن المعلومات المنقولة عن طريق الكلمات حيادية بشكل كبير فيما يتعلق بالكيفية. فمجموعة الكلمات لها نفس التركيب والمعنى عندما تُسمَع أو تُقرَأ، أو تؤخذ عن طريق اللمس، كما في طريقة برايل، على الرُغم من أن التأثيرات الوجدانية للأشكال المتنوعة من المرجح اختلافها.

فكل رسالة لفظية منطوقة ربما تكون موصوفة في ضوء سماتها الصوتية، وتنظيمها الشكلي والتركيبي، ومعناها الدلالي؛ وبالتالي، فإن اللغة ربما تُرى على أنها مُشفرة بشكل مضاعف على عدة مستويات مختلفة. فالتشفير المتعدد للغة ربما يكون أكثر وضوحًا في الشعر وفي توصيل الخبرة الوجدانية، حيث يساهم كلا من الصوت والدلالات في الرسالة المرسلة. وهنا، نحن نرى الإجراء لما قد اصطُلح عليه" شفرة رمزية فرعية لفظية." وإن الخصائص ما وراء اللغوية للكلام، بما في ذلك النغمة الصوتية، والتوقف، والحدة، والشدة، والتي ربما تعبر عن الوجدان بصورة أكثر صراحة يتم معالجتها في شكل ترميز فرعي؛ ومع ذلك، فإن تلك الخصائص ربما يتم تصنيفها، جزئيًا، على أنها صوتية بدلاً من كونها لفظية. وإن الخصائص المجازية للغة ربما هي متصلة ولكن ليس بالضرورة بلغة رمزية، وربما تحمل أيضًا معلومات اتصالية في قنواتها الخاصة. وإن تلك الخصائص مهيمنة تحديداً في الإتصال الوجداني. وربما يبكي أحدنا، أو يضحك، أو يتأوه، بنبرات عالية او رقيقة، مع اللغة أو بغيرها. ويحدث التنافر في نقل المعنى الوجداني عندما لا تتراسل المعلومات المحمولة في المسارات اللغوية واللغة المجازية. وإن دور مثل تلك المعالجة الرمزية الفرعية اللفظي (أو الصوتي)، والتي ربما تُكوِّن شكل رابع للمعالجة، لا يُعتبر مثل ذلك في هذه الصياغة لنظرية الشفرة المتعددة ويحتاج إلى أن يُناقش في العمل التالي.

في حين أن اللغة لها مستويات متعددة الشكل، فهي تعمل، ضمن وظيفتها المهيمنة لمعالجة المعلومات، بشكل تسلسلي، وجهاز أحادي القناة رمزي فرعي، حيث تقوم بإرسال أو استقبال رسالة واحدة فقط في وقت محدد. فنحن لا ننصت ونتحدث ونقرأ في نفس الوقت؛ فلدينا صعوبة في فهم العبارات عندما تحدث

المقاطعات او الحديث المتبادل (كما يعلم الآباء، والمعلمين، ومديري الاجتماعات العلمية بشكل جيد). وفي بعض الحالات، ربما يبدو أننا نتابع رسالتين أو نشارك في محادثتين في آن واحد؛ ومع ذلك، فالمعالجة ليست متلازمة حقًا ولكنها تنطوي على تحولات انتباهية تسلسلية موجزة ومعقدة (Broadbent, 1958).

فالبشر، ككافة الأنواع، قادرين على القيام بوظائف متعددة ومعقدة خارج توجيه اللغة، ويستمرون في تنفيذ مثل هذه الوظائف على مدار الحياة، كما قد رأينا. وعلى الجانب الآخر فنحن ندرك أيضًا أن البشر اخذوا وثبة عملاقة للأمام مع اكتساب اللغة كما أن طبيعة تلك الوثبة تحتاج أن يتم فهمها. فاللغة هي الوسيط الاكثر قابلية بوضوح وبصورة مباشرة للسيطرة المتعمدة. فهي الشفرة التي اخترعها البشر، والشفرة التي نستخدمها لتنظيم وتوجيه أنفسنا، والتأثير في الآخرين، والتواصل، والكذب. فاللغة هي الشفرة التي بها يتم حفظ ونقل المعرفة الثقتفية؛ والتي بها ربما تُمثِّل العديد من أنماط الخبرة الداخلية– ولكن ليس جميعها؛ ويُمكن أن يُعبر عن عدة أنماط للعلاقات المنطقية. فنحن نستخدم اللغة لإظهار التضمين داخل فئات والاستبعاد منها، ونفي الافتراضات، ولعمل التقييمات والتمييزات، على الرغم من أن الوضع أيضًا أن رموز اللغة الطبيعية والمنطق لا يتراسلان بدقة. فنحن نحتاج اللغة لوضع الاحداث في تسلسل زمني ولتطوير مفاهيم الماضي والمستقبل. فاللغة هي الوسيط المبدئي للتحليل النفسي، على الرغم من أنها ليست الوسيط المبدئي للتفكير، وتحديداً الوجدان.

العزو الشعوري

إن أبعاد الشعور غير مرتبطة على نحو فريد بأي من أشكال التشفير الثلاثة. وبينما توصف معالجة الرمز الفرعي عامة بكونها ضمنية، وآلية، وغير متعمدة، وربما تحدث أيضًا في بعض الحالات داخل الوعي.وإن بلانشاين Balanchine جعل انتباه راقصيه مركزاً على تسلسل معين للحركات عن طريق الأداء الجسدي أو إرشادهم. فالمعلمين المحترفين في الموسيقى والفن يعملون بطرق متوافقة. فالتعلم عن طريق التدريب في الحِرَف أو المعاملات التجارية، وكذلك في الفنون،

يعتمد على تركيز الانتباه الشعوري على عمليات الرمز الفرعي: كيف تمسك بالمنشار، كيف تضع طبقة متساوية من الدهان على الحائط، كيف تعرف– ترى، أو تشعر، أو تشم– أن السكر قد وصل للمرحلة الصحيحة للكراميل أو أن صفار البيضة قد تكاثف لدرجة التماسك المرغوبة. فالتدريب التحليلي النفسي يشمل التعلم من خلال التجريب لتحديد الخبرة الحسية، والحركية، والحشوية الخاصة بأحدهم، " ولقراءة" الإشارات التي يرسلها الآخرون بشأن حالاتهم الداخلية، والعمل عليها بعمدية وداخل الوعي. وإن المفهوم الصعب" للتفهم" ربما يُعرّف على أنه القدرة على فهم ووعي بالمعلومات الرمزية الفرعية المنقولة عن طريق الآخرين على أساس مجموعة متنوعة من الإشارات، بما في ذلك استجابة رمزية فرعية خاصة بأحدهم.

وإن علاقة معالجة الرمز بالشعور معقدة أيضًا. فالتصور واللغة ربما يتم معالجتهما داخل وخارج الوعي. وإن التصور هو الوسيط المركزي للأحلام، طبقًا للبحث الحالي للأحلام، كما في نموذج فرويد. فنحن" نتعامل مع تصور الحلم عندما ننام ولكن حينئذٍ ربما نكون أو لا نكون قادرين على استعادة تلك الصور عندما نستيقظ. فالناس أيضًا قادرين على بناء تصور بطريقة عمدية، في حالة اليقظة، وفحص صورهم. فاللغة مفهومة بشكل عام على أنها تعمل داخل التركيز المتعمد؛ وهذا يرتبط بحالة اللغة من حيث كونها جهاز تسلسلي، أحادي القناة. ومع ذلك فقد تبين أيضًا أن المعالجة اللفظية تحدث في الأحلام وغيرها من الحالات. فالشاعر الذي يُثار بعبارة قد استعصت عليه قد قام بمعالجة لفظية خارج المجال الشعوري.

فالنقطة الهامة التي يجب وضعها في الاعتبار هنا أن عزو الشعور معقد في حد ذاته، وربما يتفاوت في الجودة مع محتويات مختلفة. وكالجوانب الأخرى للخبرة الداخلية، فإن عزو الشعور يحتاج أن يتم تنميته ودراسته في علاقته بمتغيرات أخرى، ومن خلال الاستنباط من الأحداث التي يمكن ملاحظتها.

ربط الأنظمة المنفصلة:

العملية المرجعية

إن تفسيراتنا لعمليات الرمز والرمز الفرعي قد أوضحت عالمًا من كيفيات متنوعة للمعالجة، تعمل بجانب النظام" المنطقي" للكيفية اللفظية. ولتفسير التنظيم الشامل لنظام معالجة المعلومات الإنسانية، فالروابط بين كافة الانظمة التمثلية مطلوبة. فالتمثلات غير اللفظية، تشمل مكونات الرمز الفرعي التي يتم معالجتها باستمرار، وبصورة متزامنة، ومتوازية، يجب أن تكون متصلة ببعضها البعض وبالرموز المنفصلة للغة المعالجة بشكل تسلسلي، في قناة واحدة.وإن الأشكال المختلفة يجب أن تكون مترابطة لتسمح بتكامل الوظائف، وتنظيم السلوك الموجه بالغرض، وتأسيس شعور موحد للذات. وعلى المستوى الأكثر وضوحًا، يجب أن يكون هناك تكاملاً للأنظمة ليُمكننا من الحديث عما يخبُره ولربط كلمات الآخرين بما نعرفه ونشعر به. وفي البحث الخاص بي، كنت قد قدمت مفهوم النشاط المرجعي والعملية المرجعية على أنه وظيفة التكامل للمكونات المتعددة والمتنوعة لنظام معالجة المعلومات الإنسانية، وبما يربط التمثلات المتفاوتة محددة الكيفية وعمليات النظام غير اللفظي ببعضهما البعض وبالكلمات (Bucci & Freedman, 1978; Bucci, Kabasaka-lian-Mckay, & the RA Research Group, 1992; Bucci & Miller, 1993).

وبينما وجود الأشكال التمثية المتفاوتة، والمتعددة قد كان مُدركًا على نحو واسع في العلم المعرفي في السنوات الأخيرة، فإن المشكلة بخصوص كيفية كون تلك الأنظمة متصلة قد كانت مُتجَاهَلة بشكل كبير خارج مجالنا البحثي. وإن قضية تكامل الانظمة متروكة بشكل أساسي دون حل ضمن مدخل المعالجة الموزعة المتوازية. وإن نماذج المعالجة الموزعة المتوازية المُطوَّرة حتى الآن مقيدة بمهام محددة للغاية، كما قد رأينا. فكل وحدة تشكل نمط النشاط الخاص بها من خلال التعلم، وإن نمط النشاط المُتعلَّم من قبل شبكة واحدة غير مفهوم بشكل عام بالنسبة للأخرى. فبعض الباحثين داخل ذلك النموذج الإرشادي لديهم أمل بأن أشكال المعالجة الموزعة المتوازية ربما تُطوَّر في النهاية لتفسر تكامل

الأنظمة؛ ومع ذلك، لم تُنتَج مثل تلك النماذج حتى الآن. والعديد من الباحثين يدركون الآن الحاجة لنماذج هجينة تستدخل أشكال الرمز وكذلك الرمز الفرعي لتفسير التنظيم الإجمالي للأنظمة المنفصلة، وتكامل الخبرة في الذاكرة، واتجاه معالجة المعلومات أو الفعل ارتباطًابأغراض محددة، كما قد رأينا في الفصل الخامس.

وداخل أشكال الرمز، تُستدخَل نماذج الشفرة الافتراضية أو العامة تمثلا محدد الكيفية على مستوى المُدخَل وفي ذاكرة المدى القصير، بينما تفترض تمثلا مفرداً، مشتركًا على المستوى الأساسي لذاكرة المدى الطويل. وطبقًا لتلك النماذج، فإن كافة المعاني اللفظية وغير اللفظية مشتقة من نفس التمثل المجرد ، والمشروط. ومن ذلك المنظور، لا توجد مشكلة لتكامل أنظمة ذاكرة المدى الطويل؛ فهناك نظامًا واحداً فقط حيث ترجع له كافة المدخلات وتُمثَّل فيه كافة المعاني. فقابلية الترجمة الكاملة بين التمثلات اللفظية وغير اللفظية، عبر الشفرة المشتركة، مُفترضَة بالضرورة:

ما هي العلاقة بين المعنى المستخلص من الجملة" هناك قطة في تلك الغرفة" والمعنى المستخلص من رؤية قطة في الغرفة؟ فالعلاقة يجب أن تكون حميمية تمامًا لأن الشخص الذي يرى القطة سيستنتج على الفور (بما يعني، أجزاء قليلة في المائة من المللي/ثانية– أنظر Chase and Clark 1972) أن الجملة صحيحة، والشخص الذي يسمع الجملة ربما يبني توقعًا ما لرؤية قطة (ما لم تكن الغرفة بها أنوا ع من الشقوق التي تحب القطط الاختباء بداخلها).
(Simon & Kaplan, 1989, p.16)

ومع ذلك، فكما قد رأينا في الفصل الخامس، فإن افتراض شفرة مفردة مشتركة خاضع للبحث داخل مجال دراسات بنية الرمز الخاص به وخاضع لمزيد من البحث من قبل النتائج المعنية بتعددية الوظيفة في أنظمة الذاكرة، وكذلك من قبل النتائج الفسيولوجية العصبية. وعلى أساس تلك الملاحظات، يبدو أن تعددية الوظيفة أكثر حقيقة، لو أنها أقل نقصًا، كمدخل لنمذجة معالجة المعلومات الإنسانية بشكل عام؛ وإن عمل الوظائف المتعددة أكثر وضوحًا في تفسير

معالجة المعلومات الوجدانية التي تعنينا هنا. وإن الاحتمالات الجزئية والمحددة بطبيعتها للترجمة بين الخبرة غير اللفظية والكلمات تمثِّل مشكلة رئيسية لمدخل الشفرة المشتركة، والتي قد خفيت على الباحثين في ذلك النموذج الإرشادي. وهناك العديد من الخبرات التي لا يمكن التحدث بها في جملة، وهناك العديد من الجمل المنطوقة التي لا تقود إلى التواصل مع خبرات المستمع، وهناك العديد من المبررات لإخفاقات التواصل باستثناء الأنماط المعتادة للقطط.

إن مدخل الشفرة الثنائية، كما صيغ من خلال بيفيو وزملائه(1971 ،1986) Pavio ، يعترف بشفرات لفظية وغير لفظية منفصلة، ليس فقط على مستوى المُدخَل ولكن أيضًا على مستوى المعنى المُعطى، كما يفترض نظامًا للاتصالات المرجعية يربط الشفرات اللفظية وغير اللفظية. وإن التشفير الثنائي يفسر تسلسلات في الدرجة التي عندها ربما تكون الخبرة غير اللفظية مرتبطة بالكلمات، كما لا تستطيع نظريات الشفرة المشتركة. وإن ذلك التباين قد تم إيضاحه في العديد من الدراسات التجريبية. وقد قدم بيفيو وكلارك و ديجدون و بونس(1989) Pavio, Clark, Digdon, Bons دليلاً على أنها وظيفة مختلفة والتي ربما تتباين بشكل مستقل عن العمليات اللفظية وغير اللفظية.ومع ذلك، فإن التشفير الثنائي كما هو عكس المتعدد يركز على الرمزي، البصري في المقام الأول، التصوري، كالمكون غير اللفظي، تاركًا المجال الكبير للوظائف الرمزية الفرعية في جميع الكيفيات خارج الحسبان، والميكانيزمات الأكثر تعقيداً بكثير والتي ستكون مطلوبة لتكامل مثل تلك العمليات مع اللغة. وهكذا، فإن نموذج الشفرة الثنائية كما صيغ من خلال بيفيو وزملائه يفشل في تقديم تفسيرً محددً لميكانيزم العملية المرجعية، أو تفسير القيود على عملها.

إن نموذج فرويد للجهاز النفسي أكد على عمل كيفيتين مختلفتين للتفكير، هما العمليات الأولية والثانوية. ومع ذلك، ففي التحليل النفسي يُعد انفصال الأنظمة مفهومًا على نحو كبير على أنه انشطار محدد بواسطة المرض، والدفاع، كما أن الصعوبة في إيجاد كلمات للخبرة يتم التعامل معها في المقام الأول كمسألة صراع أو مقاومة. وإن إصلاح الانشقاق يُرى أنه يحدث من خلال

هيمنة أحد الأنظمة على الآخر: فاللاشعوري يصبح شعوريًا، ويحل الأنا حيث كان الهو. فالنموذج الفرويدي لا يفسر الإجراء المستمر لأنظمة معالجة المعلومات المتعددة على مدار الحياة العقلية الشعورية الطبيعية، أو الصعوبات المتأصلة للترجمة بين الأنظمة التمثلية، والتي تنطبق على كل معالجة المعلومات الإنسانية، وليس على الخبرة الوجدانية المؤلمة أو المهددة فقط.

إن تأكيد فرويد على التكامل من خلال سيطرة الأنا أو النظام الشعوري يعكس موقفه الضمني للهيمنة اللفظية. فالنظريات النمائية الأساسية تؤكد أيضًا على المعالجة اللفظية المجردة، تاركة خارج الحسبان الدور الحاسم للغة في الإتصال بالكيفيات الاخرى للتفكير غير اللفظي. وإن المعالجة اللفظية المنطقية- كما في الكيفية الرمزية لبرنر Bruner ، أو مرحلة العمليات الشكلية لبياجيه Piaget (Inhelder & Piaget, 1958)-

من المفترض أن تكون الغرض النمائي، والكيفية الناضجة المُثلى، وأن تحل محل الأنظمة الباكرة الأكثر بدائية للتنظيم المعرفي. وقد كان فيرنر Werner فقط، من بين المنظرين النمائيين الأساسيين، الذي استدخل احتمالية وجود خطوط ثنائية للمعالجة، بما يعكس وظائف مختلفة لبعض الأفراد على مدار الحياة. ومع ذلك، لا يستدخل فرينر Werner ذلك كجزء ضروري ومركزيًا للحياة العقلية لكل الأفراد، كما يفشل أيضًا في مناقشة قضية تكامل مسارات المعالجة المنفصلة (Werner & Kaplan, 1984).

النماذج والعمليات المرجعية:

بحث تقاربي

وبينما لم تُناقِش الحقول المعرفية والنمائية بشكل عام التساؤل بشأن تكامل الأنظمة التمثلية المنفصلة، إلا أن هناك مجموعة من الأدلة التقاربية، جُمِعَت من عدد من المناطق المختلفة، والتي ليس لها تأثير على هذا التساؤل. وإن كوسلين وورش وماندلر وشتيرن، الذين قد روجع عملهم في الفصول الخامس، والسابع، والتاسع، قد كانوا مهتمين بقضايا تكامل الأنظمة، كلٌ على طريقته

ومن مناظير مختلفة تمامًا، ويتقارب عملهم في إدراك بنية النموذج التصوري على أنه آلية التوسط لربط عمليات رمزية فرعية عامة وضمنية بصور رمزية أكثر انفصالاً والتي ربما تكون حينئذ مصورة في شفرة لفظية. وسأطبق تلك النتائج المتقاربة لصياغة تفسير للميكانيزمات الأساسية للعملية المرجعية، والوسائل التي بها تكون تمثلات رمزية فرعية ورمزية مرتبطة ببعضها البعض وبالكلمات.

وطبقًا لكوسلن(1978) Kosslyn ، فالمعلومات الإدراكية تتغاير بحسب التدرجات المستمرة المقسمة إلى نطاقات والتي تُخْبر على أنها مساوية لوظائف الكائن الحي. ومفهوم كوسلن بشأن التباين المستمر للمثير مقارنة بصياغة الشفرة المتعددة لتمثل رمزي فرعي، كما نُمذج من خلال أنظمة المعالجة الموزعة المتوازية. وتلك الطبقات المتساوية وظيفيًا للمثيرات، بنيت كأجزاء لخبرة حسية متغيرة باستمرار، مُمثلة كصور نموذجية. وتظهر الصور النموذجية في معالجة رمزية من نمط العناصر المنفصلة التي ربما تُلحَق بها الكلمات. وهذا يقدم الميكانيزم الأساسي للترميز، خارج وباستقلالية عن اللغة، وهو الميكانيزم الجوهري الذي يُبنَى عليه العملية المرجعية. وإن صياغة كوسلن لبناء الصور النموذجية طُوِّر خصيصًا للكيفية البصرية. وقد وُسعت صياغته الأساسية لتفسير بنية النموذج التصوري في كيفيات حسية أخرى وبطرق محددة من خلال ملامحها الخاصة وكذلك الكيفية التصورية المتقاطعة.

ومثل كوسلن، فقد بحثت روش(1975) Rosch العملية الأساسية تشكُّل النموذج كما يعمل في الأنظمة غير اللفظية، ومستقلاً عن اللغة. وإن مفهوم روش للتصنيف" الغامض" للنماذج، مثّل مفهوم كوسلن للطبقات المتساوية وظيفيًا، يقدم أساسًا لتقسيم المعلومات غير اللفظية إلى تمثلات رمزية منفصلة. وإن نظام روش يستدخل نماذج بُنيت على مساواة وظيفية وكذلك إدراكية: فعلى سبيل المثال، تمثلات نموذجية لشيء يُجلس عليه، أو لشيء له أرجل وسطح نضع عليه أشياء أخرى. وقد طبقت روش أيضًا مفهومها عن التكوين النموذجي الطبيعي على نظام تدفق الخبرة في ضوء المشاهد أو الأحداث؛ ومن ثُم، فإن صياغتها تفسر تكوينات الحدث على أن لها شكلاً نموذجيًا في ذاتها.

وفي مفهومها عن مخططات الصور وتمثلها في شكل لغة، فقد عرَّفت ماندلر(1982) Mandler اثنين من المراحل الأساسية لارتقاء المفهوم لدى الرضع وهما توازيان الوظائف البصرية المعرَّفة من خلال كوسلن وتقدمان الأساس الضروري للارتقاء الرمزي لدى الطفل. وطبقًا لماندلر، يبدأ الطفل بتشفير المعلومات الإدراكية والحسية المركَّبة، والتي ربما يكون لها صفة عامة ومقلدة. فالمعلومات الإدراكية حينئذٍ يُعاد وصفها في مخططات الصور حيث يُستخدم التكوين المكاني كأساس للتكوين المفاهيمي . فمخططات الصور التي تمثل التكوينات المفاهيمية الأساسية – الحيوية، والإحساس، والاحتواء، والدعم– تتضمن ملامح خاصة ومنفصلة ربما تكون ممثلة في شكل لغة ويمكن التعبير عنها في كلمات.

وإن صياغة شتيرن (1985) للذكريات الوجدانية النموذجية للطفل، والتي قد اصطلح على أنها تمثلات التفاعلات المُعممة Representation of Interactions Generalized (RIGs) والتي تتوازى مع العمليات المعرفية كما وُصفت من خلال روش وماندلر. وعلى نقيض تركيز ماندلر على المجال المعرفي، تحديداً البصري المكاني، فإن مفهوم شتيرن بشأن تمثلات التفاعلات المعممة أوسع بكثير، بما يتضمن الأفعال، والأحاسيس والوجدانات التي تحدث في سياق تفاعلي وشخصي.وإن المشاهد المتكررة التي تستدخل الأفعال، والخبرة في كافة الكيفيات الحسية، والخبرة الحشوية، وتتضمن أناسًا آخرين في العلاقة بالذات، تتشكِّل تكوينات الذاكرة النموذجية التي تقدم النظام للخبرة، بما في ذلك الخبرة الوجدانية، كما تعد الأساس لنمو الشعور بالذات.

الميكانيزم للعملية المرجعية

إن الميكانيزم الأساسي للعملية المرجعية، والذي من خلاله كل أساليب الخبرة غير اللفظية، بما في ذلك الخبرة الوجدانية، مرتبطة بالكلمات، ومشتقة من تلك المداخل التقاربية. فداخل كل كيفية حسية، التفاوت المستمر لتمثلات رمزية فرعية التي تشكل الطبقات المتساوية وظيفيًا للتمثل ومتصلة وممثلة من

خلال صور محددة تعمل كرموز أو نماذج. وإن تجزئة نطاقات التمثلات المتفاوتة المستمرة إلى تمثلات نموذجية منفصلة هي العملية الأساسية للترميز داخل المجال غير اللفظي. وفقط بعد أن يتم تكوين الصور النموذجية المنفصلة يمكن ظهور تمثل الخبرة في شكل لغة.

وإن تجزئة التمثلات المستمرة إلى صور نموذجية مبنية على تساوي البنية، أو الوظيفة، أو ارتباط في الزمان أو المكان ربما يحدث عبر الكيفيات وكذلك داخلها ، وكما قد ناقشت في الوصف لنظام الرموز اللفظية . ومن خلال تلك الوسائل ، يتم تكوين الرموز متقاطعة الكيفية وتسلسلات الصور في المشاهد النموذجية . وإن تكوين المشاهد النموذجية تم مناقشته من خلال روش Rosch(1978) في صياغتها لتكوينات الحدث ، ومن خلال شتيرن Stern (1985) في وصفه تمثلات التفاعلات المُعممة وكما سنرى في الفصل التالي ، فإن المشهد النموذجي صفة مركزية ومنظمة لنظام معالجة المعلومات الوجدانية . فالمشاهد المتكررة تقدم الأساس لتكوين مخططات الوجدان ، من بداية الحياة ، قبل فترة طويلة من اكتساب اللغة ، وتحدد أيضا العملية التي من خلالها ربما تكون الخبرة الوجدانية ممثلة ومنقولة للآخرين ، كما سنرى في الفصول التالية.

وبناء على تلك الصياغات المتقاربة ، فإن مراحل العملية المرجعية وميكانيزم التحول من معلومات الرمز الفرعي إلى رموز غير لفظية ثم رموز لفظية ربما تُلخص بأبسط شكل كالآتي :

١. تباين المثير المستمر (تمثلات رمزية فرعية)
٢. التجزئة إلى فئات من التمثلات المتساوية وظيفيا.
٣. تكوين صور نموذجية (أشكال رمزية غير لفظية) تعمل على مستويات متفاوتة من التجريد .
٤. تمثل في شكل لفظي

فالإجراءات من مختلف الأنواع داخل النظام اللفظي ربما تحدث حينئذ ، بما في ذلك أوصاف الصور أو المشاهد ، وصياغة الأفكار المجردة ، والعمليات المنطقية ، وفحص المفاهيم في الخطاب المشترك . وإن العملية المرجعية ثنائية

الاتجاه ؛ فالمنصت يترجم الرسائل اللفظية إلى كل طرق التمثلات غير اللفظية من خلال تلك الوسائل . فالعملية متكررة أيضا ؛ والروابط اللفظية الجديدة لتفعيل روابط غير لفظية جديدة ، كما سنرى في الفصول اللاحقة .

إن وظيفة الترميز للعملية المرجعية تظهر في النمو الجيني للمفاهيم والرموز ، كما قد ناقشت ماندلر وشتيرن Mandler and Stern ، وتحدث بشكل متكرر على مدار الحياة المعرفية بينما يتم تكوين ونقل الصور الجديدة ، كما تم إيضاحه من خلال كوسلين وروش Kosslyn and Rosch . فالرضيع يُكون صورة الأم على أساس هيئات متعددة ومتغيرة باستمرار مجزئة بالتساوي من الناحية الوظيفية لانتاج الصورة النموذجية الدائمة . وهذا يُمكن من إدراك الأم في السياقات والأشكال العديدة والمتفاوتة التي تظهر فيها فنحن نكون صورا نموذجية للموضوعات ، والناس ، وكل الكيانات بتلك الطريقة. وربما تكون أيضا تمثلات نموذجية للمفاهيم التي تبدو مجردة بتلك الوسائل ، مثل العلاقات المكانية (على قمة ، داخل ، أسفل) ، كما قد أشار كوسلين .

فالصور والمشاهد النموذجية تشكل "اللغة المشتركة " للنظام التمثلي غير اللفظي ، بما يُكمن ارتباط التمثلات المنفصلة والمتعددة ببعضها البعض ، داخل وبين الكيفيات ، كما تمكن أيضا الارتباط بالكلمات . فالعملية المرجعية يكمن وراءها عمليات الاكتشاف والاختراع في العلم والآداب ، والتي من خلالها يتم تنظيم تمثلات رمزية فرعية متناظرة بطرق جديدة ، ويتم تُكون فئات جديدة. فالتعبير الاستعاري يمكن فهمه قد يكون مفهوما في مثل تلك الشروط ، ترميز ما قد كان رمزيا فرعيا على نطاق كبير ، وتمكين ارتباطة بالكلمات . فالكُتابـ والمحللون ـ يعرفون ويستخدمون قوة مثل تلك الوسائل الاستعارية . وفي أصولها الاشتقاقية ، باليونانية ، تعد الاستعارة شكل الكلام الذي " يحمل فيما ورائه " فالاستعارة تحمل المعنى فيما وراء الموضوع المسمى لشبكة من الصور والأحداث المرتبطة ، وفيما وراء ذاتية فرد واحد عبورا لذاتية فرد أخر . فالرموز تبني المعنى لحالات الرمز الفرعي وتمكنهم من أن تكون متشاركة .

ومع فهمها الحدسي لتلك العمليات ، تصف هيلين كيلر Helen Keller

التقدم من التمثلات اللمسية إلى اللفظية والذي يشبه على نحو لافت التحول الترميزي المفترض هنا : ولكني أعلم أن أفكاري الفيزيائية ، أي ، الأفكار المشتقة من الموضوعات المادية ، وتبدو لي أولا مشابهة لتلك الافكار الخاصة باللمس. وعلى الفور، تنتقل إلى المعاني الذهنية. وبعد ذلك ، يجد المعنى التعبير فيما يسمى بالكلام الداخلي (1908,P.118) . وإن " الأفكار المشتقة من موضوعات مادية ، " والتي تصفها هيلين كيلر بأنها تظهر في أشكال مشابهة لأشكال اللمس ، ربما توصف بأنها تمثلات رمزية فرعية محددة الكيفية . "فالمعاني الذهنية " غير لفظية حتى الآن ، ونسختها لنماذج رمزية . "وبعد ذلك " تقود تلك المعاني للتعبير اللفظي للذات ، والتي تشير إليها كيلر(مثل Vygotsky 1934) على أنها كلام داخلي . وبافتراض تحولات محددة داخل النظام اللفظي ، فإن تلك الأفكار ربما تكون حينئذ منطوقة (أو مشار إليها) . وإن العملية المرجعية تنطبق بمثل تلك الطريقة للتعبير عن الوجدان ، كما لكافة أنماط التفكير والافكار ، كما سنرى في الفصل التالي .

البُعد المرجعي للنشاط: البحث الامبريقي

إن العملية المرجعية التي تنظم الخبرة غير اللفظية وتربطها بالكلمات تُعد وظيفة معرفية في ذاتها ، مثل اللفظية ، أو التصور ، أو قدرات الأداء ، وربما تتفاوت بشكل مستقل عن أي منها . فكما قد يختلف الناس في القدرة اللفظية وقدرات الأداء غير اللفظي ، فقد يختلفون أيضا بخصوص قدرتهم على تكامل أنظمة غير لفظية وربطها باللغة . فالقدرة على التعبير عن كل أساليب الخبرة غير اللفظية ، وتحديدا الخبرة الوجدانية ، بشكل لفظي قد أطلق عليه مصطلح النشاط المرجعي Referentail Activity (RA) (RA; Bucci & Freedman , 1978 ,1981 ; Bucci , 1984). وإن مستوى النشاط المرجعي يتفاوت بين الأفراد كسمة ثابتة نسبيا أومستوى للكفاءة ، ومحدد من خلال عوامل وراثية وخُبروية . كما أن النشاط المرجعي يُظهر أيضا سمة جديرة بالاعتبار أو تباين الأداء ، ويتقلب داخل فرد ما مع مرور الوقت ، كوظيفة سياق

اتصالي وحالة فسيولوجية أو وجدانية . وإن ذلك جانبا من وظيفة اللغة التي تُعد مركزية للشفاء الكلامي . وإن التباين في مستوى النشاط المرجعي يخدم كمؤشر للقدرة على الانخراط في العلاج التحليلي النفسي وكوسيلة لتعقب فعالية عملية العلاج .

وتماما كما لم ندرس العملية المرجعية بشكل عام في البحث المعرفي أو النمائي ، فقد أُهمِلت أيضا في الحقل السيكومتري .وإن معظم إختبارات الذكاء اللفظي ، مثل التشابهات أو الاختبارات الفرعية للكلمات بمقياس وكسلر لذكاء الراشدين (WAIS ; Wechsler, 1981) ، تركز على بُعد المعالجة اللفظية المجردة لمفردة التشابهات ، فيتم السؤال عن كيف لكيانين – على سبيل المثال ، تفاحة وبرتقالة ـ أن يكونا متشابهين ، فالاستجابة التي تحقق أعلى نقطة هي أن كليهما فاكهة . وتلك هي الاستجابة التي تدعو التنظيم داخل التسلسلات الهرمية للذاكرة الدلالية اللفظية . وإن الاستجابات التي تستخدم صفات حسية ومتماسكة ـ كلاهما حلو المذاق ، أو غض ، أو مستدير ـ تحصل على نقطة أقل . ونفس النمط لمحك التقدير ينطبق على مفردات الكلمات .

وفي بحثنا (Bucci & Freedman , 1978, 1981, Bucci & Miller,1993; Bucci,1995) ، قد طورنا على نطاق واسع تكوين النشاط المرجعي على أنه وظيفة معرفية دالة في ذاته ، مع تباين الحالة والسمة القابلة للقياس . وقد تبين أن النشاط المرجعي يختلف بشكل مستقل عن التدابير القياسية للذكاء اللفظي ، كما لمقاييس الأداء والتصور ، وأن له تأثيرات إكلينيكية ، وشخصية ، ووجدانية . فقد طورنا نطاقا واسعا من المقاييس لتقييم تباين النشاط المرجعي . وإن تلك المقاييس تتضمن صفات لنمط اللغة ومقاييس أخرى تشير لاتصال أكثر فعالية ومباشرة بين كل أساليب الخبرة غير اللفظية والكلمات . وإن تكوين النشاط المرجعي وقياسه هام في تطبيقنا لتكوينات التشُفير المتعدد على العمل الميداني ، بما يتضمن عملنا بخصوص عملية العلاج النفسي .

صفات نمط اللغة المرتبطة بالنشاط المرجعي

كان التركيز الرئيسي لهذا العمل هو تحديد وصدق سمات نمط اللغة المتصلة ببعد النشاط المرجعي. وكيف يتحدث الناس عندما يكونوا على اتصال بالتصور والخبرة الوجدانية ، كما يختلف ذلك عن الطريقة التي يتحدثون بها عندما يكونوا في حالة انشطار عن مثل تلك الخبرة ويمكنهم النفاذ فقط للعمليات أو الأفكار العقلية بشكل لغوي ؛ هل يمكننا إيجاد مؤشرات منهجية في اللغة يتم إنتاجها والتي تعكس تلك الاختلافات في حالة أساسية ؟

إن تحدبد الصفات اللغوية المرتبطة بالنشاط المرجعي مدعوم ميدانيا من خلال بحث التشفير الثنائي ، كما لُخص باكرا ، وكما قد أوضح بيفيو وزملائه Pavio ، أن الاتصالات المرجعية تكون أكثر فعالية ومباشرة بالنسبة للصور المحددة والمتماسكة ، والكلمات التي تحيل إليهم ، وأقل مباشرة بالنسبة للمفاهيم المجردة والكلمات . وإن ذلك المبدأ ينطبق على كافة الأبعاد الحسية والجسدية ، لا على الرؤية فقط ، كما قد ناقشنا في تقديم مدخل التشفير المتعدد الخاص بنا. وكما قد أوضحت لنا هيلين كيلر بطريقة جمالية ، مقولة عن شريحة من الليمون التي تتسبب في تجعُد الفم ، أو عن نعومة الخوخ الناضج ، نعومة الزهرة ، أو عن النغزة في خد الطفل ، متصلة بالخبرة غير اللفظية بصورة أكثر بكثير من العبارات العامة بشأن الورود أو الفواكه (Keller, 1908)

وإن فهمنا لتباين نمط لغة النشاط المرجعي مدعوم أيضا من خلال البحث حول تمثلات الأشكال النموذجية . فالفئة الأساسية ، كما عرفت من خلال روش Rosch - مثل "تفاح" ، "زهرة" ، "كرسي" - هي المستوى الأكثر عمومية التي يمكن للصور النموذجية للموضوعات يمكن أن تكون مؤسسة ، كما أنها المستوى اللفظي الأكثر عمومية التي تُعد الاتصالات المرجعية المباشرة متاحة بالنسبة لها. وبينما يوجد ، بالطبع ، عدة أنماط مختلفة للتفاح أو الكراسي أو الأزهار ، إلا أن الناس يكونون صورا لمثل تلك الكيانات بشكل نموذجي ، كما قد أوضحت روش .

فالصور النموذجية لا يمكن تكوينها وفقا للمصطلحات على المستوى التالي من التجريد ، مثل "فاكهة " ، "ورد " ، أو "أثاث" كما أن الاتصالات المرجعية تُعد في المقابل أقل مباشرة بالنسبة لمثل تلك المصطلحات . فلا يوجد صورة

نموذجية ستكون قادرة على تمثل "فاكهة " على سبيل المثال ، وتمثل في كيان إدراكي واحد ، موزة ، وليمونة ، وبندورة ، وعنقود عنب ، وفراولة ، وبطيخة، وزيتونة . فمثل تلك الكيانات مُدركة بكونها عناصر لنفس الفئة على أساس خصائص محددة وأنظمة تصنيف حاضرة في مخزن المعرفة العام للذات، بدلا من أن يكون على أساس خبرة حسية فورية ومباشرة .

فيمكننا فقط تأسيس اتصالات مرجعية من كلمة " فاكهة " إلى تصور من خلال العمل أدنى الهرم اللفظي للنماذج التي لأجلها يمكن للصور النموذجية أن تكون ، على سبيل المثال من خلال تخيل وعاء من الفاكهة.

وإن مصطلحات فئة النظام الأعلى مثل " طعام" والمصطلحات المحددة مثل "حاجات الانسان , " أو " الحقيقة " أو " العدل " تُعد أقل إرتباطا بالخبرة غير اللفظية وتتطلب مزيد من الارتباطات المتداخلة . فتنظيم العناصر داخل أنظمة الفئة الهرمية تعد وظيفة النظام اللفظي ، بما يعكس التنظيم المنطقي للذاكرة الدلالية . وإن مصطلحات فئة المستوى الأعلى ، مثل المستوى الأدنى ، يمكن أن تكون متصلة بتصور غير لفظي من خلال العمل أدنى التسلسلات الهرمية الفئوية وصولا للمستوى المحدد والمتماسك . فالاختلاف أن مزيد من الخطوات المتداخلة مطلوبا . فالقوة ، والجمال ، والحقيقة يمكن أن توجد في الخصائص الملموسة للأشياء ، كما قد اخبرتنا هيلين كيلر ، ومتوسطة من خلال ارتباطها بأحداث وموضوعات محددة ، ولكن الاتصال غير مباشر ، ويمر من خلال تسلسلا لمستويات تمثلية قبل وجود المرجع المتماسك .

وفي الاتجاه المعاكس ، خبرة الرمز الفرعي غير اللفظي ، بما يتضمن التذوق ، والشم والخبرات الحشوية ، تعد الأكثر صعوبة في ربطها بالكلمات؛ ومثل تلك التمثلات مهيمنة في مخططات الوجدان ، كما سيناقش لاحقا . وللتعبيرعن مثل تلك الخبرات بالكلمات ، فإن المتحدث يجب أن يكون قادرا على الحركة من التمثلات التقليدية والعامة لمخططات الوجدان إلى تمثلات الموضوعات أو السمات القابلة لأن يتم تسميتها ، كما وُضح في مناقشة اللفظية للشم والتذوق .

قياس نمط لغة النشاط المرجعي

وبافتراض الإطار التنظيري للتشفير المتعدد والعملية المرجعية ، فإن خصائص اللغة ربما تكون حينئذ مستخدمة كمؤشرات إجرائية للاتصال بخبرة غير لفظية ، وتحديدا خبرة وجدانية. وقد طورت مقاييس النشاط المرجعي لتقييم خصائص اللغة تلك وقد ثبت صدقها على نطاق واسع في بحثنا. فالمقاييس تخبرنا عما إذا كانت الخبرة غير اللفظية ، بما في ذلك الوجدانية ، أو لأي مدى من المرجح أن تكون مفعلة في عقل المتحدث (أوالكاتب) بينما يقوم بتوليد خطابه، أو عما إذا كان يتم توليد لغته داخل التسلسلات الهرمية اللفظية للذاكرة الدلالية ، ومنفصلة عن الخبرة غير اللفظية . وهنا ، سأقدم باختصار طبيعة بُعد لغة النشاط المرجعي وبعضا من طرق قياس النشاط المرجعي التي تلعب دورا مركزيا في بحثنا .

وإن النشاط المرجعي العالي ـ الاتصالات الفعالة والمباشرة بين التصور والكلمات ـ منعكس في اللغة التي تمثل خاصية فورية في تمثلات المتحدث والتي من المرجح أن تستدعي خبرة حية ، ومحددة ، وفورية لدى المنصت أيضا ، كما في المثال التالي[7] :

"لا أستطيع تقبل الفاكهة ذات البقع السيئة . فهي لا تجعلني أشعر بالارتياح . ولأني أخذت ذلك الأناناس وبدأ جيدا للغاية ، ومن ثم انغمر اصبعي لداخله ، في ذلك الشئ البني ، اللزج ، الناعم ، الطري ، وعلى الفور انقلبت معدتي "

وعلى النقيض ، فإن لغة النشاط المرجعي المنخفضة عامة ومتجردة وغامضة ، فالمتحدث لا يبدو متصل بالخبرة الخاصة به ويخفق في الاتصال بالمنصت :

"لا أفكر حقا في المرات الكثيرة التي أُجبرت فيها على فعل شئ عندما لم تكن لدي رغبة في فعله . أعني ، أنه في مرات كثيرة لم يفعل الشئ الذي أردت أن يفعله . ولكن ما يحدث على خلاف ذلك . كان ... لو أنني لم أفهم

٧ تؤخذ الأمثلة من بوتشي وآخرين

يروفة أولى حسان

شيئا ما ، كان ليخبرني عما يجري ، شيئا من هذا القبيل ."

وربما يكون النشاط المرجعي منخفض أيضا عندما يكون الحديث عن المشاعر ، ولكن بمنطق عام ومجرد : " أحب الناس وأود أن أكون معهم . وحتى الأن أشعر بالسوء لأنني لا أستطيع أن أكون معهم وأفعل الأشياء التي أريد فعلها . ولكني أتطلع إلى مستقبل أكثر سعادة ونجاح - ولا أعرف ماذا أقول .وما الذي يمكنني أن أتحدث عنه بعد ؟ حسنا - قد كانت لدي حياة مليئة بالأحداث ، وأعتقد قد عملت بطريقة عملية طيلة حياتي وأحب الناس ."

وفي بحثنا ، قد قمنا بتطوير إجراءات منهجية لتقييم خصائص نمط اللغة المرتبطة ببُعد النشاط المرجعي. وأن الطرق لتقدير النشاط المرجعي تتضمن مقاييس التصنيف الكيفي ومقاييس موضوعية مستندة إلى صفات لغوية قابلة للتكميم .و سأصف بعضا من طرق قياس النشاط المرجعي هنا وسأطبق ذلك المدخل على النصوص الحرفية للجلسات التحليلية النفسية في الفصل السابع عشر .

مقاييس النشاط المرجعي

وإن جداول تصنيف النشاط المرجعي تقيس التحديد concreteness ، والتصورImagery ، والتخصيص Specificity ، والوضوح Clarity للكلام . فالتحديد مستند إلى درجة الجودة الإدراكية أو الحسية ، بما يتضمن الإحالة إلى كل أنماط الحس ، والفعل ، والخبرة الجسدية (وليس التحديد المعرفي بمنطق ناقص أونكوصي) . ويحيل التخصيص إلى مقدار التفصيل ؛ فالنص المخصص للغاية يتضمن أوصاف صريحة للأشخاص ، والموضوعات ، والأماكن ، أو الأحداث . ويحيل الوضوح إلى وضوح صورة ما كما تُرى من خلال اللغة ؛ ومدى الحكم على التركيز الجيد للصورة اللغوية . ويحيل التصور إلى الدرجة التي تستدعي اللغة خبرة متوافقة لدى القارئ أو المستمع . وقد طور الكتيب الذي يعطي تعليمات بشأن تقدير مقاييس النشاط المرجعي وتطبيقها على جلسات العلاج النفسي ونصوص أخرى (Bucci et al,1992)

وإن المقاييس الأربعة عامة مترابطة بشكل ملحوظ وربما يتم دمجها لتقديم تقدير إجمالي للنشاط المرجعي. فكلا من مقياس التحديد والتصورية أكثر ارتباطا ببعضهما البعض عن أي من المقياسين الأخرين ؛ فمتوسط كلا المقياسين ، والذي يطلق عليه مصطلح CONIM ، ربما يكون مستخدما كمستوى انعكاس للتصور الحسي المعبر عنه باللغة : وبالمثل ، فإن كلا من مقياس التخصيص والوضوح يظهران ارتباطا بينيا مرتفعاً نسبيا وربما يتم دمجهما للإمداد بموشر تنظيم خطاب ، والذي يطلق عليه مصطلح Clasp . وقد طبقت مقاييس النشاط المرجعي على أنماط عدة من النصوص بما في ذلك المونولوجات القصيرة والذكريات الباكرة ، وبروتوكولات اختبار تفهم الموضوع (TAT) وكذلك النصوص الخاصة بجلسات العلاج (Bucci , 1988,1989, 1993,1995, 1997)

وبالإضافة إلى المقاييس ، فقد حُدد عددٌ من الصفات اللغوية الخاصة على أنها مرتبطة ببعد النشاط المرجعي وهي تتضمن الصفات اللغوية التي تنقل خاصية الفورية إلى اللغة المنطوقة ، مثل الاقتباسات المباشرة والاستخدام النمطي لزمن المضارع في وصف أحداث ماضية : " والاستعارات ، التي تمثل تفكيرا مجردا أو خبرة وجدانية بشكل محدد ومخصص ، عبارة عن مؤشرات جوهرية لبُعد النشاط المرجعي ، كما سيناقش لاحقا في الفصل الثالث عشر .

النشاط المرجعي المُقاس من خلال الحاسوب

وإن قياسات النشاط المرجعي المحوسب (Computriezed referntail activity "CRA") قد طورت أيضا في الوقت الحالي (Mergenthaler & Bucci , 1993 ; Bucci,1995) . وإن تلك القياسات تمتلك ميزة الفعالية الواضحة في التطبيق على عينات كبيرة ودراسات العلاج النفسي طويل المدى والعلاجات التحليلية النفسية . وفيما وراء ذلك ، فإن الإجراءات المحوسبة الجديدة تتجنب مشكلة ثبات أحكام التقدير وتمتلك ميزة فرض معيار متسق عبر عينات متنوعة . بينما تميل تقديرات المحكمين إلى أن تكون محددة لمدى ما من

خلال المستوى العام للعينة المفترضة ، وإن مقاييس الحاسوب تفرض بالضرورة نفس المعايير على الكل. وقد أصبحت الإجراءات المحوسبة الآن أدواتنا اللغوية الأولية لدراسة عملية العلاج ؛ فالدراسة الميدانية التي من المفترض تقديمها في الفصل السابع عشر تستخدم تلك الفنيات.

وإن تطور إجراءات تحليل المحتوى المحوسب مستندة إلى مقدمة أن خصائص نمط اللغة ربما تكون مقيمة من خلال تحليل مفردات معجمية مخصصة، وتصنيفات تلك المفردات ، ومستقلة عن تنظيمهم التسلسلي وتكوينهم النحوي. وإن تلك المقدمة قد ثبت صدقها تماما في حقل تحليل المحتوى المحوسب ، كما أن قواميس الحاسوب التي تقيم مساحات محتوى محدد استخدامها على نطاق واسع في الحقول الاكلينيكية وحقول أخرى (Stone , Dunphy , & ogilivie , 1966; Martindela , 1975; Mergenthaler & Bucci ,1993)

وإن قاموس النشاط المرجعي المحوسب شُكل ميدانيا من خلال نمذجة مقاييس النشاط المرجعي كما قُدرت من خلال أحكام خبراء . وإن التفاصيل الخاصة بتكوين قاموس النشاط المرجعي المحوسب مقدمة من خلال بوتشي و ميرجنتلار(1993) Bucci and Mergenthaler . فالطريقة وتطبيقها على النصوص التحليلية النفسية ملخصة في الفصل السابع عشر .وإن قائمة النشاط المرجعي المحوسب المستخدمة الأن تتضمن تقريبا 100 كلمة لكل من النشاط المرجعي المرتفع والمنخفض . وإجمالي النشاط المرجعي المحوسب محسوب على أنه الاختلاف بين تقديرات الكلمات المتطابقة مع كل من القاموسين. ومن ثم ، فإن عدد الكلمات المتطابقة مع قائمة النشاط المرجعي المحوسب المنخفض مطروح من العدد المتطابق مع قائمة النشاط المرجعي المحوسب المرتفع لاستخراج التقديرالاجمالي للنشاط المرجعي المحوسب.

وإن مقياس النشاط المرجعي المحوسب يُعد استثنائيا بين إجراءات تحليل اللغة المحوسبة في التركيز على نمط اللغة بدلا من محتوياتها. فالمفردات في كل من القائمتين يُعد في المقام الأول وظيفة الكلمات المستخدمة بكثرة في اللغة . وبينما يوجد أقل من مائتي كلمة (نمط) إجمالا في القائمتين ، إلا أنهم يفسرون

بشكل تقريبي نصف الكلمات (الرموز) المنطوقة في الخطاب العادي . وهكذا فإن ذلك يُعد مقياساً قويا جدا والذي يحتفظ بموشر ثبات لنمط اللغة حتى للفقرات الصغيرة للنص .

وفي حين اشتقت من الناحية الميدانية ، فإن قائمتي النشاط المرجعي المحوسب المرتفعة والمنخفضة تبدو متسقة مع نظرية العملية المرجعية ، كما لخص باكرا في ذلك الفصل . وإن قائمة النشاط المرجعي المحوسب المرتفعة تتكون من الكلمات الدالة كثيرة التكرار، بما يتضمن فئات محددة لحروف الجر والضمائر ، التي يميل الناس لاستخدامها عند وصف الصور والأحداث . وإن تلك الكلمات ستتضمن حروف الجر والظروف التي تمثل العلاقات المكانية ، مثل "في" و " على " و "خارج" .

وإن مثل تلك الكلمات الدالة ، والتي تبدو مجردة وبدون مرجع خاص محدد ، متجذرة بالفعل في المفاهيم التمثيلية غير اللفظية الأساسية . فهي تُعد نمط الكلمات التي قد حددها كوسلين(1978) Kosslyn على أنها تحيل إلى تصور نموذجي للعلاقات المكانية . وبالمثل ، فإن ماندلر (1992) تشير للمصطلحات المكانية بتلك الطبيعة على أنها الوسيلة التي من خلالها يعبر الأطفال عن المفاهيم الإدراكية باللغة .

وكما سنتوقع ، اعتمادا على تحليلنا للعملية المرجعية ، فإن قائمة النشاط المرجعي المحوسب المرتفعة ستتضمن ضمائر الغائب المفردة . فالمتحدثون يستخدمون مثل تلك الضمائر في وصف الأشخاص الذين يظهرون في أحداث معينة . فالمقتطفات الآتية من مونولوجات[8] من قبل طالبتين في التمريض يصفان النمط ذاته لحدث ما ، زيارة لغرف الولادة بالمستشفى ، ولكن تُظهران اختلافات في استخدام التصور والتركيز على أشخاص آخرين مرتبطين ببعد النشاط المرجعي.

١. "سرت إلى تلك الغرفة الأخرى وكانت توجد تلك السيدة التي ترقد هناك وكانت وحدها . فلم يكن هناك أحد معها حتى من عائلتها أو أي شئ .

٨ أمثلة من بوتشي وآخرين (١٩٩٢)

ولذا دخلت إلى الغرفة وكنت ممسكة بيدها وكنت أشرح كيفية التنفس العميق لمحاولة تخفيف الآلم . وهي ـ على حين غفلة قالت لي ، يا إلهي لقد نزلت المياه. وأنا ـ نظرت وكان على أن أنظر عن كثب . وكان من الصعب معرفة ذلك . فلم يكن تدفقا كبيرا ؛ كان فقط سائلا قليلاً وقلت لها ، حسنا ، انتظري لحظة وسأستدعي الطبيب .

٢. " من الممتع جدا رؤية امرأة تعرفها وهي تمر بالمخاض والولادة ، ودائما ما كنت اتسائل لو كنت أريد أطفالا أم لا ولا أعرف . وهذا طرح تساؤلات كثيرة في عقلي لأني كما لا أحب أن يكون لدي أطفال إلا أنني عندما رأيت كم هم سعداء بعد الولادة فكرت ، يا إلهي ، لابد أنه شعور رائع . ولكن حينئذ عندما تفكر فيما سيأتي (حينما تفكر فيما سيأتي بعد) ـ كل التعب والتضحيات والمسؤلية . ولا أعتقد أنني ـ في استطاعتي التعامل معها . "

فالطالبة الممرضة الأولى تسجل خبرتها عن جناح الولادة من خلال مشهد محدد يتمركز حول مريضة ، كما انعكس ذلك في ظهور العديد من ضمائر الغائب المفرد . فالخبرة تبدو حية في عقل المتحدث وتبدو حية بالنسبة للقارئ . وأما الثانية تتأمل حول ردود الفعل الخاصة بها ؛ فهي لم تخبر عن أي حدث بعينه أو شخص بعينه ربما قد ظهر في زيارتها ، كما فشلت في الاتصال مع القارئ أيضا .

ومفردات أخرى على قائمة النشاط المرجعي المحوسب المرتفع تتضمن الأدوات (النكرة والمعرفة) المستخدمة مع أسماء محددة ، بالإضافة إلى مؤشرات أخرى محددة للمكان والزمان .

وعلى نقيض قائمة النشاط المرجعي المحوسب المرتفعة ، فإن مفردات النشاط المرجعي المحوسب المنخفض تتضمن الكلمات التي تظهر في التفكيرالمنطقي والتأمل، بما يتضمن حروف العطف والمصطلحات المنطقية (" أو ، " " على الرغم من ذلك ، " لكن " ، " لا ") وكذلك المصطلحات والصفات التعريفية العامة وغير المخصصة ("كل" ، " جدا " ، " أكثر " ، " الأكثر " ، "شيئا ما " ، " أحيانا ") وإن مثل ذلك الاستخدام يشير إلى المعالجة المسيطرعليها من خلال

الكيفية اللفظية بدلا من الرجوع إلى التشبيه والخبرة الوجدانية .

وإن قياس النشاط المرجعي المحوسب المستخدم في الوقت الحالي يمثل إجمالي النشاط المرجعي ، والمتوسط لتقديرات المقاييس الفردية الأربعة وفي العمل الحالي ، أحاول أنا وزملائي أيضا تطوير قوائم الكلمات المنفصلة التي سوف تنمذج مقاييس النشاط المرجعي الفردية. وإن تطبيق الإجراءات المحوسبة على الجلسات التحليلية النفسية سيكون موصوفاً في الفصل السابع عشر.

الصدق التكويني لمقاييس النشاط المرجعي

إن مقياس النشاط المرجعي لدي المريض وأسلوب اللغة الخاصة بالمحلل يُعد مركزيًا بالنسبة لعملنا الميداني حول العملية التحليلية النفسية. ومن تباين أسلوب اللغة الخاصة بالنشاط المرجعي على مدار دورة العلاج، أو داخل الجلسة، نستنبط التغيرات في الحالة الداخلية للمريض– أو المحلل. وإن الزيادة في النشاط المرجعي يتم تأويلها على أنها تشير إلى التكامل المتزايد للتمثلات غير اللفظية، بما في ذلك الإدراك، والعمليات الحركية، ومخططات الوجدان، مع بعضها البعض ومع اللغة، وأيضًا تشير إلى تواصل متزايد بين المتحدث والمستمع. ويشير نقصان النشاط المرجعي إلى العكس. وإن استنباط معنى المقاييس مستند على الشبكة الاسمية التي يُعرّف بداخلها تكوين النشاط المرجعي.

وإن دراسات كل من البحث الأساسي والإكلينيكي قد نُفّذت لتطوير الصدق التقاربي والتمييزي لمقاييس النشاط المرجعي. وقد ثبُت صدق مقاييس النشاط المرجعي كمؤشرات للتكامل المعرفي واللغوي والإنفعالي وعلى أنها مرتبطة بالوظائف التواصلية التكيفية في دراسات بحوث البحوث الخاصة بالنشاط المرجعي المقدم من خلال سامتاج(1996) Samstag . وإن الصدق التكويني لاسلوب لغة النشاط المرجعي تم حسابه أيضًا من خلال البحث التجريبي داخل نموذج التشفير الثنائي، كما نوقش باكراً. والدراسات المساهِمة في الصدق التكويني للنشاط المرجعي قد لُخّصت من خلال بوتشي (1993، 1995) ، وبوتشي وميلر (1993) Miller and Bucci. وسوف أصف بإيجاز العديد من تلك الدراسات هنا.

وفي الدراسات الأساسية لتكوين النشاط المرجعي، قد وجدنا أن الأفراد ذوي أسلوب اللغة المرتفع في النشاط المرجعي يُظهرون سرعة تسمية سريعة نسبيًا عندما يحددون تسلسلات الأشياء أو الألوان المألوفة. وإن مثل تلك المهام البسيطة للتحديد تقدم مقاييس مباشرة للتباين الفردي في الوظيفة الاساسية لاتصال الصور والكلمات. وذلك الارتباط بين سرعة التسمية وأسلوب اللغة يستمر عقب التصحيح للإيقاع الشخصي العام، والتي ربما تؤثر على كافة المقاييس، ولذا فإن تباين سرعة التسمية بفعل الاختلافات في الوظائف الهامشية لجهاز الكلام، أو الأداء الحركي العام، ربما يكون مستبعداً. وإن الأفراد ذوي لغة النشاط المرجعي المرتفع من المرجح أيضًا أنهم يستخدمون المزيد من حركات اليد التي تتكامل مع إيقاعات الكلام، بما يشير إلى الاتصالات بين الوظائف اللغوية والحركية. وفي دراسة تسأل عن خصائص الاختلافات الطفيفة للألوان، فإن عينة النشاط المرجعي المرتفع كان من المرجح أن تقوم بتوليد توصيفات باستخدام ارتباطات استعارية (خضراء، مثل أشجار الصنوبر في غابة كثيفة) بدلاً من استخدام أبعاد أو قياسات ضمنية (خضراء داكنة جداً، سوداء تقريباً، ولامعة بعض الشيء). وإن تلك الوظائف تمس جوانب تكامل الأنظمة، وتربط الصور والخبرة غير اللفظية الاخرى بالتمثلات اللفظية، وتتحرك تراجعًا وتقدمًا بمرونة بين الأنظمة. فترابط الاختلافات الفردية في تلك الوظائف مع الاختلافات الفردية في الأسلوب اللغوي للنشاط المرجعي يساهم في الصدق التقاربي لمقاييس النشاط المرجعي.

وإن الصدق التكويني للنشاط المرجعي مدعوم من خلال الصدق التمييزي وكذلك التقاربي. فالأداء على معيار مهام الذكاء اللفظي، مثل تلك الاختبارات الفرعية للتشابهات والمفردات لاختبار وكسلر للبالغين، ليست مرتبطة بالاختلافات في مقاييس النشاط المرجعي. وإن معيار مهام الذكاء تعكس بشكل أولي الارتباطات داخل التسلسلات الهرمية للنظام اللفظي بدلاً من الروابط بين الكلمات والتمثلات غير اللفظية (Bucci & Freedman, 1978). كما ان اختبارات الطلاقة اللفظية، المستندة إلى السمات الصوتية، غير مرتبطة أيضًا

بالنشاط المرجعي. وعلى النقيض فإن التقدير على اختبار الفهم الفرعي من اختبار وكسلر للبالغين، والذي يتطلب" الحس العام" المعرفي وتكامل الأنظمة، يظهر علاقة إيجابية دالّة بمقاييس النشاط المرجعي (Bowen, 1988; Bucci & Freedman, 1978). كما أن بعضًا من اختبارات الأداء، على سبيل المثال، اختبارات للعلاقات المكانية مثل الاختبار الفرعي لتركيب الأشياء في اختبار وكسلر للبالغين، تُعد أيضًا مهام مرجعية، تعتمد على النظام اللفظي المنطقي لتوجيه معالجة التصميمات البصرية (Rapaport, Gill, & Schafer, 1968; Bowen, 1988).

إن العديد من الدراسات الميدانية قد نُفّذت لفحص علاقة النشاط المرجعي بالمفاهيم الإكلينيكية. وإن بعضًا من تلك الدراسات لُخّصت في أعمال بوتشي وميلر (Bucci and Miller(1993 ، وبوتشي وميرجنتلار (Bucci(1993 and Mergenthaler ، وبوتشي(Bucci (1995 ، وإن مستويات النشاط المرجعي لدى المريض والمعالج قد اتضح أنها تنبأ بنجاح العلاج السيكودينامي. فقد اكتشفنا أن مستوى النشاط المرجعي مرتبط بشكل دال بجوانب علاقات الموضوع، ومقاييس الصحة الجسدية، وطبيعة التفاعل بين الامهات وأطفالهن، وفاعلية العلاج السيكودينامي. وإن النشاط المرجعي منخفض في المرض الاكتئابي والفصام المصحوب بنقص التعبيرات الإنفعالية (Bucci & Freedman, 1981; Dodd & Bucci, 1987). ومن المثير للاهتمام أن موري(1992) Mory اكتشف ارتباطًا إيجابيًا بين النشاط المرجعي، والأعراض الإيجابية للفصام، المُقاس من خلال (مقياس متلازمة الإيجاب والسلب) والمُطوّر بواسطة كاي وفزباين وأوبلار(Kay, Fiszbein and Opler (1987

وإن دراسات الصدق قد نُفّت أيضًا لمقياس النشاط المرجعي المحوسب والتي تُقيّم علاقته بالنشاط المرجعي كما سجلته التقديرات، وكذلك علاقته المباشرة بالأحكام الإكلينيكية لمادة منطوقة. وقد اوضح النشاط المرجعي المحوسب باتساق الترابطات الدالة والعالية نسبيًا بأحكام التقدير للنشاط المرجعي لعدة أنماط مختلفة للغة منطوقة، بما يتضمن النصوص التحليلية النفسية. وعلى نحو

مثير، فإن النشاط المرجعي المحوسب يميل أيضًا لإظهار تباين إلى حد ما اكثر من النشاط المرجعي لنفس عينات اللغة؛ وان يكون أقل تأثراً بأنماط محددة من المحتويات، مثل مادة درامية أو عنيفة؛ وأن يكون أكثر انفعالاً بأسلوب المتحدث في وصف حدثٍ ما بغض النظرعن طبيعته. فالحاسوب يمكنه تقدير أسلوب اللغة المستقل عن نمط محتوى محدد بطريقة لا تستطيع الأحكام البشرية أن تقوم بها. ومن ثُم، فإن إجراء النشاط المرجعي المحوسب ليس مفيداً فقط فيما يتعلق بمسألة الكفاءة، ولكنه يضيف معلومات مثيرة ومصادرالتباين الخاصة به. وفي دراسات الصدق بأحكام إكلينيكية، قد رأينا أن ذروة النشاط المرجعي المحوسب من المرجح جداً أن توصف بكونها سرديات، بما يتضمن توصيفات الذكريات، والخيالات والأحلام (Kalmykova, Mergenthaler, & Bucci, 1997).

وإن الأنماط المختلفة للنشاط المرجعي وتغير النشاط المرجعي المحوسب قد حُددت على انها وصف لجوانب متنوعة لعملية العلاج. وإن ذروة النشاط المرجعي والنشاط المرجعي المحوسب اكتُشفت في نمط اللغة التي تمثل مخططات الوجدان، كما سيناقَش بالتفصيل في الفصلين الثاني عشر والرابع عشر، كما أن مثل تلك اللغة هي الوسيط لنقل خبرة وجدانية خاصة في الخطاب المشترك. وإن تلك المقاييس والاخرى المحوسبة ومقاييس الحكم التقديري تسمح لنا بتتبع دورة العلاج وتقييم تاثير تدخلات المحلل بطريقة جديدة، كما سيُناقَش في الفصل السابع عشر.

الفصل الثاني عشر
مخططات الوجدان وتقلباتها

إن العملية المرجعية، التي قد ناقشتها للتو، ومخططات الوجدان، المفترض تغطيتها في هذا الفصل، عبارة عن تكوينات تنظيرية تميز نظرية الشفرة المتعددة عن نماذج معالجة المعلومات الأخرى في حقل العلم المعرفي. وإن تفسير مخططات الوجدان لتكويننا للذات ومعرفتنا معالم العلاقات الشخصية المتبادلة، تضع الأساس لمعالجة المعلومات الوجدانية بدلاً ممن نظرية معالجة المعلومات المعرفية.

تبدأ مخططات الوجدان في النمو بشكل غير لفظي، بما يتضمن عمليات الرمز الفرعي والرمز التصوري، من بداية الحياة، وفيما بعد، تُستدخل المكونات اللغوية أيضًا. وتُعرّف" مخططات الوجدان" بأنها تمثلات نموذجية للذات في العلاقة بالآخرين، بُنيت عبر تكرارات المشاهد مع حالات إنفعالية مشتركة. وإن الحالات الانفعالية تتكون من مجموعات من العناصر الحركية والوجدانية والحسية، والتي تُعد رمزية فرعية على نحو كبير، والتي ربما تظهر داخل أو خارج الوعي. وإن مثل تلك الحالات الإنفعالية مُنشّطة على نحو مكرر ومنتظم في الاستجابة لأحداث وأناس بعينهم. وإن المثيرات والمواقف التي ربما تكون منفصلة بوضوح إلى حد ما يتم ربطها من خلال تنشيط حالات إنفعالية متشابهة. وبنفس المنطق فإن الملاحظات المتكررة لموضوع ما تُشكّل وظيفيًا طبقات متساوية وصوراً نموذجية، فكذلك المشاهد المتكررة بجوهر إنفعالي مشترك، والتي تتضمن أشخاصًا آخرين في العلاقة بالذات، تُشكّل أيضًا وظيفيًا طبقات متساوية والتي من خلالها يتم تخليق صوراً نموذجية للمشاهد.

إن المشاهد النموذجية ذاتها، المُرسّخة في الذاكرة، تُشكّل تكوين مخططات الوجدان. فهي أحداث ملموسة جُعلت تجريدية، واستعارات لاحتمالات الحياة الشخصية، تستدخل ما هو من المرجح حدوثه عندما يكون لدى الشخص رغبة أو احتياجًا، وما هو الأمر المرجح أن يفعله الآخرون، وكيف يشعر الشخص على الأرجح. فهي تتضمن صوراً لموضوع الوجدان، والشخص الذي نكرهه أو نخافه أو نرغبه؛ فأنماط الخبرة الحشوية أو الجسدية مرتبطة باستحثاث حالة

وجدانية- بماذا نشعر، أو نتوقع أن نشعر، حشويًا، عندما نغضب أو نخاف أو نحب؛ وأنماط التنشيط مرتبطة بمثل ذلك الاستحثاث- للهجوم، للفرار، للملاطفة. وإن صور الناس الذين يظهرون في المشاهد النموذجية تُعطي معنى تواصلي ترميزي لمجموعات الرمز الفرعي للحالة الإنفعالية الجوهرية.

إن مفهوم شتيرن Stern (1985) بشأن تمثلات التفاعلات المُعمّمة ، والتي نوقشت في الفصل التاسع، تشير تحديداً إلى نمط المشاهد النموذجية التي تميز مخططات الوجدان. وإن تنظيم مخططات الوجدان لكل شخص يعتمد على التفاعلات الطفلية مع الأشكال المركزية في الحياة والمزيج الإنفعالي المرتبط بها. فالمشاهد المتكررة ربما تكون مُعرّفة لكل نمط للتفاعل الدّال من بداية الحياة- الإطعام، الفطام، تدريبات الاخراج، التدرب على النوم منفرداً. كما أن الطفل يشكّل مخططات نموذجية استناداً على ظواهر متعدة لمثل تلك الأحداث في سياقات مختلفة ولكن بتنشيط حسي وحشوي وحركي متشابه. وإن الظواهر المتعددة لنمط مشهد محدد، مقسم وظيفيًا بالتساوي، مع جوهر إنفعالي مشترك، ينتج الأشكال النموذجية المستمرة. فالمخططات النموذجية مع لاعبيها والأزمنة والاماكن، تُكوَّن أولاً في النظام غير اللفظي، وربما بعد ذلك توصف في كلمات. وإن المخططات المختلفة ربما تكون أيضًا مترابطة بطرق متعددة في فئات الوجدان النموذجية الأكثر عمومية. وفي أحداث الحياة المختلطة، تُشكَّل المخططات المختلطة والمترابطة.وهكذا، فإن مخططات الفطام مرتبطة بالإطعام ولكنها أيضًا ربما تكون مرتبطة بالغضب أو الهجر أو الاستكشاف أو إحساس السيادة أو بعضًا مختلطًا من أي منها. ووفقًا لشتيرن Stern، فإن ذكريات المشاهد النموذجية المتكررة تقدمً الأساس للنظام العام وتكامل الخبرة التي يكمن وراءها إحساس الفرد بذاته في العلاقة بالآخرين.

وإن ذاكرة الطفولة المبكرة ربما تكون مفهومة على الوجه الأمثل على أنها تمثل لمشهد نموذجي، بدلاً من حدثٍ واحدٍ بعينه، كما تمثّل مخطط الوجدان بتلك الطريقة. وإن مفهوم المشاهد النموذجية يقدم على الأقل تفسيراً جزئيًا للمفهوم التحليلي النفسي لذاكرة الصور: ثابتة، وخبرة باكرة لذاكرة يمكن النفاذ إليها

شعوريًا مشحونة انفعاليًا، والتي تقوم بكل من إخفاء وكشف المحتوى الأساسي. وإن الوظيفة الثنائية لمثل تلك المشاهد النموذجية- التمثل والإخفاء- كما تظهر في العمل الإكلينيكي، سوف تُناقَش بالتفصيل في الأقسام التالية.

مخططات الوجدان ومخططات الذاكرة

إن تكوين مخطط الوجدان ينبني على الاعتقاد الأساسي لمخطط الذاكرة (Bartlett, 1932). وكما عُرّف من خلال Bartlett، فإن مخططات الذاكرة هي تمثلات مُنظّمة لمعرفة ماضوية وخبرات مُنشّطة ومُبدّلة بخبرة جديدة وتحدد تفاعليًا كيف يتم إدراك الخبرة الجديدة. وإن المفهوم الأساسي لمخطط الذاكرة قد استمر تطبيقه بعدة أشكال مختلفة ومُفصّلة على أنه أساس تنظيم ذاكرة المدى الطويل ودورها في معالجة المعلومات (Rumelhart, 1980; Neisser, 1976). وإن باحثين آخرين قد صاغوا مفاهيم بنائية مرتبطة، مثل النصوص (Schank & Abelson, 1977) أو الأُطُر (Minsky, 1975). وما يُعد مركزيًا لمفهوم المخطط هو رؤية الذاكرة على أنها عملية نشطة لإعادة التصنيف وإعادة التكوين، وليس على أنها تكراراً بسيطًا للصور الثابتة مرة واحدة وبشكل دائم داخل العقل. وإن مخططات الذاكرة تستدخل، ضمن الأبنية ذاتها، الاحتمالية للنمو والتغيير، اعتماداً على المدخلات البيئية بدرجات متفاوتة.

وإن كل تنشيط للمخطط يخلق مُدخلاً جديداً يمتلك القوة على تبديل المخطط بطريقة ما. وإن المُدخل الحسي الجديد المُستدخَل ضمن مخططات تواصلية مُنظّمة يُقدّم الأساس لإدراكات محددة واستجابات في مواقف فريدة وجديدة. فمُدافع البحرية المُدرّب يستعيد المخططات العامة للمكان والحركة، ويُدخل البارامترات الفورية المحددة إلى تلك المخططات. فالمخططات تُمكّنه في كل موقف جديد أن يحدد زاوية الإطلاق الدقيقة نحو هدف متحرك من مصدر متحرك. ولاعب التنس يستحضر أبنية إدراكية حركية مُشيّدة لاستعمالها بطريقة مشابهة لعمل حساباته المستندة إلى السياق. وتحدد معرفة العالِم إدراكه لكل الأحداث الجديدة، لذا يرى معاني في أحداث بلا معنى بالنسبة لأشخاص غير

مدربين جيداً؛ ومن ثُم فإن المُدخل الجديد يوضح وينقح أكثر التمثل الداخلي للكون لدى العالِم.

ومثل كل المخططات، فإن مخططات الوجدان نشطة ودينامية، ودائمة التقدم، وغير مسجلة كأبنية ثابتة أو ساكنة. وإن تكرار المشاهد التي تُشكّل مخططات الوجدان النموذجية لا يُعد تكراراً بسيطًا. وإن التوقعات والاعتقادات المبنية داخل مخططاتنا الوجدانية تحدد كيفية إدراكنا للآخرين، ماذا نتوقع، وكيف نتصرف. وكل شخص يرى كل الخبرة التواصلية في سياق مخططات الوجدان التي قد بُنيت في حياته إلى تلك النقطة. وإن أحداث الماضي، والتي تُسترجع كذكريات، تُرى أيضًا ويعاد تكوينها في سياق الأحداث المتداخلة لحياة الشخص؛ وبذلك المنطق، فإن الحاضر يغير الماضي كلما يتم تذكره.

وبينما تتشابه مخططات الوجدان مع مخططات الذاكرة الأخرى في البنية الأساسية وكيفية المعالجة، إلا أنها تختلف في المحتويات، وتحديداً هيمنة المكونات الحسية والجسدية، وأهمية السياق التواصلي الذي تُسجّل بداخله المخططات ويتم استرجاعها .وكل ظهور لمخطط وجداني بسياق تواصلي جديد لديه إمكانية لتبديل شكله، اعتماداً على ما إذا كان التوافق أو عدم التوافق يظهر بين التوقع الذي تم توليده من خلال المخطط وموقف المثير؛ والأمر الأكثر حسمًا، لأي مدى يُدرك عدم التوافق او يُتجنب بطريقة ما . وإن محتويات مخططات الوجدان ذاتها تؤثر على الدرجة بحيث يمكن أن يتم تسجيل المُدخل الجديد لإحداث التغيير. وإن هيمنة أنماط محددة لمُدخَل رمزي فرعي لديها إمكانية لجعل مخططات الوجدان مقاومة تحديداً للتغيير، كما سنرى في الفصل الثالث عشر.

إن عمل عالِم الاعصاب إيدلمان Edelman (1989) يقترح أساسًا عصبيًا لتكوين المخطط، والذي يتوافق عن كثب مع الصياغة النفسية، والذي ينطبق كذلك على مخططات الوجدان. ووفقًا لإيدلمان Edelman، فإن المخ يُنظم المعلومات، بما يتضمن التمثلات الحسية والحركية، على أنها" خرائط" تفاعلية أو مجموعات لفئات عصبية؛ وهي مرتبطة بالمستقبلات الحسية وكذلك ببعضها البعض. فالخرائط تُصنِّف المثيرات الواردة من خلال التشابه وخصائص خبروية أخرى.

وتتفاعل لكي تبدع تصنيفات للأشياء والأحداث، كما تُعيد تصنيف المعلومات باستمرار في تفاعلاتها مع بعضها البعض. وهكذا، فإن الذكريات تؤثر على إدراكاتنا وكذلك تتأثر بهم. وإن الخرائط منظمة بمنهجية، ولكنها أيضًا قابلة لإعادة الصياغة وإعادة التصنيف على أساس المُدخل الجديد، ولذا فإن التصور المفترض كما خُزِّن في الذاكرة سيكون متاثراً بسياقه المكاني والزماني-ما الذي قد سبقه، و السياق الذي يظهر فيه، وكذلك ما الذي سيأتي فيما بعد.

إن تكوين مخططات الوجدان متوافق مع المدخل الحالي لنظرية الوجدان، والتي تستدخل رؤية للوجدان كمعالجة معلومات وجدانية (Bower, 1981; Lang, 1994; Mandler, 1984). ومن ثُم، كما نوقش في الفصل العاشر، فإن المعرفة، والوجدان، والتحفيز يتم رؤيتها على أنها تفاعلاً في قدرة الفرد التكيفية، وليس على انها عمليات متنافسة ومنفصلة. ووفقًا للانج Lang:

إن ذاكرة المشاهد الوجدانية يمكن أن تُرى على أنها شبكة معلومات تتضمن وحدات تمثل المثيرات الوجدانية، والاستجابات الحشوية أو الجسدية، ومعرفة دلالية (تأويلية) ذات صلة. فالذاكرة تُنشَّط من خلال المُدخَل الذي يتطابق مع بعض تمثلاتها. وبسبب الإتصالية الضمنية، فإن التمثلات الأخرى داخل البناء يتم إلحاقها أيضًا آليًا، وما أن تكون الدائرة ترابطية، فإن أي من الوحدات ربما تبادر أو تساهم لاحقًا في تلك العملية. (1994، ص.218)

وإن أي مكون يتم تنشيطه له القدرة على تنشيط عناصر أخرى، ولذا فإن اللغة أو التصور ربما ينشطان التقصي الحسي أو الخبرة الحشوية أو الفعل، وربما يحدث العكس. ويحاجج لانج Lang أكثر، أن مثل تلك الشبكات الوجدانية ربما تكون مُنمذجة على أنها شبكات فرعية عصبية ومترابطة ومتوازية، بخصائص المعالجة الموزَّعة المتوازية (PDP) أو الأنظمة الترابطية. وإن العمل التفاعلي لمخططات الوجدان متوافق أيضًا مع ماهو معلوم اليوم عن الفسيولوجيا العصبية للإنفعالات، كما لُخّص في الفصل العاشر. وإن الطبيعة متعددة المكونات للإنفعالات مُنعكسة في تنميطهم المخي المعقد والطبيعة الدائرية الرابطة للمهاد الحسي والقشرية وأبنية المخ الأوسط.

وإن أبنية مخططات الوجدان متوافقة أيضًا مع تعريف الإنفعالات من خلال كيرنبرج (Kernberg(1990 على أنها تستدخل مكونات حشوية، وحركية، وتمثلية رمزية. وإن كيرنبرج يستخدم مصطلح" الإنفعال" هنا بشكل أساسي بنفس منطق مصطلح" الوجدان" المستخدم من خلال المنظرين المستشهد بهم سابقًا:

أُعرِّف الإنفعالات على أنها أنماط سلوك نفسية فسيولوجية تتضمن تقييم معرفي محدد؛ ونمط تعبيري وجهي محدد؛ وخبرة ذاتية بطبيعة سارّة، أو مكافئة، أو مؤلمة ومكرهة؛ ونمط إفرا غ عضلي وعصبي مضطرب. وإن النمط التعبيري الوجهي جزءاً من النمط التواصلي العام الذي يفرق بين الإنفعالات الخاصة. (ص.118)

ومع ذلك، يبتعد التشفير المتعدد عند تضمين كيرنبرج لظاهرة الإفرا غ وارتباطًا بمفهوم الوجدانات على أنها " مجموعة بناء" للدوافع (ص.117)، ويضيف إطاراً تنظيريًا يفسر الإنفعال (أو الوجدان) بسياق أوسع لمعالجة المعلومات.

وربما نستطيع الآن أيضًا رؤية أن مفهوم مخطط الوجدان إعادة تقرير لمفهوم فرويد للطرح، بمصطلحات معرفية أكثر عمومية:

دعنا نضع في عقلنا بشكل واضح أن كل كائن حي قد اكتسب فرديته الخاصة في ممارسة قدرته على الحب، بواسطة إجراء مشترك لسماته المتأصلة والتأثيرات الخارجية في الطفولة، بمعنى، في الظروف التي يؤسسها لأجل الحب، وفي الاندفاعات التي يشبعها من خلاله، وفي الغايات التي يبدأ في تحقيقها داخله. وإن ذلك يُشكِّل صيغة نمطية أو قالبًا بداخله، إذا جاز التعبير (أو حتى العديد منها)، والتي دائمًا ما تكرر وتعيد إنتاج ذاتها مع استمرار الحياة، وحتى الآن فالظروف الخارجية وطبيعة السماح بالنفاذ لموضوعات الحب والتي هي بالفعل في ذاتها إلى مدى معين مُعدّلة بالانطباعات اللاحقة. (1912, p.99)

إخفاق عملية الترميز
وكيفيات الإصلاح

إن مخططات الوجدان هي الأساس لتنظيم الذات التي تحدد ما نعرفه كشخصية وتحدد أغراضنا واختياراتنا على مدار الحياة. وإن مفهوم مخططات الوجدان يشكل شبكة واسعة، تفسّر وظائف تكيفية وكذلك غير تكيفية. وفي التحليل النفسي، نحن مهتمون تحديداً بالمخططات غير التكيفية، وكيف تُشكَّل، وكيف تُحدث تغييراً. وهكذا فإن النظرية تقدم على نحو محتمل أساسًا لتفسير علم الأمراض بسياق أوسع للنظام النفسي. وفي نفس الوقت، فإن فهم عدة طرق مختلفة والتي بداخلها ربما تصبح معالجة المعلومات الوجدانية مضطربة يمكن أن يساعد في تنقيح وإيضاح المفاهيم الأساسية لمخططات الوجدان وأنظمتها. وإن الصياغة التي من المفترض تقديمها هنا مُتعمَّدة كخلاصة عامة تحتاج لأن يتم ملأها، وليست كنظرية فهم لعلم الأمراض النفسية أو لكيانات مرضية محددة. وإن تنظيم مفاهيم التشفير المتعدد على كيانات مرضية محددة يُشكِّل مشروعًا خاصًا به. وحتى في تلك الصياغة المبدئية، مع ذلك، فإن بعضًا من التأثيرات الإكلينيكية للنظرية ربما تُرى أنها تتباعد عن الافتراضات التحليلية النفسية المعيارية، والقضايا المتناقضة يمكن تقريرها واختبارها، كما سنرى.

تشكيل مخطط مرضي

" كما أن كل عائلة تعيسة تكون تعيسة بطريقتها الخاصة" (Tolstoy, 1939, p.3)، لذا فإن التكوين المبدئي للمخططات غير التكيفية ربما يحدث من خلال وسائل عديدة مختلفة، العديد من العلل التي ورثتها النفس البشرية: رغبات صراعية، ومشاعر اليأس، والاندفاعات التدميرية تجاه الآخرين أو الذات، وتوقع الهجوم أو الهجر. وينبغي أن نلاحظ أن وصف الأبنية غير التكيفية، كما اقترحتُ هنا، مستند إلى مفاهيم عامة لتنظيم الشخصية، وليس أي نظرية إكلينيكية محددة. وإن مداخل أكلينيكية محددة– مثل العلاقات بالموضوع، أو علم نفس الدافع أو الأنا، أو مدخل كلاين، أو علم نفس الذات– ربما تكون بشكل عام

قابلة للترجمة لمثل تلك المفاهيم العامة، وأن الاختلافات بينها ربما تصبح حينئذٍ قابلة للتقرير ومن الممكن حتى أن تصبح قابلة للاختبار ميدانيًا. وفي صياغة عامة تختص بمستوى تجميعي لتنظيم الشخصية، فإن المدخل المُقتَرح هنا يشبه محاولة والرشتاين Wallerstein (1993) وزملائه لتحديد" ' الكفاءات النفسية' التي سيتوافق أنصار كل المناظير التحليلية النفسية السائدة على كونها يُعزى إليها إيضاح وصف وظائف الشخصية" (ص.309) وإن مدخل التشفير المتعدد يضيف المنظور بأن تطور وتعريف مثل تلك المجموعة من الابنية يتطلب نظرية عامة لتنظيم نفسي، وشبكة إسمية، والتي تتضمن وظائف تكيفية وكذلك غير تكيفية، والتي بداخلها الأبنية على مستويات متنوعة من التجريد ربما تكون مُعرَّفة في علاقتها مع بعضها البعض والأحداث القابلة للملاحظة.

وفي الوظائف التكيفية، تكون مخططات الذاكرة منفتحة للتغيير بشكل مستمر. وكل حدث لمخطط له القدرة على إدخال معلومات جديدة بداخله ومن ثم تغييره بطريقة ما. وإن التغير في مخططات الوجدان، والتي تكون مُهيمَن عليها من خلال مكونات رمزية فرعية، هي بشكل عام أكثر صعوبة لإنجازها عن مخططات الذاكرة الأخرى. وإن عمليات رمزية فرعية تعمل على الفور وبفاعلية ما دامت مطابقة؛ وحيث تكون المطابقة غير جيدة، فإن معالج رمزي فرعي ربما لا يكون قادراً على تنفيذ إعادة التوجيه المطلوب. فلاعب التنس يعرف أنه لا يضرب الكرة جيداً ولكنه بشكل عام غير قادر على تصور السبب. وإن المعالج الرمزي يحتاج للبدء سريعًا عند تلك النقطة؛ فاللاعب يحتاج لتحديد عناصر محددة لحركة قدميه، أو توقيته، لرؤية ما الذي لايعمل ولتطوير نمط جديد للعمل. وربما يحتاج لشخصٍ محترف ليساعده على إدراك الخطأ والتغييرات المطلوبة.

إن التغيرات في مخططات الوجدان تقدم كل مشكلات المخططات المعرفية والحسية الحركية وأكثر من ذلك. وإنها لطبيعة مخططات الوجدان، كما لكل مخططات الذاكرة، أن أي عنصر لمخطط ما- كلمة، وصورة، وفعل، ورائحة- ربما يُنشِّط أي عنصر آخر. وعندما يُنشَّط مخطط وجدان سلبي من خلال أي من عناصره، فإن جوهر الإنفعال والاستجابة السلوكية المرتبطة بالمخطط

ستُستحث أيضًا. وإن المخطط ربما يُستحث في خبرة جارية أو يُنشَّط من خلال الذاكرة أو التخيل. وفي حالة المخططات السلبية والصراعية، فإن المكونات الحسية والحشوية، والتي لا يمكن تنظيمها أو التحكم فيها عمديًا، من المرجح أن تستدخل الألم. وبذلك المنطق وبصيغة تتبعية نوعًا ما، فإن توقع حدثًا ما مُريعًا يُعَد إعادة جزئية له، مع مكوناته الجسدية المؤلمة. وإن قوة القلق ربما تُفهم بتلك المصطلحات. إنه الألم ذاته– مُقاس ومُخفف– ولكنه ألم. ويشعر به الفرد الآن، ويتوقع أن يشعر بالمزيد؛ ومن المرجح أن يكون غرضه حينئذٍ تخفيف الألم أو تجنبه.

وبعض الناس الذين ربما قد طوروا مخططات الحماية أو التهدئة، ربما يستدخلون صوراً مُتَمَثَّلة للحارس، والتي يتم تنشيطها استجابة لتوقعات مؤلمة وتمكن بعض الشيء من تنظيم الإنفعال.ولو أن الإنفعال غير قوي، أو لو أن مخططات تهدئة الذات فعالة في ضبط الإنفعال، ربما يكون الفرد قادراً على اختبار صدق التوقع كما يحدث في الواقع أو الخيال. وربما يكون قادراً على فهم المعلومات الجديدة في المواقف الجديدة واختبار التوافق أو عدم التوافق بين التوقع والحدث كما يحدث بالفعل. وإن التوقعات والاعتقادات المرتبطة بالأحداث المُهدِّدة ربما يتم تغييرها، وفي النهاية يُعاد بناء المخطط.

ولو أن الإنفعال المؤلم ساحق، فإن مخطط الوجدان المرضي من المرجح أنه قد تم تكوينه. وسأفحص جانبين لتطور وصيانة مخططات الوجدان العُصابية التي تحدد طبيعتها المؤلمة والجامدة: 1) الانشقاق الدفاعي، والذي ربما يُطلَق عليه مصطلح التفكك الترميزي؛ 2) ومحاولات الاختلال الوظيفي عند الإصلاح، أي عملية إعادة الترميز.

الانشقاق والتفكك الترميزي

إن الفرد تحت سيطرة الوجدان المؤلم لا يمكنه التحكم بشكل مباشر في المكونات الرمزية الفرعية. وإن الرموز إلى حدٍ ما هي ما نحن قادرين على تنظيمه وتوجيهه. ومع ذلك، في الإضطراب العُصابي، بدلاً من استخدام النظام الرمزي لفحص أو تقييم المعنى الوجداني للخيال أو الحدث المتوقع، أو لاختبار صحة

التوقع، فإن الفرد ربما يحاول تجنب الرموز بالالتفات عنها أو استبعادها بطريقة ما. وهكذا فهو يتراجع، أو يتصرف بطريقة مدمرة بشأن الأشياء، والصور، والأصوات، والكلمات المرتبطة بالمخطط والتي ستخدم في تنشيطه. فهو ربما يتجنب مثل تلك الكيانات في الواقع أو يحول الانتباه بعيداً عنها حيث تكون مُمثَّلة في التصور أو الذاكرة. وإن عمل الانشقاق أو تفكك الترميز، حيث يتم قطع الاتصالات بين مكونات المخططات الرمزية والرمزية الفرعية ،يعني العمل عكس عملية تنظيم المخططات. وإن عمل الوقاية وبناء ما نفكر به على أنه اللاشعور الدينامي مُفسَّر من خلال مثل ذلك الانشقاق.

إن استراتيجية التجنب غير تكيفية بعدد من الطرق. وإن المحتويات الرمزية الفرعية المؤلمة تستمر في العمل حتى إن كان الموضوع الرمزي مُتجنَّب، ولكن دون أن يكون معلومًا أو معترفًا به. ومثل كل المكونات الرمزية الفرعية غير المرتبطة بالرموز، فإنها ربما تكون مُدرَكة على أنها خارج الذات، وخارج المجال الذي يكون للمرء سُلطة عليه. وفي نفس الوقت، فإن الفرد قد تراجع وابتعد عن الرموز ومكونات مخططات الوجدان التي بشكل محتمل يوجهها عن عمد. وهكذا فإن الطفل، أو البالغ، الذي ينفذ استراتيجية التجنب هذه من المحتمل أنه سيكون في موقف خبروي لاستحثاث عالي للمكونات الجسدية أو الحركية لمخطط الوجدان، والتي ستغطي المواقف باستثناء الذي تم استثارته فيه، دون وسائل تنظيم رمزي، أو التواصل مع الآخرين، أو التنظيم من خلال الذات.

تلك هي الطبيعة الخاصة لمخططات الوجدان التي تؤدي إلى ثباتها وانتشارها. وإن توقع المخطط المفزع، بجوهره الإنفعالي، هو مؤلم في ذاته ومن ثم فهو يتحقق من صدقه ذاتيًا. وإن استراتيجية الانشقاق أو التفكك الترميزي تُعيق عمليات التقييم الجارية واحتمالية تنظيم الذات. وإن مخططات الوجدان المؤلمة تصبح حينئذٍ مستمرة ذاتيًا وتتضمن على نحو متزايد نطاقًا واسعًا من المواقف باستثناء تلك التي أُثيرت بداخلها في البداية. وإن الفرد يشعر بأنه مُثار، دون معرفة معنى الإثارة، وسيشعر بذلك في عدة سياقات حيث ربما لا تكون الإثارة تكيفية.

الإصلاح المختل وظيفيًا: المحاولة لإعادة الترميز

لاستعادة الشعور بالسيطرة على حالته الجسدية أو الوجدانية، فإن الفرد يحاول بشكل عام تقديم معنى ما للمشاعر التي قد نُشِّطت، لربط العمليات الرمزية الفرعية بالرموز مرة أخرى. وحيث أنه في عملية تجنب المعنى أو المصدر الفعلي للإثارة، فهو بحاجة لتوليد سيناريوهات جديدة، بموضوعات جديدة تُفسِّر الإنفعال المُثار. فهي أنواع العمليات التي قد سُمِّيت" العزو" داخل النظريات المعرفية للوجدان، كما نوقش في الفصل الثامن.فهي ربما تكون مفهومة بمصطلحات تحليلية نفسية على أنها إزاحة وعمليات دفاعية مرتبطة. وإن الموضوع الجديد أو الموقف الجديد من المرجح أن يكون مشابهًا أو مرتبطًا بعناصر رمزية منشقة للمخطط ولكنه بعيد ومختلف بصورة كافية حيث لا يكون الإتصال مرئيًا. وإن الطفل الذي يكون في حالة غضب من أمه يشعر بانفعال قوي جداً وإثارة جسدية ولكن ربما لا يشعر أنه قادر على تحمل معناه الوجداني والعواقب المحتملة. فهو يبحث عن معنى مختلف، معنى يفسر الإثارة بينما يحاول منه الفهم لموضوعاته الحقيقية. فهو ربما يقوم بتأويل الإثارة على أنها مشاعر غير الغضب، وربما يَخبُره في علاقته بشخص ما عدا والدته، أو على أنه موجَّه ضده.

وكما قد يكون فإن بناء المخططات الجديدة غير واقعي ويشكل محاولات ترميزية وشفاء تلقائي في المجال التمثلي، في حين بقاء الانشقاق الدفاعي الأَوَّلي. وحيث أن الفرد مازال يتجنب بنشاط المعنى الوجداني الفعلي للمخطط، فمع ذلك فإن التنظيم والتحكم سيكونا زائفين. وإن المخطط يظل غير تكيفي، ومستمر، ومنتشر، ولكن ربما بطريقة مختلفة، مع تأثيراته الثانوية الخاصة به. وإن محاولة إعادة البناء ذاتها تُعد مكوَّنًا للبنية المَرَضية تحدد الشكل المُخصص الذي يكون عليه المخطط العُصابي. وإن الحاجة العامة أو الرغبة في الرموز، أو المعنى، لها احتمالية التأثير الإيجابي مع ذلك في بقاء أساس للإتصال بالموضوعات وللشفاء.

" الحلقة المفرغة" وإصلاحها

إن إنشقاق الوظائف الرمزية الفرعية عن الوظائف الرمزية هو ما يعيق التغير والنمو في مخططات الوجدان من الحدوث بطريقة تكيفية. ذلك هو الجوهر العام للاضطراب العُصابي. وإن خلاصة الوضع أن التحليل النفسي مُتناسب على نحو فريد مع العلاج، وأيضًا الوضع الذي يحقق مثل هذا العلاج يكون أحيانًا غاية في الصعوبة. وإن صياغة ستريتشي Strachey (1934)" الحلقة المفرغة [9] " العُصابية ربما تُفهم ببساطة أكثر في ذلك السياق. ووفقًا لستريتشي Strachey، فإن الغرض من العلاج التحليلي النفسي هو كسر الحلقة المفرغة، ولذا فإن عمليات النمو ربما تتابع مسارها الطبيعي. ويصف تلك العملية بمصطلحات ميتاسيكولوجية:

على سبيل المثال، لو امكن جعل المريض أقل خوفًا من اناه الاعلى أو موضوع متمثَّل، سوف يُسقط صوراً مرعبة بدرجة أقل على الموضوع الخارجي ومن ثم سيكون أقل احتياجًا للشعور بالعداوة تجاهها؛ وإن الموضوع المُتمثل حينئذٍ سيكون في المقابل أقل عنفًا في ضغطه على اندفاعات الهو، والتي ستكون قادرةً على فقدان شيئًا من وحشيتها البدائية. وباختصار، سيتم إنشاء دائرة السعادة بدلاً من الإيذاء. (ص.341)

وإن تكوينات مخططات الوجدان والعملية المرجعية تُفسّر الملاحظات الإكلينيكية المرتبطة بالحلقة المفرغة العُصابية وإصلاحها، دون استدعاء الآلية المفاهيمية الفاشلة للميتاسيكولوجي. وإن الحلقة المفرغة العُصابية تتضمن إنشقاق مكونات رمزية فرعية لمخطط الوجدان الذي ينظم نسق الصور والكلمات، بينما الشعور المؤلم المستمر المُثار يصبح أيضًا أكثر انتشاراً. وإن التغير البنائي المطلوب والذي من الصعب إنجازه هو اتصال الجوهر الإنفعالي المنشق لمخطط وجداني بالرموز التي تعبر عن معناها الوجداني الفعلي. وإن ذلك ربما يتطلب التخلي عن معنى رمزي مُزاح، والذي ربما يكون في ذاته مُسبِّبًا للصعوبة والألم. وإن إعادة تنظيم مخططات الوجدان بالطرق المستمرة هو الأمر المعني بالتغير

٩ الحلقة المفرغة هي المواقف التي يكون الحل الظاهر لمشكلة واحدة في سلسلة من الظروف يؤدي إلى مشكلة جديدة .

بروفة أولى حسان

البنائي. وإن مثل ذلك التغير هو الغرض الأساسي للعلاج التحليلي النفسي، تمايبزاً عن أشكال العلاج الأخرى.

وإن العلاج التحليلي النفسي صُمم خصيصًا ليسمح بتنشيط مخططات الوجدان القديمة، مع جوهرها الإنفعالي، في سياق تواصلي جديد حيث يمكن قبولها، وفحصها، وإعادة بناءها، وحيث يمكن تطوير معاني وجدانية جديدة. وإن التغير المرجو، والذي من الصعب إنجازه، يعتني بمكونات مخطط رمزي فرعي حسي، وحشوي، وحركي، ولذا فإن الفرد يشعر فعليًا بالاختلاف، ويرى العالم بشكل مختلف. وإن تنشيط المخطط ذاته، بمكوناته الرمزية الفرعية ، ضروري ليسمح بمثل ذلك التغيير. وإن التوقعات القديمة تحتاج أن تكون مُخبرة، مع مكوناتها الفسيولوجية والحركية، وكذلك التصورية، في سياق العلاج. وليس كافيًا أن نتحدث عن التوقعات الوجدانية والاعتقادات؛ فيجب أن تكون مُخبرة على مستوى جسدي, وبنطاقٍ كافي.

إن تنشيط مكونات رمزية فرعية ربما يظهر من خلال استعادة ذكريات المواقف حيث مخطط وجداني قد طُوِّر وربما أيضًا ينشأ مباشرة، وفي العلاقة بالمحلل. وإن قوة الطرح مفهومة جيداً بصورة مباشرة بذلك المنطق. وإن المخططات المرسَّخة من خلال التفاعلات المتكررة مع الأشكال المركزية في ماضي الفرد تستدخل الآن الموضوع الجديد، أي المحلل. ومن ثُم يتطور المخطط في العلاج، ولكن في النهاية، من المأمول أن يكون إعادة بناء بدلاً من كونه تكرار. وبتلك الوسائل، فإن طبقات الخبرة الجديدةالمُعَادِلة وظيفيًا ربما يتم تشكيلها، بما يُمكِّن من إعادة تصنيف الحقل التواصلي.

إن العلاج يعمل بعدة طرق مختلفة لتمكين تنشيط المخططات ولإحداث التغيير: من خلال الإمداد بسياق تواصلي جديد يتضمن استجابات مختلفة أكثر إيجابية؛ ومن خلال تعزيز نمو مخططات جديدة لتقبل ورعاية الذات، وتعرف المريض بواقعية قواه الحالية؛ وكذلك من خلال تأويل، وفحص، وإعادة بناء الخبرات المُخبَر عنها والمُطوَّرة. وإن إجراء تلك العملية سيُوضَّح ضمن مادة إكلينيكية على أن يتم تقديمها في الفصل السابع عشر.

نموذج تكويني للدفاعات

بافتراض صياغة مخططات الوجدان غير التكيفية، فإن نموذج مكوناتي للدفاع ربما يتم افتراضه، بما يعكس مستويات مختلفة للانفصال بين الأنظمة. وعمليات مختلفة لمحاولة تعويض وإصلاح الخلل الوظيفي. ولا أحاول تطوير نموذجًا شاملاً للدفاعات هنا، أكثر مما أحاول تطوير صياغة مرضية معينة، ولكن لتقديم إطار عام ذو معنى إكلينيكي وقابل للدراسة الميدانية أيضًا.

وإن الدفاعات ربما توصف على أنها تستدخل كلاً من الانشقاق ومحاولة الإصلاح، وربما تكون مميزة في ضوء تأكيداتها النسبية فيما يتعلق بتلك الوظائف. وسأقترح أن الدفاعات التي هي معنى رمزي تدميري من المرجح اعتبارها دفاعات مستوى أدنى أو نكوصية؛ وإن دفاعات المستوى الاعلى تلك التي تحمل بعضًا من معنى الرمزية في ذاتها. وإن أغراض أو آثار الدفاعات المحددة، كتلك التي لأعراض محددة، تحتاج أن تكون مُفسَّرة على وجه الخصوص في كل حالة فردية. وإن أنماطًا متنوعة من الدفاع من المرجح أنها تعمل بطرق فردية في كل حالة للعُصاب؛ فالبعض يعمل على إبقاء الانشقاق المبدئي والبعض الآخر يعمل على إصلاحه. وكما قد رأينا، الرموز الجديدة التي يتم استدخالها في محاولة الإصلاح ربما تكون تكيفية أو ذات خلل وظيفي بدرجات متفاوتة.

إن تكوين الكبت يتناول نظامًا ممتداً للمعنى ضمن صياغة الشفرة المتعددة. وهكذا، في أبسط مستوى، فإن الكبت سيتضمن كسر أو إعاقة الروابط المرجعية بين تصور رمزي غير لفظي والكلمات، والذي يظل تاركًا الاتصالات بين خبرة رمزية فرعية والصور في مكانها. وفي مثل تلك الحالات، فإن النظام الرمزي الأساسي لمخطط الوجدان سيظل داخل النظام غير اللفظي، على الرغم من أن الفرد لمجموعة متنوعة من الأسباب، لا يستطيع ان- أو لا- يجد كلمات لنقل ما يخبُره.

وليس واضحًا أن الانشقاق من المرجح حدوثه بذلك الشكل البسيط، أو أنه، لو حدث، سيبني جانبًا لدفاع عصابي. وبدلاً من ذلك، فمن المرجح أن التفكك الترميزي يُحدث تغذية راجعة تتضمن الانشقاق بين المكونات غير

اللفظية للمخططات الوجدانية ذاتها، وكذلك بين الصور والكلمات.وهكذا، فإن الانشقاقات ربما تظهر بين مكونات التنشيط الحسية، والجسدية، والحركية في شكل رمزي فرعي، وبينها وبين صور "الموضوعات،" أي الناس الذين يظهرون في المشاهد المتكررة التي تبني المخطط. وبشكل عام، مثل ذلك التفكك الترميزي من المرجح أن يكون أكثر شدة للمدى الذي يكون التنظيم الباكر أضعف، أو الصدمة أعظم.

وفي الموقف حيث المخططات السليمة نسبيًا قد شُكِّلت في وقت سابق وبعض الاتصالات بالرموز لا تزال في وضعها، فإن الجوهر الإنفعالي المُثار، مشاعر الغضب أو الرغبة أو الرهبة، ربما يكون موجهًا نحو موضوعات بديلة تشبه الموضوع الذي قد تم الوقاية منه، كما في الاضطرابات العُصابية المتضمنة للإزاحة. وإن انتقاء موضوعات رمزية جديدة مشتق من طبيعة المخطط، والذي يناضل الفرد لكل من ترميزه وتجنبه، وكذلك من خلال مستوى الانشقاق الذي قد ظهر. وإن مباديء تنظيم انظمة رمزية ورمزية فرعية تعمل لتحديد اختيار الموضوعات الجديدة والأبنية الجديدة التي تُشكَّل. وإن ذلك الشكل للإنشطار، حيث تظل الوظيفة الترميزية فعالة نسبيًا، ربما يكون مهيمنًا في الحالات التي قد شكَّل بها الطفل مبدئيًا مخططات وجدان إيجابية تستدخل تمثلات الراعي ومن ثُم يَخبُر مشاعر صراعية– غضب أو رغبات ممنوعة– موجهة نحو موضوع التعلق.

ولو أن الاشكال المركزية للقائمين بالرعاية في ذاتها لها تاثير أكثر تهديداً بشكل عام بدلاً من تأثير مُنظِّم أو مُهديء، ويثير الرهبة أو الغضب، ويحفز الإنسحاب أو الهجوم، فإن اضطراب التنظيم الأساسي لمخططات الوجدان والطرح مع عملية الترميز من المرجح أن يكون في المقابل أكثر حدة. وبعض الوساوس أو القهور ربما تُهم بتلك الطريقة– كمحاولات رمزية للتفسير والتحكم في الإثارة التي لها معنى حقيقي يتم الوقاية منه. وفي حالات أخرى، فإن تصنيفات رموز الموضوع المرتبطة بجوهر الإنفعال المؤلم ربما تكون مرفوضة دون أن تكون مستبدلة بموضوعات بديلة محددة. وإن المكونات الحركية للهجوم،

أو الخوف من الهجوم، ربما توجَّه نحو الذات، كما في الاكتئاب، أو نحو الجسد أو أجزاء من الجسد، كما في أشكال الجسدنة المتنوعة. وإن افتقار القدرة على تبديل موضوعات رمزية في مخططات الوجدان ربما تعكس كثافة المكونات المؤلمة لمخطط الوجدان أو تَكسُّر أكبر لمخططات الوجدان في النمو الباكر أو في مسار الحياة. إنه فقط مثل ذلك الضعف البنائي، الذي يقود إلى عدم القدرة على استخدام الموضوعات بطريقة متكررة، وهو ما يتسبب في جعل بعض الأفراد عُرضة لاضطراب ضغط ما بعد الصدمة،أو لاضطراب الجسدنة، وهو ما يجعل الفنيات التحليلية النفسية أقل ملائمة لمثل تلك الاضطرابات.

وإن الانشقاقات الأعمق تتضمن فشل تنظيم مخططات الوجدان حول الرموز، بدلاً من اضطراب المخططات التي قد نُظِّمت سابقًا لدرجة ما. وإن ذلك ربما ينتج من غياب موضوعات إنسانية متسقة وتنظيمية في الحياة الباكرة للطفل، أو من العجز العام، ربما البنائي، عن بناء الأشكال الرمزية.ومثل تلك الانشقاقات، في أشكالها الأكثر حدة، ربما بمحددات عصبية، ربما تكون مرتبطة باضطرابات مثل التوحد وأشكال الفصام.

مستويات العملية الترميزية:
إستدلالات في العلاج

إن نموذج المرض والدفاع الذي قد افتُرِض هنا له تضمينات محددة في عملية العلاج، بما يتضمن حالات حيث العلاج التحليلي النفسي لم يُرى مسبقًا بكونه ممكنًا. وحيث تستدخل المخططات الإيجابية القائم بالرعاية الذي كُوِّن مبدئيًا خلال نمو الفرد، فإن إصلاح الانشقاق الوجداني، كما يظهر ذلك في العلاج، ربما يكون من المتوقع اتباعه لمسارمتوازي بعض الشيء. وكان القائم بالرعاية هو رمز الموضوع الأوَّلي الذي ينظِّم مخططات الوجدان في النمو الطبيعي؛ وفي العلاج، وظائف المحلل كموضوع جديد في إعادة بناء المخططات التي كانت قد انشقت. وإن الرغبات الصراعية التي تقود للانشقاق الأصلي ستنبثق مجدداً في العلاقة الجديدة، حيث يمكن حدوثها بطريقة جديدة. وإن

المحلل يقدم موضوعًا جديداً، والعلاج يقدم سياقًا جديداً؛ فالقصة القديمة يتم إخبارها بطريقة جديدة. وإن مخططات جديدة والتي تُعد أكثر صدقًا في الحياة الجارية، وكذلك ربما يتم تكوين مخططات التهدئة والحماية.

وفي أغلب الأمثلة، فإن عملية طرح المشاعر من موضوع تواصلي مزاح إلى المحلل لن تستمر مباشرة بتلك الطريقة. وفي عدة حالات للانشقاق أو التفكك الترميزي فإن المشاعر لا تُنظَّم في شكل يسمح بمثل ذلك الطرح. وطبقًا للنظرية المُطوَّرة في الفصل الحادي عشر، لو أن التوافق الإنفعالي الموصوف من خلال شتيرن Stern(1985) لا يظهر ضمن المدى المقبول، مع شكل ثابت للقائم بالرعاية، فإن العملية المرجعية ذاتها لن تتطور، وتكون المعاني الوجدانية سوف يُعاق. وهنا، فإن الدور الرمزي غير متاح للخوض في موضوع جديد؛ فالمكان غير متاح. وإن دوراً جديداً يجب أن يتم ابداعه، وإن مخطط الوجدان يجب أن يكون منظَّمًا بطريقة أكثر جوهرية.

وفي مثل تلك الحالات، معرفة أنك مريض سيتطلب نمو القدرة على الترميز، للتمكين من استمرار العلاج. وإن نمو العملية الترميزية يظهر بجانب نمو توقعات تواصلية وجديدة؛ وإن تلك الانماط للمعرفة يجب أن تستمر بطريقة تفاعلية. وإن الاتصالات الجديدة بالموضوعات في السياق التواصلي، وفي الذاكرة، وفي شخص المحلل، وفي حياة المريض الجارية تيسر العملية الترميزية؛ وإن نمو القدرة على الترميز يسهِّل اتصالات أخرى بالموضوعات.

وكلما كان الانشقاق المبدئي حاد، كلما كان ترميز مشكلة المعرفة أصعب. وفي بعض الحالات التهديد المُجسَّد في المخططات المفزعة يُخبَر على أنه غاية في الشدة حيث ينقلب الفرد ضد العملية الترميزية ذاتها بطريقة أكثر شمولاً. وفي نفس الوقت، فإن مكونات الترميز الفرعي- الكارثية المحتملة والألم والرعب المُهلك الذي تتم خبرته- هم الأكثر حدة أيضًا. وإن متلازمة البلادة الشعورية (كونها مشاعر بدون كلمات)، كما عُرِّفت من خلال مارتي ودي موزان Marty & de M'Uzan (1963)، ونيميا وسيفنوس Nemiah & Sifneos (1970a, 1970b)، وآخرين، ربما تُرى أنها تعكس مثل تلك الأزمة الخاصة بالترميز. وإن

الحالات بتلك الطبيعة، كما في اضطراب ضغط ما بعد الصدمة، و الجسدنة، واضطرابات الإدمان، غالبًا ما كانت تُرى على أنها غير قابلة للعلاج النفسي الدينامي. وكما قد أشار كرستال Krystal:" بلادة المشاعر هي السبب الوحيد الأكثر شيوعًا للمُخرَج الضعيف أو الفشل التام للتحليل النفسي والعلاج التحليلي النفسي" (p. xi,1988).

وحيث توجد مثل تلك الحالة من الفزع أو الغضب المرتبطة برموز الموضوع، فإن إصلاح العملية سيكون أكثر تعقيداً. وفي تلك الحالات، فإن تجنب الرموز، أو مهاجمتها، ربما يُطوّر بنشاط في علاقة العلاج الجارية وأيضًا إعادة خبرة العلاقات الباكرة في الذاكرة. ولتمكين بدأ عملية إعادة الترميز، على الأقل بطريقة بسيطة، فإن علاج مرض الصدمة أو الجسدنة ربما يتطلب التركيز على أي الكيانات المنفصلة والمحددة تكون متاحة للتوظف كرموز تنظيمية داخل مخططات الوجدان، قبل أن يتم بناء الاتصالات الجديدة بموضوعات الترميز الأخرى، أي الأناس الآخرين. تلك هي النقطة التي تتباعد عندها آثار مدخل التشفير المتعدد عن الرؤية التحليلية النفسية. وإن الأعراض والأفعال ربما تعمل بطريقة تقدمية لعملية ترميزية أخرى، بدلاً من أن تكون نكوصية، كما يوحي نموذج الإفراغ، وكما قد افتُرض بشكل عام. وإن الأعراض أو الأفعال ذاتها تلعب دوراً ترميزيًا حيث تُخشى وتُرفض كيانات الترميز الأخرى. وفي حالات التفكك الترميزي الحاد، فإن عَرَضًا جسديًا محدداً أو ألمًا حاداً ربما يشكلان الكيان المستقل المتاح الوحيد بما يسمح بدخول مخطط الوجدان إلى المجال الرمزي. وهذا يُعد سببًا واحداً لاستمرار المرض مع أعراضهم بقوة– لأنهم يشكلون طريقة المعنى، بدلاً من كونهم يعيقون المعنى.

وإن تلك الصياغة لدور الاعراض تتوافق مع وصف فرويد (1895b, 1900) لأعراض معينة على أنها تحمل المعنى، بما يشبه المحتوى الواضح للأحلام. ومع ذلك، نحن نفترض دوراً محدداً وميسَّراً للأفعال أو الأعراض الجسدية في عملية الترميز، بدلاً من رؤية الأعراض على أنها كيفيات إفراغ بديلة. وإن رؤيتنا تتعارض مع الافتراض المقبول على نطاق واسع للإفراغ التعويضي أو البديل،

والذي يتم الاحتفاظ به بشكل عام حيث أن الاتصال بمفاهيم الطاقة ربما لا يكون معترفًا به. وهكذا، فقد افترض كيرنبرج Kernberg (1984) علاقة عكسية بين الفعل العدواني والتعبير اللفظي. ويشير مكدوجل McDougall (1989) إلى الجسدنة، وكذلك الفعل، على أنها بدائل للتفكير:" والتي من خلالها يشتت شخص الوجدان بدلاً من التفكير في حث الحدث والمشاعر المتصلة به" (ص.15).

إن النموذج لعلم الأعراض وشفائه الذي أفترضه يقدم وصفًا جديداً للعلاقات بين التعبير اللفظي والقلق أو الجسدنة، بما يتضمن الحالات التي في ظلها ربما تكون العلاقة الإيجابية متوقعة بدلاً من السلبية، وكذلك تقود إلى آثار مختلفة على العلاج. وإن الخطوة الأولى لعملية الترميز، والتي تُعد ضرورية لاستمرار العلاج، ربما تكون في جعل المريض الخبرة الحشوية أو الحركية منفصلة واستحضارها في مجال التأمل. وإن الحديث عن الأعراض أو الأفعال– وربطهم برموز لفظية– له حينئذ المزيد من القوى الجديرة بالاعتبار، بما يقوي عملهم الرمزي وإدخالهم إلى الخطاب المشترك. فالمريض يستطيع التركيز على العَرَض وتقديم ارتباطات بالسياقات والمخططات والتي تظهر بداخلها من مدة طويلة قبل الدور لأي موضوعات اتصالية في مخطط الوجدان يمكن أن تكون معروفة. وفي النهاية، من خلال التركيز على الأعراض في الخطاب المشترك، فإن مخططات الوجدان ربما تكون مُطوَّرة في العلاقة لدرجة ما، وأن أدواراً جديدة لموضوعات تواصلية جديدة ربما يكون قد تم إبداعها. وعن طريق تلك الوسيلة، فإن المخططات التي يتصورها المحلل ربما تُشكَّل في النهاية، وربما تصبح حينئذ في النهاية ممكنة في الوصول للمرضى الذين لم تتم رؤيتهم مسبقًا قابلين للوصول إليهم بالعلاج الكلامي.

ومن نفس المنظور، ومما يصعب تقبله على قدم المساواة داخل رؤية تحليلية نفسية معيارية، أن التعبير اللفظي لتفاصيل محددة وعادية مرتبطة ببلادة المشاعر ربما تُرى على انها محاولة لإعادة بناء تركيز رمزي لمخطط وجداني منشق بدلاً من تجنب الرموز. وإن تفاصيل السرديات النفس جسدية،

كالأعراض المحددة في الهيستيريا، تحمل المعنى بذاتها، وتعمل كمحاولات إصلاح عقب التجزئة الدفاعية، مع تأثيرات تكيفية محتملة. وإن تركيز المريض على تفاصيل الزمان والمكان ربما تكون محاولة لتوجيه نفسه على قطعة من الأساس الرمزي الصلب في الذاكرة الوجـدانية، بدلاً من وسائل إعاقة الذاكرة (Dodd & Bucci, 1987). وإن الكلام الذي يحمل تفاصيل يومية ومحددة ربما لا يكون فقط وسيلة لملء الصمت وتجنب القلق الفوضوي والبدائي، ولكن محاولة لاحتواء الفوضى ويجعل القلق أقل بدائية، باستخدام الوسائل الرمزية الوحيدة المتاحة. وإن أساس القاعدة الأساسية- أن الاعتقادات التي تبدو غير مرتبطة أو تافهة والتي تَرد للذهن هي بالفعل شاذة عن المخطط المُعيق الذي قد هرب من الكبت- ربما يُطبق على مثل تلك التفاصيل المحددة، وكذلك على الأعراض والخبرة الحشوية الحسية.

الترميز مقابل الإفراغ البديل: الدليل الامبريقي

إن آثار نموذجنا الترميزي لم يتم دعمها في العمل الإكلينيكي وفي البحث الميداني. وإن رينر شورز Rainer Schors في ميونخ (تواصل شخصي، 1993) قد أسس علاجه الناجح الفريد للألم العسير على تقبل الألم ككيان موضوعي يرتبط به المريض، والذي حينئذ يتم التعامل معه في العلاج. وقد وصف جيمس هول James Hull (تواصل شخصي، 1993) علاج مريضة مصابة باضطراب الشخصية الحدية، والتي خَبُرَت لسانها بكونه مجروحًا باستمرار بواسطة حواف أسنانها. فقط عندما بدأ هول Hull في سؤالها بنشاط عن التفاصيل الدقيقة لذلك، كيف حدث، أي جزء متأثر من فمها، بدأ العلاج في التقدم وبدأت الألفة في الظهور.

إن نفس المبدأ قد دُعِّم في دراسات تجريبية عديدة بواسطة ليفنثال وزملائه (1984) Leventhal ، حيث كانت العينات معرَّضة للألم والانزعاج الناتج عن المياه الباردة أو انسداد في الدورة الدموية.وإن العينة التي تلقَّت

صراحة تعليمات للتعامل مع أحاسيسها المؤلمة أقرت مستويات ألم أقل على نحو دال، مقارنة بالعينة الضابطة التي تلقت تعليمات بنية إبعادها عن المثير الضار. وإن التركيز على الألم قلل بالفعل مستوى الألم كما أقرت العينة بذلك، على الرغم من أن العينة كانت أكثر وعيًا بالألم. وإن النتائج المعقدة تشير إلى أن التركيز على الألم ربما يكون له تأثيرات تكيفية في تيسير تنظيم مخططات الوجدان، رغم أن الخبرة ربما تبدو مرتفعة بتلك الوسائل. والناس يعرفون بأنهم يشعرون بما يسبب الضغط عندما يصغون له وبشكل شعوري لا يرغبون في معرفته؛ فهم لا يدرون التأثير المفيد لتركيز الانتباه بتلك الطريقة. ووفقاً لليفنثال Leventhal، فإن التركيز على المثير المؤلم سهَّل من كونه تتم خبرته على أنه حدث موضوعي وقاد لبناء عمليات المواجهة. وبمصطلحات التشفير المتعدد، فإن ذلك يتوافق مع تيسير عملية الترميز وتأثيراتها التنظيمية.

إن تأثير التركيز على الأعراض الجسدية كتيسير للعملية الترميزية، بدلاً من تجنبها، كان مدعومًا أيضًا في البحوث الأخيرة باستخدام مقاييس النشاط المرجعي، والتي تُقيِّم نشاط الاتصالات المرجعية بين الخبرة غير اللفظية والكلمات، كما نوقش في الفصل الحادي عشر. وإن مقاييس النشاط المرجعي كانت مُطبَّقة في دراسة للعلاقة بين الجسدنة، والقلق، والتعبير اللفظي على عينة من 50 فتاة مريضة بالحدية (Okie, 1992). وبناءاً على مقدمة الإفرا غ البديل للميتاسيكولوجي، تنبأت أوكاي Okie مبدئيًا بارتباط سلبي بين التعبير اللفظي لخبرة وجدانية كما قيست بواسطة مقاييس النشاط المرجعي، ومقاييس الجسدنة، وإيذاء الذات، والقلق، استناداً إلى تشفير تقارير التمريض اليومية. وعلى نقيض تنبؤاتها، وجدت أوكاي Okie ارتباطات إيجابية دالَّة بين النشاط المرجعي والاعراض. فالمريضات اللاتي كان لهن المزيد من الشكاوى الجسدية، واللاتي تعرضن لمزيد من الاصابات، إما عَرَضية أو عمدية، واللاتي أظهرن المزيد من القلق، قد استفدن أكبر الاستفادة من نمط اللغة المرتبطة بالنفاذ للخبرة الوجدانية والعلاج التحليلي النفسي الناجح، بدلاً من التحول عن مثل ذلك التعبير اللغوي. وإن نتائج أوكاي Okie تعرض دليلاً متعارضًا مع الافتراض

التحليلي النفسي العام للإفراغ البديل وتقدم دعمًا ميدانيًا لعلاقة متكاملة بين الأعراض وتشكيل الرمز. وإن مريضات الحدية في دراستها ربما يُفهمن على أنهن وُضعن وجدانيًا أو معرفيًا في مرحلة حيث إن بعضًا من التنظيم الرمزي وغير اللفظي ومما هو داخل النفس ركز على الأعراض والأفعال التي ربما تكون مطلوبة قبل الاتصالات بأناس آخرين، أو بالكلمات، يمكن إنجازها.

وإن بحثًا بواسطة هل (1990) Hull يدعم إلى حدٍ بعيد تلك الصياغة وتأثيراتها الخاصة بالمرحلة. وجد هل Hull ارتباطًا إيجابيًا بين مقاييس النشاط المرجعي ومستويات الأعراض المبكرة في علاج مريض بالحدية مع الشلل الهيستيري. وإن مستويات العَرَض كانت مُقاسة باستخدام قائمة الأعراض المُعدَّلة 90- المُراجَعَة (scl- 90R; Derogatis, 1983)، وتقريراً ذاتيًا لقائمة الأعراض المُعدَّلة والتي يتم ملئها أسبوعيًا بواسطة المريض. وإن المريض في دراسة هل Hull أنتج لغة النشاط المرجعي المرتفعة باكراً في العلاج، والمرتبطة بمستويات العَرَض المرتفعة. ونقترح أن الكلام المنمق، والمشرق، وأحيانًا الذهاني الذي أنتَجَته تلك المرحلة عمل على تعزيز التركيز على الأعراض كرموز، بالمنطق الذي تم تلخيصه في الأعلى. وربما يُفهَم ذلك على أنه الخطوة الأولى في بناء الرمز، بما يعكس المراحل الباكرة لإصلاح الانشقاق، كما في نتائج أوكاي.

وعند تلك المرحلة، مع ذلك، وجد هل Hull أيضًا مستويات منخفضة لأسلوب تنميط تقديرات النشاط المرجعي المرتبط بالإجراء الكامل للعملية المرجعية (Bucci, 1993). وإن الكلام المشرق للمريضة عند تلك المرحلة لم يَقُد لفترات التأمل والتواصل المشترك والتي تُعد مطلوبة للتعميق المتكرر للعملية والوظيفة العاملة من خلالها. ولاحقًا في العلاج، مع تحسن المريض (وانخفاض مستويات العَرَض بشكل عام)، وُجِد الارتباط السلبي المتوقع بين الاعراض والنشاط المرجعي، وزادت مستويات التنميط التي تعكس حدوث عملية مرجعية منهجية. وفي المرحلة الباكرة، كان الترميز ميسَّراً من خلال التركيز على الأعراض. ولاحقًا خدمت الصور المُعبَّر عنها في كلام النشاط المرجعي المرتفع على نطاق واسع كأساس للتامل داخل الخطاب التواصلي وكاتصال بالمعالج، والموضوع متاح الآن في الحقل التواصلي.

الآثار الجانبية " للعلاج الكلامي"

إن العملية المرجعية وظيفة قوية مع احتمالية دالة لمنافع وجدانية وجسدية، ولكن أيضًا مع احتمالية المخاطر. وإن" العلاج الكلامي،" كأي علاج قوي، له مخاطره. أحيانًا الكلام المنمق والذهاني المُنتَج باكراً في العلاج من قِبَل مريضة الحدية في دراسة هل Hull، والذي أُومن بأنه قد تم بنائه كخطوة أولى في بناء الرمز وإصلاح الانشقاق، مرتبط أيضًا بمستويات العَرَض الأعلى في ذلك الوقت. وإن تنشيط مثل ذلك العَرَض ربما يكون ضروريًا ليسمح بالدخول في عملية الترميز، ومع ذلك قبل إمكانية استعادة الصور والكلمات؛ فإن ذلك يزيد من احتمالية كون الفرد مُعرَّضًا للخطر من خلال الحالات الجسدية أو القلق في المرحلة الإنتقالية. ولهذا السبب، فإن المعالجين ربما يختارون تجنب العلاجات التي تركز على الاستبصار وبدلاً من ذلك الاعتماد على العلاجات الداعمة بغاية دعم الكبت بالنسبة للمرضى الذين يعانون من أمراض حادة، مثل الفصام أو اضطراب ضغط ما بعد الصدمة (PTSD). وفي دراسة لخبراء فيتنام لاضطراب ضغط ما بعد الصدمة، وجد ميلر Miller (1994) أن النتيجة الناجحة نسبيًا، المُقاسة من خلال التغير في الأعراض، وفي نمط العلاج النفسي المستخدم في برنامج علاج أفراد الجيش كانت الأعراض مرتبطة بالنشاط المرجعي غير المتغير أو الأقل انخفاضًا بدلاً من النشاط المرجعي المتزايد.

إن معنى الأعراض- وضمنًا، معنى تخفيف العَرَض- يحتاج أن يكون مُقيَّمًا على وجه الخصوص في كل حالة فردية. وربما توجد بعض الأمثلة تحديداً التي تستدعي تخفيف العَرَض، ومن ثم بقاء حالة الانشقاق. وربما توجد أمثلة أخرى حيث يكون ممكنًا، ومُفضَّلاً، للتعامل مع الأعراض ومعانيها، ولذا فإن التحولات الترميزية الأعمق يمكن ظهورها. ولو أن المريض يمكنه تحمل الإنفعال المُستدعَى، ويمكنه الإنتقال من الأعراض إلى الذكريات والصور المُخزَّنة في شكل رمزي وغير لفظي، ويمكنه الإتصال مع المعالج، فهو لديه فرصة لاستحضار قوى العملية الترميزية والنظام اللفظي لتحمُل إعادة تنظيم مخططاته الوجدانية وجعلها أكثر صدقًا وتكيفًا في حياته الحالية. ولو أن المريض لا يمكنه استعادة

مثل تلك الذكريات أو تأسيس علاقة علاجية، أو لو أن الذكريات أو التفاعلات تُثير انفعالاً لا يُحتمَل، فإن المزيد من الانشقاق الدفاعي، بجانب الاعتماد المتزايد على الأعراض، ربما يَنتُج، مع تأثيرات سلبية للصحة العقلية أو الجسدية. وفي بعض الحالات، حيث يكون العلاج طويل المدى ممكنًا، فإن تعلم الترميز، وبناء الاتصالات المرجعية، تصبح ذاتها هدفًا رئيسيًا للعلاج، وضروريًا للسماح بحدوث التغيرات الأخرى في مخططات الوجدان. وإن العملية التفاعلية، حيث أن معرفة الإتصال بالرموز ومعرفة الإتصال بأشخاص آخرين ينموان معًا ويسهلان بعضهما البعض، ويجب أن تحدث لدرجات متفاوتة في كل العلاجات التحليلية النفسية. وهذا هو ما يجعل التحليل النفسي يأخذ وقتًا طويلاً، وهذا هو السبب أيضًا أن له قوة في إنتاج تغيراً عميقًا.

الفصل الثالث عشر
ربط المشاعر والكلمات
الدائرة المرجعية

إن مخططات الوجدان مُهيمَنَة من خلال خبرة رمزية فرعية. وإن السمة الجوهرية لمعالجة رمزية فرعية ليست أنها غير لفظية، على الرغم من أنها عادة هكذا؛ وليست تلقائية، أو لاشعورية أو ضمنية، على الرغم من أنها ربما تكون كذلك؛ ولكنها تعمل دون بارمترات الفعل أو المهمة التي قد تم تعريفها صراحة، ودون عناصر منفصلة يتم تحديدها، أو قواعد معالجة صريحة مطلوبة. وإن تلك السمة لها العديد من الآثار الهامة، وفي بعض النواحي آثار متعارضة. ومن ناحية، فإن القدرة على العمل دون قياسات محددة أو تصنيفات تجعل الوظائف الجارية ممكنة والتي تُعد ضرورية في أغلب مناحي الحياة، وأغلب الوقت. وفي الألعاب الرياضية، وفي الفنون، وفي الانشطة اليومية، وفي استجاباتنا الوجدانية للآخرين، نحن قادرون على التصرف بطرق مضبوطة بدقة وعلى الفور وبطريقة حدسية، دون تحليل عناصر المهمة. والنظام الرمزي الفرعي مسؤول عن الحسابات الضمنية التي توجِّه مثل تلك الأفعال والاستجابات.

ومن ناحية أخرى، فإن الكيفية الرمزية الفرعية للاستجابة تعمل فقط لو ان المخططات العملية صادقة وتكيفية. وإن ذلك يتعلق بالوظائف الوجدانية كما لكل أنشطة الحياة. وعندما تكون طرق التفكير، أو التصرف، أو الشعور ثابتة في كيفية تشغيلية غير تكيفية أو تدميرية، فإن الاستجابات الضمنية من المرجح أن تتسبب في استمرار التشوه الضمني. ولتغيير النظام المختل وظيفيًا لتقييم الأهداف وإعادة تنظيم المخططات المطلوبة. فإن مثل تلك الإعادة للتنظيم من المرجح أن تتطلب فحصًا عمديًا للمخططات بطريقة لا يمكن لمعالجات رمزية فرعية دعمها. وإن الفرد يجب أن" ينظر" بطريقة ما إلى رغباته، وتوقعاته، واعتقاداته، لا أن يسمح لهم فقط بالحدوث بأنماطهم المعتادة. وهنا ربما تكون قوة النظام الترميزي مطلوبة.

وطبقًا للنموذج المفترض هنا، فإن عملية التغير في العلاج التحليلي

النفسي تعتمد على فحص المخططات المنشقة، وفي النهاية، إعادة بناءها في شكل تكيفي. وإن الافتراض العام الذي يمكن وراءه التحليل النفسي، العلاج الكلامي، حيث أن التعبير اللفظي ضروري لحدوث مثل ذلك التغير. ومع ذلك، فإن اللغة ليست الكيفية المُثلى لتمثل أو نقل الوجدان كما يوضح نموذجنا. وإن مخططات الوجدان مُهيمنَة من خلال معلومات رمزية فرعية المُسجَّلة في شكل حسي، وحشوي، وحركي. وإن الخطوط المتعددة والمتنوعة للخبرة التناظرية، والتي تعمل بشكل متزامن، يجب أن تكون ممثلة بطريقة ما في شفرة مكونة من مفردات معجمية منفصلة، وممثلة في الخطاب في شكل الكلام التسلسلي وأحادي القناة، ومُسجَّلة أيضًا في الذاكرة الدلالية في تنظيم هرمي ومنطقي. ويمكننا أن نرى أن تمثل الوجدانات في كلمات، وتأويلها في ضوء معاني الكلمة، وما يمكن جزئيًا أن تكون عليه في أحسن الظروف.

وفي هذا الفصل، سأناقش عمل العملية المرجعية والتي من خلالها معلومات رمزية فرعية تتضمن المعلومات الوجدانية والتي ربما تكون مترجَمَة إلى شكل لفظي، وصعوبات وقيود عملية الترجمة تلك. وسأفترض حينئذٍ نموذجًا لمرحلة العملية المرجعية وسأوضح تطبيقه العام في الحياة المعرفية والوجدانية.

لغة الوجدانات

بالنسبة لأغلبنا، يُعد التعبير عن الوجدان القوي لفظيًا غاية في الصعوبة. وبدلاً من ذلك نتحدث غالبًا عما لا نستطيع التعبير عنه:" قلبي ممتلىء جداً بالكلام"؛ " أُصبت بالصدمة مع الرهبة"؛ " ظل فمي مفتوحًا"؛ " كنت عاجزاً عن الكلام تمامًا"؛ " كنت متوتراً جداً"؛ " كل ما استطعت قوله هو رائع!" إن المحب يتلجلج ويكون مربوط اللسان في وجود محبوبته؛ وإن أغاني الحب مليئة بذلك الشلل اللفظي:" لا أستطيع إخبارك كم تعني بالنسبة لي"؛ " فأنت رائع جداً، رائع جداً لتصفك الكلمات." وفي حالة الأسى، " تتحسر الروح بتنهدات عميقة جداً تعجز عنها الكلمات" (رومانسيات، 8:26).

إن كلاً من الصوت والتعبير الوجهي أكثر ملائمة من اللغة في نقل

الوجدان بطريقة مباشرة. وإن التعبير الحركي والصوتي عن ردود الافعال والنوايا يتضمن الوجه، ووضعية الجسد، والصوت يشكلوا مكونات جوهرية لمخطط الوجدان ذاته. وإن مثل ذلك التعبير غريزي وعالمي لمدى ما لدى البشر وربما لدرجة أكبر في الأنواع الأخرى. وإن وجهة النظر بأن التعبيرات الوجهية للوجدان يمكن تتبعها من ناحية وراثية سلالية وعالمية في البشر، كجزء من تراثنا البيولوجي، قد طُرِحَت من خلال داروين Darwin ودُعِّمت من قبل العديد من مُنظِّري الوجدان في يومنا هذا.

وهذا ليس مُدهشًا، من منظور تطوري، أن الوجدانات من الصعب جداً التعبير عنها في كلمات. وإن وظيفة الوجدان في التكيف تشبه تلك التي تم تأسيسها لأثرها. وإن الوجدانات تتوظف مبدئيًا للتوسط في الإستجابة للمواقف الحالية بدلاً من إثارة مواقف في غيابها. فهي تتوسط بين المواقف المتغيرة باستمرار والتي تؤثر على الكائن الحي واستجابته السلوكية، بما يسمح بالتكيف المرن للكائن الحي مع البيئة. وإن تمثل الكيانات في غيابها، في صورة أو كلمة، هو المجال الرمزي؛ والاستجابة الحدسية المستندة إلى المعالجة الضمنية والحدسية هي الوظيفة للكيفية الرمزية الفرعية ، والتي تعمل لدى البالغين والأطفال من البشر، كما في أنواع أخرى. وبناءاً على نظرية العملية المرجعية، كما نُوقشت في الفصل الحادي عشر، نحن نرى أن التمثلات الحسية والجسدية والحركية للترميز الفرعي والعمليات التي تشكل المخططات الوجدانية هي مكونات النظام غير اللفظي والتي تُعد الاتصالات المرجعية الأكثر بُعداً عنه وغير مباشرة.وإن البشر، في هذا الصدد وغيره أنواعُ انتقالية إلى حدٍ ما تحاول بطريقة ما توليد تعبير لفظي لنمط مخطط لم يتطور بشكل كامل في شكل رمزية.

إن ترميز الخبرة الوجدانية ، حيث يتصف غالبيتنا فيه بعدم الجاهزية، فهو المجال الخاص بالفنان أو الشاعر. وكما أن الكاتب عن النبيذ يحول التعبير اللفظي لخبرة التذوق إلى شكل فني، فإن الفنان، أو الموسيقار، أو الشاعر يفعلون نفس الشيء مع الوجدان من خلال ابتداع البناء لسياق رمزي إلى حيث تكون الخبرة الوجدانية مُلحَقَة. وإن الكاتب عن النبيذ يشير إلى صور محددة

من نطاق واسع من المجالات ليحصل على صفات الطعم والرائحة؛ وإن الفنان أو الشاعر يبني استعارة ليحصل على الوجدان بطريقة مشابهة.وفي التعبير عن الوجدان، كما في التذوق أو الشم، فإن الاستعارات ربما تكون مفهومة تحديداً على أنها رموز منفصلة وملموسة لحالات شعورية غير مسماه للرمزية الفرعية.

إن الشاعر لا يقول ببساطة" أحبك" ولكنه يصف صوراً منبثقة من مخططات الحب والرغبة، وأفعال متممة مرتبطة بها، والتي ربما تكون مشتركة بشكل عام:

كم أنتِ جميلة، وفاتنة،

حبيبتي، وبهجتي!

قامتك كشجرة النخيل

ثديَيكِ كعناقيد الفاكهة

عازم على تسلق شجرة النخيل

سأستولى على عناقيد ثمرها

(نشيد الأنشاد 9:7، المنسوب إلى سولمون)

إن المشاعر الذاتية يتم وضعها في موضوعات ملموسة لها قوة خاصة لتنشيط خبرة مشتركة في شخص آخر، أو تنشيط خبرة في الذاكرة. وعندما يتم نقل الإستعارة إلى المستمع أو القاريء، فإنها ربما تخدم في إثارة الخبرة الوجدانية مع بعض من مكوناتها الرمزية الفرعية، حيث تسمح لأحدنا بإعادة تشكيل عناصر الخبرة التي يمكن أن تكون ممثلة جزئيًا فقط في كلمات. فالشعراء يستخدمون صوراً من المرجح ان تكون معانيها الوجدانية مشتركة على نطاق واسع. وإن الشعراء الذين يتحدثون إلينا بصورة مباشرة أكثر هم أولئك الذين تُنشِّط رموزهم رمزيتنا الفرعية عوالمنا التمثلية.

وكما قد ناقشت، على الرغم من أن التعبير اللفظي لا يُعد الوسيلة المُثلى للتعبير عن الوجدان، إلا انه الكيفية المُثلى للإتصال مع أناس آخرين وتنظيم وتوجيه الذات. وإن التعبير اللفظي مركزي بالنسبة لعمل التحليل النفسي، حيث يستحضر قوة انظمة الرموز للتأثير على مخططات الوجدان التي أصبحت غير

تكيفية. ومعرفة انك مريض تحليلي نفسي (أو محلل) يعتمد على نمو العملية المرجعية– بناء اتصالات بين الخبرة الوجدانية والكلمات داخل فرد ما، وبناء اتصالات بين الأفراد في الخطاب المشترك. وفي سياق العلاج، يجب أن يكون كل المشاركين شعراء، ويجب أن يستخدموا جميعهم الإستعارة، بدرجة ما.

مراحل العملية المرجعية

إن الميكانيزم الأساسي للعملية المرجعية قد لُخِّص في الفصل الحادي عشر. وإن مراحل تلك العملية مُلخَّصة هنا كما تنطبق تحديداً على التعبير عن الخبرة الوجدانية.

التنشيط الرمزي الفرعي

تبدأ العملية بتنشيط الوجدان بمكوناته المتنوعة بما يتضمن الجوهر الإنفعالي للخبرة الحسية والحشوية، وتميل نحو الأفعال التي يتم تمثلها كبرامج للحركة، وتتضمن أيضًا موضوعات الوجدان ومحتويات رمزية أخرى. وإن المكونات المتنوعة ربما تعمل داخل أو خارج الوعي؛ وهكذا، فإن الأفعال المرتبطة ربما تكون ولكن ليس بالضرورة ممثلة على أنها نوايا، كما أن موضوعات الوجدان ربما تكون مُدرَكَة لدرجات متفاوتة. وفي مرحلة تنشيط الوجدان من المرجح أن تكون المكونات الرمزية الفرعية للجوهر الإنفعالي مُهيمِنة ؛ فالشخص يكون مُثاراً، وأحيانًا دون أن يعرف مبدئيًا" ما الذي يزعجه." وهذا هو المنطق حيث" يسبق الوجدان المعرفة،" من وجهة نظر زايونس(1980) Zajonc . إن هيمنة الجوهر الإنفعالي ملحوظة تحديداً لمخططات الوجدان المنشطرة، حيث الموضوعات والمحتويات الرمزية خارج الوعي بشكل كبير. وإن الخبرات الحسية الرمزية الفرعية والحشوية التي تُهيمن في مثل تلك المخططات غاية في الصعوبة للتعبير عنها في كلمات.

مرحلة الترميز

إن مرحلة ربط خبرة رمزية فرعية بالرموز ربما تكون مقسمة إلى مرحلتين فرعيتين كما سيأتي.

بناء التصور النموذجي

إن خبرة رمزية فرعية في كل الأشكال الحسية مجزأة أو مُصنَّفة إلى طبقات متساوية وظيفيًا، والتي تكون ممثلة حينئذٍ كصور نموذجية. وإن تلك العملية تتعلق بمخططات الوجدان أيضًا. وإن مخططات الوجدان يتم بناءها من خلال تكرار المشاهد التي تشترك في جوهر إنفعالي عام وتُعد مجزأة وظيفيًا بالتساوي في تنظيم الذاكرة. وبناء على تلك الصياغة قد نميت التكوين لمخطط الوجدان على أن له البناء السابق لمشهد نموذجي، وعلى سبيل المثال، مع رغبة أو حاجة وأفعال تتعلق بذلك، ويقود لتسلسل معقد لردود الأفعال وردود الفعل المضادة التي ربما من المتوقع حدوثها. وإن مثل تلك المشاهد هي نمط التصور النموذجي الذي ييسر على النحو الامثل التعبير عن مخطط الوجدان في شكل لفظي.

حكايات الصور النموذجية والمشاهد

إن الكاتب أو المتحدث- أو المريض التحليلي- الذي يرغب في نقل الوجدان يفعل ذلك بفعالية أكثر من خلال وصف الصور المحددة المرتبطة بوجدان ما، أو مشهد كان الوجدان بها منشَّطًا. وإن الحكايات بشأن الأشخاص الآخرين، والتي لها علاقة بذات أحد ما، ربما تتم رؤيتها تحديداً على أنها استعارات لمخططات الوجدان. وإن رواية قصة ما- سرد يعبر عن الاحتمالات المبنية على نحو ذاتي فيما يتعلق بحياة شخص ما- هي أقرب ما يمكن أن ينقل مخطط وجداني، أو أجزاء من مخطط، في شكل لفظي. وبشكل نُوابي، فإن مخططات الوجدان يمكن أن تكون" مروية." وإن تلك السرديات ربما يكون لها شكل الذكريات، بما يتضمن ذكريات الصور، أو الخيالات، أو الأحلام، أو أحداث الحياة الجارية. وفي العلاج، فإن شخص المحلل والسياق العلاجي، كما خَبُرَه المريض هنا والآن للجلسة، ربما يكون مستدخلاً إلى السرد في شكل اشتقاقي أو واضح.

مرحلة التأمل: فهم وتصديق

عند إخبار الحكاية، يصير الشخص قادراً على نقل بعضًا من المحتويات الرمزية الخاصة بالوجدان، وفي بعض الحالات قبل أن يستطيع بوضوح وصف الطبيعة لما يشعر به. ومن خلال ذلك الميكانيزم، فهو قادر على وصف مخطط الوجدان من خلال وصف حدث نموذجي مرتبط به وربما يثير شعوراً مشابهًا لدى المستمع، وحتى دون أن يكون قادراً على قول ما الذي يشعر به، لإعطاء إسمًا له. ومن خلال التعبير اللفظي للمشهد، أي إيضاح الروابط والعلاقات داخل نظامه اللفظي؛ والاتصال بالمنصت، فإن الوجدان ربما يكون مُحدداً بوضوح (" أشعر بالغضب"؛ " أشعر بالحزن"). وفي النهاية فإن أساس الوجدان ربما يكون مفهومًا، والدليل على الفهم الجديد ربما يتم تقديمه ليكون منتجًا.

وبينما يكون التصنيف أو تحديد الوجدان وظيفة هامة، إلا أنه من المرجح إتيانه في نهاية عملية الاستكشاف الوجداني، كما قد أوضحت هنا. ومن المرجح أن تكون تلك هي الحالة بالنسبة لكل خبرة من أي تعقيد؛ فنحن نشعر بنوع من الإثارة، وربما حتى نتصرف على أساسها، قبل أن نحدد ما الذي نشعر به. وبالنسبة لأغلب الانماط العادية للخبرة حيث تكون المحتويات الرمزية قابلة للنفاذ إليها، فإن المراحل كما لُخِّصت هنا ربما تعمل بسلاسة وحتى خارج الوعي. وكما لكل تشغيلات العملية المرجعية، فإن صعوبة العملية تصل أكثر حدة إلى الوعي عندما يتم إعاقتها وعندما لا نستطيع إيجاد الكلمات التي نبحث عنها. وإن العملية التي قد أوجزتها هنا ستعمل تحديداً بطريقة بطيئة ومُحدَّدة للخبرة الوجدانية التي قد كانت منشقة أو ممنوعة. وإن تفسير العملية المرجعية التي قد قُدِّمت هنا يمد بأساس لقوة عملية التداعي الحر؛ الصور والأحداث، وحتى تلك التي ربما تبدو تافهة وغير سديدة، تقدم إمكانية النفاذ لمخططات الوجدان. وعلى ما يبدو فإن الأحداث التافهة، والتي لا يُعد معناها الوجداني مفهومًا بوضوح، فعالة تحديداً للاتصال بالمخططات حيث قد حدث الانشقاق. ولو ان العملية المرجعية تعمل بنجاح، فإن الاتصالات الجديدة داخل النظام اللفظي ستقوم بالتغذية الراجعة لتمكين التعبير في الانظمة غير اللفظية. وإن امثلة الإجراء

ثنائي الإتجاه للعملية المرجعية وتاثيراته في السياق الإتصالي للعلاج التحليلي النفسي سيقدم في الفصلين الرابع عشر والسابع عشر.

نمو العملية المرجعية:

أساس التفاعل بين الشخصي

مثل الصور النموذجية للذات في العلاقة بالآخرين، والتي تُعد مركزية بالنسبة للمشاعر، فإن العملية المرجعية والتي من خلالها تكون الخبرة الوجدانية معبر عنها وأيضًا بداية أن تكون مبنية في الطفولة الباكرة، في سياق تفاعل الأم والطفل. وإن نمو العملية المرجعية يبدأ قبل اكتساب اللغة ويستمر في شكل معقد على نحو متزايد على مدار الطفولة والحياة.

بالإضافة إلى وظيفتها في ربط أنظمة رمزية فرعية ببعضها البعض وبأشكال رمزية، فإن العملية المرجعية لها دور إضافي في ربط تمثلات داخلية لفردٍ ما بتمثلات فرد آخر؛ خالقة تمثلات جديدة ومساحة مرجعية مشتركة من خلال تلك الوسائل. ومنذ نموها الباكر، فإن العملية المرجعية كما تنطبق على الخبرة الوجدانية، لا تتضمن فقط الاتصالات بين الحالة الذاتية الخاصة بأحدنا والتعبيرات الصريحة، ولكن أيضًا الاتصالات بين الخبرة الداخلية لاحدنا وتعبيرات الآخرين. وإن ردود فعل الأم السلوكية والوجهية تشكل الرموز الخارجية الأولى التي ربما تُستخدم من قِبَل الطفل كإشارة إلى حالته الداخلية الخاصة. وإن كلاً من ردود الأفعال هذه تخدم كنوع من" الاستعارة غير اللفظية والتناظرية" بالنسبة للخبرة الذاتية للطفل. ويشير Emde, Klingman, Reich, Wade (1978) and Campos and Stenberg (1980) إلى اعتقاد" المرجعية الاجتماعية،" والذي يخص استخدام الطفل لإشارات الإنفعال الخاصة بالأم على أنها مؤشرات خارجية لها صلة بحالاته الداخلية الخاصة. وبمنطق عميق، فإن الإشارات التعبيرية الوجدانية للأم تخدم كرموز نموذجية غير لفظية للوجدانات، ووظيفتها كالنماذج الأخرى لجمع طبقات متساوية وظيفيًا لخبرة رمزية فرعية (طبقات للحالات الداخلية للطفل) في صورة وحدات منفصلة

تساهم أيضًا في التشكيل لتمثلات الطفل الذاتية.

ويرى شتيرن Stern أيضًا أن تعبيرات القائم بالرعاية وسلوكه يقدم تمثلات ترميز خارجية للخبرة الداخلية للطفل، وأداء تلك الوظيفة يكون قبل نمو اللغة بكثير. وقد حدد شكل التفاعل، والذي يبدأ عندما يكون عمر الطفل حوالي 9 أشهر، والذي يُطلِق عليه" توافق الإنفعال،" والذي يفسر عملية التمثل هذه. ووفقًا لشتيرن(1985) Stern:

إن التوافق هو إعادة تشكيل، وإعادة تقرير للحالة الذاتية. فهو يتعامل مع الحالة الذاتية على أنها المرجع والسلوك الصريح على أنه أحد المظاهر أو التعبيرات الممكنة العديدة للمرجع. وعلى سبيل المثال، إن مستوى وجودة الحيوية يمكن التعبير عنه على أنه صوت فريد، أو إيماءة فريدة، أو تعبير وجهي فريد. (ص.161)

إن عملية توافق الإنفعال ربما تُرى على أنها المرحلة الأولى في العملية المرجعية، كما ينطبق ذلك على التعبير اللفظي للوجدان. وإن استجابة الراعي تخدم كتمثل وامتداد للحالة الشعورية للطفل، وليس ببساطة كمحاكاة للسلوك الخارجي، كما في المثال التالي:

فتاة ذات تسعة أشهر أصبحت متحمسة بخصوص لعبة ما وتمكنت من الوصول إليها. وما إن أمسكت بها، حتى انطلقت بحيوية" اَاَاَه" ونظرت إلى أمها. فنظرت أمها للخلف، وضمت كتفيها، وقامت بأداء رقصة شيمي Shimmy رائعة بالجزء العلوي من جسدها، مثل راقصة مغرية. واستمرت رقصة الشيمي فقط مقدار صيحة" اَاَاَه" لابنتها ولكنها على قدم المساواة كانت متحمسة، ومبتهجة، ومنفعلة. (Stern, 1985, p. 140)

إن الأداء الجسدي للأم متشابه مع صوت الطفلة ولكنه غير متطابق معه، بما يعبر عن الخبرة الداخلية ذاتها ولكن بشكل مختلف. وإن رقصة الأم للشيمي ربما توصف بكونها غير لفظية، ومتقاطعة الكيفية وأيضًا متقاطعة الخبرة الذاتية الرمزية بما يشير إلى الحالة الداخلية القوية للطفلة من الحماس والبهجة. فهي ترمز للخبرة الداخلية بتعبير ربما يكون مُلاحظًا بشكل مشترك وينقل أيضًا

للطفلة أن هناك شخصًا آخر بخبرة داخلية مشابهة، بمثابة إجابة عن" الذكاء الوجداني" خارج ذاتها. وإن المحاكاة المباشرة للصوت وحدها بذلك المنطق لن تقدم دليلاً على الذاتية المنفصلة والمتجاوبة.

وفي بحثه الميداني، حدد شتيرن Stern ثلاثة سمات أساسية للسلوك- الحدة، والتوقيت، والشكل- حيث تكون التوافقات دون محاكاة فعلية، بما يتضمن احتمالية توافقات متقاطعة الشكل والتي تشكل حينئذٍ الأساس للتوافق. وبالنسبة لكل سمة من تلك السمات، تم تحديد تصنيفات محددة للتوافقات، وتأسيس محك التوافق. وتم ملاحظة عشرة من الأمهات مع أطفالهن ما بين 8 إلى 12 شهراً في منطقة لعب مضبوطة. ووجد شتيرن Stern أن التوافقات، متقاطعة الشكل في كثير من الأحيان، كانت أكثر الاستجابات الشائعة لتعبيرات الوجدان لدى الأطفال، بما يفسر ما يقرب من نصف الاستجابات الأمومية كلها. وفي بعض الحالات، قامت الأمهات أيضًا بتوافقات خاطئة عن عمد، والتي يشير إليها شتيرن على أنها" ضبط" والتي يبدو أن غرضها هو التغيير، إما زيادة أو تقليل مستوى النشاط أو الإنفعال لدى الطفل. وكانت الأمهات غير واعيات بشكل كبير بسلوكياتهن المتوافقة أو" الضابطة." وحتى حيث كان هناك بعض الوعي بشأن التفاعل، كانت الامهات بشكل عام يركزن على النتائج المرغوبة لما كُنّ يقمن به بدلاً من خصائص السلوك ذاته.

إن الأشكال الجديدة المقدَّمة من خلال التوافق وتبايناته الدقيقة يُنمِّي المعنى التفاعلي للتمثلات الداخلية لدى الطفل. وإن كل ذلك يتم توليده على مستوى رمزية فرعية بشكل كبير والذي يمثل الوجدانات على النحو الأمثل، وأن الطفل مهيأ للاستيعاب منذ بداية الحياة. وإن الجانب التفاعلي الأساسي لنمو العملية المرجعية تتم رؤيته هنا تحديداً. وإن الطفل، في مسار النمو الطبيعي، يكتشف أن تعبير وأفعال شخص آخر مرتبطين بحالته الداخلية الخاصة وتعبيراته، ويقدم معنى جديداً لهم. ويتعلم ايضًا أن مجموعة التعبيرات الخاصة بالآخرين أو بذات أحدهم ربما تكون متساوية وظيفيًا في تمثل حالة المشاعر، ومن ثم تشكيل طبقة وجدانية بذلك المنطق.

نمو المعاني الوجدانية اللفظية:
امتداد لمفهوم فيجوتسكي

إن التعبير عن الوجدان في شكل لفظي يتطلب تكاملاً جديداً، فيما يتجاوز التعبير بالنطق والفعل والذي يُعد جوهريًا بالنسبة لمخططات الوجدان. وبينما لا يوجد حتى الآن نموذجًا يفسر ذلك النمو، إلا أنه باستطاعتنا البدء في تقديم مثل ذلك التفسير على أساس صياغة فيجوتسكي Vygotsky فيما يتعلق بنمو معاني الكلمة. وإن صياغة فيجوتسكي المتوازية جزئيًا، كما نوقشت في الفصل التاسع، وبالإضافة إليها، يمكننا إجراء البيان التالي بخصوص نمو المعاني الوجدانية اللفظية في الحياة الباكرة للطفل.

١. في تخلقهما النمائي، فإن لكل من الوجدان والكلام جذور مختلفة. وإن أبنية الوجدان الأولى يتم بناؤها دون توسط لغوي في السياقات الأولى التفاعلية للحياة. وإن الوجدان يختلف عن أشكال التفكير الاخرى في أنه يتم التعبير عنه ايضًا بطريقة مباشرة بشكل صوتي. وإن ذلك يبدأ بالبكاء عند الميلاد ويستمر في النمو، مع الأنين، والعواء، والصرخات، والشهقات، والأنين، والقهقهة، والضحكات، والهمسات، وأشكال أخرى عديدة على مدار الحياة.

٢. يمكننا تحديد مرحلة لاوجدانية في نمو الكلام لدى الطفل، حيث يقوم الطفل بتجريب الأصوات بنشاط، والتي سترتقي إلى لغة. ويمكننا أيضًا تحديد مرحلة غير لغوية في تعبيره الوجداني، حيث لا يكون قادراً على قول كيف يشعر أو بماذا يشعر ولكنه يعبر عن الوجدان بالصوت الطبيعي وبأشكال تعبيرية أخرى- كالبكاء، أو الصراخ، أو الضحك، أو الركل- مما له كامل السيطرة عليه. وإن علاقة التعبير الصوتي للوجدان بانماط اخرى للتعبيرات الصوتية الباكرة لا تزال تحت الدراسة.

٣. وإن نمو الوجدان والكلام يتبع خطوطًا مختلفة، ومستقلة عن بعضها البعض.

٤. وعند نقطة محددة، من الممكن أن تلتقي تلك الخطوط، وعندئذٍ يمكن التعبير عن الوجدان بالألفاظ، ويصل الكلام لقوة احتواء الوجدان والتعبير عنه.

وإن المعاني الوجدانية اللفظية لها الشكل الاول لوصف أحداث وصور محددة تظهر داخل المخططات. فالطفل المستاء أو المتحمس يتعلم أولاً وصف" ما الذي حدث" وربما لاحقًا، يصبح قادراً على وصف أو تسمية المشاعر. وإن العملية تعتمد على تقبل القائم بالرعاية ومعرفته بالمشاعر المُثارة، لكي لا يكون الطفل شديد التأثر بها.

إن التقاء خطوط الوجدان واللغة يتطلب سياق تفاعلي كافي. وافترض فيجوتسكي Vygotsky أن السياق الإجتماعي المطلوب لنمو معاني الكلمة سيكون متاحًا على نحو عالمي لكل الاطفال التي تنشأ في مجتمع بشري. ولا يُعد الوضع كذلك بالنسبة للتعبير الوجداني؛ فهناك تقلبًا كبيراً في الدرجة التي يكون السياق التفاعلي بحاجة إليها لنمو المعاني الوجدانية اللفظية ويكون موجوداً في الحياة الباكرة للطفل. وإن ذلك التقلب سيكون منعكسًا في تكامل– أو انشطار– مخططات الوجدان وقدرة الفرد على النمو الوجداني التكيفي على مدار الحياة.

الدائرة المرجعية
وعملية الاكتشاف

إن النمو والتعبير اللفظي للمعنى الوجداني، كالذي يظهر في العلاج التحليلي النفسي، لا يُعد وظيفة أي من معالجة رمزية فرعية فقط ولكنه يتطلب العمل بمرونة تقدمًا وتراجعًا بين الأنظمة. وهي عملية بناء تصنيفات وأبعاد جديدة، والتي ربما حينئذٍ تُستخدم في توجيه المزيد من البحث، بدلاً من تصنيف الخبرة على أساس الفئات التي قد بُنِت بالفعل. وإن تلك الوظيفة التفاعلية هي جوهر العملية المرجعية؛ حيث تنبثق طبقات جديدة للخبرات المتساوية وظيفيًا في الأنظمة الرمزية الفرعية ، بينما يظهر تطابق تلك السلاسل الجديدة في كيفيات رمزية. وعلى النحو الأمثل، تعمل العملية بصورة متكررة في تعميق التقدم باستمرار كما تخدم أنظمة الترميز الجديدة في فتح اتصالات جديدة في الأنظمة غير الرمزية. وهكذا، بتعبيرها الأكثر تكيفًا، فإن العملية المرجعية ستوصف بكونها حلزونية الشكل بدلاً من كونها دائرية.

إن الدائرة المرجعية ،أو الحلزونية، تُعد مركزية في اكتشاف المعاني الجديدة ونقلها كما يظهر ذلك على مدار الحياة في المجالات المعرفية والوجدانية. وإن مراحل الدائرة المرجعية التي قد حددتها في التنظيم والتعبير اللفظي للوجدان لها متوازيات توضيحية في كلٍ من العمل الإبداعي والفنون. وهنا سأتخذ منعطفاً واضحًا موجزاً لفحص عمل الدائرة المرجعية في الاستكشاف العلمي والفني كأساس لفهم تطبيقها في عملية الاكتشاف للتحليل النفسي.

وفي دراساته للتفكير الإبداعي، واستناداً إلى التقارير الشاملة من قِبَل كبار العلماء والرياضيين، قد حدد علم الرياضيات هادامارد(1949) Hadamard أربعة مراحل في عملية الاكتشاف، والتي اصطلحها الإعداد، والاحتضان، والإضاءة، والتحقق. وهو يوضح تلك العملية من خلال دراسات الرياضيين والعلماء، بما فيهم عالم الرياضيات الفرنسي الكبير بوانكريه Poincare.

الإعداد

هناك أولاً مرحلة الإعداد للعمل الإبداعي. وعلى مستوى عام، في العلم والرياضيات، فإن الإعداد هو الاكتساب المستمر طوال الحياة للمعرفة التي تجعل شخصًا خبيراً في مجال ما. وإن الإعداد الخاص بمشكلة محددة هو ترجمة المشكلة من صياغتها اللفظية إلى مجال حيث يمكن أن تعمل به معالجة الرمزالفرعي . وإن ذلك الإعداد يعتمد على حركة" ترجمة عكسية" من رمزية لفظية إلى أشكال رمزية فرعية. فعالم الرياضيات يسمع أو يثير مشكلة في شكل لفظي؛ ومن ثم يبدأ في صياغتها بكيفية رياضية أو علمية، والتي ربما يكون لها شكلاً هندسيًا أو طبولوجيًا. فالشخص يعمل بنشاط لبعض الوقت، ومن ثم ربما يَخبُر الجهد على انه عقيم أو مُحبِط؛ فهو يشعر أنه يعمل دون توجيه،" في الظلام." وذلك يشبه العمل في الأنظمة الرمزية الفرعية – أن تبحث دون توجيه واضح ودون تصنيفات وأبعاد قد تم تحديدها.

الاحتضان

إن بحث الرمزالفرعي يحدث إلى حدٍ كبير خارج الوعي ودون سيطرة عمدية. فالشخص ربما يصرف انتباهه عن المشكلة، لتساؤلات أو مساعي أخرى،

ولكن المعالج الرمزالفرعي ، ما إن يتم إعداده وتنشيطه، يستمر في العمل، متبعًا الاتصالات الخاصة به، والتي ربما لا تكون متاحة في الكيفية الرمزية. وفي توصيفات بوانكريه Poincare، نرى أن كل استبصار من استبصاراته الرياضية الرئيسية مُمهَّد من خلال بعضًا من تلك الصور للابتعاد– نزهة للشاطيء، أو الالتحاق بالخدمة العسكرية، أو رحلة جيولوجية– وكل استبصار من استبصاراته يهتم بالعلاقات بين التساؤلات التي قد بدت غير مترابطة تمامًا في البداية. وفي تلك العمليات الرمزية الفرعية هذه، فإن التصنيفات والأبعاد الجديدة يتم بناءها بشكل تدريجي ودقيق. وعند كل مرحلة، فإن الاستكشاف التفاعلي لتضمين التصنيف يتم تنفيذه، والذي ربما يظهر داخل أو خارج الوعي. ومن منظور اليوم، هذا يُعَد تحديداً عملاً إبداعيًا لتلك الطبيعة والذي لم يتم تفسيره من خلال نماذج معالجة معلومات الرمزية الكلاسيكية. وإن الأنظمة الرمزية، والتي تتضمن مجموعة حواسيب فون نيومان Von Neumann، تتطلب أن تكون التصنيفات مُعرَّفة بوضوح وأن تكون قواعد العملية محددة؛ فهي لا يمكنها عمل انتقاءات بين تركيبات محتملة اعتماداً على قواعد ضمنية.

الإضاءة

في مرحلة الإضاءة، يظهر الاتصال الذي قد كان مرجواً، كما لو كان آتيًا من الخارج:

وفي تلك اللحظة التي غادرت فيها مدينة كاين، حيث كنت أعيش حينها، للذهاب في رحلة جيولوجية تحت رعاية مدرسة المناجم. فإن تغيرات السفر جعلتني أنسى عملي الرياضي. وما إن وصلنا إلى مدينة كوتانس، دخلنا حافلة لنذهب لمكان ما أو لآخر. وفي اللحظة التي وضعت قدمي فيها على الدَرَج، جائتني فكرة، دون أن يكون لأي من أفكاري السابقة دوراً في تمهيد الطريق لتلك الفكرة، وهي أن التحولات التي قد استخدمتها لتعريف دوال فوكسي Fuchsian كانت متطابقة مع دوال الهندسة اللاإقليدية.

(Poincare, quoted in Hadamard, 1949, p.13)

وكما قد وصفها الشاعر بول فاليري Pual Valery، فإن الحالة أو

العملية المعروفة بالإلهام الشعري مشابهة في الأساس لعملية العمل الإبداعي العلمي:

إن الرجل الذي عمله الكتابة يَخبُر نوعًا من الوميض- وبالنسبة لتلك الحياة الفكرية، فأي شيء ينفعل به، مصنوع فعليًا من أجزاء؛ ...فالعناصر موجزة جداً، إلا أنه يُشعَر بها غنية جداً بالاحتمالات، والتي لا تنير العقل كاملاً، ولكنها بدلاً من ذلك توضح للعقل أن هناك أشكالاً جديدة تماماً والتي من المؤكد أن لديه القدرة على التحلي بها بعد كم محدد من العمل. وأحيانًا قد لاحظت تلك اللحظة عندما يرد إحساس ما إلى العقل؛ فهو كومضة من الضوء، وغير مضيء بدرجة كبيرة كالضوء المبهر. وإن مجيء ذلك النداء يستدعي الانتباه، والأفكار، بدلاً من الإضاءات، وعلى نحو دقيق، فهو في حد ذاته لغز يحمل معه تأكيد على انه يمكن أن يكون مؤجلاً. فأنت تقول،" أرى، ومن ثُم سأرى المزيد غداً."

(quoted in Hadamard, 1949, p.17)

وإن تلك الإضاءة ربما تكون مُخبرة على أنها مشتقة من مصدر ما خارجي- ومضة من الضوء، صوت الإله، مصدر الوحي-" دون أن يكون لأي من أفكاره السابقة دورٌ في تمهيد الطريق لها" كما قال بوانكاريه Poincare. ومع ذلك، فهو الحال أيضًا أن الوحي يأتي فقط لأولئك الذين قد عملوا لعدة سنوات لإيجاد تساؤلات جديدة، وإجابات جديدة، وأشكال جديدة، لتزويد العقل بمكونات" التركيبات الجيدة" التي يشير إليها بوانكاريه Poincare. وإن الأشكال أو التصنيفات الجديدة تأتي من الخارج، أي، من خارج النظام الرمزي. وإن عمل معالج الرمزي الفرعي في مرحلتي الإعداد والاحتضان، والذي يستمر خارج الوعي كما لو كان خارج الذات، قد أعد الأساس للإضاءة. وتلك هي المرحلة المرجعية لعملية الاكتشاف، حيث تكون الخبرة الرمزية الفرعية متصلة بشكل ترميزي.

التأمل والتحقق

إن المرحلة التالية هي عملية التامل والتأويل، والتي تتضمن دقة النتائج واستمراريتها واستخدامها. وهذا يظهر مبدئيًا داخل الوعي في كيفية المعالجة اللفظية؛ بالنسبة لعالم الرياضيات، وإن ذلك ربما يتضمن معالجة هندسية أو رقمية صريحة. وشعر بوانكاريه" باليقين التام" بشأن حقيقة النتيجة التي ظهرت له في كوتانس ولكنه أكد صحتها لاحقًا " إرضاءاً لضميره."

تكرار الدائرة

إن عملية الاكتشاف دائرية أو تكرارية، كما يتوسع عالم الرياضيات ويزيد من استخدام- يعمل من خلال- النتائج. وباتباع نتيجة كوتانس، فإن بوانكاريه حينئذٍ حوَّل" انتباهه إلى دراسة بعض الأسئلة الحسابية وعلى ما يبدو دون نجاح كبير ودون ارتياب لأي اتصال بأبحاثه السابقة،" وأصبح محبطًا في ذلك البحث:

ومع شعوري بالاشمئزاز تجاه فشلي، ذهبت لقضاء بضعة أيام على شاطيء البحر، وفكرت في شيء آخر. وذات صباح، بينما كنت أسير على منحدر، جائتني الفكرة، بنفس صفات الإيجاز، والفجائية، واليقين الفوري، أن التحولات الحسابية للأشكال التربيعية الثلاثية غير المحددة كانت متطابقة مع تلك الخاصة بالهندسة اللاإقليدية. (quoted in Hadamard, 1949, pp. 13–14)

وباتباع تلك الإضاءة، فقد فكر في نتائجه، واستكشف تضميناتها. وفي تلك العملية المتكررة، فتحت الاتصالات الجديدة مجموعة جديدة من التساؤلات، والتي ناقشها مع جهد مقصود:

وبعد العودة إلى كاين، تأملت تلك النتيجة وتوصلت إلى العواقب. وإن مثال الأشكال التربيعية أظهر لي أن هناك مجموعات فوكس باستثناء تلك التي تتوافق مع السلسلة الهندسية؛ ورأيت أنه باستطاعتي أن أطبق عليها نظرية ثيتا-لفوكس وأنه بناءاً على ذلك يوجد دوال لفوكس بدلاً من تلك التي بالسلسلة الهندسية وهم من عرفتهم حينئذٍ. وبطبيعة الحال هيات نفسي لتشكيل كل تلك

الدوال. وقمت بانتقادها بمنهجية وأخذت كافة النتائج، واحدة تلو الأخرى. ومع ذلك، كان هناك واحدة لا تزال صامدة، والتي سيتضمن إخفاقها إخفاق المجال ككل. ولكن كل جهودي خدمت فقط في البداية بصورة أفضل لتظهر لي الصعوبة، والتي كانت في الحقيقة شي ما. وإن كل ذلك العمل كان شعوريًا تمامًا. (Poincare, 1956, p. 2045)

وتم التعامل مع الصعوبة الجديدة، كما حدث مع المشكلات السابقة، بينما تحول انتباهه بعيداً:

وعند ذلك غادرت لجبل فاليريان، حيث كان من المفترض أن أذهب خلال خدمتي العسكرية؛ ولذا كنت مشغولاً بشكلٍ مختلف. وفي يوم ما، بينما كنت أسير بامتداد الشارع، ظهر لي فجأة حل المشكلة التي قد أوقفتني. ولم أحاول التعمق فيه على الفور، وفقط بعد الانتهاء من خدمتي تناولت التساؤل مجدداً. وكانت لدي كل العناصر وكان علي فقط أن أرتبهم وأضعهم سويًا. ولذا قمت بتدوين مذكرتي الأخيرة بجرة قلم واحدة ودون صعوبة. (Poincare, 1956, p. 2045)

إن مرحلة الاحتضان الخاصة بهادامارد Hadamard (أو بوانكاريه Poincare) تتوافق مع مرحلة تنشيط رمزية فرعية في الدائرة المرجعية. وإن الاضاءة تستدخل مرحلتي تكوين التصور النموذجي وارتباطه بأشكال سردية. وفي صياغة هادامارد، صُنعت المزيد من الاتصالات داخل النظام اللفظي الرسمي في مرحلة التأمل والتحقق؛ وإن ذلك يتراسل مع مرحلة التأمل، في التعبير عن خبرة وجدانية، والتي من خلالها ربما يكون الوجدان مُصنَّفًا ومُسمًّى، وإن قوة النظام اللفظي، بما يتضمن الشفرة المنطقية المشتركة والمعلومات المعنية بمناظير أناس آخرين، ربما يتم تقديمة ليكون منتجًا.

وسأقترح أن توصيفات عملياتهم للتفكير غير اللفظي، بواسطة بوانكاريه Poincare وعلماء آخرين، والرياضيين، والفنانين ينبغي أن تضع نهاية للتصنيف التقليدي للأشكال غير اللفظية على أنها نكوصية- في خدمة الأنا أو أي منظمة أخرى. والنقطة التي أبداها أينشتاين على نحو قاطع:

إن كلمات اللغة، كما هي مكتوبة أو منطوقة، لا يبدو أنها تلعب أي دور في ميكانيزم التفكير الخاص بي. وإن الكيانات الفيزيقية والتي يبدو أنها تخدم كعناصر في التفكير هي إشارات محددة وصوراً أكثر أو أقل وضوحًا والتي يمكن أن يعاد إنتاجها وجمعها "اختياريًا"...

وهناك بالطبع اتصالاً محدداً بين تلك العناصر والمفاهيم المنطقية المرتبطة بها. ومن الواضح أيضًا أن الرغبة في الوصول أخيراً إلى مفاهيم مترابطة منطقيًا هو الأساس الوجداني لذلك بدلاً من التصرف الغامض مع المفاهيم المشار إليها في الأعلى. ولكن عندما تُؤخذ من وجهة نظر نفسية، فإن ذلك التصرف التوفيقي يبدو أنه السمة الأساسية في التفكير المُنتج- قبل أن يكون هناك أي اتصال بالبناء المنطقي بالكلمات أو أنوا ع أخرى للإشارات التي يمكن أن تُنقَل للآخرين...

وفي حالتي، العناصر المُشار إليها بالأعلى من نمط بصري وعضلي بعض الشيء. وإن الكلمات التقليدية أو غيرها من الإشارات ينبغي فقط أن يتم البحث عنها بِجِد في مرحلة ثانوية عندما يكون التصرف الترابطي المُشار إليه مبنيًا بفاعلية وأيما شاء يمكن أن يُعاد إنتاجه. (quoted in Hadamard, 1949, pp. 142–143)

وربما ألاحظ أن استخدام التقارير اللفظية مثل تقارير أينشتاين وبوانكاريه قد أصبحت فنية هامة بصورة متزايدة لدراسة الوظائف العقلية البشرية ضمن حقل العلم المعرفي (Simon& Kaplan, 1989).

وهذا لا يعني بالضرورة تقبل تلك التقارير بظاهرها، أكثر مما نتقبل تقارير المرضى التحليليين المعنية بتمثلاتهم الداخلية بالمعنى الصحيح؛ وفي كلتا الحالتين، فإن التقارير تستخدم كأساس لاستنباط منهجي بخصوص المعاني المعبَّر عنها والعمليات الموصوفة. ومن الواضح أن مثل تلك التقارير الذاتية تمد بمصدر بيانات غني حول وظائف رمزية فرعية عقلية معقدة ، كما تفعل التقارير الذاتية للمرضى التحليليين المعنية بوظائفهم الوجدانية. وفي كل الحالات، فإن التحدي البحثي هو تنمية فنيات دقيقة وصالحة لاستخلاص المعاني التي يتم التعبير عنها.

وسأوضح ذلك المدخل، كما ينطبق على عمليات الاستكشاف الوجداني للتحليل النفسي في الفصل السابع عشر. وإن نفس عمليات الاستكشاف والاكتشاف ربما يتم تتبعها في عدة مساحات حيث يتم البحث عن مناظير ومعرفة جديدة.

عملية الاستنباط في القصص البوليسية

إن رئيس المباحث المشرف وايكليف Wycliffe، المحقق ذي الأصول الكورنية الذي تم إبداعه من خلال برلي W.J. Burly، لا يرى نفسه مفكراً منطقيًا وبشكل عام يقلل من قيمة قدراته المعرفية. ومع ذلك، فإن أساليبه تبدو ناجحة، فقد حقق شهرة كبيرة لنجاحه في حل القضايا الصعبة. ويعرف وايكليف أنه لا يفكر بالطريقة المقبولة؛ فهو بذاته لا يفهم إلى حدٍ كبير ما هي أساليبه.

أغلق وايكليف الملف ووضعه جانبًا. كان مفكراً، ولكنه كان يعاني من صعوبة فطرية في التعبير عن أفكاره بالكلمات، أو في الواقع، بتسلسل منطقي دقيق. وكان عقله مفتقراً إلى الدقة؛ فالصور الغامضة، والكلمات والعبارات، والاستبصارات المستدعاه، والأصوات والروائح بدت أنها تتحرك داخل وخارج وعيه كبديل عن "التفكير" الصحيح. وظهرت الصور ذاتها مراراً وتكراراً بارتباطات مختلفة، مكونة أنماطًا متغيرة باستمرار. وكان نادراً ما يكون واعيًا بانتقاء نمطٍ ما بدلاً من غيره ولكن بطريقة ما، نظراً للوقت، فإن نمطًا محدداً سوف يسيطر على انتباهه ومن ثُم سيتصرف. (Burly, 1975, p. 133)

وإن وايكليف (أو برلي) ربما يكون أو لا يكون مهتمًا بمعرفة أن أساليبه يمكن أن تكون مُفسّرة من خلال نموذجنا للعملية المرجعية– والتنشيط الرمزي الفرعي، وتكرارات الأنماط الترابطية؛ وظهور صورٍ نموذجية محددة– تقود عادة، في حالة وايكليف، إلى الفعل، ومن ثُم إلى التفسير والتحقق الذي ينتظره القاريء.

الفصل الرابع عشر
الدائرة المرجعية
في التداعي الحر

وذلك ما سيكون عليه الأمر: لو أنك فقط لا تحاول نطق ما لا يمكن وصفه حينئذٍ لا يمكن ضياع أي شيء. ولكن ما لا يمكن وصفه سيكون- بطريقة لا يمكن وصفها- مُتضمنًا فيما قد تم نطقه!

لودفيج فتجنشتاين (من خطاب إلى بول إنجلمان؛ مقتبسة من Monk, (1990, p. 151

إن المريض التحليلي، مثل العالِم أو المحقق، في بحثه عن اكتشافات جديدة ومعرفة جديدة يوجد عدة متوازيات (إضافةً إلى الاختلافات) بين مساعيهم. وبينما كان بوانكريه مُحفَّزاً لتنمية المعرفة المشتركة لحقله، فإن التحليل النفسي يتم العمل به لتخفيف المرض والألم، وإن استكشافات التحليل النفسي تركز داخليًا على الذات وحياة الفرد. وفي نفس الوقت، فإن عملية الاكتشاف في التحليل النفسي تُعد جوهريًا جهداً تعاونيًا، على نقيض الاستكشافات الإبداعية للحقول الأخرى، والتي يتم تنفيذها على نحو فردي إلى حدٍ كبير (على الرغم من تأثرها بالعمل السابق). وإن استكشافات التحليل النفسي تعد حينئذٍ أكثر تركيز على الناحية الداخلية وأكثر تعاونًا في جوهرها من الاستكشافات العلمية أو الفنية. وهذا لا يعد تناقضًا- على الرغم من أنه يبدو كذلك- لو رأينا المريض التحليلي على أنه منتبه لعالم داخلي وتفاعلي.

وإن عملية الترميز، كما يظهر ذلك في النمو الوجداني والعلاج،تعتمد في جوهرها على ظهور شخص آخر. وإن وجود الآخر له عدة ادوار في الواقع والخيال: فالمثير ينشط مخططًا وجدانيًا؛ والمُنصِت هو الذي يفهم، ويدعم، ويتقبل، أو هو الذي يستحضر منظوراً جديداً للتأثير على المادة التي قد أثيرت.

إن العملية المرجعية في السياق التفاعلي الخاص للعلاج تمد بالنموذج الاساسي لتحول الخبرة الوجدانية الخاصة، بمكوناتها المُهيمِنة الرمزية الفرعية، إلى الشفرة اللفظية والتي بداخلها ربما تكون الخبرة مشتركة. وإن الدائرة

تعمل بطرق مختلفة بالنسبة للمرضى الذين كانت تمثلات الموضوعات لديهم في وضعها الصحيح بدرجات متفاوتة في الحياة الفردية الباكرة، والذين قد ظهرت لهم انشقاقات بمستويات متفاوتة الشدة بين عمليات رمزية فرعية غير لفظية ورمزية. وإن الاستكشافات التي تظهر في التداعي الحر، مثل دوائر الاكتشاف العلمي أو الرياضي، تتبع المراحل العامة للعملية المرجعية. وإن مراحل الدائرة ربما توصف كالآتي.

تنشيط رمزي فرعي:
الإعداد والاحتضان

إن عمل المريض التحليلي يعتمد على القدرة على أن يلج ويستخدم خبرة رمزية فرعية. وإن جزءاً من العلاج يجب أن يكون لتنمية تلك القدرة: أي تجاوز مثل تلك الخبرة مع إبقاء الإتجاه والتحكم. وللاتصال بمثل تلك المادة في العلاج، يجب أن يكون لأحدهم رغبة في الحديث دون معرفة ما الذي يتحدث عنه، وأن يتحول عن توجيه شعوري، أو غرض شعوري، ويدع عمليات الترميز الفرعي توجه البحث. ويمكننا أن نرى أن طريقة التداعي الحر مناسبة على نحو فريد لمثل ذلك التحول؛ وبمنطق ما فيبدو أنها قد ابتُكرت حدسيًا (رمزيا فرعيًا) لذلك الغرض. فالمريض لا يمكنه الذهاب في رحلة لكوتانس، أو لشاطيء البحر، أو للخدمة العسكرية، ولكن طريقة التداعي الحر تُمكِّن المريض من الابتعاد عن التركيز المباشر على المشكلة مع بقاءه حاضراً ومتفاعل مع شخصٍ آخر.

وفي العلاج، فإن الاتصال بخبرة رمزية فرعية تبدأ على نحو تفاعلي مع نمو العلاقة، والاتصال (بالمحلل) أي الموضوع الرمزي الجديد. وإن إتاحة كلا النمطين من الاتصال يعتمد على بنية مخططات الوجدان التي يلتحق المريض للعلاج بها، وكذلك على إتاحة الاتصالات بموضوعات رمزية في حياة المريض الباكرة، كما قد ناقشت.

وبالإضافة إلى الإعداد العام للعمل التحليلي، إلا أن إعداداً خاصًا لمثل تلك الجلسة ربما يحدث خارج العلاج في الأيام البينية بين الجلسات، وأثناء

الزيارة لمكتب المحلل، وفي غرفة الانتظار، وفي بداية الجلسة نفسها. وإن الإعداد ربما يتضمن تركيزاً موجهًا عن عمد نحو المشكلة، حيث يحدد المريض المشكلة لنفسه لفظيًا، كما ربما يفعل العالِم أو الرياضي.ومع ذلك، في التحليل النفسي، كما في العلم، الإعداد الاكثر إنتاجية هو غالبًا "التفكير في لا شيء" بطريقة خاصة، وترك محتويات الجلسة السابقة، أو الخيال ومادة الحلم تتحرك داخل وخارج الرؤية. وإن طبيعة مرحلة الإعداد من المرجح تغيرها على نحو ملحوظ، مع إنتاجية اكثر" للتفكير في لا شيء" أثناء استمرار العلاج. وفي تكرار العملية، فإن كل تطور لدائرة يخدم أيضًا في كونه إعداداً لدائرة التالية.

في الجلسة ذاتها، مع تحول المريض داخليًا، فإن مكونات جديدة لمخطط وجداني مُهيمِن ومُشكل تدخل في حيز التركيز تدريجيًا. وإن المخطط المُهيمِن محدَّد من خلال الأحداث الخاصة بحياة المريض، بما يتضمن أحداث العلاج. ومن المرجح أن المخطط يعمل بشكل منشق؛ ومن المرجح أن التنشيط يتضمن ترميزياً فرعيًا، بما في ذلك مكونات حسية وجسدية، والتي تدخل في حيز التركيز دون الاتصال بموضوعات محددة، أو بموضوعات قد تم إزاحتها. وإن جوهر الإنفعال ذاته يظل غير قابل للحديث عنه، لا يمكن وصفه، لأنه مؤلم، ولأنه أيضًا غير قابل للوصف في جوهره بشكل رمزي فرعي.

إن المخطط ربما يتم التعبير عنه في البداية بصورة غير لفظية من خلال التعبير الوجهي، والإيماء، والصوت الإنفعالي، والفعل، أو ربما يكون مُمثَّل بمصطلحات لفظية عامة:" أشعر بالتعب"؛ "أشعر بالغضب"؛ " الجو حارهنا"؛ " له رائحة غريبة"؛ " تبدو غريبًا اليوم." وربما يتجنب المريض العناصر الرمزية للمخطط، لو أنه يدركها كما هي، بينما يدع المكونات الرمزية الفرعية تقوم بعملها. ومع ذلك، فإن القاعدة الأساسية تجبره أن يظل مستمراً كلما يستطيع تلفظ وترميز- المشاعر الجسدية، والصور الغامضة، وأيًا كان ما يرد إلى العقل.

ترميز وإضاءة:

الصور والكلمات

إن تلك المرحلة هي عملية اتصال مكونات رمزية فرعية لمخططات الوجدان، والتي ربما تعمل في شكل منشق إلى صور ومن ثُم إلى كلمات.

تكوين التصور النموذجي

إن التحول الرمزي الفرعي إلى شكل رمزي يعمل أولاً ضمن النظام غير اللفظي. وإن تباين المثير المستمر لتدفق رمزي فرعي مقسم إلى أنماط أو طبقات التمثل التي تقود إلى إنتاج الصور النموذجية. فالمريض يفكر في حدثٍ ما، أو صورة، أو ذكرى، أو حلم ربما يبدو تافهًا او غير سليم. وهو لا يعرف لماذا يَرِد إلى العقل أو ما صلته المحتملة بخبرته الحالية. وإن تلك المادة ربما تتضمن ذكريات الماضي وأيضًا أحداث داخل العلاقة في هنا والآن. وهي تمثل مخطط الوجدان أو جوانب منه، وهي غالبًا جوانب هامشية علاقتها بالمخطط غير مُدرَكَة. وإن المادة الرمزية من المرجح أن يكون مسموحُ بها داخل الوعي، للمدى الذي يكون اتصالها بالإنفعال المؤلم بعيداً.

سرد الصور والأحداث

بينما لم تُدرِك المريضة بَعد المعنى الوجداني للصور المنفصلة والمشاهد التي بدأت في الظهور، إلا أنها قد تعهدت بالاستمرار في التحدث ومواصلة وصف تلك التمثلات في كلمات. وإن السرديات تكشف عن المخطط الوجداني للمريضة كما يوجد الآن، أو جزءاً هامشيًا منه، كما قد تم استعادته من الذاكرة أو حدث في سياق الموقف الحالي.

إن الإخبار بالسرد حيث توجد إمكانية كسر الحلقة المفرغة، وإمكانية البدء في إعادة تنظيم المخطط. ويحدث ذلك في مرحلة" الإضاءة" المركزية للعمل التحليلي النفسي الإبداعي. وإن القصة القديمة بسياق تفاعلي جديد من المحتمل أن تكون قصة جديدة، وليس فقط إعادة إخبار. وإن تكوين مخطط جديد في العلاج يوازي في بعض النواحي التكوين المبدئي لمخططات الوجدان في النمو

الباكر. ومع ذلك، فالمريضة لديها القوى المعرفية لبالغ، وموقف حياتها مختلف، والعلاقة الجديدة مختلفة عن القديمة. وإن العناصر الجسدية للمخطط الذي تم تنشيطه تظهر في الجلسة بشكل مُكتَشَف أو مُتغير؛ والحدث يتم تمثله في شفرة مشتركة. وإن شخص المحلل والسياق العلاجي يشكلان التصورية النموذجية في هنا والآن، والتي ربما يكون إدخالها حديثًا ضمن المخططات المنشقة. وإن العلاقة الجديدة من المحتمل أن تُمكِّن استدماج موضوعًا أكثر إسعاداً ونمو مخططات جديدة لرعاية وتنظيم الذات. وإن التصور الجديد والمخططات الجديدة تمكن التفاعلات الجديدة من الظهور داخل العلاج وخارجه؛ وتعمل تلك التفاعلات على تعديل التوقعات المؤذية الباكرة، والسماح باستيعاب معلومات جديدة، واستعادة الذكريات القديمة.

فالمحلل يُنصِت، ويعالج اتصال المريضة (بما يتضمن كافة المكونات غير اللغوية وكذلك اللفظية) داخل مخططاته الوجدانية، ويستجيب، ويقدم خبرات وجدانية جديدة، وفي بعض الأمثلة تصنيفات جديدة من خلال التأويل. وفي بعض الحالات، يتبع المحلل اتجاه ترابطات المريضة. وفي حالات أخرى، فإن رؤية المحلل ستقوده إلى إعادة توجيه المريضة حيث يبدو أن هناك إتجاهًا مفيداً متاحًا يمكن للمريضة اتخاذه، ولكنها لم تفعل بعد. ولو أن العملية ناجحة، فالمريضة قادرة على استخدام الأفكار الجديدة، والمعلومات، والخبرة- بما يتضمن ما تنتجه بنفسها وما يقدمه المحلل- لنمو تصنيفات وأبعاد جديدة، ولترميز جوانب مخططات الوجدان التي قد كانت منشطرة.

تأمل وتحقق

إن المريضة، مع المحلل، تتأمل الصور والقصص التي قامت بحكايتها. وإن المحلل ربما يأخذ القيادة عند تلك المرحلة. وإن أدوات التمايز المنطقي والتعميم يتم استحضارها عن عمد. وإن اتصال الموضوع المُزاح بمخطط الذاكرة ربما يتم إدراكه؛ وإن الاختلافات في الموقف الذي يظهر به التنشيط ربما يتم إدراكه أيضًا. وكما في مرحلة التحقق لهادامارد Hadamard، فإن النتائج يتم جعلها

أكثر دقة ويتم استكشاف المزيد من تضميناتها. وإن التفاعلات والتاويلات تقود إلى مناظير جديدة على التوقعات القديمة، بما يمكن من حدوث إعادة تكوين المخططات.

ولو تم تغيير المخطط، سنتوقع أن السرد التالي الذي سينبثق من ذلك المخطط سيكون متغيراً في الشكل، بما يعمق التقدم المتكرر. وإن إعادة تكوين المخطط ستبدأ على نحو متميز من الهامش. وما أن يتم إعادة تكوين جزءاً واحداً، فإن اتصالاً بمكون آخر ربما يتم ظهوره، كما أن حل تساولاً واحداً قاد بوانكاريه إلى آخرٍ في عملية الاكتشاف المتكررة الخاصة به.

الدائرة المرجعية في" الساعة الجيدة"

إن صياغة كريس Kris (1956) " للساعة التحليلية الجيدة" كما لُخص هنا، تأخذ الشكل الجوهري للدائرة المرجعية. وكما يقول كريس،" في كثير من الوقت، لا تبدأ' الساعة الجيدة' باحتمالية ناجحة. فهي ربما تنجح بشكل تدريجي، لنَقُل بعد أول عشر دقائق أو خمسة عشر دقيقة" (ص.446). وأقترح أن تلك العشر أو الخمسة عشر دقيقة الأولى ليست خاوية أو خالية؛ فهي المرحلة الضرورية للإعداد والإحتضان، بينما يُعد عمل الترميز الفرعي قيد التنفيذ. ويحدث الكثير داخل المريض ولكنه ليس بالكثير الذي يمكن الحديث عنه أو مشاركته. وإن المريض، والذي يلتزم بالقاعدة الأساسية، يستحضر أيًا ما ينبثق من عناصر المخطط؛ ومع ذلك، فإن المعنى الوجداني لتلك المادة لم يظهر بعد.

وفي النهاية، ستحدث المرحلة الثانية للدائرة، مرحلة الترميز أو الإضاءة. وكما يقول كريس،" وحينئذٍ ربما يرد الحلم، والترابطات، وجميعها تبدأ في تكوين منطق. وفي حالات الحظ تحديداً فإن ذاكرة من الماضي القريب أو البعيد، أو بشكل مفاجيء، ذاكرة من الأيام المظلمة ربما تقدم نفسها بدرجات متفاوتة للشحن الوجداني" (ص.446). وإن الحلم أو الذاكرة، والترابطات، تقوم بترميز المخطط وتنمي معناه الإنفعالي.

إن إمكانية التدخل لتيسير تغير ما في المخطط ربما تظهر هنا. ولكنها ليست بحاجة إلى أن تكون دائمًا تأويلاً شكليًا، كما يلاحظ كريس أيضًا: " وعندما يقوم المحلل بالتأويل، فكل ما يحتاج لقوله أحيانًا يمكن وضعه في سؤال. فالمريض ربما يلخص جيداً بنفسه، ويصل بنفسه إلى خلاصات" (ص.446). وإن التأويل أو التساؤل من خلال المحلل والتلخيص، من خلال المريض أو المحلل، يشكلان المرحلة الثالثة للدائرة، المحكومة بالتأمل وإعادة عمل المادة الجديدة التي قد أُنتِجت. وعلى النحو الأمثل، تُعد عملية استبصار وجداني والتي ربما يظهر بها بعضًا من إعادة تنظيم المخطط. وإن اتصالات جديدة ربما يتم تكوينها داخل النظام اللفظي، والتي تقوم حينئذٍ بالتغذية الراجعة لتنشيط جوانب غير لفظية أخرى للمخطط. وربما تبدأ حينئذٍ دائرة جديدة على مستوى أعمق.

إن الأشكال المتنوعة للاستبصار الزائف الذي يشير إليه كريس ربما يكون تفسيره على أنه إخفاق جانب أو أكثر للدائرة المرجعية. وعلى سبيل المثال، مخططات الوجدان ربما تكون مُنشَّطة في العلاج ولكن غير مُمثَّلة في شكل رمزية؛ أو أن التعبيرات اللفظية والرمزية ربما تظهر دون أن تكون متصلة بعناصر الترميز الفرعي الجسدية والحسية للجوهر الإنفعالي.

الدائرة المرجعية
في" جلسة تجاوزية"

إن جلسة النقاش التي عقدها ثوماي وكاتشيلي (1992)، والتي يصفاها تحديداً" الساعة الجيدة" بمنطق كريس، توضح حدوث الدائرة المرجعية وتقدمها المتكرر. وكانت تلك هي الجلسة المائة وخمسة عشر في علاج آرثر Aurther .Y، والذي قد كان يعاني من أفكار وسواسية منذ شبابه، بما يتضمن تفكيراً بأنه كان ينبغي عليه قتل أطفاله. ووفقًا للمؤلفين، كانت تلك" جلسة تجاوزية" حيث خضع المريض لتغيير إيجابي ومذهل.

تنشيط رمزي فرعي

في بداية الجلسة، تحدث آرثر عن جراح قد قام باستئصال لوزتيه تحت تأثير مخدر جزئي. وقد صاح الطبيب به كي يُبقي فمه مفتوحًا؛ ويتحدث آرثر الآن عن رغبته في الابتلاع والخوف من الإختناق. ويستجيب المحلل لمشاعر آرثر الجسدية ويشرحها؛ ويقول أنها" كما لو كنت غارقًا في الماء، أو بدلاً من ذلك الدماء." وإن التركيز في تلك المرحلة على أحداث جسدية وحسية. وإن أعراض آرثر خُبِرَت في تلك الجلسة على أنها أداة مساعدة في تشكيل أفكار منتِجة، كما يقرر ثوماي وكاتشيلي صراحةً. وإن الأعراض مُفسَّرة بشكل مناسب على أنها خطوات تجاه الترميز، لا المقاومة. وإن محلل آرثر استخدم خبرة المريض بأعراضه" ليُحيي وجدانيًا تذكره لمواقف الكبت."

الترميز: الإضاءة

إن الأعراض التي عبَّر عنها لفظيًا كانت متصلة بمخططات الوجدان المُنشَّطة. وإن المعنى الوجداني للمخطط المُنشَّط، والرغبات والتوقعات تتضمن أناس آخرين، تبدأ حينئذٍ في الظهور؛ فالمريض ينقل تخيلاً بشأن مهاجمة الجرَّاح بمشرط:" لو كنت صبيًا عمري تسعة اعوام وتناولت ببساطة الشيء القريب مني ودفعته بقوة نحو وجهه، فحينها كطفل سأتوقع أنه سيقتلني."

ويضيف المحلل على ذلك:

المحلل: نعم، وتكون بالمشرط الجراح القوي، وضابط حراسة هتلر، وهتلر، إلخ.، والإله العظيم بالسكين، وبين الأطفال الصغار فأنت نفسك طفلٌ؛ أنت ضحية... ولكنك لا تقصد بالطبع أطفالك. فأنت تقصد القوة الهائلة، ولكنه من المفزع جداً ألا يستطيع أحد الإشارة بالمشرط نحوك، وإن ذلك له تضمينات لأمور أكثر بُعداً وغير ضارة على مايبدو، مثل أنه من غير المسموح لك أن تنتقد المعالج، أعني انا. (ص.473)

ومع بدء الجلسة، يَخبُر آرثر الرغبة في التدمير والخوف من أن يكون مدمَّراً في السياق الجديد للعلاقة التحليلية، وكذلك في سياق قِيَمِه وقواه الراشدة.

فهو يرى أن خوفاته ليست بشأن اطفاله، ولكنها بشأن عدو لا يجرؤ على الدفا ع عن نفسه ضده. وهو يرى أن لديه نفس المشاعر تجاه المحلل، الذي قد تحدث عن زيادة أجره.

التأمل والتحقق

عقب العناصر الجسدية والحسية، وظهور الصور والمشاهد، يستطيع آرثر حينئذٍ الاستمرار لفحص توحده مع كلٍ من الضحية والمعتدي بطرق تأملية. فهو يستطيع الآن ان يفرق بين رغبته في تدمير أطفاله أو نفسه عن رغبته في تدمير مُعذِّبيه. وإن كلا المخططين لهما عناصر لنفس الجوهر الإنفعالي، بينما قد أُزيحت الموضوعات. ويظهر التأمل في الخطاب المشترك، وتستدخل الثيمة المحلل ايضًا.

وكما يمكننا أن نرى، فإن تحليل ثوماي وكاتشيلي لتلك" الساعة الجيدة" يتوافق مع نظرية الدائرة المرجعية. فالمريض، في ذلك التقدم الترميزي، قد انتقل من خبرات داخل الجسد للابتلاع والاختناق إلى التخيل بدفع المشرط في وجع الجراح، ومن ثم كونه مُدمَّراً من خلال الجراح، ثم إلى بعض الاستكشاف والإيضاح للمعنى الوجداني لتلك الصور والتخيلات. وكما يشير المؤلفون، فإن تلك الجلسة تتناقض مع الجلسة السابقة (114)، والتي قد وصفها المحلل بالساعة" السيئة." فقد تعطل العمل، وفقًا للمؤلفين، لأن الأعراض تم احتوائها لفظيًا بدلاً من خبرتها في الجلسة وتم السماح لها بمزيد من النمو في تحول رمزي. وإن التحول سريعًا إلى التناظرات اللفظية في الجلسة 114، قبل حدوث العملية الترميزية داخل النظام غير اللفظي، منع تشغيل الدائرة المرجعية هناك. وإن خبرات الجلسة 115 سمحت ببدء نمو المعنى الوجداني.

تكرار الدائرة

وفي تلك الساعة المنتجة، يتابع آرثر حديثه وصولاً إلى تدفق- أو حتى فيض- من السرديات التي تتضمن قضايا الإنتقام والضعف، والتي بها تسلسل لموضوعات مُزاحة، بما في ذلك المحلل، فيما يبدو:

على الرغم من أنه قد كان خاضعًا في اتجاهه أنه كان ضحية، إلا انه بدأ فجأة، بمنولوجيات درامية لتسوية الحسابات مع مختلف قامعيه: والده، والذي لم يحاول فهمه، ولكنه بدلاً من ذلك قد عاقبه عقب مُزحة صبيانية وذهب بعدها إلى الحرب- بلا عودة- دون حتى أن يودعه؛ وفي أغلب الأحوال كان المريض ليقوم بمهاجمته مستخدمًا سلاحًا. وقد كان يود أن يكون له سبيل مع معلمه السادي. وكان غاضبًا من أمه التي كانت تخدعه من طفولته. وأخيراً هاجمني، أي المحلل، لأنني أجبرته على الاعتراف. وقد قارن ذلك القهر، الابتسام، بصورة لكلب ينبغي عليك أخذه للصيد، أعني، أنه شعر بأنه مجبراً على فعل شيء أراد بالفعل القيام به غريزيًا. (ص. 474)

إن المخطط القديم المُنشَّط في الجلسة يصبح متغيراً في الشكل. فهو يتهم المحلل بإثارة مشاعر الانتقام بداخله والتي لم يستطع إرضاءها." وقد جعل ذلك الاتهام جزءاً من صورة جميلة لرجل لم يستطع حتى أن يحرر متعته بالاستمناء لأنه لم يملك يدين" (ص.474). وإن مكونًا جديداً للمخطط، وهو ثيمة المتعة الجنسية التي لا يمكن تحريرها، ومرتبط بثيمة الانتقام، آخذ في الظهور:

المريض: نعم، وهنا تأتي كل تلك الأشكال وتصبح حية، وأصبح مجنونًا بصورة رهيبة بشأن كل تلك السنوات- لمن كان ينبغي أن تؤتى ثمارها؟ فلا أحد هناك (تمتمة). وكان لدي التفكير التالي.

ما فائدة الشعور بالاشتهاء الجنسي في مكان ما لو لم يكن لدي، حسنًا ولم يكن لدي امرأة أو حتى يدان لإرضاء نفسي؟ (ص.474)

إن التقدم في الموضوعات والسرديات بخصوصها والذي يظهر في تلك الجلسة يشكل جزءاً من عملية "العمل من خلال "working through. وقد ناقش جيدو Gedo (1995) وجولدبرجر Goldberger (1995) حل المشكلة

فيما يتعلق بالعملية المرجعية بتلك المصطلحات. وفي ذلك الفيض من السرديات، فإن الدائرة المرجعية، مع وظيفتها الترميزية المركزية، تظهر على نحو متكرر بشكل مركز وعالي الكثافة.

إن استبصار آرثر الجديد- والذي أعقب السرديات والتفاعل معها- كان استبصاراً وجدانيًا: فلم يكن استبصاراً معرفيًا فقط، ولا خبرة وجدانية تصحيحية، ولكن انبثاق للاتصالات الجديدة داخل مخططات الوجدان. وإن الجوهر الإنفعالي للمخطط خُبِر أولاً جسمانيًا في سياق تفاعلي؛ وهذا قاد للتعبير عن التصور السردي، والذي تم التأمل فيه. وكما يقول ثوماي وكاتشيلي، فإن آرثر" لم يشتكي فكريًا فقط من أنه كان محرومًا من حقوقه الأساسية كطفل، ولكنه خَبُر ذلك على أنه فقدُ وجودي، واستجاب لذلك من خلال الغضب" (1992، ص. 475).

إن حالة آرثر تقدم إيضاحًا لعمليات المرض وشفائه في العلاج، كما لُخِّص في الفصل السابق. وفي انشقاق مخططات الوجدان، والتي أنتجت العصاب لدى آرثر، حيث انفصلت المكونات الجسدية والحسية من موضوعاتها المبدئية، أي مختلف القامعين في حياته. وعندما نُشِّطت مكونات رمزية فرعية تلك في سياقات مختلفة في حياته لاحقًا، ربطهم آرثر بموضوعات رمزية جديدة، في تلك الحالة، بأطفاله. ومع ذلك، فإن تلك المحاولة لإصلاح المخطط، لتمد بمعنى رمزي من نوع ما كانت تدميرية في حد ذاتها. وفي العلاج، كان من الضروري فصل موضوع الأطفال المُزاح، ومن ثُم من الممكن تنمية وصف تكيفي وصادق أكثر للمخطط، أي الوصف الذي استدخله آرثر كضحية ومعتدي، وعكس بشكل أكثر دقة ما الذي ربما توقعه من الآخرين ومن نفسه حاليًا. وكجزء من عملية إعادة التنظيم، فإن شخص المحلل أصبح موضوعًا رمزيا جديداً، ونشأت أيضًا موضوعات رمزية من ذكريات الماضي.

الدائرة المرجعية
في عملية الإنصات

ركزت هنا على عملية ترجمة الشفرة غير اللفظية، بما يتضمن معلومات وجدانية ورمزية فرعية جسدية، إلى الشفرة اللفظية. وكما رأينا، فإن العملية المرجعية ثنائية الاتجاه بالضرورة، وهذا يحتاج إلى أن يكون مؤكداً أيضًا. وإن العملية المرجعية مُتضمَّنة حيث يترجم المنصتون (أو القراء) كلمات الىخرين بالرجوع إلى انظمتهم التمثلية الوجدانية والرمزية الفرعية. وإن عملية الترجمة العكسية مُتضمَّنة أيضًا بطريقة مستمرة ومُكررة باستخدام الفرد للغة في توجيه وتنظيم ذاته.

إن المهارة الخاصة بالمحلل النفسي، أن ينصت إلى مادة لفظية" بالأذن الثالثة،" وأن يكتشف الصلة الضمنية بين عناصر أبنية الوجدان، معتمداً على اشتراك الوظيفة المرجعية ثنائية الاتجاه في عملية الإنصات. وإن وصف أرلو(1979) Arlow لعملية الإنصات، في بحثه" أصل التأويل" يتبع في الأساس تقدم الدائرة المرجعية:

١. يبدأ المحلل بوقف الحكم النقدي، مُنصتًا على نحو سلبي وغير تمييزي لما يقوم المريض بتقريره. وإن كيفيات السلوك، بما يتضمن التعبيرات الوجهية، ووضعية الجسد، والإيماءات، وجرس الصوت، ومعدل الكلام جميعها تنقل معلومات معنية بالاهتمامات الوجدانية للمريض. ويتم الإمداد بالمعلومات أيضًا من التغيرات التي يَخبُرها المحلل بحالته الإنفعالية والفسيولوجية. وربما نلاحظ أن أرلو يُعطي هنا وصفاً دقيقًا نوعًا ما لمعالجة الترميز الفرعي.فالمحلل يتقبل متصلاً بمخطط الوجدان المُنشَّط حاليًا للمريض مع جوهره الإنفعالي للترميز الفرعي، دون فرض تصنيفات وجدانية حتى الآن.

٢. وعند نقطة محددة، فإن التمثلات العقلية من ذاكرة المحلل وخبرته تدخل إلى شعوره وتتسبب في تحول مما يطلق عليه مصطلح موقف الاعتماد السلبي- وهو ما نسميه "ترميز فرعي." وإن تلك التمثلات تأتي بشكل عام، كما يقول أرلو، في" شكل تفكير عشوائي نوعًا ما، أو ذاكرة المريض مع مشكلة

مشابهة، أو سطراً من الشعر، أو كلمات لأغنية، أو مُزحة سمعها، أو تعليقًا فكاهيًا له، أو ربما جريدة قرأها الليلة الماضية، أو عرضًا في اجتماع المجتمع المحلي منذ عدة أسابيع" (ص. 200). وإن اتصال التمثل الجديد بما كان يقوله المريض ربما لا يكون واضحًا في البداية. وتلك هي مرحلة الترميز أو الإضاءة لعملية الإنصات الخاصة بالمحلل، والتي ربما تأتي في شكل تصوري أو كأفكار لفظية.

٣. وإن ارتباط تمثلات المحلل بالمخاوف الوجدانية للمريض يتم إما على الفور أو فيما بعد بوقت قصير. ويصنع المحلل تلك الارتباطات لنفسه، ومن ثُم يجب أن يقرر، على أساس حكمه الإكلينيكي، ما هي الجوانب التي من المفترض نقلها للمريض وكيف. وإن الاستجابة" ينبغي أن يتم جعلها ساكنة مع مادة المريض وفقًا لمحك معرفي ومنضبط قبل أن يتم صياغتها في تأويل" (ص.205). وتلك هي المرحلة التأملية الثالثة لعملية الإنصات والتي من خلالها يتم توليد التأويلات.

وإنه لمن المهم رؤية أن التمثلات التي تستند إليها استجابة المحلل هي الترميز للمخطط الخاص به لما قد نقله المريض له. وإنه المعنى الوجداني للمحلل فيما يتعلق بمادة المريض والذي يتم تنميته هنا، بغض النظر عن كيف أن المرض ربما يكون واضحًا بالكامل الآن في عقل المريض. وإن فهم المحلل يجب أن يكون متاثراً بمخططاته الوجدانية، بما يتضمن المخططات التي ربما لا تكون معروفة بالكامل بالنسبة له. وفي تعليقاته على الجلسة، يقول محلل آرثر أنه فكر في إشارته للماء، لأن المريض قد كان ذات مرة في موقف خطير جداً وتعرض للغرق تقريبًا. وإن استئصال اللوزتين ذكَّر المحلل ايضًا بقلع أحد أسنانه والتي قد تعرض لها بنفسه كبالغ، حيث تجمعت كمية كبيرة من الدماء في حلقه مما جعله يشعر كما لو" كنت غارقًا في الماء حتى حلقي." وإن المعنى لارتباطات المحلل بتعبيرات المريض ربما يبدو بديهيًا للمحلل، وبالنسبة للقاريء لتقرير الحالة، ولكن تظل الحاجة للتحقق من صدقه.

ومبدئيًا، ينبغي أن نكون قادرين على التحديد من استجابة المريض

ومسيرة العلاج اللاحقة لأي مدى مخطط المحلل الخاص بالمريض يمثل مخاوف المريض. وإن بعضًا من مشكلات ذلك التحديد داخل سياق العلاج قد نوقش في الفصل الثاني. وإن تطبيق إجراءات البحث الامبريقي لمناقشة مثل تلك القضايا الخاصة بالتصديق سوف يتم مناقشتها في الفصلين 18 و19.

التحليل النفسي كاستكشاف واكتشاف: التحول

داخل عملية "عمل الاستيعاب وكسر المقاومة" مع المريض وفي عمل المحلل في الإنصات والاستجابة- كما في عمل الإختراع والاكتشاف للشاعر، أو عالم الرياضيات، أو العالِم- تُعد الوظيفة الترميزية مركزية. وفي كل الحالات، يستكشف الفرد في مجال تمثلات وعمليات رمزية فرعية، ويصلها بالرموز، والتي ربما تكون صوراً أو كلمات.

ويمكننا بشكل عمدى أن نتحكم ونوجِّه معالجتنا الرمزية لدرجة جديرة بالاعتبار، ويمكننا فعل ذلك بشكل عام بصورة أفضل حتى بالنسبة للغة عن التصورية. ويمكننا فقط تنمية تساؤلاتنا والعمل بجدية للإجابة عليها، ومن ثُم ننتظر المعالج الرمزي الفرعي ليقوم بعمله. ونقوم بتزويد النظام بالمعلومات التي ربما يحتاجها المعالج الرمزي الفرعي، وحتى إن لم نكن قادرين على أن نقول ما هي تلك المعلومات تحديداً أو كيف سيتم استخدامها.

عندما سُئل الملازم جو ليوفورن Joe Leaphorn من شرطة قبيلة نافاجو بواسطة كيندي Kennedy، مدير مكتب التحقيقات الفيدرالية المحلي، للبحث عن آثار القاتل في سهل منطقة سيجبرش Sagebrush، أخذ يسير في دوائر متسعة وبشكل متقاطع عبر التضاريس:

وسأل كيندي،" ما الذي كنت تبحث عنه؟" " إلى جانب الآثار." قال ليوفورن،" لا شيء بالتحديد." " لم تكن حتمًا تبحث عن أي شيء بالتحديد. لو كنت تفعل ذلك، ما كنت لترى الأشياء التي لا تبحث عنها." (Hillerman, 1989, p.23)

إن العالِم، والمحقق، والمريض التحليلي، وكذلك المحلل، يعرفون جميعهم متى يبحثون عن الحل بنشاط، وحتى عندما يبدو العمل بلا جدوى، ويشعرون بأنهم يعملون في الظلام؛ وأيضًا متى يتوقفون وينتظرون، بصبر وصدر رحب، ليعمل النظام من تلقاء نفسه وظهور بعض من الوضوح. وإن النظام الرمزي الفرعي، ما أن يتم إعداده بشكل كافي، يقوم بتنفيذ معالجته محددة المحتوى وفقاً للأبعاد وفي اتجاهات نطاق المشكلة الخاصة به. ولو أنه حقق حلاً يمكن ترميزه، حينئذٍ ربما يبدو ذلك بالنسبة إلينا كما لو كان من الخارج. وإن تلك المعالجة في وحدات رمزية فرعية هي الجوهر الأساسي للعمل الإبداعي، والأساس للغموض والشوق لزيارة" الإلهام،" وأساس الإضاءة، و"المفاجأة،" التي نأملها في العمل التحليلي.

إن تحول الانتباه بعيداً عن الهجوم المباشر على مشكلة ما للبحث دون معرفة ما الذي تبحث عنه هو امر حاسم بالنسبة لعملية الاكتشاف في التحليل النفسي، كما بالنسبة للعلوم والفنون. ومع ذلك، فإن التحول يلعب أيضًا دوراً محدداً بالنسبة للمحتويات العقلية التي تتم مناقشتها في التحليل النفسي. وبعيداً عن الوظيفة العامة لمعالجة الترميز الفرعي في أي بحث إبداعي، هناك حاجة مُلحَّة لمثل تلك المعالجة عندما تكون الأشياء التي يبحث عنها احدنا تمثلات نُمِّيت مبدئيًا في الحياة الباكرة في شكل رمزي فرعي ولم يتم ابداً الإفصاح عنها صراحة. وإن مثل تلك الخبرة قد يكون من المتوقع ظهورها فقط عندما يُمنَح نظام رمزي فرعي حرية القيام بعمله.

ولا تزال الحاجة إلى السماح لمعالج رمزي فرعي بالعمل اكثر حسمًا عندما لا تكون فقط المعلومات المرجوة غير قابلة للتعبير عنها في كلمات، وبمنطق معرفي، ولكن ايضًا لا يمكن النطق بها، وبمنطق وجداني- ومرتبطة بافكار لعينة من المفزع جداً البوح بها (أو معرفتها). وإن العمليات المتكاملة الكيفية الرمزية لا يمكنها العمل مع مثل تلك الصور صعبة الاحتمال والأغراض المتصارعة. وفي المجال الرمزي، لا يمكننا اكتشاف وتجنب نفس الصور والأفكار. وهنا تدخل ضمن العمل القوى الخاصة بالكيفيات الرمزية الفرعية، والتي تعمل ضمن

نظام معالجة متعدد. وإن معالجات الترميز الفرعي المستقلة تشتغل في كيفياتها وبأشكالها الخاصة، دون أن تكون مُوجهة- أو معاقة- من خلال العمليات التنظيمية للكيفيات الرمزية. وبتلك الطريقة، فإن معالجة رمزية فرعية يمكنها تيسير الاتصال بما لا يمكن التلفظ به قبل أن تقوم العمليات التكاملية للنظام الرمزي بتولي الأمر لمنع ذلك وتوجيه الحركة بعيداً. وفي استعادة خبرة ما ومن ثم الإخبار بقصة متصلة بطريقة ما بمخطط الوجدان، ولكن علاقتها بالمخطط غير مُدرَكة، فإن المريضة تشارك المعلومات قبل أن يكون معناها الوجداني معروفًا بالنسبة لها. ولا يمكن لأحدنا أن يتلفظ مباشرة بما لا يمكن التلفظ به، ولكنه سيكون بالضرورة موجوداً فيما يتلفظ به أحدنا، لو قادر على أن يحول انتباهه بعيداً.

لو انبثقت التمثلات الخاصة بمخطط وجداني مفزع في سياق الإطار التفاعلي والجديد للطرح، فإن المادة التي قد كانت صعبة الاحتمال سابقًا ربما تبدأ في أخذ معنى- أقل في عدم نطقه- جديد. كما أن عدوانه وإيذائه يتم خبرتهما في العلاج، وفي العلاقة بالمحلل، فخوف آرثر من تدمير أطفاله يأخذ معنى جديداً بالنسبة له.

وربما نلاحظ خطراً خاصًا للاستكشاف في الموقف التحليلي النفسي، والذي لا يوجد في استكشافات العلم. وإن تحول الانتباه المسموح به في التداعي الحر والذي يُعد جوهريًا في أي مجازفة إبداعية ربما يشتغل بنفسه في خدمة محاولة التجنب، وربما يكون مشتقًا أو مدعومًا في جزء ما من خلال ذلك. وبدلاً من تنشيط الاتصالات بين كيفيات معالجة رمزية ورمزية فرعية ، فإن التحول بذلك المنطق ربما يعمل على إيقاف الاتصالات. وليكون مُنتِجًا في خدمة الاكتشاف الوجداني، فإن المريض بحاجة إلى تنمية نوع من" الرؤية الوجدانية،" والتي تُعد مشابهة لرؤية عالِم الرياضيات المبدع، ويحتاج إلى الشجاعة ايضًا لاتباع رؤيته- ليميز الاتجاهات المفيدة عن الدوائر والنهايات غير المفيدة. وفي البداية، يعتمد العمل بشكل حاسم على الرؤية الوجدانية للمحلل بخصوص المريض، لتوجيه استكشافات المريض في اتجاه الموضوع من خلال قضايا

المريض الخاصة. وتدريجيًا، فإن المريضة ربما تنمي وتستخدم رؤيتها الوجدانية على أنها الموجِّه لترابطاتها. وإن نمو الرؤية الوجدانية يُعد مكونًا رئيسيًا للعمل التحليلي الناجح الذي يبدأفي العلاج ولكنه يستمر فيما بعدعلى مدار الحياة.

إن قدرة المريضة على البحث بحرية وعلى الترميز لا تعتمد مبدئيًا على رؤية المحلل فقط ولكن أيضًا على قوة حضور المحلل على أنه يؤثر بصورة مباشرة على حوسبة الخطر في العالَم التفاعلي للمريضة. ويظهر ذلك أولاً في الطرح. ومن خلال إعادة تنظيم مخططات الوجدان، فإن توقعات المريضة للخطر ستكون محوسبة تدريجيًا بطريقة أكثر عمومية. ومع ذلك، فنحن بحاجة إلى إدراك أن المحلل، والذي قد استُدخِل كموضوع رمزي جديد في مخططات الوجدان للمريضة، سيلعب دوراً مستمراً في حياتها الوجدانية. وإن المحلل ربما يكون مستدخلاً بمختلف الأشكال في المخططات التي قد نمت في العلاقة وقد أُعيد بناؤها، وربما تصبح أيضًا رمزاً ساراً في تكوين مخططات جديدة للتهدئة وتنظيم الذات. وإن فض الطرح بذلك المنطق، لا يمكن أن يكون أكثر من كونه جزئيًا. وربما توجد أيضًا حالات يفشل فيها العلاج، وسيقود التمثل المستدخل للمحلل إلى انشقاقات جديدة. وفي أي من الحالتين، فإن انتهاء العلاج لا ينهي حضور المحلل وقوته. وإن المحلل كرمزٍ لموضوع يظل عاملاً نشطًا في العالَم التمثلي الداخلي للمريض.

الفصل الخامس عشر
الدائرة المرجعية في الخيالات والأحلام

رأي فرويد نظرية الأحلام، بمفاهيمها المركزية للعمليات الأولية والثانوية، على أنها مساهمته الأكثر اصالة ودلالة.

إن ذلك الكتاب بالإسهام الجديد لعلم النفس والذي أدهش العالم عندما نُشر عام (1900)، يظل بشكل أساسي دون تغيير. فهو يحتوي، وحتى وفقًا لحكمي الحالي، الأكثر قيمة من كل الاكتشافات التي حالفني الحظ لاكتشافها. وإن استبصاراً كهذا يقع على عاتق المرء ولكن مرة واحدة في العمر. (1900, p.xxxii)

نظرية الأحلام لدى فرويد

ظل تأويل الأحلام ذا اهمية مركزية خلال كل التحولات التي حدثت في النظرية والفنية التحليلية النفسية. وفي حين أن النظرية التحليلية النفسية للأحلام قد تطورت وتغيرت، كما قد حدث لجوانب النظرية الأخرى، فإن المراحل الرئيسية لتكوين الحلم، كما افترضت من خلال فرويد، ربما تكون ملخصة بمصطلحات عامة كالآتي:

١. التنشيط. إن طاقات الرغبات المكبوتة، والتي تظل نشطة أثناء النوم، تضغط للإفرا غ، مهددة بإيقاظ النائم. ومع ذلك، فإن الجهاز العضلي يتم كبح حفزه، ومن ثم تعطيله.

٢. الافكار الكامنة للحلم. إن الرغبة اللاشعورية تحاول التقدم باتجاه ما قبل الشعور ومنه إلى الشعور. ومع ذلك، فإن فكرة لاشعورية كهذه، غير قادرة على الدخول إلى ما قبل الشعور ويمكنها فقط إظهار تأثير هناك" من خلال تكوين اتصال مع فكرة تنتمي بالفعل إلى ما قبل الشعور" (1900، ص. 601)، بفضل اتصالها" بنظام ذاكرة للرموز اللغوي" (1955، ص.613)، ومن ثم تقييد

طاقة الرغبة. وإن الأفكار الكامنة للحلم أبنية منطقية ومعقدة، مع كل الخصائص للتفكير العقلاني المتيقظ.

٣. تحول إلى شكل ملموس. وفي مرحلة متوسطة لعمل الحلم، فإن الأفكار المعقدة والمجردة الكامنة للحلم تتم ترجمتها إلى شكل لفظي اكثر حسية- أي نوع اللغة التي يمكن إيضاحها بطريقة مصورة على نحو اكثر سهولة. ويربط فرويد ذلك بمرحلة مشابهة في عملية استبدال مقال سياسي لسلسلة من التوضيحات. وفي كلتا الحالتين، فإن أحد خطوات العملية تتضمن إعطاء الأفكار المجردة للمحتوى الكامن" صياغة مختلفة، والتي ربما تبدو أقل من المعتاد ولكنها ستحتوي على مكونات ملموسة اكثر وقادرة على أن تكون ممثَّلة" (1916-1917,p.175)

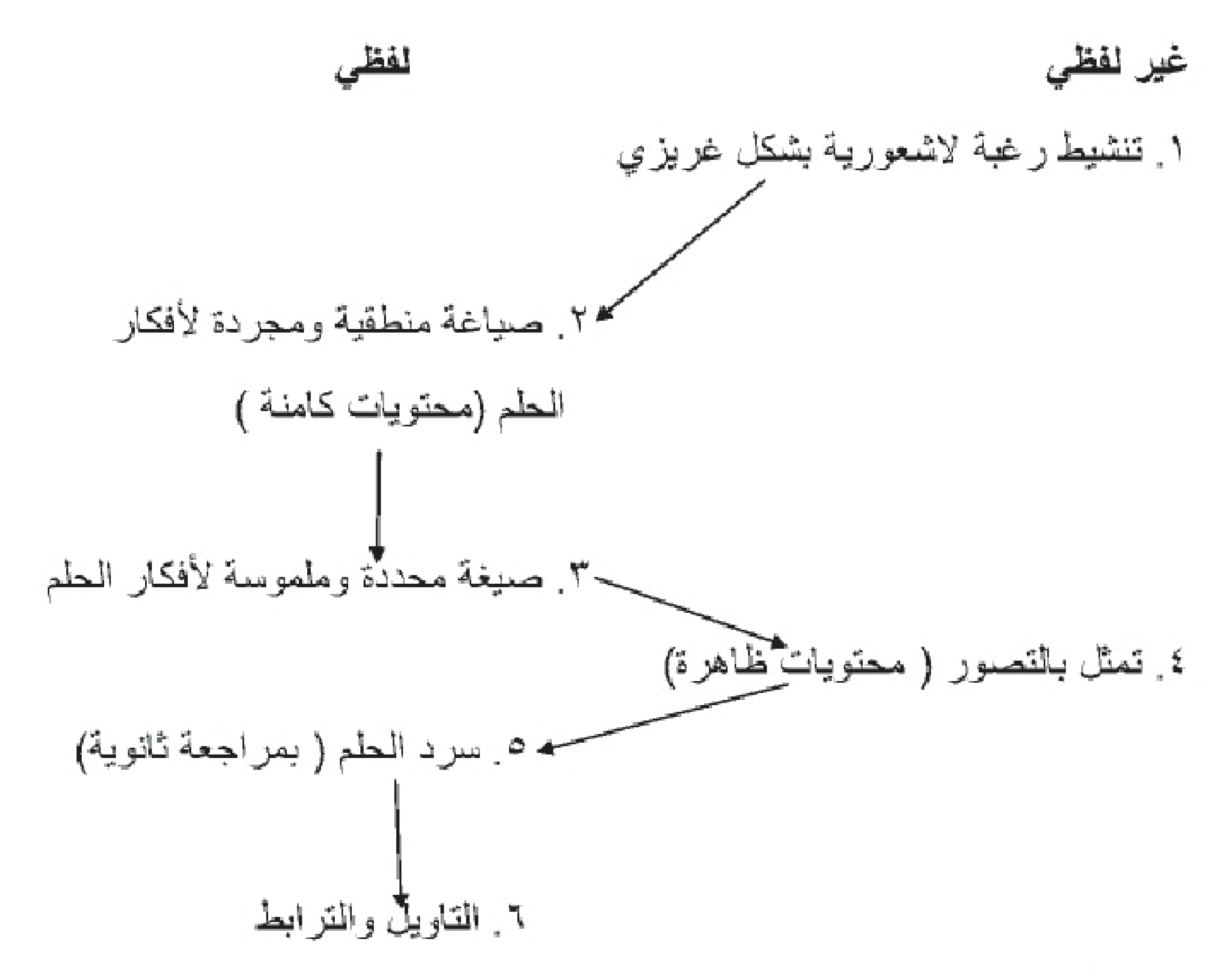
٤. التمثل المصور. إن التعبيرات الملموسة واللفظية لأفكار الحلم يمكن أن تُمثّل حينئذ في شكل مصور. وإن تمثل التفكير اللفظي في شكل مصور يتوازى مع العملية التي من خلالها تُحول الأفكار العادية إلى اعراض في العُصاب، كما يشغل وظيفة الرقيب، والتي تمارس ضد الرغبات اللاشعورية غير المقبولة. وإن ذلك يعكس" حركة نكوصية في الجهاز النفسي من تصرف خيالي معقد راجعًا إلى المادة الخام لآثار الذاكرة الكامنة وراء ذلك." (1900، ص. 581)

٥. السرد اللفظي. إن التمثل المصور للمحتوى الظاهر تتم ترجمته عكسيًا حينئذ بالرجوع إلى الشكل اللفظي لينتج تقرير الحلم. وإن عملية المراجعة الثانوية تساهم في بناء سرد متماسك وتواصلي.

٦. الترابط والتأويل. وفي الترابطات بعناصر سرد الحلم، بمساعدة التاويل، يحدث تشفير لعمل الحلم. وإن الحالم ربما حينئذ يبدأ في استعادة الأفكار المكبوتة للحلم، والمحتويات اللفظية الكامنة للمرحلة الثانية والتي تشكل تعبير الرغبة اللاشعورية، والتي يخفيها الحلم.

توجد عدة مشكلات مع تلك الصياغة، بما يتضمن كلا من عدم الاتساق الداخلي لنموذج وافتقاره إلى الدعم في البحث النفسي والعصبي الفسيولوجي الحالي. وإن تسلسل المعالجة الممثل في نظرية تكوين الحلم لدى فرويد تتطلب

تراجعا وتقدمًا بين الأشكال اللفظية وغير اللفظية– من تنشيط رغبة لاشعورية؛ إلى أفكار كامنه للحلم ومعقدة ومجردة؛ ثم إلى تمثلات ملموسة ولفظية لتلك الأفكار؛ ثم إلى تصور ملموس؛ ثم إلى تقارير لفظية وارتباطات بتلك التقارير. وإن ملخصًا تخطيطيًا لذلك التسلسل مبين في ذلك الشكل 15.1. وإن الصياغة" المتعرجة " المعقدة هي وظيفة مباشرة لنموذج التوسط اللفظي الضمني لدى فرويد، حيث التمثل المنظم



شكل ١٥.١. تكوين وتأويل الأحلام: التسلسل المتعرج لدى فرويد

وتحول المعنى يمكن ان يظهر فقط بكيفية لفظية. وكما ناقشت لا يوجد دليل في البحث المعرفي الحالي على التوسط اللفظي بذلك المنطق.

وإن عدم اتساق النظرية يُرى ايضًا في صياغة فرويد لإجراءات عمل الحلم. وهناك وجهان لتلك الصياغة واللذان لا يزالان غير ملائمين بشكل كبير. ومن منظور واحد، راى فرويد التمثل المصور للافكار على أنه وظيفة الرقيب، والتي يتم ممارستها ضد الرغبات اللاشعورية غير المقبولة. ويُرى الرقيب على

أنه يعمل لإخفاء وتشويه عناصر الحلم الكامنة بطريقة موازية لعمل الاعراض في الحالات المرضية (1900، ص.636). وإن ذلك" العلاج الجسدي الشاذ" هو صفة للنكوص أو الذهان وحالات أخرى بديلة. وكما قد ناقشت، فإن التوازي بين رموز الحلم والأعراض المرضية كان مركزيًا في رؤية فرويد على مدار كتاباته.

وعلى الجانب الآخر، وصف فرويد أيضًا عمل الحلم على أنه وسائل تمثل، والوسائل التي من خلالها يمكن للأفكار المجردة والمعقدة لأفكار الحلم أن يتم التعبير عنها في شكل مصور. فهو يعرض فهرسة أصيلة وشاملة لأشكال التمثل المنهجية والمقدمة من خلال عمل الحلم، والتي من خلالها ربما تتم ترجمة المفاهيم المجردة إلى تصور ملموس. وإن قلب عملية تكوين الحلم والجانب الأكثر أصالة لصياغة فرويد يكمن في مفاهيمه لعمل الحلم، والميكانيزمات المتنوعة التي من خلالها يتم توليد صور الحلم.

وفي تنمية نظريته، توصل فرويد إلى التساؤل عما إذا كان عمل الحلم هو بالفعل وظيفة الرقيب:" ولكن على الرغم من أن التكثيف يجعل الأحلام مُبهمة، إلا أنه لا يعطي لأحدنا انطباعًا بكونه أثراً لرقابة الحلم. ويبدو أنه من الممكن تتبعه إلى حد ما بالنسبة لبعض العوامل الميكانيكية أو الاقتصادية" (Freud, 1916–1917, p. 173). وبالمثل، فإن عملية التمثل البصري للأفكار المجردة في العلاقة بين صورة ظاهرة لحلم ما والمحتوى الكامن" لا تُعد بشكل كبير تشويهًا للأخير (المحتوى) بقدر ما هي تمثل له، أي تصوير ملموس وزائف له، والتي تتخذ بدايتها من الصياغة" (Freud, 1916–1917, p. 121). وإن الرمزية هي وسائل التعبير، وعملية التمثل استناداً إلى تشابهات إدراكية ووظيفية.

وبينما أدرك فرويد أن وظيفة عمل الحلم التمثل بدلاً من الإخفاء، إلا أن نموذج الطاقة ليس له ميكانيزم يمكن من تفسير تصوره على أنه كيفية تمثلية منظمة ومنهجية. وإن إجراءات عمل الحلم كيفيات عمل العملية الأولية، ومن ثم فهي مرتبطة بطاقة غير مقيدة باحثة عن إفراغ فوري وفقًا لمبدأ اللذة. وتكون الطاقة مقيدة خلال عمل العملية الثانوية، والتي تعمل برموز لفظية. ولا يوجد أساس في نموذج الطاقة لدى فرويد بشأن التنظيم الجوهري داخل الكيفية غير اللفظية.

وعند بعض النقاط في كتاباته، حاول فرويد ملائمة الوظائف التمثلية لعمل الحلم مع مفهوم العملية الأولية من خلال التأكيد على الطبيعة القديمة لشكل التمثل الذي كان ممكنًا في الأحلام. وهكذا، في كتابة عام 1933، وصف الاحلام على أنها تشكل كيفية متميزة للتفكير، وهي مقدمة وراثية سلالية للكيفية اللفظية. وإن خصائص الأحلام، استناداً إلى اللغة المصورة بدلاً من اللفظية، مشروحة بواسطة فرويد على أنها مظاهر لكيفيات اكثر قدمًا على نحو وراثي لعمل الجهاز العقلي، والتي يمكن أن تأتي في المقدمة أثناء النكوص في حالة النوم (reported in Thomoe & Kaechele, 1987, p. 140) ومن منظور فرويد، فإن مثل تلك الكيفيات للتفكير ستبني شكلاً مميزاً، قديمًا من ناحية الوراثة السلالية ونكوصية، ولكنه قادر على محاولة حل نوع من المشكلات بشكل بدائي. وإن ذلك التخمين الخاص بفرويد مثير للاهتمام في التنبؤ بمفهوم المعالجة غير اللفظية المنهجية، ولكنه يظل دون إدراك الدلالة المستمرة لتلك الوظيفة في الحياة العقلية الناضجة أو تحديد الميكانيزم الخاص بعملها.

وإن النظرية البنائية تضيف رؤية الاحداث النفسية، بما يتضمن الأحلام والخيالات، كما بها تعددية التحديد من خلال نزوعات الهو، والانا، والأنا الأعلى، بدلاً من تنشيطها بشكل ضروري او مباشر من خلال الاندفاعات الغريزية أو اللاشعورية (Arlow & Brenner, 1964).

إن النظرية البنائية تفحص أيضًا الاتصال الضروري للرموز اللغوية بكيفيات الشعور أو ما قبل الشعور؛ وهكذا، فإن التمثلات اللغوية ربما تظهر أيضًا في اللاشعور. وهذا يجعلنا أقرب لتفسير متسق لتكوين الحلم. ومع ذلك، داخل النظرية البنائية، كما في النموذج الطبوغرافي، يتم الاحتفاظ بمفاهيم العملية الاولية بتضميناتها الحيوية، ولا يوجد ميكانيزم أساسي يمكنه تفسير التعديل المنهجي، والمنظم، والمعنى المعقد في شكل غير لفظي في حالة النوم أو اليقظة.

إن عدم اتساق النموذج قد تم إدراكه من خلال العديد من المؤلفين بداية من أرلو وحتى هولت، كما حاولوا التوصل لبعض الحلول، كما نوقش باكراً في

ذلك الكتاب. وكما اعترف هولت وآخرون في النهاية، فإن نظرية العملية الأولية تظل في " فوضى محزنة." وإن معالجة المعلومات المنهجية في الاحلام، مثل الخيالات اللاشعورية المنظمة في حياة اليقظة، " وتربك " منهجية التفسيرات التحليلية النفسية الكلاسيكية (Arlow, 1969).

منظور البحث الحالي للحلم

إن النظرية التحليلية النفسية للحلم قد رفضت بشكل عام في حقل البحث الامبريقي للنوم والحلم. وإن الدراسة الامبريقية للأحلام بدات في تحديد فترات حركة العين السريعة (REM) التي تظهر اثناء النوم والتي تبدو مرتبطة بالأحلام التي تتضمن تصور بصري (Aserinsky & Kleitman, 1953). ووفقًا لوجهات النظر الحالية، فإن عملية الحلم تعتمد على تنشيط حركة العين والذي ينشأ من عظم الدما غ الجذعي (Hobson & Mccarley, 1977). وإن اندفاعات جذع الدما غ يتم بدأها عشوائيًا كما أنها غير متأثرة بنظام الوظائف المعرفية العليا. وإن الاندفاعات العصبية التي تصل إلى القشرة في موجات جسدية قذالية ركبية جانبية (PGO) تتوقف أثناء فترات حركات العين السريعة (REM)، بينما يتم كبح المُدخل الوارد. وحينئذ تعمل القشرة على إحداث بعض النظام داخل التمثلات المنشَّطة من خلال تلك الاندفاعات التلقائية والعشوائية، مكونة تركيبًا من الاندفاعات المنشِّطة مع تمثلات أخرى جارية. وبتلك الوسائل، يكتسب الحلم محتوياته الخاصة، والتي يخبرها الحالم، والتي حينئذٍ يتذكر بعضًا منها عندما يستيقظ. ووفقًا لتلك الصياغة، فإن الأحلام لها خصائص هلوسية وضلالية، لأن المخ الحالم مُنفصل عن واقع الإدخال الحسي. وتظهر التشوهات والغرابة التي تصف الأحلام لأن الإشارات العصبية مُنشَّطة بعشوائية، كما أن القشرة تنجح جزئيًا فقط في إحداث النظام داخل تلك الإشارات.

إن صياغة التنشيط المُركبّة قد تم تأويلها من قبل البعض بافتراضها أن الأحلام تعكس فقط الإنطلاقة العصبية العشوائية دونما معنى نفسي. وهذا يُعد تأويل مبسط. وعلى سبيل المثال، لا ينكر هوبسون Hobson (1988)

إمكانية أن يكون للأحلام معنى نفسي. وإن تنشيط الأحلام ربما يكون معتمداً على النشاط الذي يتم توليده بعشوائية من جذع الدماغ، بدلاً من كونه خاصًا بمادة مكبوتة؛ ومع ذلك، ما إن تسكن حركة العين السريعة ويتم استحثاث الحلم فسيولوجيًا، فإن الرغبات والأفكار الأخرى ربما يتم التعبير عنها وتُشكِّل أحداث الحلم. وإن انتقادات هوبسون، وانتقادات باحثي الأحلام الآخرين، لم تركز كثيراً على إمكانية أن يكون للأحلام معنى نفسي كما العديد من الافتراضات الخاصة بالنظرية التحليلية النفسية: الافتراض أن الحلم ينبثق من الطاقة لرغبة لاشعورية؛ والرؤية أن الأحلام لها غرض استمرار النوم؛ والاعتقاد بالرقيب عاملاً على تشوية وإخفاء المحتويات الكامنة؛ وضمنًا، الافتراض أن المحتويات الظاهرة تعمل على إخفاء المعنى الفعلي للحلم.

إن تلك الافتراضات وافتراضات ذات صلة تنبثق من نظرية الطاقة، كما قد رأينا؛ ومع ذلك، فإن الاستبصار التحليلي النفسي الجوهري- الوظيفة الخاصة بالأحلام لتمثل المعنى الوجداني- لا يستلزم مثل تلك الافتراضات. وإن نمو المعنى الوجداني في الاحلام يمكن ان يكون مُفسَّراً باستخدام آلية التشفير المتعدد، دون ان يكون مُقيَّداً بمفاهيم الطاقة وتضميناتها غير المتسقة. وإن النموذج المفترض هنا يتفق مع الصياغة التحليلية النفسية الأساسية وأيضًا مع البحث الحالي للأحلام. وككل النماذج، فإن عناصر تلك النظرية بحاجة إلى أن يتم اختبارها ودعمها أو عدم تأكيدها.

نموذج الشفرة المتعدد للأحلام

إن عمل العملية المرجعية في تكوين الحلم يتوازي مع عملها في خيالات اليقظة، والتداعي الحر، وأشكال أخرى للتفكير والتعبير، مع تعديلات تنشأ من اختلافات محددة للإدخال الوارد والتنشيط القشري في حالات النوم واليقظة. وإن مراحل العملية المرجعية، كما تعمل في تكوين وتأويل الأحلام، ربما توصف كالآتي.

تنشيط رمزي فرعي: المحتويات الكامنة

يهتم الحالم بأحداث ومشكلات اليوم، على الرغم من أنه ربما لا يكون واعيًا بمعناها الوجداني. وكما في حياة اليقظة، فإن تركيز الفرد على أسئلة أو مشكلات محددة يخدم في تنشيط مخطط وجداني، بأنظمته الخاصة بمعالجة رمزية فرعية. وإن عمليات رمزية فرعية يمكن النفاذ إليها في حركات العين السريعة أثناء النوم أكثر من أي حالة أخرى. وإن التنشيط لعناصر رمزية فرعية– يشمل عناصر حشوية وإحساسًا بالحركة، بالإضافة إلى خبرة حسية أخرى– يتم تيسيره من خلال غياب الإدخال البصري الخارجي، بالإضافة إلى التنشيط الدماغي المرتفع الذي يعد خاصية لفترات حركات العين السريعة (Hobson & McCarley, 1977; Hobson, Lydic & Baghdoyan, 1986, Antrobus, 1991).

وإن مخطط الوجدان المُنشَّط يشكل المحتوى الكامن للحلم. وإن محتويات حلم ما ربما تكون متنوعة كالمخططات التي تشكل العلم الوجداني للفرد. وإن مخططات الوجدان المُنشَّطة ربما يتضمن رغبة لاشعورية تبحث عن إشباعها، ولكن ربما توجد أيضًا على نحو متساوي بنية وجدان أخرى– خوف، أو قلق، أو صراع، أو مشكلة يحاول الفرد حلها. وفي بعض الحالات، ربما يستمر استيعاب المشكلات المعرفية أيضًا على أن يتم معالجتها أثناء النوم وظهورها في الأحلام. وفي التنشيط المبدئي لمخطط وجداني، من المرجح أن تكون العمليات الرمزية الفرعية مُهيمِنة؛ وتلك هي الحالة تحديداً لمخططات الوجدان المنشقة.

مرحلة الترميز: المحتوى الظاهر وقصة الحلم

إن عملية الترميز في تكوين الحلم تتضمن مرحلتين فرعيتين: 1) تمثل من خلال الصور في المحتوى الظاهر، 2) وتمثلات من خلال الكلمات في قصة الحلم.

تصور الحلم

كما أوضح الباحثين في مجال الأحلام فإن نطاقًا من التنشيط البصري يظهر بصورة تلقائية في حالة حركة العين السريعة، ومع ذلك، فإن الصور التي يتعامل معها الحالم، والارتباطات بتلك الصور، ستكون محددة من خلال مخططات الوجدان التي قد أُثيرت. وفي حركات العين السريعة أثناء النوم، يكون التنشيط البصري مُحفَّزاً، كما أن الخبرة الحسية والجسدية من داخل الجسد يسهل النفاذ إليها أيضًا نسبيًا، بينما يكون الإدخال الوارد والتنشيط الحركي مُخفَّضًا على نحو كبير. والصور المُنشَّطة في كل الكيفيات متاحة على ان يتم وصلها بالمخططات المنشطرة التي قد أُثيرت. فهي تقدم موضوعات لتحل محل الموضوعات الاصلية التي قد جُننِّبت من ثم تقدم معنى رمزي لمخططات قد فُقِد معناها. وإن التصور الظاهر ربما يكون مُهيمَنًا من خلال المكون البصري، ولكن ربما يتضمن أيضًا مكونات جسدية وحسية أخرى. وتخدم الصور بكونها ارتباطات موضوعية لحالات المشاعر، كما تفعل الصور تحديداً في أشكال الفن الإبداعي.

وإن عمليات عمل الحلم هي ميكانيزمات معيارية للنظام غير اللفظي والتي تنطبق على عدة انماط للخبرة في حياة اليقظة كما في النوم. وبالنسبة للتكثيف والتمثل الرمزي، فإن الترابطات والاتصالات التي يتم تكوينها تتبع المباديء العامة لتنظيم النسق غير اللفظي. وإن اختيار الصور لتمثل أفكار أخرى أو كيانات ربما يكون مستنداً إلى تشابه وظيفي وإدراكي، أو إلى مجاورة الحدث في الزمان والمكان. وإن الموضوعات الترميزية المُدخَلة حديثًا في مخطط ما غالبًا ما تعكس ترابطات يمكن إدراكها والتي تُعد مشتركة ثقافيًا (أكياس نقود، خواتم، أبراج، سجائر، أو دخول القطارات إلى المحطات). وفي مثل تلك الحالات، فإن الشخص الذي يُنصت إلى تقرير حلم ما ربما يكون أيضًا قادراً (أو يعتقد انه قادر) على الإنخراط في تحليله. وإن مهنة مفسر الأحلام- وببعض المنطق المحلل- مبنية على قوة تفسير مثل تلك الرمزية المشتركة. وبينما ميز فرويد الإزاحة على أنها العمل الخاص بالرقيب بالكامل وعلى أن ليس لها وظيفة

تمثلية، إلا أننا يمكننا رؤية أن التحولات في الإنفعال والتأكيد أن فرويد وصفها على انها إزاحة ربما تكون منهجية أيضًا. ومع ذلك، فالأساس هنا للترابط ربما يوجد في الحياة الداخلية للفرد، ولذلك فالاتصالات غالبًا ما تكون تمييزية من ثم أكثر صعوبة- مستحيلة في بعض الأحيان- في اكتشافها.

وإن تمثل مخططات الوجدان من خلال مثل ذلك التصور المنفصل والظاهر هو المرحلة الأولى في العملية الترميزية. وفي حين أن العناصر الممكنة للمحتويات الظاهرة تمتد على نطاق واسع فإن تنظيمها وتحولها يحدث ضمن النظام غير اللفظي، دون أن يكون التوسط اللفظي مطلوبًا عند أي نقطة. وإن المادة اللفظية ربما تظهر في المحتويات الظاهرة بطرق متنوعة، عادة على هيئة أصوات الحديث أو كلمات مكتوبة، أو بالتلاعب بالكلمات، ولكن الأفكار اللفظية لا توجه تكوين الحلم.

سردية الحلم

إن التصور المنفصل للمحتويات الظاهرة ربما حينئذٍ يكون ملفوظًا. فالصور الرمزية والمشاهد هي نمط التمثلات غير اللفظية التي يمكن ان تكون متصلة بسهولة أكثر بالكلمات. وفي نمو القصة، فإن السيناريو كما يظهر في الحلم يتم تعديله أيضًا بدرجات متفاوتة من خلال المباديء المُنظِّمة للنظام اللفظي. وإن ذلك التعديل (أو" المراجعة الثانوية") يتضمن ترابطات منطقية، ووضع بنية نحوية، وتسلسل المشاهد والصور، ومجموعة متنوعة من الأدوات التواصلية والسرد القصصي. وإن بعضًامن تلك الأدوات ربما يعزز، والبعض ربما يعرقل، تمثل مخطط الوجدان الذي قد تم استعادته.

تأمل: ترابط وتأويل

إن فهم حلم ما يعتمد حينئذ على تفسير نظامه الرمزي الجديد من خلال ترابطات جديدة وتاويلات الصور والذكريات. وإن التعبير اللفظي له قوة لتيسير إيضاح المعنى الخاص بالحلم، كما أن تفسير استعارة ما ربما يُثري المعنى الكامن للقصيدة. وفي النهاية، فالمريض ربما يكون قادراً على توليد تقرير

لفظي لبعض من المعاني الوجدانية المُعبَّر عنها في المحتويات الكامنة للحلم. وفي العلاج، ربما يكون عمل التأمل والتأويل تعاونيًا في مرحلة التوسط اللفظي هذه. فالمحلل يساعد المريض على معرفة المعاني الجديدة واحتوائها واستكشافها.

ونرى أنه في نموذج العملية المرجعية، كما في نموذج فرويد، الغرض هو وصل مادة وجدانية كامنة بتفكير لفظي، وإن وسيلة الاتصال تكون من خلال صور ملموسة محددة وكلمات تُحيل إليها. وإن الاختلاف هو اتجاه المعالجة المُفتَرَضة. وفي نظرية الشفرة المتعددة، تكون تمثلات رمزية فرعية والعمليات متصلة بالتصورية ومن ثم بالسرديات اللفظية التي تصف تلك الصور الملموسة؛ وربما حينئذ يظهر تأمل أكثر تجريداً بشأن السرديات الملموسة والمُصوَّرة. وكما وُصِف من خلال فرويد؛ فإن العملية، في جزء ما، هي العكس: يتم تحويل أفكار الحلم التجريدية غلى شكل لفظي ملموس ومن ثم إلى تصور. وهنا يأخذ التنظيم المنهجي وتحول الأفكار مكانهما ضمن النظام اللفظي. ومع ذلك، ما أن نُدرك معالجة المعلومات المنهجية في النظام غير اللفظي نرى أنه ليس من الضروري تحويل عبء التحول إلى الكيفية اللغوية؛ فالنظام غير اللفظي يقوم بعمله التنظيمي. وهكذا، يمكننا الاستغناء عن الخطوة الثانية والثالثة من نموذج فرويد التصور- اللغة- التصور المتعرج، ويمكن رؤية أن كلا النموذجين متوافقان. وإن تلخيص تخطيطي للعملية المرجعية كالذي يعمل في تكوين وتاويل الحلم مُوضّح في شكل 15.2.

معالجة متوازية في الخيالات والأحلام

إن العملية الترميزية، كما تعمل في الأحلام، توازي إجراءالعملية المرجعية كما تظهر على مدار حياة اليقظة- لدى الأطفال والبالغين، وفي معالجة المعلومات الخاصة بالحياة اليومية، وفي العمل العلمي والأدبي، وكذلك في التداعي الحر. وإن استمرار المعالجة في الأحلام والتفكير اليقظ متوافق مع البحث الحالي. ووفقًا لهوبسون وآخرين،" على مستوى التسجيل خارج الخلية، لا يوجد اختلاف مرئي في ميكانيزمات التنشيط القشري المُلاحَظ خلال حركات العين السريعة

أثناء النوم واليقظة" (1986، ص. 379).

ومثل هوبسون وزملائه، يرى أنتروبس Antrobus (1991) أن معالجة التصور والأحلام متشابهان بعدة طرق:" فالصورة الكلية هي أن الأبنية القشرية التي تدعم معالجة معرفية ترابطية

غير لفظي — لفظي

١. تنشيط رمزي فرعي؛

مكونات حسية، وجسدية، وحشوية

لمخططات الوجدان(المحتوى الكامن)

↓

٢. تمثل رمزي:

أ) تصور منفصل

(المحتوى الظاهر) ←

ب) سرد الحلم

(مع مراجعة ثانوية)

↓

٣. تأويل وترابط

شكل ٢.١٥. نظرية الشفرة المتعددة لتكوين وتأويل الحلم:العملية المرجعية

يتم تنشيطها بصورة متشابهة في اليقظة وحركات العين السريعة أثناء النوم، ولكنها مُخفَّضة على نحو ملحوظ في حركات العين السريعة في غير وقت النوم" (ص.99). وكما يشير أيضًا:

إن التصور والتفكير في النوم يظهران دوريًا يحين، في المرحلة الاولى

لحركات العين السريعة، فتُنشِّط عمليات القشرة الفرعية بطريقة مُوزعة جزءاً كبيراً من العمليات القشرية التي تقوم في حالة اليقظة بحساب استجابات إدراكية ومعرفية وحركية لمثيرات خارجية. ومن ثم تفكير وتصور النوم يتشاركان العديد من خصائص استجابات اليقظة للمثيرات الحسية. وإن تلك الاستجابات تتضمن إبداع خصائص إدراكية بصرية في الغالب ولكنها تتضمن أيضًا الكيفيات السمعية واللمسية. (ص.107)

هناك اختلافات هامة أيضًا بين المعالجة في حركات العين السريعة وحالات اليقظة، والتي تفسر الصفات الخاصة ودور معالجة المعلومات الخاص بالأحلام. وربما تهتم الأحلام مبدئيًا بأي نمط من المحتويات. ومع ذلك، أثناء حياة اليقظة فالإدخال الوارد نشِط بشكل عام ويسيطر على التكامل المفاهيمي الجاري. وعلى النقيض، أثناء حركات العين السريعة، فالإدخال الوارد يتم ...، بينما تكون الصور البصرية الداخلية المولدة والخبرة الجسدية مُسيطرة. وهكذا فإن حالة حركات العين السريعة مناسبة تمامًا على وجه التحديد لتيسير تنشيط مخططات الوجدان؛ والفرد يتطلع إلى الداخل، كما تسيطر خبرة رمزية فرعية والتصورية على الحقل. وبالإضافة إلى ذلك، فبسبب كبح المثيرات الخارجية أثناء النوم، فليس هناك عائق من تأويل صور الحلم على انها إدراكات صادقة.

ويمكننا ان نرى ان التنويم وحالات أخرى بديلة، ولدى أقل، التداعي الحر، وتحديداً على الأريكة بعيداً عن مواجهة المحلل تعمل كتناظرات لحالة النوم في تلك النواحي: تقليل المُدخل الإدراكي، والسماح لخبرة رمزية فرعية والتصوري أن يكونا أكثر بروزاً. وإن الصفات الخاصة بالنشاط العقلي في الموقف التحليلي، والتي تتناقض مع حالة الحلم، تعد القيود للتعبير اللفظي وحضور شخص آخر تُنقل إليه الخبرة. وفي الخلاصة، يدعم التداعي الحر تنشيط وظائف رمزية فرعية في سياق تفاعلي والذي يسهل العملية الترميزية ويمكن الصور الخاصة من أن يتم مشاركتها.

تطبيقات وإيضاحات

في هذا القسم أقدم امثلة عديدة عن كيف أن نظرية الدائرة المرجعية ربما تُطبق لتفسير تكوين وتأويل الأحلام. سأفحص أولاً جلسة توضح نمو المعنى الوجداني لحلم ما في سياق الطرح، ومن ثم عدة أنماط من مادة الحلم التي تثير مشكلات محددة بالنسبة للتفسير التحليلي النفسي المعياري. ومن ثم سأتجه إلى شرح إريكسون Erikson (1954) للتعبير عن المعنى (بدلاً من إخفائه أو تشويهه) في السياق الظاهر لحلم إرما Irma dream وأوضح كيف يمد نموذج الشفرة المتعددة بتفسير نفسي عام لذلك.

الأحلام والطرح

في بحث الحالة الذي نوقش من خلال بوتشي (1993)، فإن المريض (وهو شاب أعذب أطلقت عليه اسم السيد أ.) قد تم إيقافه من قبل امرأة في لقاء أول الليلة الماضية.

تنشيط رمزي فرعي

في بداية الجلسة، وقبل أن يتحدث عن أحداث الليلة الماضية وقبل الإخبار بحلمه، يتحدث السيد أ. عن الشعور بالبرد والحكة. ويشعر أن البرد يأتي من الأريكة. وشعر بالهدوء والانتعاش الليلة الماضية ولم يضطرب عندما اوقفته المرأة. ولديه حكة رهيبة في قضيبه. وإن تلك الخبرات الحسية والجسدية جزء من إثارة المخطط في مرحلة الترميز الفرعي. وكما قد رأينا، فإن طبيعة مخطط منشطر تكون تحديداً

أنها مُهيمَنَة من خلال مكونات جسدية وحركية دون النفاذ إلى موضوعات الوجدان، والتي ستمكن من تكوين الاتصال بأنظمة الرموز. وفي تكوين الأحلام في حالة النوم، فإن ذلك التنشيط سيظهر في الخبرة الجسدية للحالم ومن ثم اندماجه في الحلم. وفي الإخبار بالحلم، فإن المكونات الجسدية لمخطط الوجدان ربما يُعاد خبرتها في الجلسة.

الترميز: التصور والسرد

وهكذا يقص السيد أ. حلمًا ما حيث يقود دراجة أو عجلة أحادية مع أصدقائه الذكور. فهو في ساحة قرية بها ثلاث مسارح سنيمائية؛ ويشعر بأن المشهد قد ظهر في احلامه من قبل ويصف الخلفية وتصرفاته بتفصيل دقيق. ويشعر ببعض المسؤلية تجاه أصداقائه، والتي لم يكن قادراً على الوفاء بها بشكل كافي، ويشعر باللوم من قبل والديه لفشله.

ويتغير مشهد الحلم، فهو في شقة في طابق علوي مع أصدقائه الذكور. فهو يصف صورة لغرفة، مرئية من خلال الباب، حيث توجد أريكة وكرسي؛ وجميع أصدقائه داخل الغرفة؛ ويقضي وقتًا ممتعًا بالتحدث إليهم. ومن ثم يرى خمس فتيات جميلات في المدخل، واللاتي يتطفلن على ذلك المشهد. ويقول في البداية أن الحلم انتهي هناك، ومن ثم يتذكر جزءاً آخر كان مهمًا تمامًا. وهو في طريقه إلى أعلى الدرج، شعر بأنه بائس إلى حد ما وكان عليه أن يذهب إلى المرحاض. ولسبب ما، لم يكن هناك مرحاض، وانتهي به الأمر ممسكًا برازه في يده- ليس في يده فقط، ولكن في ورق، ورق المرحاض في يده. ولم يكن هناك مكان لوضعه فيه. وصعد أعلى الدرج ولكنه لم يستطع إيجاد شيء. وأسفل طاولة، كانت هناك سلة مهملات، هكذا تخلص من الشيء بالكامل داخل السلة ثم قام بتغطيتها. وكان يأمل ألا تكون ذات رائحة. وكان يشعر بنوع من الخجل؛ في الإخبار بحلمه، ويبدأ قضيبه في الحكة مرة أخرى.

التأمل: الترابط والتاويل

إن تصور الحلم يمد برموز لعناصر مخطط الوجدان المنشطر. وفي النهاية، من خلال الترابط بالحلم، ومن خلال نقل تلك الترابطات في الخطاب المشترك، يبدأ السيد أ. في توليد تقريراً لفظيًا لبعض من معناها الوجداني الكامل.

المريض: أنا خائف من النساء، أفشي لك أنني كذلك. فهن يُرعبنني. لسن عاطفيات ولا عقلانيات كالرجال، آه، (صمت) آه، حسنًا، فهمتها وعقلتها. ومع ذلك، فالمشاعر، لا أعرف ماذا كانت المشاعر. الخجل من البراز، والإنزعاج من النساء، الإحباط لأنني لم أستطع إيجاد، آه، الفيلم الصحيح. ولم أكن ناجحًا

في عملي. آه، كانت تلك هي المشاعر.

المحلل: فلتفترض أن حركة الأمعاء والبراز يمثلان نوعًا من المشاعر العنيفة للغاية والتي تعد مخفية خلف تلك الصورة. ماذا ستكون؟ لو أنك قمت بإفشائه فجأة؟

المريض: الغضب

المحلل: أجل؟

المريض: الغضب. ما هو الحق الذي تمارسه الفتاة لتوقفني؟ هذا هو الأمر. فأنا مهم بعض الشيء. وشاب جيد إلى حد ما. الغضب، ستكون تلك هي المشاعر.

فهو يربط خبرة الغضب بالمشاعر في الجلسة، وأحداث الليلة الماضية، والذكريات الباكرة أو الخيالات التي ربما لم يتم صياغتها من قبل، بما يتضمن خيالاً معينًا بمعركة للتحكم بينه وبين والدته.

المريض: انتابتني المشاعر... كان من المفترض أن تكون أمي جالسة هناك ويدها مفتوحة في انتظار الشيء الملعون، أَتَعرِف، وربما أنا، آه، سيكون ذلك شيئًا مضحكًا، فالأمر كما لو كانت معركة بيني وبين أمي من سيحصل على برازي. كانت تريده، وأنا أردته. أرادته؛ وبالحصول عليه فقد امتلكتني، أو شيئًا ما. لا أعرف.

وينتقل السيد أ. حينئذٍ إلى ترابطات واتصالات إضافية. وإن ذلك هو الإجراء المتكرر والتفاعلي للدائرة، كما يُرى ايضًا في الاستكشافات الإبداعية لبوانكاريه.

وفي تحول ملحوظ للتركيز، يستدعي ذاكرة مرتبطة بفقدان والده، والتي تمثل أيضًا توحده به.

المريض: (وقفة) وشيء آخر مثير للاهتمام، كان البراز قليلاً جداً وانتابني نوعٌ من التساؤل عما إذا (ضحكات مكتومة) عما إذا كانت تخصني أم لا. لأنه بالحجم الحالي لجسدي، جسدي بحجم البالغين، كان ذلك بالتأكيد برازاً لطفل. كان قليلاُ، لصغير. وهذا شيء آخر ايضًا.

مم، وهنا شيء آخر. عندما كان يحتضر والدي بالمنزل، بشارع ــــــــــ، أعتقد أنني ذهبت ذات يوم إلى المرحاض الخاص به ولم يقم بتنظيف المرحاض، وكان برازه موجوداً هناك. كان طويلاً ورفيعًا، وكان صغيراً كبراز الأطفال، آه، وكان نوعًا من الرعب. خمنت بأنه لم يأكل كثيراً؛ وكان مستقيمه ينغلق أو هذا أو ذاك. ولست متأكداً ما إذا كان هذا يذكرني بذلك. ولكن لو كان كذلك، يا رجل، لاستطعت أن افهم لماذا أريد التخلص من تلك القاذورات. وإن ذلك ربما يكون، ربما يكون، آه، فهمًا أتخلص منه، ولكن يرد إلى العقل.

وفي تلك المرحلة من التأمل والاستكشاف المشترك، فإن المحلل ربما يتولى القيادة عند بعض النقاط في إيضاح المعاني الاستعارية لتصور الحلم:

المحلل: تبدو كما لو أنك انسحبت من نوع من الإثارة في العالَم (غير مسموع) والقلق إلى تلك الغرفة في الطابق العلوي، حيث الأريكة والرجل، ممسكًا بكل ذلك الشيء القذر والحقير في يدك.

إن سلة المهملات في الغرفة العلوية (مكتب المحلل) كانت مستودعًا للأشياء القذرة التي قد أُخفيت وانتُشرت حولها. وإن براز السيد أ. استدخل عدة صفات حسية، بما في ذلك السمات الخاصة بحجمه. وإن ترابطاته وصوره، كأي تمثل استعاري، تقدم معاني غير مُدرَكة من قبل، بما يتضمن إدراك بعضًا من المعاني الوجدانية للتحليل بالنسبة له. وفي انتقاء الصور من تلك المُنشَّطة أثناء حركات العين السريعة أثناء النوم، وفي تأويل تلك الصور، فإن عملية الحلم، كعملية التداعي الحر، تعطي للفرد الفرصة لإصلاح الانشقاق ، ولربط الرغبات الرمزية الفرعية ، والأشواق، والمخاوف، بموضوعات جديدة تتشارك بعض الصفات مع الموضوعات الاصلية ولكنها مختلفة أيضًا.

إن نظرية العملية المرجعية تفسر تكوين وتاويل حلم السيد أ. والمعاني الجديدة التي تنبثق في السياق التفاعلي للعلاج. ويبدأ بخبرة رمزية فرعية – الشعور بالهدوء والانتعاش الليلة الماضية، والشعور الآن بالحكة– بما يقود إلى التصور وتسمية الوجدان، وإلى صور وأفكار جديدة لم يتم استعادتها سابقًا.

(ويمكننا أن نلاحظ أيضًا أن عدة جوانب لتصور الحلم تظل غير مؤولة في تلك الجلسة.) ولا يوجد أساس لافتراض أن تقريراً ما للثيمات الوجدانية للحلم قد تم توليده قبل تكوينه، كما ستطلب صياغة فرويد الخاصة بالافكار الكامنة للحلم، أو أن تصور الحلم كان معنيًا بإخفاء معناه الضمني. وكانت التصورية طريقة منهجية لتنظيم ونقل الأفكار الوجدانية للحلم، والتي قد أصبحت سهلة النفاذ إليه في حالة نومه وفي سياق الطرح. ومن الممكن ايضًا أن المعاني الجديدة، والتي تثرى لاول مرة، ربما قد قادت إلى تغيرات في مخطط الوجدان الذي كان يتم التعبير عنه.

تمثلات رمزية لقضايا فمية

وكما قد رأينا، فإن نظرية فرويد كان بها صعوبة عامة في تفسير الخيالات اللاشعورية المُنظَّمة وصعوبة خاصة في تفسير المحتويات المُنظَّمة المستندة إلى قضايا الأوقات ماقبل اللفظية. وناقش أرلو(1955) أمثلة عديدة للأحلام حيث المحتويات الكامنة الفمية، بما يتضمن رغبات الأكل وكونه مأكولاً، يتم تمثلها في شكل رمزي من خلال النار، والأدوات وتخيل كونه مسحوقًا. وفي حالة واحدة، حلمت مريضة" بفرن هائل لحرق الجثث،" " بفتحة كبيرة على شكل بيضاوي حيث يتم دفع الناس بداخلها ونافذتين صغيرتين من الزجاج على شكل دائري حيث يمكنها من خلالهما رؤية النيران وهي تدمر الضحايا" (ص.659). ووفقًا لأرلو:

ربطت المريضة النافذتين الدائريتين بعينيها وحاجتها للتحديق في الأعضاء الجنسية للرجال. وأن الفتحة الكبيرة مثَّلت فمًا مفترسًا.... وأثناء الجلسة، اشتكت المريضة من اللعاب المفرط، وأصدرت معدتها أصواتاً، وشعرت" بجوع غاضب" حاد بينما كانت تعبر عن ذلك. ورمزت نيران الفرن حينئذٍ إلى غضبها الفمي الشديد ضد من قاموا بعمليه إخصاء لها ولزوجها. (ص.65)

وكانت المريضة مهتمة في ذلك الوقت بتوحدها بوالدها، بما يتضمن خيالات الانتقام للإصابة ببتر كان يعاني منه. ونُشِّطت القضايا من خلال الفشل

الأخير لزوجها في منافسة مهنية هامة، والتي كانت غاضبة بشأنها في علاجها. وقد نسبت ذلك الفشل إلى" التنافسية اليهودية والتحيز،" وتوحدت بزوجها في هزيمته، ورأت المحلل في دور المنتصر.

إن مخطط الحلم مُهيمَن من خلال تصور حشوي للتدمير. وإن الخبرات الجسدية الفعلية للمريضة داخل الجلسة، بما يتضمن جريان اللعاب وأصوات المعدة، مثَّلت المكون الحشوي اللاإرادي لمخطط الوجدان وأيضًا ارتبطت بفعل الافتراس التام، كما عُبِّر عنه في الحلم. وإن الرمزية المركزية للنيران يمثل مباشرة الفعل المكتمل. وإن التمثلات الحشوية الرمزية الفرعية متصلة أيضًا بصور ملموسة ومحددة لموضوعات، بما يتضمن الفرن بنافذتيه وفتحته البيضاوية الكبيرة. وإن موضوع الغضب والتدمير غير مُمثَّل في الحلم. ومن خلال ظهور تلك الخبرات والإخبار بالحلم في الجلسة، فإن تلك العناصر للخبرات المنشقة قد تكون مُرمّزة ومُخبرة أيضًا على نحو مشترك ومُلاحَظَة.

وفي ذلك الحلم، كما في المثال السابق للسيد أ.، نرى حدوث الحلم في سياق الطرح. وإن المحلل، والذي يُرى كمنتصر،أصبح موضوعًا رمزيًا في مخطط مدفوع بالغضب الفمي والانتقام، ومتصلاً بتلك المكونات الجسدية للترميز الفرعي. ويمكننا أن نلاحظ أيضًا ان المعلومات المعروفة من خلال القراءة والخبرة الثقافية المشتركة- محرقة الهولوكوست- كانت مُستدخلة في التنظيم الوجداني الشامل للمريضة وامدت بارتباطات موضوعية إضافية لعناصر المخطط. وإن المحلل ربما أيضًا كان لديه بعض المشاعر المرتبطة أُثيرت من خلال الصور في السياق التاريخي، ولذا فإن الخبرة الذاتية يمكن أن تكون منقولة ومشتركة.

وفي التمثلات الأخرى للقضايا الفمية التي نوقشت من خلال أرلو، فإن أدوات التقطيع المُسننة أو المدببة مثَّلت الأسنان في مخططات الوجدان الخاصة بالتدمير أو الإستدخال. وبالمثل، فإن الخيالات الانتحارية بكونها مسحوقة تم تأويلها على أنها تُمثِّل الرغبة في أن يتم افتراسها وأن يُعاد استدخالها، ومن ثم يُعاد توحيدها مع الأم، في النوم والموت (Arlow, 1955). وبشكل عام، فإن المحتويات الظاهرة لتلك الخيالات وذلك الحلم والتي تمثِّل مخططات فمية

تُعد مهيمَنَة من خلال تصور الفعل النمطي، والتصور الحشوي المرتبط به، والتصور البصري لأسباب ذلك الفعل. وكما في حلم السيد أ.، ليس هناك حاجة إلى استدعاء الافتراض الخاص" بالرقيب" والذي يعمل على إخفاء المحتويات الكامنة، أو الافتراض الخاص بالمحتويات الظاهرة أنها تعمل على إخفاء المعنى، وذلك لتفسير تمثل المعنى الوجداني في ذلك الحلم. وإن التصور يمثل مباشرةً المخطط الضمني في الوسيط المتاح في حالة حركات العين السريعة.

الانشقاق في خيالات الاستمناء

إن عملية الانشقاق الدفاعي وإصلاحها في الأحلام مدعوم في مناقشة أحلام الاستمناء لدى أرلو. وقد افترض أرلو (1953) أن عمليات الاستمناء ربما تكون مقسمة إلى مكونين رئيسيين: الملامسة الفعلية لجزء من الجسد بغرض الحصول على اللذة؛ والخيال الذي يصاحب مثل ذلك التلامس الجسدي.

ووفقًا لأرلو، فإن مكون الملامسة يتم تمثله بشكل منفصل في الحلم التالي: " أرى نفسي في المرحاض. وقد ملأت المرحاض بالكثير من الورق. وفاض المرحاض وعلى أن أنظف الفوضى. ولا أزال أنظف وأنظف؛ ويبدو كما لو أنني كنت أنظف طيلة الليل. واستيقظت منهكة جداً" (1953، ص. 52). وتقرر المريضة بأنها قد انتهت للتو من فترة حيضها وغسلت نفسها بعناية تمامًا. وإن المرحاض وجلسة المرحاض متساويان بالمهبل. وإن حشو الورق داخل المرحاض ذكرها بالطريقة التي اعتادت الاستمناء بها– من خلال وضعٍ قماشة بين فخذيها وتدليك أعضائها الجنسية بقوة. وإن التنظيف كان مرتبطًا بالتنظيف الفعلي الذي قامت به ذلك اليوم. ووفقًا لأرلو، " وهكذا، فإن حركات التدليك القوي في المرحاض، ربما يكون مؤولاً على أنه يُعد تمثل مصور للنشاط العضلي الخاص بالاستمناء" (ص.53).

وإن فصل مكوني الاستمناء يُعد مثالاً للتجزئة أو الانشقاق داخل مخطط الوجدان الضمني. وإن التمثلات الحشوية والحركية المرتبطة بالفعل النمطي تُعد مشتقة من الموضوع الذي سيظهر في خيال الرغبة . وإن الحلم يمثل مثل ذلك

الانشقاق . وإنه تحديدا موضوع الرغبة الذي يتم افتقاده من ذلك الحلم . وإن مخطط الوجدان يتم ترميزه مبدئيا من خلال تمثلات بحركات التدليك القوية . وإن التصرفات (الأفعال) ، مثل الأعراض الجسدية ، يمكنها أن تخدم كرموز جديدة في المخططات التي قد انشطرت بداخلها الموضوعات ، بما ييسر تنظيم المخطط واتصالاته باللغة . وإن الافعال أو الأعراض أقل احتمالا من الصور البصرية لتمكين ترابطات واسعة النطاق من أن تتضمن أشخاص آخرين ولكنها قد تخدم كخطوات باكرة في العملية الترميزية ، قبل أن تكون موضوعات الطرح أو موضوعات أخرى أن تكون مستدخلة .

إن نمطا غير عاديا لظاهرة الحلم ،" مشهد الحلم " ووصف من خلال ريكروفت (1968) Rycroft و (Lewin(1946,1948 ، ربما يحمل انشقاقاً وفشلا ترميزيا لمخطط إلى أقصى حدوده المنطقية . وتلك هي الأحلام التي تمتلك كعنصرها البصري ما يبدو أنه خلفية فارغة ، عادة بيضاء أومشهد ، وغالبا دون موضوعات منفصلة ، أو أفعال ، أو حتى أحاسيس مسماه ووفقا ريكروفت Rycroft ، فإن مثل تلك الأحلام من المرجح أن تظهر لدى المرضى بتعلقات شفهية عميقة (بتثبيتات فمية) والذين لهم رغبة أساسية للاتحاد بالثدي " (P.2) حينما " يحاولون إعادة تأسيس اتصال وجداني بالعالم الخارجي " (P.11) وقد اقترح رادو (Rado(1928 أن العملية الخاصة بمشهد الحلم " هي التكرار النفسي الداخلي المخلص لذلك الاندماج مع الأم والذي كان يحدث أثناء الرضاعة من ثدييها " (Quoted in Rycroft,1968, P.6)

وإن مثل تلك الأحلام يتم تكوينها في الأساس دون تمثلات لموضوعات محددة ومنفصلة أو أحداث تخدم كرموز . وكما في أحلام الاستمناء الموصوفة من خلال أرلو ، فإن الموضوعات ، وتحديدا الموضوعات الانسانية غير متاحة كرموز ومع ذلك ، على نقيض الأمثلة الأخرى ، فإن مشهد الحلم لا يحتوي أنماطا أخرى من الرموز أو الصور لتُمثل الجوهر الانفعالي . وربما يحاجج أحدهم بأن مثل تلك الظواهر ، دون ترميز ظاهر ، ودون عمل الحلم ، لا تُعد أحلاما فعلية على الاطلاق . وعلى الجانب الآخر ، ربما نُخمن أن تلك الأحلام

تُمثل هيمنة قوية لمكونات إدراكية رمزية فرعية ، مُشتقة من مخططات وجدانية باكرة جدا ترتبط باحتياجات واشباعات فمية ، بما يتضمن تمثلات الجوع ، والرضاعة ، والنعومة الجسدية والدفء ، وكذلك الخبرات البصرية ذات الصلة .

إن الصورة البصرية غير المنطوقة للمشهد الأبيض ربما يشير إلى نمو غير مكتمل للنظام البصري في الوقت الذي غُرِس فيه المخطط، أو نمو معرفي غير مكتمل مع الوضع في الاعتبار تمثل موضوعات في الذاكرة وبدلا من ذلك ، كما يقترح إذكور Isakower(1938) ، فإن المشهد ربما يمثل الثدي الأمومي ، وتم تنعيمه وأخذ الحقل الكامل للرؤية ، كما قد يتصور الطفل ذلك أثناء دخوله في النوم . وبمنطق أكثر عمومية ، فإن مشهد الحلم يشبه نمط الخبرة البصرية المرتبطة بحالات الغفوة أو منطقة العدم ، أو " النرفانا " للنمط المرجو عقب نهاية التأمل . وبتلك المصطلحات ، فإن مشهد الحلم ربما يُفهم أيضا على أنه تمثل بصري لترميز فرعي لمخطط وجداني مرضياً للغاية للاندماج أو السعادة . وإن ظواهر الحلم تلك ربما يكون لها أيضا تضمينات مختلفة في فترات حركات العين السريعة أو غيابها أثناء النوم

إيضاح أخير : حلم إرما

كما يخبرنا إريكسون Erikson (1954) ، فإن الحالم لحلم "إرما" كان فيزيائيا يهوديا يبلغ من العمر 39 عاما ، ومتخصص في علم الأعصاب في نهاية القرن بفيينا . وكانت النمسا ملكية كاثوليكية ؛ وكانت فيينا " متأثرة بكل من الليبرالية ومعاداة السامية المتزايدة . " وإن عائلة الحالم كانت تنمو بشكل سريع ، وكانت زوجته حبلى مرة أخرى . وكان يحاول في ذلك الوقت تحقيق مكانة اكاديمية ولكنه كان يواجه صعوبات ، من ناحية لأنه كان يهوديا ، ولكن أيضا بسبب الطبيعة الراديكالية لأفكاره .

وإن قصة حلم " إرما " الخاص بفرويد ، " نموذج " الحلم الأصلي ، معروف جيدا . باختصار ، يقوم الحالم وزوجته باستقبال الضيوف في قاعة كبيرة . ويرى إرما ويعاتبها على عدم قبولها الحل الذي اقترحه ، مخبرا إياها بأنها ما تزال تعاني من الألم ، فإنه خطأها . وتخبره بأنها تشعر بآلام في حلقها

، ومعدتها ، وبطنها ؛ فهي مُختنقة بهم . وتبدو شاحبة ومنتفخة . ويأخذها إلى النافذة ليلقي نظرة على حلقها . ويجد بقعة بيضاء كبيرة على الجانب الأيمن ويرى أيضا قشور جرب بيضاء رمادية متسعة مرتبطة بعظم الأنف الثوربينية . ويستدعى الطبيب م . ، وهو شخصية رائدة في دائرتهم ، والذي يؤكد على الفحص . ولا يبدو الطبيب م . كعادته ؛ فهو شاحب ، ويعرج ، وحلاقته نظيفة . وإن زميل الحالم وصديقه الطبيب أوتو Otto يقف بجوار إرما . وزميل آخر ، الطبيب ليو بولد Leopold ، يقف على مقربة ، ويفحصها أيضا ويلفت الانتباه إلى إشارة أخرى للعدوى على كتفها الأيسر ، والتي يستطيع الحالم أن يشعر بها . ويؤكد الطبيب م. على وجود العدوى . ويتفقون على أن العدوى جاءت من جرعة ثلاثي الميثيلمين Trimethlamin تم إعطائها إياها من خلال أوتو . فمن المحتمل أن السرنجة لم تكن نظيفة .

ويركز تحليل اريكسون لحلم إرما على الوظيفة التمثلية لعمل الحلم وتشابهه مع أنماط اخرى لنواتج رمزية . وكما ادعى اريكسون ، فإن تمثل الأفكار الكامنة للحلم في محتويات الحلم الظاهرة يوازي أشكال أخرى للتمثل التخيلي ، كما في الفنيات الإسقاطية ولَعِب الأطفال. وإن المحتويات الظاهرة تُعد نمطا لناتج رمزي والتي تحتاج فيما بعد إلى أن يتم شرحها في سياق الاهتمامات التفاعلية والوجدانية الحالية للحالم . وقد حدد اريكسون مجموعة من الصفات ، أو " التركيبات الظاهرة " التي تميز محتويات الحلم وتمد بإطار مرجعي لتحليل الحلم ، وإن قائمته لمثل تلك التركيبات يتضمن محتويات حسية ، وجسدية ، وانفعالية ، والموقع في الزمان والمكان ، والعناصر اللفظية ، ونطاقا من العلاقات التفاعلية . وباستخدام ذلك التصنيف ، فإن المعنى لأفكار الحلم ربما يكون مشروحا من خلال تحليل تركيبي للحلم الظاهر بالتفاعل مع تحليل الأفكار الكامنة للحلم . ويمكننا أن نرى أن صياغة اريكسون متوافقة مع مفهوم مخططات الوجدان التي يكمن وراءها المعنى الوجداني للأحلام ، ومتوافقة أيضا مع رؤيتنا للتصور الظاهر كتمثل وتعبير عن ذلك المعنى .

ويشرح اريكسون بتعمق كبير وتفصيل الطرق العديدة والمعقدة والتي بها

يمكن للقضايا الوجدانية الضمنية في حياة فرويد الشخصية أن تكون منشطة في وقت الحلم ـ مأزقه المهني ، وعلاقته بفليس Fliess ، والسياق الثقافي الأكبر لعصره ومكانه ـ أن يتم تعقبها في الرموز الخاصة بالحلم الظاهر . وكان فرويد يعاني من بعض الصعوبات بسبب أورام في أنفه وحلقه في ذلك الوقت وكان أيضا قلقا بشأن صحة زوجته . وإن التجويف الفمي لإرما مرتبط بالأعضاء الجنسية للمرأة . وإن التأكيد على الفم والأنف في الحلم مرتبط أيضا بعلاقة فرويد بفليس ، طبيبة الأُذن والحنجرة . والزميل الأكبر المخصي ـ حليق اللحية Castra red – beardlss ؛ الحالم مؤقتا يلتحق بالمجموعة بقوة على نحو مؤقت في نبذ الطبيب أوتو ، والذي ارتبط بفليس ، ومرتبط أيضا بصور باكرة من حياة فرويد الخاصة .

إن كل عنصر من المحتوى الظاهر له ارتباطات بعيدة المدى تساعد في إيضاح المعنى الوجداني المعقد للحلم . وسنقول بأن هناك عدة معاني مُولدة بتوازي في معالجات رمزية فرعية والتي جمعت معا من خلال التكامل الترميزي لعمل الحلم . وقام فرويد بتعقب تلك المعاني في الحلم النموذجي ، موضحا لنا كيف أن عناصر الحلم تعمل لتمثل المعاني الوجدانية بطرق معقدة واستعارية ، على الرغم من أن نموذج الطاقة الخاص به لا يمد بتفسير معقول لتلك العملية التمثيلية المنهجية . وإن عمل الحلم لا يقوم بالتشويش ؛ فهو يمد بتمثل لمعاني ضمنية متعددة الأوجه والتي تُعد بالرغم من ذلك صعبة في فهمها ، لأنها ليست معروفة بعد في المجال الرمزي . وإن حلم إرما كان جزءا من العملية المعقدة لدى فرويد في معرفة وتقبل مخططاته الوجدانية ، والتي لم تكن مُرمزة بعد ، أو كانت فقط مُرمزة جزئيا ولم يكن هناك فعل لإخفائها وإن الحلم ، مثل مرحلتي الاحتضان والإضاءة في استكشافات بوانكاريه (انظر الفصل الثالث عشر) ، ويضع الأساس للإستبصار الذي أعقبه وإن المراحل التالية للتأويل والتي عن طريقها طُور المعنى لحلم إرما لم تستطع أن تكون فعالة ما لم تكن المرحلة المبدئية للتمثل من خلال التصور الظاهر ليست ذات معنى في حد ذاتها بوسيطها التمثلي الخاص .

إعادة تكوين الطريق الملكي

إن نظرية الشفرة المتعددة تحتفظ بالرؤية التحليلية النفسية المركزية لقيمة الأحلام في الإمداد بالنفاذ إلى المعاني الوجدانية المنشقة والتي تتفق مع الانتقادات الرئيسية لباحثي الأحلام المعنيين بالنظرية التحليلية للأحلام ، وإن وظيفة معالجة المعلومات الوجدانية في الأحلام مستمرة مع معالجة المعلومات الوجدانية في حياة اليقظة ، مع القيود والقوى الخاصة بحالة النوم ـ تحديدا حركات العين السريعة أثناء النوم . وإن نوع " المعالجة النفسية " التي تظهر في الحلم لا تُعد غير عادية ولكنها شائعة في حياة اليقظة العادية . وإن الأحلام تعمل على تمثل الخبرة ، باتباع قوانين التشغيل للنظام غير اللفظي ، ومن المرجح أن تكون تحت هيمنة أشكال الرمز الفرعي التي يسهل النفاذ إليها أكثر في حالة النوم . وإن أفكار الحلم المحددة والمهيمنة ربما تكون مدفوعة بواسطة أي نمط للقلق الحالي ، وليس فقط إشباع الرغبات ، على الرغم من أن القضايا الوجدانية الممثلة في شكل رمزي فرعي من المرجح أن تكون أكثر مركزية نسبيا في حالة النوم.

إن دور التأويل والترابط في فهم مادة الحلم متوافق كليا مع رؤية هوبسون المعينة بوظيفة العمليات التأويلية المطبقة على التصور المنشط لحالة حركات العين السريعة . وإن تلك الصياغة متوافقة أيضا مع رؤية أنتروباس (1991) بأن معالجة الحلم تتضمن كلا من أعلى لأسفل عمليات رمزية بمستوى أعلى من أسفل لأعلى ومعالجة بصرية وأخرى إدراكية وحركية والتي ربما لا يكون سهل النفاذ للاستبطان ، والتي تعد منمذجة من خلال أنظمة المعالجة الموزعة المتوازية أو الأنظمة الترابطية .

إن الأحلام لا تعمل فقط لتمكن من استعادة مخططات مكونة بالفعل ومن خلال الإجراء الخاص بعمل الحلم ،فإن مخطط وجداني منشق ربما يتم إعادة تشكيله مثل العناصر الجديدة ، بترابطاتها المتنوعة ، يتم إدخالها إلى مخططات قد جُنبت موضوعاتها . وككل المخططات العقلية ، فإن مخططات الوجدان الممثلة في الأحلام تكون نشطة وتفاعلية ، وتحدد إدراك ومعالجة الإدخال الجديد ،

ومحددة ومبدلة بدورها . وتلك أيضا هي القضية أن الصياغة اللفظية لمعنى الحلم من المرجح أن يتم تكوينها للمرة الأولى من خلال سردها .

وكما يدعي فرويد ، فإن الأحلام والخيالات تتوافق في الواقع مع الأعراض ، ومع ذلك ، فإن التضمين على خلاف ذلك . وليس الأمر أن الأحلام أو الخيالات تعد أعراضاً بمنطقة كونها أشكالا نكوصية أو مرضية . وبدلا من ذلك ، فإن الأعراض الجسدية أوالنفسية ربما تحمل وظيفة ترميزية تقدمية ، بنفس المنطق كالأحلام والخيالات ، حيث لا تكون الرموز الأخرى متاحة للاستخدام . وإن الأعراض ، كالأحلام ، تُعد في الأساس محاولات للترميز ، أي الشفاء في المجال النفسي ، على الرغم من أن الأعراض ربما تجلب فيما بعد مشكلات جديدة خاصة بها .

وربما نختم بالقول أن صياغة فرويد لعمل الحلم تشكل مساهمة كبيرة في فهمنا للعقل ، كما أدعى ، وكما يتفق المجتمع التحليلي النفسي وملاحظيه بشكل عام. وإن الأحلام في الواقع هي " طريق ملكي " ـ ليست الطريق الوحيد ولكنها وسيلة رئيسية للنفاذ ـ إلى مخططات الوجدان المُهيمنة على حياة فرد ما ، بما يتضمن مكونات رمزية فرعية، التي لم يسبق التعبير عنها لفظيا ومكونات رمزية التي قد انشقت . ومن الممكن للقضايا الباكرة المحددة ، والتي تعود إلى أوقات قبل لفظية ، لا يمكن استعادتها دون الظهور في حلم أو خيال ما ، أو كونها مطورة في الطرح أو في كليهما . وكما أوضح فرويد ، وكما شرح اريكسون ، وكما أوضح بحث الحلم أيضا بطريقته ، فإن الأحلام ، كالاستعارات ، تخدم بشكل أساسي في تمثل المفاهيم بتعقيدها وعمقها ، بدلا من الإخفاء والتشويه وقد رأينا أيضا أن الأحلام تخدم في توليد معاني جديدة ، وليس مبدئيا في تمثل المعاني التي قد كونت بالفعل .

الفصل السادس عشر
نظرية الشفرة المتعددة والميتاسيكولوجيا

لقد حاولت بدلا من التماهى مع مفاهيم فرويد تقديم نموذج مترابط من عمليات معالجة المعلومات و الاستكشافات الوجدانية التي يمكن تطبيقها لعملية استكشاف التحليل النفسي،وقد يكون أيضا لديه تطبيق عام كنظرية للتنظيم النفسي.وقد تم اشتقاق التشفير المتعدد من العمل الجارى في العلوم المعرفية ولكنه يختلف عن معظم نماذج معالجة المعلومات في التركيز علي معالجة المعلومات الوجدانية، وفي معالجة السؤال المركزي حول كيفية اتصال الأنظمة التمثلية المتباينة علي نحو متكامل والذات المتوجهة بالهدف والوظائف في عالم اتصالى. فهو نموذج عام في معالجة المعلومات والقابل للتطبيق في الحياة العادية وفي علم الأمراض؛ وربما يري البعض ذلك شبيهاً ببناء فرويد ، وربما آخرون يرونه مدخلاً متميزاً لنظرية الشفرة المتعددة.

إن بعض السمات الرئيسية التي تميز نظرية الشفرة المتعددة عن نموذج فرويد للجهاز النفسي تتضمن (١) التنظيم النفسي كنظام ثلاثي(علي الأقل) بدلا من كونه نظاماً ثنائياً؛ (٢) مفاهيم مخططات الوجدان ومعالجة المعلومات الوجدانية علي عكس مفاهيم الطاقة والدافع؛ (٣) الفهم الأوسع للأعراض علي أنها رموز؛ (٤) العملية المستمرة لتشكيلات المعالجة المتعددة للمعلومات عبر الوعى والعقلانية والحياة العملية الناضجة؛ (٥) ووجهة نظر مختلفة لأغراض العلاج. وفي هذا الفصل، وسوف أقدم لمحة موجزة عن تلك النقاط وتأثيراتها ، ومن ثم أقدم معجما غير رسمي لبعض مفاهيم التحليل النفسي التي تم تعريفها حديثًا في هذا الإطار النظري.

التنظيم النفسي كنظام ثلاثى

إن عمل أساليب التفكير خارج المجال الشعورى واللفظى يُعد مركزياً بالنسبة لنظرية تحليلية نفسية. فصياغات فرويد للعملية الأولية والوظائف المكونة لها تشكل فروضاً أصلية وقابلة للتطبيق سابقة لوقتها بشكل جيد فيما يتعلق

بأشكال وعمليات التفكير غير اللفظى أو غير المُلاحظ. ومع ذلك فإن نظرية فرويد الثنائية تستدخل العديد من الافتراضات التي يمكن رؤيتها الآن على أنها لا تتحمل النقد، بشأن مفاهيم العمليات الأولية والثانوية وخصائصهم المفترضة.

والعملية الأولية كمجال للطاقة غيرالمقيدة ، تُعرَّف علي أنها تشتمل على أشكال التفكير اللاشعورى وغير اللفظي والنكوصي والطفولى والمرضى المُسَيطر عليها بواسطة محتويات إشباع الرغبة. وفي العملية الثانوية الطاقة مقيدة والتفكير شعورى ولفظى و ناضج وعقلانى ومتوجه بالواقع. كما قد رأينا في استعراض أبنية ووظائف العقل ، ومع ذلك فإن مجموعة الأبعاد التي ربطها فرويد من الناحية التنظيرية مع الكيفيتين الأساسيتين للتفكير لا تتطابق في الحقيقة. وإن تنظيم التفكير والذاكرة أكثر تعقيداً مما افتُرِضَ في أوصاف فرويد. وفي المصطلحات الحديثة سنقول إن الصدق البنائي للعمليات الأولية والثانوية كما اشْتُقَتْ من البعد الإفتراضي لاستثمار الطاقة لم يكن مُدَعَمَاً. وقد يكون التفكير الضمني أواللا شعوري لفظى أو غير لفظي؛ وربما يكون رمزي أو رمزي فرعي. ومحتويات التفكير الضمني أو غير اللفظي أو الرمزي الفرعى ربما تتضمن مفاهيم معقدة وعلمية مجردة ورياضية والعديد من الأنوا ع الأخرى للأفكار ما عدا إشباع الرغبة بالمنطق التحليلى النفسي. وأشكال التفكير الضمنية وغير اللفظية تحدث على مدار حياة البالغ العقلية و العادية وفي حالات اليقظة كما في النوم. والتفكير اللفظى أو الظاهر أو الشعورى به مجموعة متنوعة مماثلة من الوظائف والمكونات والمحتويات.

تُقر النظرية البنائية (Freud,1923 ؛ Brenner &Arlow1964) بعضاً من هذا الفشل في التوافق. وقد اضطر فرويد للاعتراف بأن التمييز بين الصفات العقلية هو أمر ليس من الضروري للتوافق مع المكون اللفظي ، أو مع الحضور أو الغياب للتحقيق المثالي للرغبة ولكن بدون تنفيذ آثارتلك الملاحظات لنموذجه للجهاز النفسى.

كما أوضحت مراجعة الأدبيات المعرفية أن النظام الثنائي ليس جيداً لتفسير الفروق في كيفية معالجة المعلومات التي قد لوحظت. وبدلا من الثنائية في

العمليات الأولية والثانوية المُحَدَدَة بواسطة فرويد، فإن نظرية الشفرة المتعددة استدخلت ثلاثة أنماط رئيسية لأنظمة معالجة المعلومات: المعالجة غير اللفظية الرمزية الفرعية والأنظمة الرمزية وكل منهما غير لفظي ولفظي، مع التغيرات المتعددة داخل كلا منهما. وإن التمييز بين العمليات غير اللفظية الرمزية الفرعية والرمزي التصوري غير معروف في نظام فرويد. فكل من العمليات الرمزية الفرعية والرمزية التصورية تم استدخالهما في العملية الأولية، المعرفة كما عرفوا من خلال فرويد، بينما ارتبطت العملية الثانوية بالصيغ اللفظية. ومع ذلك فإن التمييزبين أشكال رمزية فرعية ورمزية غير لفظية حاسم لفهم التنظيم والاتصال النفسي. وإن الكيفية الرمزية الفرعية تفسرأنماط المعالجة الحدسية والضمنية بما يشمل الوظائف الحسية والجسدية والتي تعتبر مركزية في الفهم التحليلي للعملية الأولية، والتي قد تتجنب النماذج التقليدية لمعالجة المعلومات. وإن الرمزية التصورية هو الأساس لنظام معالجة المعلومات الوجدانية حيث يقوي تنظيم النسق غير اللفظي المستقل بطريقة لفظية، ويُمَكِن اتصاله بالألفاظ أيضاً.

لم أقم ببناء مكون من عمليات لفظية رمزية فرعية داخل خلاصة نظرية الشفرة المتعددة التي تم عرضها في هذا الكتاب؛ وإنه لا يُنكر الدور المحتمل لتلك المعالجة في التنظيم النفسي وفي الترميز للخبرة الوجدانية. وإن السمات ما وراء اللغوية للكلام مثل اختلاف النغمات و الجهر والاهتزاز والتوقف هم مكونات للنطق التي عُولجت على مستويات رمزية فرعة. وإن النطق وصوت الكلام ربما يكون الأكثر ملائمة أن يتم تضمينهم مع تعبيرات الوجه وحركات الجسد في الكيفية غير اللفظية وفي الرمز الفرعى. ومع ذلك فإن العمليات ضمن سمات التمييز الفرعى تلعب أيضاً دوراً في معالجة المعلومات الدلالية. وإن نمذجة المعالجة الموزعة المتوازية (PDP) قد طُبقت علي جوانب تطور اللغة وعلي عمليات اكتشاف الألفاظ وعلي بناء اللغة لدى البالغين كما على الأطفال. وإن الدور للمكون الرمزي الفرعى اللغوى في معالجة المعلومات الوجدانية وفي إنتاج الكلام الاتصالى يحتاج أن يكون واضحاً فإما أن يكون متكاملاً في نظرية شاملة أو مُعاد تصنيفه ومُعاد تعريفه. وهذه واحدة من عدة طرق بحيث يمكن

العمل المستقبلي على نظرية الشفرة المتعددة والمخططات الوجدانية التى يمكن معالجتها.

المخططات الوجدانية والدافعية

لقد تم داخل ميتاسيكولوجيا فرويد تضمين وظائف التنشيط والتنظيم ضمن مفهوم الدافع. ولم يتم تقوية هذا المدخل الوصفي كتحديد منهجي للعوامل الداخلية ومؤثرات خارجية لتلك الوظائف. وكما أشار العديد من الكُتاب فإن تنظيم وتنشيط سلوك الانسان لا يمكن أن يكون مُفسراً بشكل كاف من خلال نظام مغلق لتحويل الطاقة. وبدلا من بناء الطاقة لدى فرويد بكل تناقضاته ومحدداته، فالتشفير المتعدد يستدخل تكوينات المخططات الوجدانية التي تُفسر الإثارة وترتيب السلوك الإنسانى كما هو منظم.وإن مفهوم المخططات الوجدانية تكويناً افتراضياً مثل مفهوم الدافع، ولكنه يختلف في تماسكه ضمن نموذج نفسي عام قابل للفحص الميدانى. ونحن نؤسس نظريتنا علي منظور حديث كأنماط محددة لمخططات معالجة المعلومات التي تُمكن من تقييم معني الأحداث لعافية الفرد ويقدم الأساس للنشاط الموجه (shirer,1984؛Lang,1994). وتُفهم المكونات الدافعية كبرامج للاستعدادات والنية مُتضمنة في مكونات التقييم المعرفى والتنشيط الفسيولوجى و الفعل الحركي كعناصر مخططات الوجدان . وترتبط أيضاً حالات المشاعر الذاتية بمخططات الوجدان . وترتبط أيضاً حالات المشاعر الذاتية بمخططات الوجدان و سوف تظهر عادةً في الوعى حين يُثار المخطط ولكنه ربما لا يمكن النفاذ إلى المخططات حين ما يحدث الانفصال .ومثل جميع المخططات فإن مخططات الوجدان نشيطة و دينامية ، وإن معالجة المعلومات الجديدة في طريق تفاعلى تؤكد إدراكنا للخبرة الجديدة وإستمرارية التغير مع المُدخل الجديد.

الأعراض كرموز

إرتباطاً بمدخل معالجة المعلومات الوجدانية الذى يهتم بدور الأعراض كما في حالة الجسدنة ويظهر في عملية الترميز. فإن مفهوم الإفرا غ البديل له معني فقط في نموذ ج الطاقة. وقد افترضنا أن ظهور الأعراض يبين انشقاق مخططات

الوجدان وذلك في حالات مرضية محددة ، وربما يكون المخطط المنشق مُنَظَمْ حول الأعراض بدلا من أن يكون حول تمثلات الشخص. وفي هذا السياق تعمل الأعراض والسلوكيات ذاتها مثل كيانات رمزية منفصلة ، فهي ربما تتحرك نحو طريق ترميزي أكثر ملائمة لا هو النكوص ولا المقاومة. فربما يكون الألم والتمثل العصابي والانهماك الوسواسي الكيانات المنفصلة متاحة للمعايشة وترتبط بالفحص في المراحل الباكرة لعلاج المرضى شديدي المرض النفسي. كما نوقش في الفصل 12 .فالأعراض والأفعال تقوي بعض الاتصال بالمخطط المنشق الذي تم صنعه قبل الموضوع الاتصال الذي يمكن أن يكون مقبولا وأكثر تكاملا مع المخطط الذي تم بنائه.

والنظرية التي عادت بمسارمفاهيمي مختلف إلى مفهوم الأعراض كحامل لمعنى وجداني منهجي ، والذي بشكل مبدئي قد إُدُعِيّ منهجيا من خلال فرويد. بالنهاية إعادة التنظيم للمخطط يتطلب بناء أوإعادة بناء للاتصالات بالأشخاص الآخرين. وعلي أية حال فالمعني الرمزي للأعراض ربما يحتاج إلى أن يكون مُتعقبا قبل أي ترميز إضافي في عالم اتصالي قد يحدث.

تشغيل الأنظمة المتعددة على مدار الحياة

إن اختلافا رئيسيا آخر بين نظرية الشفرة المتعددة والميتاسيكولوجي يُعنى المعالجة الحدسية ، والضمنية ، وغير اللفظية على مدار حياة اليقظة العادية والناضجة . وإن الأنظمة غير اللفظية الرمزية والرمزية الفرعية ربما تكون "مبدئيا" في أصولها في كل من الناحية الوراثية وفي حياة فرد ما، ولكنها ليست بحاجة إلى أن تكون قديمة أو طفولية في أداء وظائفها لدى البالغين . وإن كلا من كيفيات المعالجة الرمزية والرمزية الفرعية تلعب دورا في تكوين كل أنماط المعاني ، بما يتضمن المعاني الوجدانية ، على مدار الحياة . وكما قد حددنا ، فإن النشاط العقلي مع البنية الشكلية لمعالجة رمزية فرعية غير متجذر بالضرورة في الرغبات البدائية أو الدوافع الليبيدية أو العدوانية ، وغير مركز بالضرورة على الذات بدلا من الواقع الخارجي ، ولا يتضمن بالضرورة محتويات

غريبة ، أو غامضة ، أو منحرفة وإن المعالجة الرمزية الفرعية ربما تنطبق على مثل ذلك الموضوع ككل ، ولكن تنطبق أيضا بصورة أكثر اتساعا على نطاق واسع من مجالات أخرى للمحتوى ، كما قد ناقشت ؛ وربما تكون مركزة على الواقع الخارجي ، كما في الاكتشاف العلمي والرياضي ، وربما تعمل بالكيفية الشعورية . وتوجد تمييزات دقيقة وأنماط معقدة داخل الأنظمة غيراللفظية والتي لا يمكن الحصول عليها في الوسيط الفئوي العام للكلمات ولكن يجب أن تكون ممثلة من خلال النمذجة في وسائطهم المحددة الرمزية الفرعية . وإن أي شخص قد لاحظ فصل السيد كاسلاس أو بلانشين[1] لا يحتاج إلى أن يكون مقتنعا بتعقيد المجال غير اللفظي ، بما يتضمن المجال الرمزي الفرعي ، وبقدرته على التنشيط والتواصل بكيفية شعورية ناضجة .

تكامل الأنظمة في العلاج التحليلي النفسي

إن إعادة بناء نظرية الجهاز النفسي تقود أيضا إلى إعادة صياغة لأهداف العلاج التحليلي النفسي . وإن الغرض من العلاج التحليلي النفسي قد كان مفهوما بشكل عام على أنه هيمنة ؛ أو استبدال ، نظام أو مؤسسة واحدة بأخرى - لجعل اللاشعور شعورا ،ولتكون الأنا حيث كان الهو . ونرى الأن أن الأنظمة المتعددة ، بوظائفها الخاصة ، ومحتوياتها ، ومبادئها المنظمة ، تستمر في العمل على مدار حياة اليقظة العادية والناضجة . وإن الغرض من العلاج محدد داخل صياغة الشفرة المتعددة على أنه تسهيل تكامل الأنظمة وتمكين إعادة تكوين مخططات الوجدان التي قد انشقت ، بدلا من استبدال وظيفة بأخرى . وإن ذلك يتطلب إصلاح الانقسامات وبناء اتصالات جديدة - بين عناصر الرمز والرمز الفرعي ضمن النظام غير اللفظي ، وبين التمثلات غير اللفظية الرمزية والكلمات.

١ بابلو كاسلاس Pablo casals ،عازف تشيلو مشهور بمهارته الفائقة ، جورج بالانشين George Balanchine مصمم رقصات باليه جورجي أمريكي (المترجم).

تعريفات جديدة لمفاهيم تحليلية نفسية

في بناء علم نفس تحليلي نفسي جديد ، بالخصائص الملاحظة باكرا ، فإن بعض المفاهيم المألوفة سيتم الاحتفاظ بها ، والبعض سيتم مراجعتها وتنقيحها ، والبعض سيتم التخلي عنها . فالغرض هو تنمية شبكة مفاهيمية والتي بداخلها كل مفهوم من المفاهيم المستخدمة من قبل الاكلينيكيين ربما يكون محددا باتساق في العلاقة بمفاهيم أخرى وأحداث الملاحظة إلى هنا والتي بداخلها ربما يستمر تنقيح المفاهيم والتعريفات ، والتحقق من الافتراضات . وقد قدمت أمثلة قليلة في الفصول السابقة لنمط التعريفات التي قد تم توليدها داخل الإطار التنظيري للتشفير المتعدد وسألخص بعضا منها هنا بمصطلحات عامة للغاية وأُعطيت الأمثلة لإيضاح التطبيق المحتمل لذلك المدخل في توليد تعريفات عاملة ومع تنمية الشبكة الاسمية ، وظهور التناقضات والفجوات ، فإن التعريفات سيتم توضيحها وتنقيحها باستمرار .

إن الدفاع فئة واسعة ومتنوعة والذي يتضمن كلا من أنشطة الاتصالات المرجعية والمحاولات المختلفة وظيفيا لإعادة الترميز ؛ وإن المحاولات الأخيرة تتضمن إدخال موضوعات جديدة في مخططات قد كانت منشقة ، كما في الإزاحة. وإن نموذجا تكوينيا للدفاعات ربما يتم تنميته ، بما يميز تلك المنشقة في المقام الأول والتدميرية للمعنى الرمزي عن تلك التي تحمل المعنى الرمزي الخاص بها .

وإن الكبت ، والذي يعرف على أنه انشقاق للاتصالات المرجعية ، ربما يظهر (١) بين عمليات الرمز الفرعي ، (٢) بين عملية الرمز الفرعي والصور ، (٣) وبين الصور والكلمات . وسأقترح أن مفهوم الكبت مدخرة لإغلاق أو تدمير الاتصالات التي كانت في مكانها سابقا وإن الانشقاقات التي تظهر بسبب الاتصالات التي لم يتم تكوينها من قبل ربما توصف على أنها انشقاق دون كبت وربما تكون الحالة الأكثر عمومية .

وما قد أطلقت عليه الاكتشاف يحيل حقا إلى تكوين اتصالات مرجعية فيما بين التمثلات غير اللفظية ، بما بتضمن عمليات وتمثلات رمزية فرعية

ورمزية وكذلك بين الصور والكلمات . وإن ذلك ربما يتضمن إعادة اتصال الأنظمة من خلال إعادة تكوين اتصالات مرجعية ، أو ربما يتطلب بناء اتصالات جديدة ؛ ومرة أخرى ، فإن الأخيرة ربما تكون الحالة الأكثر عمومية .

وفي الطرح ، فإن المخططات الوجدانية المبنية من خلال التفاعلات المتكررة مع الأشكال المركزية في ماضي الفرد تستدخل الأن المحلل ؛ فهي تُطرح إلى ذلك الموضوع الرمزي الجديد .وإن مخطط الوجدان يتطور حينئذ في العلاج ولكن ـ نأمل ـ أن يكون إعادة تكوين بدلا من أن يكون تكرار .

إن التداعي الحر يُعد حرا من القيود التنظيمية أو المحادثة التقليدية ، ولذا فإن التدفق الترابطي يُعد متاحا لأن يتم توجيهه .وتحديده من خلال مخطط الوجدان الضمني الذي قد تمت إثارته . فالمريض يقرر قدر استطاعته تدفق الخبرة الحسية والجسدية والصور ، والذكريات ، والأحداث التي تنبثق . وإن الافتراض الذي صنعه فرويد ضمنيا ، والذي أتخذه صراحة ، هو أن مخلفات المشاعر التي تبدو تافهة وغير سديدة ، والصور ،والأفكار التي ترد إلى العقل تُعد عناصر للهيمنة الحالية ومخطط الوجدان الإشكالي .

إن العملية الترابطية تنشط استعادة العناصر الهامشية لمخطط تم إعاقته ، دون وعي فوري باتصالها بالرغبات المفزعة أو التوقعات المركزية للبحث . وفي السياق الجديد للعلاج ، فإن ذلك من المحتمل أن يُيسر مدخلا آخر إلى المخطط ولذا يمكن أن يتم استكشاف معناه . وكماقد لاحظت ، فتلك المقدمات الأساسية التي تكمن ورائها الطريقة التحليلية النفسية لا يمكن افتراضها ببساطة ولكنها بحاجة إلى أن يتم اختبارها أيضا .

إن (الاستيعاب والعمل مع المقاومة) Working Through ربما تكون مُعَرَفَةْ على أنها العملية المتكررة التي من خلالها يقود الإخبار بسرد ما وانعكاس ذلك على القيادة للنفاذ لمكونات جديدة لمخطط وجداني ؛ وهكذا فإن الصور الإضافية يتم تنميتها ، والذكريات يتم استعادتها بشكل حسي وجسدي أكثر اكتمالا ، والاتصالات الجديدة في النظام اللفظي يمكن صنعها أيضا . وربما بشكل أساسي يتضمن (العمل مع المقاومة) استدخال المعلومات الحشوية

والجسدية للجوهر الانفعالي في تمثل فرد ما للحدث .

ولا أقدم تعريفات لمفاهيم التأويل أو الاستبصار هنا ، ولكن مفهوم (الاستيعاب والعمل مع المقاومة) يبدأ في الإمداد بإجابة على تساؤل ايديلسون Edelson (1983) فيما يتعلق بسبب كون الاستبصار الصادق ، كما هو مفهوم عامة ، غير كافٍ : " وإن مهمة إصافية تواجه التحليل النفسي وهي ليست فقط تحديد الخصائص التي يجب أن يمتلكها اضافة إلى صدق تأويل فإنه يجب أن يكون استبصارا دقيقا لتحقيق ذلك ولكن ما هو إضافي لاكتساب استبصار صادق ضروري لتلك الأهداف المرغوب انجازها (P.100) وإن الاجابة الأفضل لتساؤل اديلسون والتعريف الأفضل الذي قد اكتشفته لمفهوم (العمل مع المقاومة) ، مقدم من خلال ريلك Rilke (1982) في روايته الأقرب إلى سيرته الذاتية (دفاتر ملاحظات ملتي لوريدس بريج The notebooks of Malte Laurids Brigge) وسأذكر هنا باختصار اقتباسا من فقرة طويلة ، وجميلة ، وسديدة :

أعتقد بأنه ينبغي على البدء في إنجاز بعض العمل ، حيث أنني الأن أتعلم أن أفهم ... يجب عليك الانتظار وفهم منطق وحلاوة الحياة بأكملها ، وحياة طويلة إن أمكن ، ومن ثم في النهاية ، ربما تكون قادراً على كتابة عشر سطور جيدة ... وليس كافيا بعد ان يكون لديك ذكريات . يجب أن تكون قادرا على نسيانها عندما تكون كثيرة، ويجب أن تتحلي بالصبر الهائل في الانتظار حتى تكرارها . وبالنسبة للذكريات في حد ذاتها فهي غير مهمة . وفقط عندما تتحول لتصبح من دمائنا ، ونظراتنا وإيمائاتنا ، وتكون بلا اسم ،ولم تعد متمايزة عن أنفسنا ـ فقط حينها يمكن أن يحدث وتنشأ الكلمة الأولى للقصيدة في ساعة نادرة جدا من بينها وتتقدم من خلالها . (PP.19–20)

وإن (العمل مع المقاومة) هو عملية تغيير استبصار صادق إلى " دماء، ونظرة وإيماءة .) ويكون ميسرا من خلال استعادة ذكريات محددة ، وأحداث محددة ، ولكنه لا يكون مكتملا إلى أن يتجاوز أحدهم الصور والكلمات .

وإن التغير البنائي يُعرف بأنه تغيير في مخططات الوجدان ؛ ويظهر

تدريجيا كالناتج الخاص (بالعمل مع المقاومة) وإن التغير البنائي ربما يتضمن بناء اتصالات مرجعية جديدة ، أو إدخال موضوعات جديدة ضمن مخططات قد صارت منشقة ، أو تبديل موضوعات في مخططات قد ظهرت بها الإزاحة . وإن التنظيم الرمزي الجديد الذي يتم تنميته في المخطط له القوة على التأثير على التشغيل الخاص بجوهره الانفعالي - ويبدأ الفرد في رؤية الأشياء بشكل مختلف والشعور بشكل مختلف ، وتكون له توقعات جديدة واعتقادات عن كيف سيتصرف الآخرون تجاهه . وإن تضمين تلك الصياغة للتغير البنائي ، كما في مفهوم (العمل مع المقاومة) ، أنها تستدخل تغيرا في المكونات الجسدية والحسية لمخططات الوجدان ، وليس فقط في المكونات اللفظية والرمزية وإن ذلك هو الغرض الفريد من التحليل النفسي ، وإن تضمينا رئيسيا لتلك الصياغة هو إيضاح أن الأغراض الأعمق للتحليل النفسي ، والعمليات التي من خلالها ربما يتم إنجاز مثل تلك الأغراض ، ربما تكون مُعبر عنها على نحو ذي معنى وضمن حدود البحث الامبريقي .

وفي حين أن التغير التكيفي في مخططات الوجدان هو الغرض من العلاج التحليلي النفسي ، فإن التغيرات في مخططات الوجدان تظهر أيضا بطرق تكيفية وغير تكيفية في الأحداث الجارية وعلاقات الحياة ؛ تلك هي الطريقة التي نتشكل بها جميعا ، وننمو ونتغير . وإن الوسائل المتنوعة لإحداث التغيير ، بما يتضمن الاستبصار أو الاستدخال ، والتي تظهر في النمو وبطرق مختلفة في العلاج ، بحاجة إلى أن يتم تعريفها بمنهجية في ضوء الأنماط الرمزية والرمزية الفرعية المتضمنة .

وتظهر الصراعات بعدة طرق مختلفة ومعقدة في التفاعلات المتكررة للحياة وفي التمثلات المستدخلة لتلك التفاعلات في مخططات الوجدان وعلى غرار موقف برينر Brenner (1992) ، كما نوقش باكرا ، فلن أفسر الصراع بمصطلحات بنائية ، كما بين الأنا ، والأنا الأعلى ، والهو ، ولكن بدلا من الصراع على أنه يظهر على نحو شامل ، ارتباطا بعدة أنماط للرغبات وعدة ميول للاستجابة . وفي بعض الحالات ، ربما يكون الفرد قاردا على حل تلك التعارضات من خلال التأمل

أو الفعل . ومع ذلك في حالات أخرى ، فإن المعاني والآثار الخاصة بمكونات التعارض ربما تكون مخبرة على أنها مهددة أو كارثية بالنسبة للتعافي أو حتى البقاء ، ليس بها إمكانية حل على أن يتم حلها داخل مواقف الحياة الخاصة بأحدهم ـ كمشاعر الغضب لدى طفل صغير والرغبة في الهجوم ربما تتواجد جنبا إلى جنب وتتضمن نفس الموضوعات كرغبة في ان يتم الاعتناء به والفزع من أن يتم التخلي عنه . وإن مثل تلك الصراعات تظهر كعوامل مفتاحية في تكوين مخططات وجدان غير تكيفية . وإن الانشقاق الدفاعي وإزاحة الموضوعات تُعد طرقا لمحاولة خفض مثل ذلك التعارض غير المحتمل .

وإن قوة التداعي الحر ربما تُرى بطريقة خاصة على أنها تمكن من النفاذ إلى الرغبات الصراعية والتوقعات التي قد انشقت . وبشكل عام ، فإن الوظيفة التنفيذية لنظام المعالجة الرمزية لن تسمح بتسجيل فوري لتمثلات الكيانات ونفيها ، وستعمل أيضا على تحويل الانتباه عن الصور المؤلمة والمهددة ، كما عن المهددات الخارجية . وإن التمثل في المعالج الرمزي الفرعي أكثر تنوعا ومرونة ؛ وأقل تحكما وخضوعا . وإن العناصر الصراعية قد تنبثق داخل الوعي ، إلى حد ما قبل أن يتم إدراكها هكذا ، كجزء من تدفق العناصر الهامشية لمخطط الوجدان ، ويمكن أن تصنع طريقها داخل الخطاب المشترك بتلك الطريقة .

وأما مفهوم المقاومة فهو بحاجة إلى أن يتم إعادة تعريفه داخل الإطار الجديد للشفرة المتعددة فالعملية المرجعية جزئية ومحدودة على نحو متأصل . وإن المكونات الرمزية الفرعية لمخططات الوجدان ، والتي تعد عالمية ، وتناظرية، ومستمرة ، ومتوازية في تشغيلها ولا يمكن أن تكون متصلة بشكل مباشر بالرموز المنفصلة ، والتي تعمل بشكل تسلسلي وأحادي القناة ، للشفرة اللفظية. ولاصطلاح كل صعوبات الخبرة الوجدانية الاتصالية على أنها " مقاومة " فإن ذلك يمثل فشلا في إدراك التباعد الأساسي للشفرات التمثلية ويبدو أنه يفترض على نحو غير صحيح أن ترجمة من شفرة إلى شفرة ستكون تلقائية وواضحة ما لم يكن الحافز لتجنب بعض الأفكار موجودا . وبالطبع سيكون أيضا الصعوبات الضمنية للعملية المرجعية ربما تكون متفاقمة من خلال الانشقاق المتضمن في

الدفاع ، وربما تتفاعل مع ذلك . وإن المقاومة المحفزة ، أو المقاومة كمفهوم دينامي ، تُعد حالة خاصة حيث يتم بها إعاقة نقل الخبرة من خلال عمليات دفاعية شعورية أو لا شعورية وإن التمييز بين الصعوبة الجوهرية للعملية المرجعية والتجنب الشعوري أو اللاشعوري للاتصال ربما لا يكون واضحا دائما ؛ وإن الدور السابق صعوبةالعملية المرجعية ينبغي اعتباره دائما عندما يكون لدى المريض صعوبة في " قول ما يعنيه ".

وبافتراض مقدمة للأنظمة المتعددة والمتنوعة التي تعمل على مدار الحياة العادية للبالغين ، فإن الاعتقاد التحليلي النفسي للنكوص بحاجة أيضا إلى أن يتم مراجعته وبينما أدرك كريس (1936) أن المعالجة غير اللفظية المعقدة على أنها وظيفة النكوص في خدمة الأنا ، سأحاجج بأنه من المضلل وصف تلك العمليات على أنها نكوصية بأي منطق .

وإن العمليات غير اللفظية المنظمة ، بما يتضمن التصور وتمثلات رمزية فرعية ، تعمل على مدار حياة اليقظة العادية على كافة المستويات الوظيفية بما يتضمن المستوى الأعلى للعمل العلمي الإبداعي ، كما هو موضح في الفصل الثالث عشر . وإن مثل تلك الوظائف غير اللفظية والمعقدة ترى على أنها "نكوصية " فقط لو افترض أحدهم تفوق المعالجة اللفظية على غيرها من اشكال المعالجة وأقترح أن مفهوم النكوص ربما يكون مقيدا لخفض القدرة بالنسبة لوظائف محددة ، بدلا من تطبيقة على تحول من كيفية لفظية إلى غير لفظية . وإن فقدان أو ترك وظائف اللغة ربما يرى على أنه نكوصي ؛ وإن فقدان وظائف التصور ربما يرى نكوصي بنفس المنطق .

وإن عددا من المفاهيم التحليلية النفسية والتمييزات لم يتم استدخالها كتلك التي في صياغة الشفرة المتعددة . وفي التحول عن نموذج فرويد الثنائي إلى بنية شفرة متعددة ، لم احتفظ بالتمييز بين العمليات الأولية والثانوية كما هو ؛ فالصدق التكويني لتلك المفاهيم لم يكن مدعوما كما نوقش باكرا . وإن التصور به ملامح كل من العمليات الأولية والثانوية ؛ فهو غير لفظي ولكنه ربما يكون منظما أيضا ، وقابل للنفاذ إلى الشعور ،ومتوجه بالواقع . وعلى النقيض ،

فإن اللغة ربما تكون معالجة خارج الوعي ؛ وربما تكون مرتبطة بأشكال التفكير النكوصية ، والطفولية ، والمرضية ؛ وربما تكون مهيمنة من خلال محتويات إشباع الرغبة ـ وكل السمات مرتبطة بكيفية العملية الأولية . وإن النموذج الثلاثي الذي افترضه يمد بمطابقة أفضل لواقع الوظائف العقلية كما نفهمها اليوم .

وإن مفاهيم الهو ، والأنا ، والأنا الأعلى لم تكن مستخدمة داخل إطار الشفرة المتعددة كما هو مقدم هنا .وإن مفاهيم مخططات الوجدان والتغير البنائي قد حددت من منظور تنظيري مختلف وأكثر عمومية ،ومع ذلك ، هناك علاقة مثيرة للاهتمام ترى بين العمليات الرمزية الفرعية ، كما عرفت هنا ، وجوانب مفهوم فرويد عن Dases ، المترجم حرفيا على أنه "الهو (The it) بدلا من الهو The it والمختلف عن dasich المترجم على أنه " الذات Theself " ويبدو من الممكن أن فرويد ربما كان يركز على الأقل جزئيا ، على مجال العمليات التي تتم خبرتها على أنها خارج الذات ، بمسمى "الهوthe it " وإن النظام الرمزي الفرعي ، كما قد عرفته ، يستدخل نفس منطق الخبرة على أنها خارج الذات ويتضمن أيضا تمثلات مرتبطة بوظائف بيولوجية . ومع ذلك ، فإن المعالجة الرمزية الفرعية تتضمن أيضا نطاقا واسعا من عمليات أخرى كذلك ، ومن ثم فهي أوسع بكثير وأكثر منهجية من مفهوم الهو Id ، بمعانيه الواجبة واستعارات " الفوضى" و " إثارة الغضب " (Freud , 1933)

وبالمثل فإن مفهوم الأنا ، كما عرف داخل النموذج البنائي ، يفتقر للصدق التكويني بالمصطلحات الحديثة وسيكون بحاجة إلى أن تتم مراجعته بصورة شاملة . وإن وظائف الجهاز النفسي التي تم ربطها بالوظائف التنظيمية للأنا ربما تُرى من المنظور الحالي على أنها تحيل إلى الاجراءات الأساسية للنظام النفسي ، والمعرف على نطاق واسع . وفتح فرويد مجال البحث عن مثل ذلك النموذج العام للنظام النفسي ، والذي سيفسر الوظائف التكيفية وكذلك غير التكيفية ولكنه كان مقيدا في تطوره بالسياق العلمي لعصره . ويمكننا أخذ خطوة إضافية في سياق علم النفس المعرفي الحديث ، على الرغم من أن ذلك

السياق العلمي به قيود أيضا ، ويمكننا أن نأمل حينئذ بأن يتم اتخاذ مزيد من الخطوات مع توسع الحقل .

وإن الهدف من ذلك العمل هو افتراض إطار عمل تنظيري والذي ربما يخدم في تحفيز النقاش والمراجعة ، والإمداد بأساس للبحث الامبريقي . ولم يكن الهدف تحديدا تقديم نظام تنظيري مكتمل ومغلق ليحل محل آخر . وربما توجد العديد من وجهات النظر المختلفة لما يشكل المفاهيم الجوهرية والمركزية للتحليل النفسي ؛ وربما توجد أيضا نظريات عامة بديلة والتي ستخدم كنماذج شارحة للتنظيم النفسي . وإن بنية وكيفيات معالجة المعلومات التي صِيغَت بحاجة إلى أن تكون موضحة ومنقحة . ومن المرجح أن يكون هناك مستويات متعددة داخل كل من الأبنية الرئيسية الثلاثة وسلسلة أكثر إيضاحا للمراحل التي يمكن أن تكون محددة في تشغيل الدائرة المرجعية. وإن كل تعريف قد تم افتراضه هنا ربما تتم مراجعته باستمرار ؛ وإن تضمينات كل مراجعة تحتاج حينئذ إلى أن تكون مترابطة من خلال النظام بأكمله وكذلك أن تتم مراجعة المفاهيم الأخرى . وإن تلك هي النتيجة في النمو النظري لعملية (الاستيعاب والعمل مع المقاومة) فالتحليل النفسي يحتاج للدخول في ساحة العمل العلمي في حقل علم النفس ، باستخدام سياق البحث الخاص به والمتحكم فيه ، والطبيعي لفحص واختبار الأفكار الجديدة في ضوء المعرفة المشتركة ، ولتيسير مثل ذلك (الاستيعاب والعمل مع المقاومة) ، ولإحداث تغيير بنائي لنظريته الخاصة .

الفصل السابع عشر
دراسات امبريقية للعملية التحليلية

إن البحث الامبريقي حول عملية العلاج يُعد بشكل أساسي طريقة تحليلية نفسية في ثوب حديث وعلمي . وإن مثل ذلك البحث يركز مباشرة على الخطاب والعلاقة في سياق العلاج ذاته ، والذي لا يمكن أن يعاد إنتاجه في محيط معملي . ومع ذلك ، فإن الدراسة العلمية تتطلب أيضا ملاحظات مشتركة وإن الاختلاف الأساسي بين طرق البحث التحليلية النفسية الحديثة والطريقة التحليلية النفسية كما صاغها فرويد هو ضرورة أن تكون عمليات العلاج قابلة للنفاذ بالنسبة للملاحظين باستثناء المشاركين ذاتهم .

وإن كثيرا من البحث حول العلاج التحليلي النفسي الذي قد نفذ حتى الآن ، بما يتضمن العمل الذي سيتم تقريره في ذلك الفصل قد اعتمد على نصوص التسجيلات وهي تزود بتسجيلات موضوعية وليس فقط غير مفلترة من خلال وجهة نظر المحلل لما هو ذو صلة ، ولكنها تستبعد أيضا أي دليل ربما يتم إنتاجه في قنوات محازية للغة ، أو وجهية ، أو جسدية . وإن عددا قليلا من الدراسات قد استخدمت إجراءات إضافية مثل تسجيلات الفيديو ، أو القياس المستمر لحالة المريض الفسيولوجية أثناء الجلسة أو فحص المريض من خلال الباحثين والإكلينيكيين بشكل أخر عن علاج المحلل (Horowitz et al , 1993 ; Eisenstein , Levy , & Masmor,1994) وبالنسبة لكل تلك المداخل ، فيجب على أحدنا أن يوازمكاسب المعلومات الزائدة ضد الآثار المحتملة لإجراء القياس في تغيير ما هو ملحوظ

وفي هذا الفصل ، سأقدم بحثا امبريقياً حول عملية العلاج ، الذي قد اعتمد مبدئيا على مقاييس لغوية واكلينيكية مطبقة على النصوص الحرفية لجلسات العلاج المسجلة . وإن القضايا العامة المعنية بالاستخدام لعملية طرق البحث ، بما يتضمن الاجراءات المستندة على مصادر خلاف التسجيلات الصوتية ، سيتم مناقشتها في الفصل الثامن عشر .

وفي الإجراء المقبول للعلاجات المسجلة ، كما هو منفذ في بحث العلاج

المفترض مناقشته في هذا الفصل ، يتفق المحلل مع المريض بشأن اجراءات التسجيل واستخدام العلاج للبحث ، ويتم الاتفاق على ضمانات السرية ، وعلى النحو الأمثل ، يتم التسجيل لكل جلسة ، مع التوقع أنه سيصبح جزءا من السياق التمهيدي للعلاج . ولو أن جلسات محددة فقط يتم تسجيلها ، لا يمكن أن تُرى على أنها تمثل العلاج ككل . وإن تسجيل العلاج بأكمله يمد بالأساس لنطاق واسع من الدراسات التتبعية . وان انتقاء الجلسات للتدوين ولمزيد من التحليل يتم القيام به حينئذ بغرض تصاميم محددة للدراسة .

وإن النصوص الحرفية يتم انتاجها باتباع قواعد معيارية (Dahl , 1978; Mergen –thale & Stinson,1992) وإن قواعد التدوين مصممة لتقليل الغموض والتشويه في التسجيلات المكتوبة ، وللسماح بتمثل المادة اللفظية في النصوص التي تُعد قريبة قدر المستطاع من الشكل المنطوق الطبيعي . وبالنسبة للأغراض الحالية للبحث ، فإن النص المدون يجب أن يكون معدا أيضا ليكون قابلا للتحليل الحاسوبي . ويتم الاحتفاظ بالسرية من خلال تبديل أسماء كل الأشخاص والأماكن المشار إليها من قبل المريض في النصوص ، وإخفاء وجوههم أيضا في التسجيلات ذاتها.

قياس الدائرة المرجعية

في دراسات بحث العملية ، فإن تدفق التفاعل بين المريض والمحلل وإجراء الدائرة المرجعية يتم فحصه باستخدام نطاق واسع من المقاييس الإكلينيكية واللغوية والتي يتم تأسيس معناها في السياق التنظيري لنظرية الشفرة المتعددة. وإن الدائرة محددة مبدئيا على أساس مقاييس النشاط المرجعي المقدرة من خلال المقيمين ، بما في ذلك مقاييس لتقييم التحديد ، والدقة ، والوضوح ، ومستوى التصور في الحديث (Bucci , 1988, 1993 ; Buccietal.,1992) ومقاييس لغوية ذات صلة . وإن المقاييس والاجراءات ذات الصلة تُعد سهلة نسبيا في التقدير ، وقد تم الوصول لثبات مقيمين (interjvdge Reliabilty) مرتفع كما نوقش في الفصل الحادي عشر . ومع ذلك ، فكأي مقياس مقدر من خلال المقيمين تُعد محدودة في انطباقها على علاجات طويلة المدى وإن إجراءات

محوسبة جديدة قد تم تنميتها الآن والتي تسمح بتطبيق ذلك المدخل في دراسات علاجات المدى الطويل والتصاميم متعددة الحالات multicase designs

وكما نوقش في الفصل الحادي عشر فإن النشاط المرجعي المقاس من خلال الحاسوب Computer – measureal Referential Activity والمطور من خلال بوتشي وميرجينتلار Bucci , Mergenthaler (1993) ، يوازي مقاييس النشاط المرجعي في عرض مراحل الدائرة . وقد طور ميرجينتلار Mergenthaler (1992–1996) أيضا مقاييس محوسبة لأنماط التجريد الوجداني (EAPS) Emotion – Abstraction – patterns والتي تمد بمؤشرات إضافية لمراحل الدائرة .وإن قياس أنماط التجريد الوجداني مستندة إلى اثنين من القواميس الحاسوبية ، النغمة الوجدانية Emotional Tone (ET) والتجريد Abstraction (AB) . وإن قائمة كلمات النغمة الوجدانية تتكون من مفردات توضح حالة وجدانية أو انفعالية للمتحدث ومن المرجح أن تثير وجدانا لدى المنصت . وإن قاموس التجريد يتكون من أسماء معقدة ومجردة والتي تُفهم على أنها إشارات للتأمل والتقييم .

وللتوصل إلى تقديرات النشاط المرجعي المحوسب ، والنغمة الوجدانية والتجريد لنص محدد ، يتم مطابقة قوائم الكلمات بالمفردات المعجمية للنص وإن أعداد الكلمات المطابقة ونسبة الكلمات المطابقة للعدد الاجمالي كلمات النص يتم حسابها باستخدام نظام التحليل النصي Text Analysis System (TAS) المطور من خلال ميرجينتلار(1985) Mergenthaler . وإن الأعداد مستندة إلى الإشارات (مجموع تكرار ظهور الكلمة) بدلا من الأنماط (كل كلمة مختلفة يتم عدها مرة واحدة فقط) وإن التفاصيل حول تلك الإجراءات المحوسبة مُغطاه في بوتشي (1995) Bucci ، (1996) Mergenthaler ، وميرجينتلار وبوتشي (1993) Bucci , Mergenthaler .

وإن كل مقياس من تلك المقاييس ، ومجموعها ، يُمثل حالة إكلينيكية محددة مرتبطة بمرحلة من الدائرة . وإن المقاييس المقيمة بالحاسوب تمد بنوع من المسح المقطعي Computer Tomography (CT) اللغوي للتعاملات

العلاجية في الجلسة ، بما يكشف عن البنية الضمنية للعملية بطريقة لا يمكن للقراءة أو الانصات وحده أن يفعلها وتشير المقاييس إلى فترات في الجلسة حيث يتعامل المريض مع خبرة وجدانية أو يبتعد عنها كما تمد أيضا بطريقة لتقييم آثار تدخلات محددة على حدوث العملية الترميزية . وإن مقاييس المحتوى ربما حينئذ تطبق لتمكن من الوصف الاكلينيكي للموضوعات الضمنية التي يتم التعبير عنها ، ولفحص التغييرات بداخلها .

وإن استخدام الإجراءات المحوسبة يقضي على ثبات المقيمين , وإن برنامج الحاسوب يقوم بتقسيم وتقدير النص تلقائيا ولا توجد إجراءات تقييم مطلوبة . وإن التساؤل السيكو متري الحاسم هو ذاك المعنى بالصدق . وإن الصدق التكويني للإجراءات اللغوية . بما يتضمن الإجراءات المحوسبة والقيمة بالأحكام ، كقياس مراحل الدائرة ، قد تم تنميته من خلال فحص صدقه التقاربي والتمييزي في العلاقة بإجراءات بحث أخرى في الشبكة الإسمية للتشفير المتعدد . وإن الصدق التكويني لكل تلك المقاييس ، بكونه ممثلا لمراحل الدائرة المرجعية ، لا يزال يتم تنميته طالما يتم استخدام المقاييس ، وإيضاح الشبكة الإسمية .

المرحلة الأولى : المرحلة الرمزية الفرعية

في المرحلة الرمزية الفرعية يكون المريض مهيمنا عليه من خلال مخاوف حسية وجسدية . وباستخدام إجراءات الأحكام التقديرية ، فقد ميزت تلك المرحلة بمستويات منخفضة نسبيا للنشاط المرجعي وبوضوح ودقة منخفضة نسبيا للمقاييس الأخرى . وباستخدام إجراءات محوسبة ، تحدد تلك المرحلة بأنها تظهر مستويات مرتفعة من مقياس النغمة الوجدانية ET ومستويات منخفضة من النشاط المرجعي المحوسب والتجريد AB

ومع ذلك ، فيما يتعلق بالمراحل الثلاثة للدائرة ، فإن المرحلة الرمزية الفرعية للمعالجة من المحتمل أن تكون الأقل قابلية للقياس باستخدام الفنيات اللغوية وإن الجوهر الانفعالي للوجدانات ، بما يتضمن الخبرة الحسية والحشوية والحركية ، من المرجح أن يكون ممثلا بشكل مباشر في التعبير الوجهي وحركة الجسد ، والتي تشكل بذاتها مكونات الخبرة الوجدانية ، في حين أن اللغة مرتبطة بتلك

الحالات لاحقا فقط وبوسائل غير مباشرة . وإن التسجيلات المصورة يمكن أن تستخدم لتقدير النشاط الوجهي أو الجسدي ؛ ومع ذلك ، يجب أن نهتم بالتدخل بمثل تلك الإجراءات وأرجحيتها في التأثير على العلاج بطرق دالة وإن الأصوات، مثل الضحك والبكاء ، والتنهد ؛ والمؤشرات غير اللغوية ، مثل التوقف ، والنبرة، وأنماط تنغيم الصوت المقيمة من خلال الإنصات إلى شرائط التسجيلات بدلا من الاعتماد على النصوص ، يمكنها إضافة معلومات هامة معنية بعمليات المرحلة الرمزية الفرعية ، دون الحاجة إلى إجراءات تسجيل إضافية وإن مثل تلك الدراسات تحدث الآن في عملنا وعمل الآخرين . ونقوم أيضا بتنمية قائمة كلمات جسدية ، تتكون من إرجاعات إلى خبرات حشوية وأخرى جسدية والتي تُعد مركزية في تصورنا للمرحلة الرمزية الفرعية ولكنها غير ممثلة في مقياس النغمة الوجدانية .

إن خصائص ومحتويات اللغة المرتبطة بالمرحلة الأولية الرمزية الفرعية قد تم الحصول عليها جزئيا ، على مستوى لفظي ، في مقياس الخبرة لجندلين (Klein , Mathieu, Gendlin,&Kieslas 1970) وإن مقياس الخبرة يقيم حالات المشاعر الذاتية والظاهراتية بدلا من التفاصيل المحددة ، والملموسة ، والحسية للتصور والأحداث المقيمة في تقدير النشاط المرجعي وفي دراسات عديدة ، فقد وجدنا أن مستويات تقديرات الخبرة تتباين مع النشاط المرجعي ، وأن تلك الخبرة من المرجح أن تكون مرتفعة في المرحلة الرمزية الفرعية ، عندما يكون النشاط المرجعي منخفض نسبيا (Bucci , 1993 ; Frettes , Bucci , Broitman , Silberschatz , & Curtis , 1994)

المرحلة الثانية : مرحلة الترميز

إن مرحلة الترميز محددة على أنها قمة النشاط المرجعي المقاس بالحاسوب ؛ وباستخدام مقاييس النشاط المرجعي نتوقع أن نرى كل المقاييس الأربعة تتقارب عند مستويات مرتفعة . وكما أوضحنا ، فإن السرديات النموذجية لمخططات الوجدان المنشطة ، بما يتضمن الموضوعات ، والأفعال ، والمشاعر الحشوية التي تظهر في المخطط ، من المرجح غالبا أن توجد في الذكريات

الخاصة ، والأحلام ، والمشاهد التي يتم الإخبار بها في ذروات النشاط المرجعي (أو النشاط المرجعي المحوسب) وإن استخدام النشاط المرجعي أو النشاط المرجعي المحوسب كمؤشر على الكلام السردي قد تم التحقق من صدقه في دراسات عديدة ، باستخدام مجتمعات بحثية موسعة وعينات كلام ، ومقاييس سردية . بالعمل من منظور نفسي لغوي ، فحص (1992) Moore العلاقة بين السرديات المحددة وفقا لمحك التحليل الخطابي ، والنشاط المرجعي المقاس من خلال مقاييس النشاط المرجعي . وفي سلسلة من المقابلات مع عينة من عينات من البالغين غير المرضى ، وفي النصوص الحرفية للجلسات التحليلية النفسية المسجلة وجد مور أن الفقرات السردية كانت باتساق من خلال تقديرات ذروة النشاط المرجعي . وفي دراسة عينة ساعات متعددة ، (Bucci , 1988, 1993 in press) , وجدت أن السرديات التي تعبر عن أنماط العلاقة المركزية كانت مركزة مبدئيا في ذروات النشاط المرجعي أو النشاط المرجعي المحوسب . وإن تلك الأنماط تضمنت مشاهد العلاقة Relationship episodes (Res) والتي تُعد قيمة العلاقة الصراعية الجوهرية معتمدة عليها CCRT ; Luborsky &) Crits – Cristoph 1988) ومؤشرات أخرى لأنماط العلاقة مثل أبنية الإطار كما عرفت من خلال تيلر وداهل(1986) Dahl , Teller والموضوعات المركزية للطرح كما حددت من خلال جيل وهوفمان(1998) Gill and Hoffman وقد وجد كالمايكوفا وآخرون (1997)Kalmykova على نحو دال مستويات مرتفعة من النشاط المرجعي المحوسب في الفقرات المعرفة على أنها مشاهد العلاقة عن الفقرات التي ليس بها مشاهد العلاقة في النصوص الحرفية للعلاجات النفسية السيكودينامية .

وإن كل تلك الدراسات تمد بصدق النشاط المرجعي أو ذروات النشاط المرجعي المحوسب على أنها تحدد النقاط في الجلسة والتي يتم بها التعبير عن الثيمات الوجدانية المركزية بشكل سردي ، وحيث مقاييس المحتوى الموضوعي ربما تكون مطبقة على نحو أكثر إفادة . وبالإضافة إلى مقاييس أنماط العلاقة المقدرة من خلال الأحكام ، نقوم أيضا بتنمية مقاييس محتوى محوسبة والتي

ستقتنص ثيمات إكلينيكية مركزية . وإن أسلوب اللغة المحوسب مقاييس المحتوى تخدم كأجهزة مسحية لرصد النقاط في جلسة ما حيث يتم بها التعبير عن محتوى موضوعي محدد، والتي ربما تخضع حينئذ لمزيد من الفحص الإكلينيكي الأكثر كثافة .

المرحلة الثالثة : تأمل وتحقق

وفي المرحلة الثالثة للدائرة ، يؤثر الفرد على دلالة السرديات التي قد أخبرت؛ وتكون اتصالات جديدة داخل النظام اللفظي ، ومن المرجح أن يكون الخطاب مشترك ؛ وربما يتولى المحلل القيادة إلى حد ما . وإن تلك المرحلة مرتبطة بشكل عام ببعض الانخفاض في النشاط المرجعي المحوسب ؛ وباستخدام مقاييس النشاط المرجعي ، ربما نرى مستويات منخفضة نسبيا من الدقة والتصورية ، وربما نرى أيضا زيادة في النغمة الوجدانية ، المصحوبة بارتفاع التجريد . ويقوم المريض " بتسمية " الخبرة الوجدانية التي قد طورت في السرديات (أخمن أنني كنت غاضبا منها بالفعل) ومن ثم يستحضر قوي النظام اللفظي لتقوم بفحص معاني السرديات التي قد أخبرت (أخمن أنني كنت غاضبا جداً لأن ...»). وإن تلك المرحلة ستكون منعكسة أيضًا في مقاييس أخرى للاستبصار (Bucci, 1993).

وصف محوسب للدائرة المرجعية

إن الدائرة المرجعية الأساسية، كما هي مقاسة من خلال إجراءاتنا المحوسبة لتحليل النص، ستتضمن حينئذ نغمة وجدانية مرتفعة، بما يشير إلى التعبير اللفظي للخبرة الوجدانية؛ ويعقبها النشاط المرجعي المحوسب المرتفع، أي السرد، والذي ربما يصف حلم أو ذاكرة أو حدث أخير؛ ويعقبها حينئذ تزايدات مصاحبة في النغمة الوجدانية والتجريد، بما يشير إلى أن الوجدانات نشطة ومتصلة بالتأمل اللفظي. وإن تلك المرحلة ربما تكون موصوفة بكونها استبصار وجداني. وعلى النحو الامثل، يبدأ التجريد حينئذ في الانخفاض والنغمة الوجدانية في الارتفاع، بما يشير إلى اتصالات جديدة بمادة وجدانية،

مع بدأ دائرة جديدة.

وربما تظهر متغيرات للدائرة؛ فعلى سبيل المثال، ربما يبدأ المريض بالتعبير عن الوجدان أو المخاوف الجسدية بالحركة أو التعبير الوجهي، دون تقرير لفظي مطابق. وهكذا، فإن مقاييس اللغة ستُظهر الدائرة على أنها تبدأ بذروة نشاط مرجعي محوسب دون نغمة وجدانية سابقة. وإن الدائرة ربما يتم قطعها دفاعيًا بطرق متنوعة، غالبًا ما يتم الإشارة إليها من خلال فترة التجريد المرتفع التي تعقب ذروة النشاط المرجعي المحوسب، وحيث تقوم المريضة بالدفاع ضد المحتويات التي قد تم التحدث عنها؛ فإنها ربما حينئذ (أو ربما لا) تتابع وتصل للمرحلة الثالثة للتأمل الوجداني، والنغمة الوجدانية المصاحبة والتجريد. وسأوضح أنماطًا متنوعة من الدوائر المكتملة والمنقطعة، وكذلك المادة التي ليس بها دوائر مُحدَّدة، في الدراسة الامبريقية على أن يتم تقريرها بعد ذلك.

دراسات للعلاج التحليلي النفسي

في إيضاح ذلك المقياس الامبريقي للدائرة المرجعية، سأقدم المقاييس المحوسبة الثلاثة– النغمة الوجدانية، والنشاط المرجعي المحوسب، والتجريد– المنطبقة على النصوص الحرفية للتحليل النفسي المُسجَّل. وسأقدم التقديرات الإجمالية للجلسات ككل لتقييم مسار العلاج على مدار الوقت وأيضًا فحص العملية داخل الجلسات الفردية الثلاثة التي تمثل المراحل المختلفة للعلاج.

وإن المريضة، السيدة ج.، كانت شابة متزوجة و كانت تَخبُر صعوبات جنسية حادة في زواجها كما قررت أيضًا مشاعر عامة عن القلق والسُخط في العمل وعلاقاتها الشخصية[2]. واستمر التحليل ست سنوات، بمعدل خمس جلسات في الاسبوع، بإجمالي 1114 جلسة . وإن كافة الجلسات كانت مسجلة صوتيا لأغراض بحثية وإن بعضا منها قد تم تدوينه . وإن جوانب العلاج

---

٢ إن مناقشة الحالة الخاصة بالسيدة ج. تتضمن مراجعة وإيضاح لبعض المواد المقدمة في بوتشي (١٩٩٧)، وكذلك مادة جلسة جديدة.

قد تم دراستها من خلال العديد من الباحثين ، بما فيهم جونز وويندهولز Jones and Windholz (1990) ويس وآخرون(1986) Weiss ، داهل وكاتشيلي وتوماي (1988) Dahl , Kaechele , Thomae ، جونز وداهل وسبينس(1993) Jones , Dahl , Spence بالإضافة إلى عملنا.

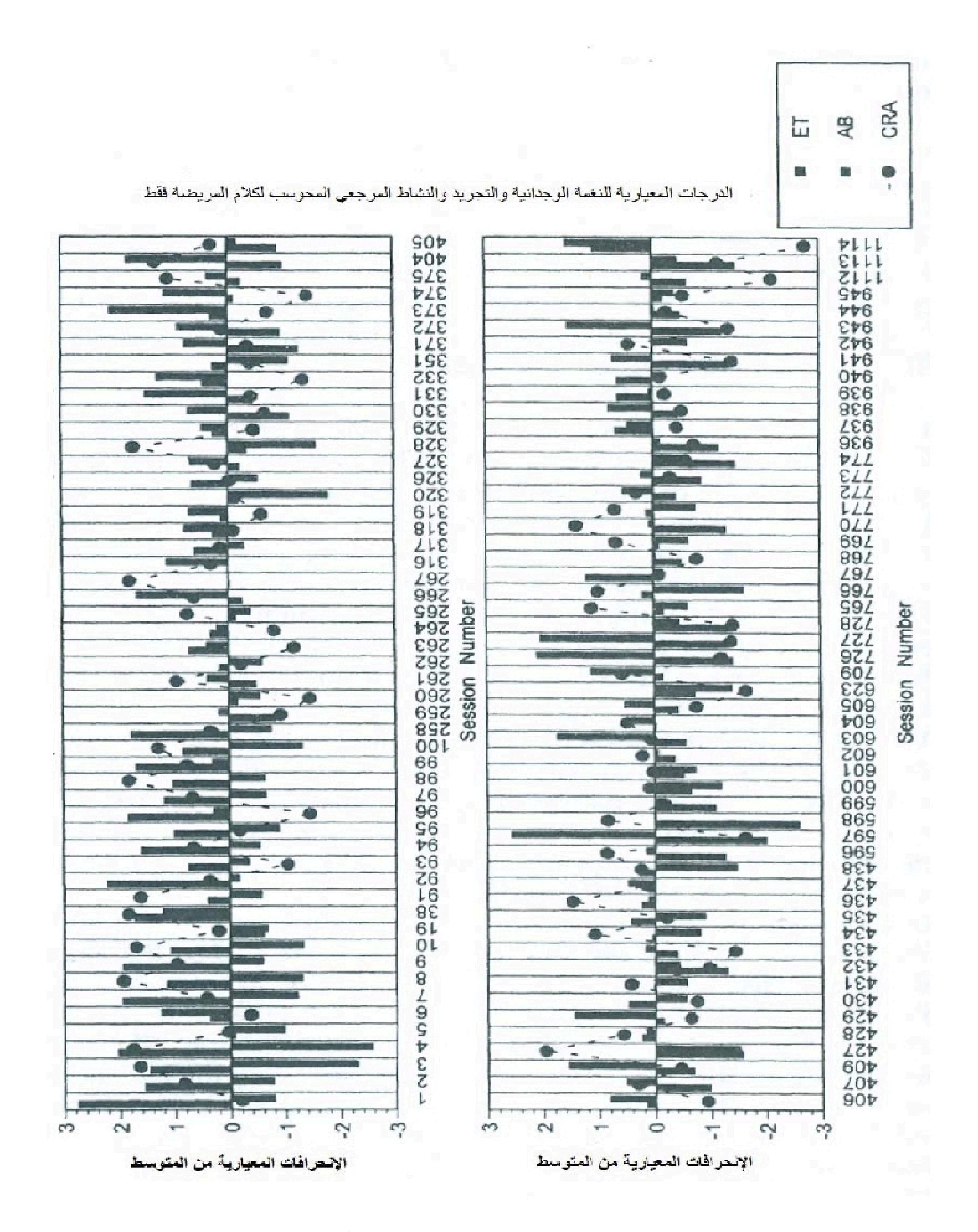
والشكل 1,17 يُظهر تطبيق مقاييسنا المحوسبة الثلاثة على عينة من (١٠٥) جلسة تُمثل مراحل مختلفة للعلاج . وبالنسبة لذلك التطبيق ، فإن النغمة الوجدانية ، والنشاط المرجعي المحوسب ، وتقديرات التجريد كانت محوسبة للجلسات ككل . وإن برنامج برنامج تحليل النص Text analysis (TAS Program (Mergenthaler , 1985) ، يطابق كل مثال لمفردات القاموس بالكلام المدون للمريض أو المعالج بالنسبة للجلسة ككل ، ويحسب نسبة الكلمات المتطابقة في كل قاموس بعدد الكلمات الإجمالي .

وفي الشكل ١٧.١ و ١٧.٢ تكون تقديرات النغمة الوجدانية معروضة على هيئة خطوط سوداء ، والتجريد على هيئة خطوط رمادية ، والنشاط المرجعي المحوسب على هيئة نقاط رمادية متصلة بخط متقطع . وإن التقاء الخط المتقطع يستخدم للإشارة إلى أن الجلسات المنتقاه هنا تتضمن عقبات غير متجاورة ؛ ومن ثم ، لا يمكن التوصل لاستنباط لتقديرات الجلسات البينية بين مثل تلك العقبات . وإن كل التقديرات مقدمة على أنها تقديرات موحدة ، وتتأرجح حول متوسطها ، بوحدات ذات انحراف معياري واحد عن المتوسط ، وفي الشكل ١٧.١ ، يتم حساب المتوسط من كلام المريض فقط للجلسات ككل ، أي ١٠٥ جلسة المتضمنة هنا . وهكذا نرى المقاييس المحوسبة الثلاثة لكل جلسة على أنها تتصرف أعلى أو أسفل متوسطاتها بالنسبة للمائة وخمسة جلسة المذكورة هنا .

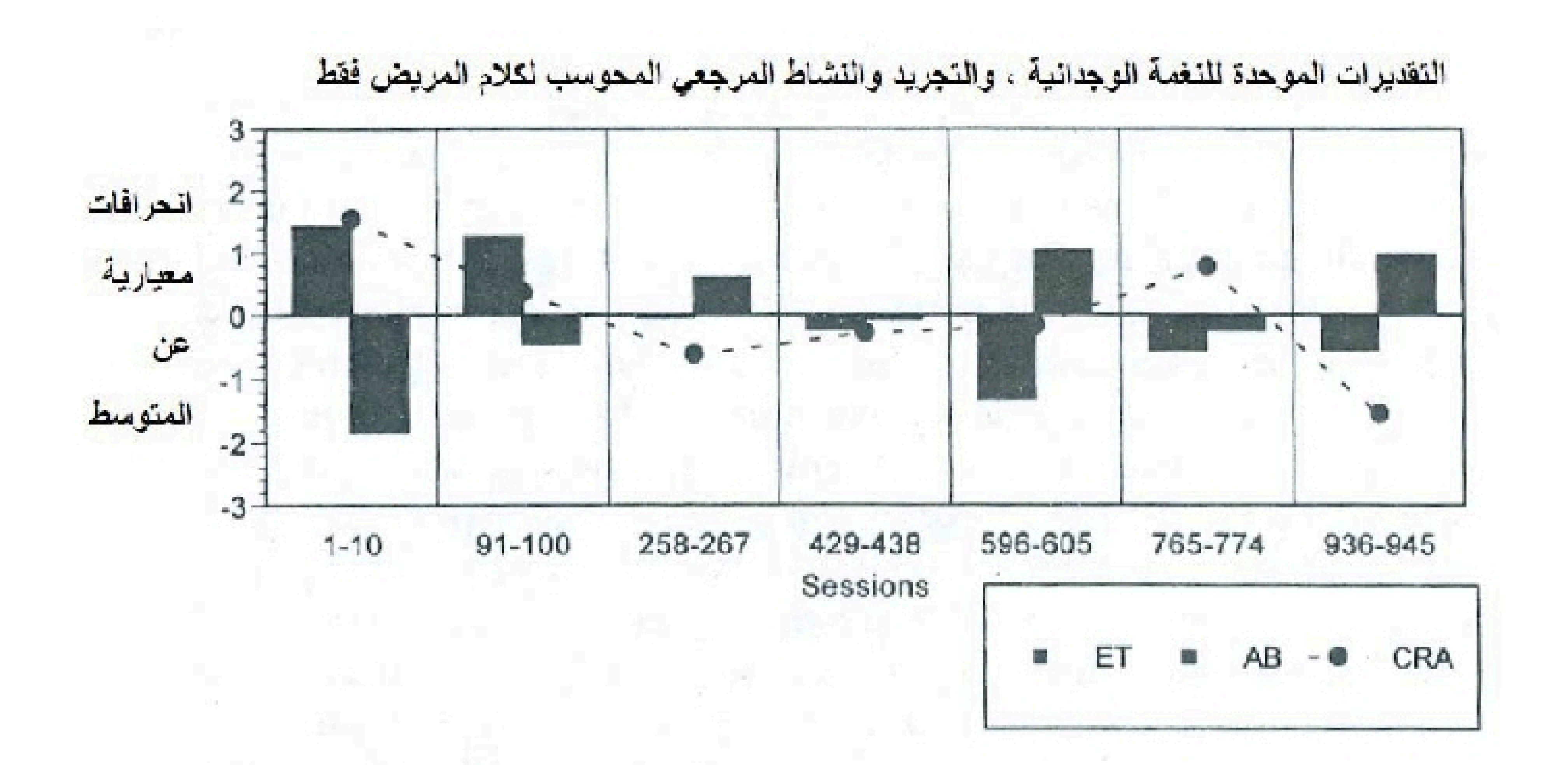
وإن النغمة الوجدانية للمريض تكون في ذروتها عند بداية العلاج ، وذلك في عينة من ٢٢ جلسة بداية من المائة ساعة الأولى . ويكون النشاط المرجعي المحوسب مرتفع بشكل عام في ذلك الوقت أيضا ؛ ويكون التجريد منخفض ويتغير النمط بشكل درامي مع استمرار العلاج . ومع السنة الثانية للعلاج ، فإن استخدام المريض للكلام الوجداني المنعكس في النغمة الوجدانية ينخفض

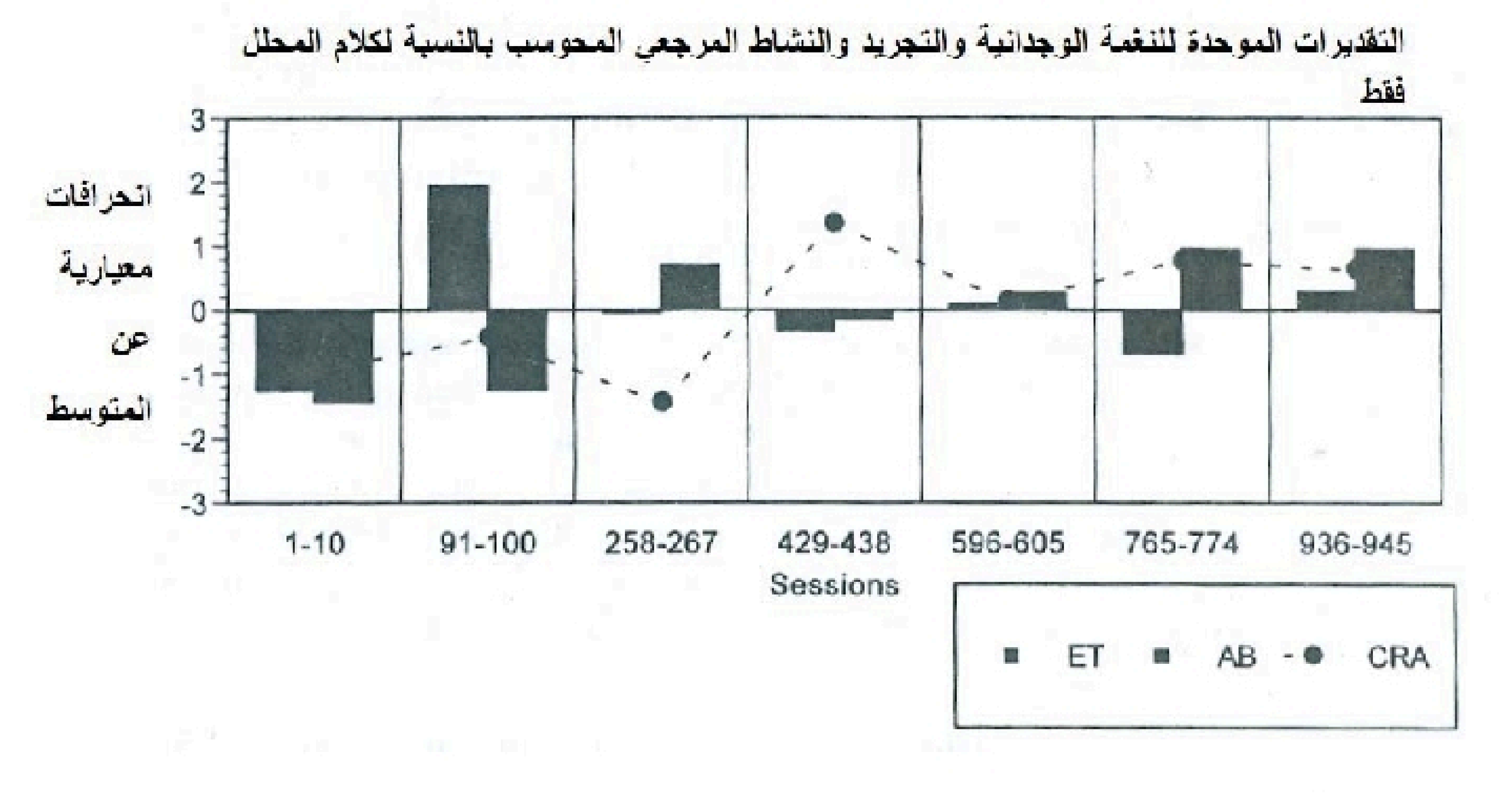
وباتساق لا يتعافى أبدا ؛ كما يظهر النشاط المرجعي المحوسب أيضا انخفاضا عاما ، بذروات عرضية .

ويمكن للشخص أن يرى نفس أنماط كلام المريض المنعكس في الشكل 17.2 بالنسبة لمجموعة فرعية من تلك الجلسات ويمكنه مقارنة ذلك بتقديرات المحلل . وهنا نرى تقديرات تلخيصية لسبع مجموعات من عشر جلسات ، متباعدة على مدار العلاج ، والتي كانت مستخدمة في دراسة جونز ووينـد هولز(1990)Windholz , Jones وإن التقديرات مقدمة على أنها موحدة تتأرجح حول متوسطات لسبعين جلسة ممثلة هنا ، بشكل منفصل بالنسبة للمريض والمحلل . ولم تصل المريضة أبدا مجددا لمستوى النشاط المرجعي المحوسب الذي أظهرته في العشر جلسات الأولى ؛ فهي تظهر بعض التزايد ولكنه لا يزال بمستوى أقل ، في العشر جلسات بداية من السنة الخامسة للعلاج (الجلسات 774–765) حيث يراها كل من جونز ويندهولز , Windholz Jones على أنها تتصارع مع مشاعر العدوان والشعور بالذنب . وعلى نقيض النمط الخاص بالمريضة ، فإن المحلل يُظهر زيادة إجمالية في النشاط المرجعي المحوسب عبر العلاج ، بذروة جزئية في السنة الثالثة (الجلسات 438 ـ 429) وربما نلاحظ أن ذلك وقتا استثنائيا تمثلي في ذلك العلاج ؛ وتلك هي



شكل ١٧.١ تطبيق الإجراءات المحوسبة : تحليل السيدة ج .





شكل ١٧.٢ تطبيق الإجراءات المحوسبة : سبعة مجموعات لعشرة جلسات دُرست من خلال جونز ووينده‍ولز Windholz , Jones (1990) . وان التقديرات هي متوسطات عشر جلسات متتالية منتقاه من سبعة مراحل مختلفة للعلاج .

الجلسات الخاصة بالمريضة والتي قبل وبعد الولادة مباشرة ومما هو جدير بالملاحظة أن الكلام المحلل يظهر زيادة النشاط المرجعي المحوسب ، بينما يظل النشاط المرجعي المحوسب الخاص بالمريضة منخفضا . وقد ناقشنا قضايا الطرح والطرح المضاد في تلك المرحلة (Friedman , Vdoff & Bacci

(1994 , كما نضع في الاعتبار تلك القضايا بصورة أبعد في عملنا الحالي.

وإن تضمينات نظرتنا اللغوية العامة بالتباين عن بعض من خلاصات جونز وويندهولز Windholz , Jones (1990) المعنية بتلك الحالة . وفي دراستهما ، كانت الجلسات المنتقاه مقيمة بترتيب عشوائي من خلال أحكام اكلينيكية باستخدام فنية عملية العلاج النفسي Q-Set (PQS) المطورة من خلال جونز Jones وصممت عملية العلاج النفسي (PQS) لتمد بلغة أساسية لوصف وتصنيف أفعال ومواقف المحلل والمريض ، واتجاهاتهما وتفاعلهما . وعلى أساس تلك التقييمات وجد جونز وويندهولز على مدار السنوات أن خطاب المريضة أقل تثقفا ومسيطر عليه من خلال العقلانية ، كما عكس على نحو متزايد نفاذا أكبر إلى حياتها الوجدانية ونمو قدرتها على التداعي الحر(Jones, P.100 , 1995 وعلى النقيض ، تشير نظرتنا اللغوية العامة إلى أن السيدة ج تُظهر انخفاضا عاما في التعبير عن خبرة وجدانية عبر ستة سنوات من علاجها ، كما هو منعكس في إنخفاض النشاط المرجعي المحوسب والنغمة الوجدانية ، وأن اسلوبهما اللغوي في العلاج يصبح أكثر تثقفا وتجريدا ، كما هو مشار إليه من خلال زيادة التجريد وفي الواقع ، توصلنا لخلاصات مختفة تماما عن تلك الخلاصات الخاصة لجونز وويندهولز باستخدام نفس مجموعة السبعين جلسة . وسأعود إلى تلك النتائج في تحليل عدة جلسات فردية من تلك الحالة ، على أن يتم تقريرها لاحقاً .

إن ويس وسمبسون وزملائهما(1986) Sampson , Weiss ، باستخدام مجموعة من طرق بحث العملية المستندة إلى تقييم خطة المريض اللاشعورية ، قاموا بدراسة المائة ساعة الأولى (1 – 100) والأخيرة (1.010 ـ 1.114) لتلك الحالة . ووفقا لويس (1993)Weiss ، فإن خطة المريضة ، كما هي مستنبطة من المائة جلسة الأولى ، ظلت توجه سلوكها أثناء المائة جلسة الأخيرة .

على مدار تحليلها ، كانت السيدة ج قلقة بشكل لا شعوري بشأن المحلل والتي شعرت تجاهه بالمسئولية الكاملة وأثناء المائة جلسة الأولى اختبرت اعتقادها بالمسئولية تجاه المحلل من خلال محاولة أن توضح لنفسها بأنها لا

يمكنها إعطاء تعليمات له . وأثناء المائة جلسة الأخيرة اختبرت نفس ذلك الاعتقاد من خلال محاولة أن توضح لنفسها بأنها لم تكن لتجرح المحلل لو أنها أوضحت له رغبتها في إنهاء العلاج . (P.25)

ويناقش وييس ذلك الاتساق الخاص بالأهداف والخطط اللاشعورية للسيدة ج على أنه إيضاح للاتزان والثابت السيكومتري لمقياس صياغة خطتهم ومنع ذلك ، سأثير التساؤل عما إذا كان سيتوقع أحدهم أن أنظمة الاعتقاد لأسباب المرض ستظل دون تغيير عبر تحليل ناجح ، وما الذي يعنيه لو أنها ستتغير ، ومن منظور واحد ، فإن الاستقرار الملاحظ في تلك الحالة يثير تساؤلات بشأن التأويل الخاص بتكوين خطة ويس وآخرين ؛ ومن منظور آخر ، والذي يُعد مركزيا بالنسبة للمناقشة هنا ، يجب أن يقودنا ذلك أيضا إلى فحص فعالية العلاج الخاص بالسيدة ج . في مناقشة اعتقاداتها لأسباب المرض وعلى نحو محتمل ، لو أن المحلل يجتاز على نحو متكرر " اختبارات " المريضة ، في ضوء المدخل الخاص بوييس وآخرين سيتوقع أحدهم أن نظام اعتقاد المريضة لسبب المرض سيتغير بدلا من بقاءه مستقرا .

الأنماط المتغيرة للتفاعل :
دراسة ثلاث جلسات

يمكننا أن نرى أن تلك الصياغات تثير تساؤلات بشأن طبيعة التغيير في الخطاب التفاعلي وداخل المريض في ذلك العلاج ، وأيضا أسباب تلك التغييرات ويمكننا استكشاف تلك التساؤلات من خلال النظر إلى العملية داخل الجلسات في مراحل مختلفة من العلاج ، باستخدام اجراءاتنا المقيمة بالحاسوب ، والمقترنة بفحص بعض من المادة الاكلينيكية المحددة بكونها بارزة من خلال تلك المقاييس .

وفي الأمثلة التالية ، سأفحص ثلاثة جلسات من ثلاثة مراحل مختلفة لذلك التحليل . وإن الجلسة الأولى ن رقم 38 ، من السنة الأولى للعلاج ، عندما تكون مستويات النغمة الوجدانية والنشاط المرجعي المحوسب في ذروتها وإن الجلسة

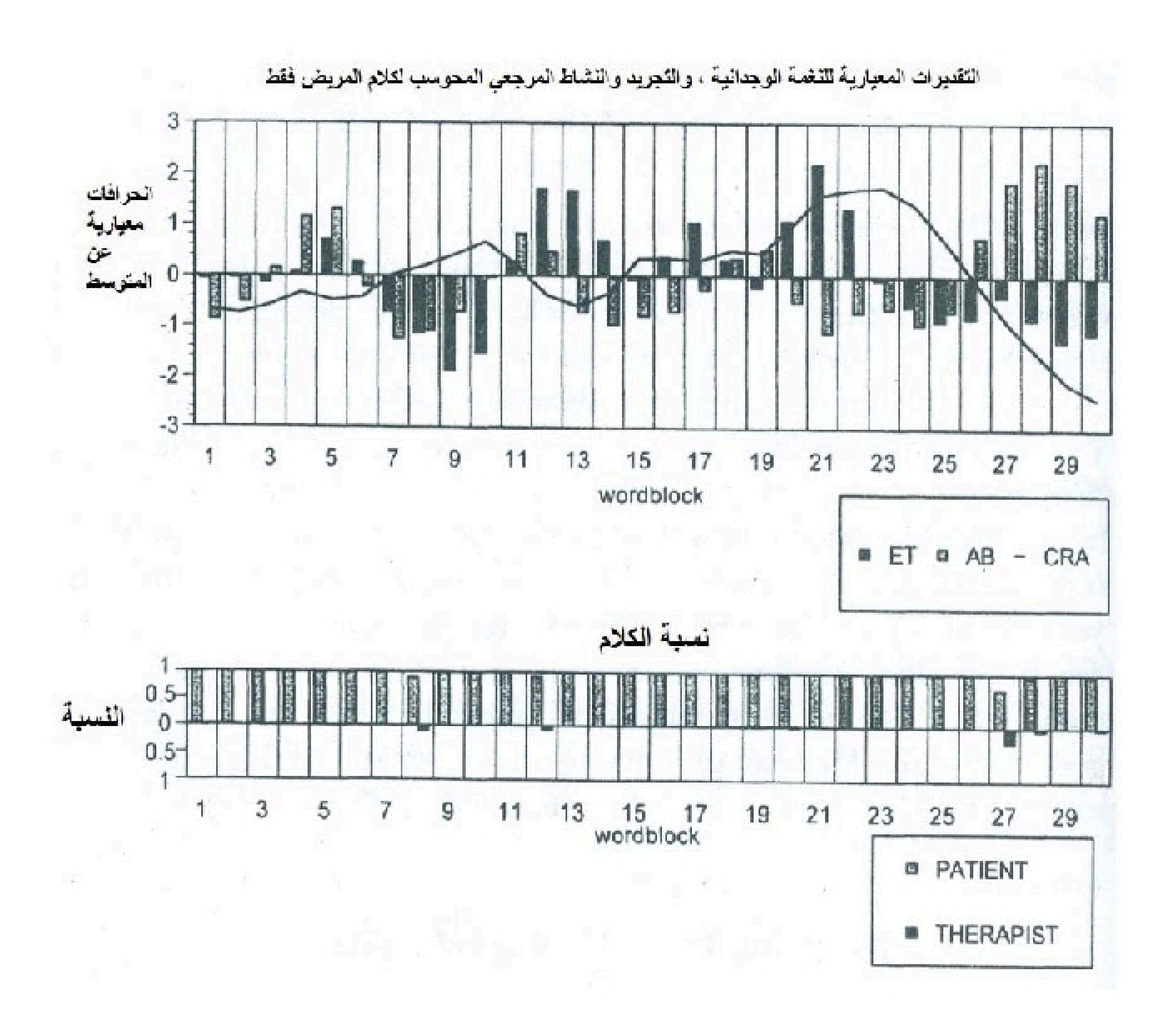
الثانية ، رقم (326) ، من آخر السنة الثانية للعلاج ، بعد أن تغير النمط اللغوي العام للعلاج ،وكان يوم الأثنين حيث قررت أن تقوم باختبار حمل . وإن المثال الثالث ، رقم (726) من السنة الرابعة

المرحلة الباكرة : دائرة جزئية

إن الجلسة رقم (38) هي جلسة من العينة الموضحة في الشكل 17.1 والتي حصلت على أعلى تقدير مشترك فيما يتعلق بمقاييس اللغة الثلاثة ـ النغمة الوجدانية ، والتجريد ، والنشاط المرجعي المحوسب ـ في عينتنا الخاصة (105) جلسة . وإن المستويات المرتفعة لمقاييسنا ربما تشير أو لا تشير إلى عمل منتج ، اعتمادا على التنميط الخاص بالخطاب ، ولكنه كان خيارنا الأفضل ، باستخدام مقاييسنا على أنها جهاز فحص لايجاد الجلسة التي من المرجح أن يوجد بها كل جوانب الدائرة .

والشكل 17.3 يوضح القواميس الثلاثة ـ النغمة الوجدانية على هيئة شرائط سوداء ، والتجريد على هيئة شرائط رمادية ، والنشاط المرجعي المحوسب على هيئة خط متصل ـ المطبقة على جلسة رقم 38 للسيدة ج . وبالنسبة لذلك الشكل والشكلين التاليين (17.5 ، 17.4) ، فإن النص المدون للجلسة مقسم إلى مجموعات مكونة من 150 كلمة ويتم حساب التقديرات ونسب الكلمات المتطابقة، لكل مقياس لكل مجموعة كلمات ، ومن ثم يتم تغييرها إلى تقديرات معيارية . وإن الإجراءات المحوسبة ، والتي تستدخل فنيات برنامج تحليل النص TAS الموصوفة باكرا (Mergenthaler , 1985) ،

٢١ إن الحد الأدنى لحجم مجموعة الكلمات المطلوبة لانتاج نتائج دقيقة محددة من خلال التغطية المتوقعة النسبة المتوسطة للكلمات المتطابقة للقواميس المفترض تطبيقها . وإن النغمة الوجدانية والتجريد يتطلبان على الأقل مجموعات من (١٥٠) كلمة في المتوسط لانتاج نتائج دقيقة . وفي حين أن النشاط المرجعي المحوسب يطابق نسبة أكبر من الكلمات ويمكنة إنتاج تقديرات دقيقة بمجموعات كلمات أقل ، فإن (Mergenthaler & Bucci , المجموعات المكونة من ١٥٠ كلمة تستخدم هنا لتتوافق مع المقاييس الأخرى.



الشكل 17.3 . تطبيق الاجراءات المحوسبة : السيدة ج . ، الجلسة (38)

تتناول النص الحرفي ، والذي كان معدا وفقا لقواعد تدوين محددة (Mergenthaler & Stinson,1992) وتقوم بتنفيذ كل مراحل التقسيم والتقدير آليا ، مع تقسيم الكلام إلى مجموعات من 150 كلمة ، وتقدير كل مجموعة ، وتوليد الرسوم البيانية . وإن الرسم البياني بالأعلى يوضح تحليل المحتوى المحوسب بالنسبة لكلام المريضة فقط ؛ بينما يوضح الرسم البياني الأدنى النسبة الخاصة بكل مجموعة مكونة من 150 كلمة والمفسرة من خلال كلام المريضة (إرتفاع الشريط أعلى خط المنتصف) وكلام المحلل (أسفل خط المنتصف) . وكما يمكننا أن نرى ، فالمحلل يتحدث قليلا جدا في تلك الجلسة ، في مجموعة الكلمات (8) و (12) فقط ، وباختصار شديد في المجموعة (20) ، ومن ثم مجددا في (27) و (28) . وإن ذلك يُعد بطريقة ما ، ولكن ليس بدرجة كبيرة ، تحت المتوسط بالنسبة لتدخلاته على مدار ذلك العلاج الكلاسيكي .

تبدأ الساعة الثامنة والثلاثين كمثال على الساعة الجيدة كماهو موصوف من خلال كريس (1956) . ولم تبدا الساعة على نحو ملائم ؛ حيث حدث القليل في العشر دقائق أو الخمسة عشر دقيقة الأولى ، ووفقا لمقاييسنا . وتحكي المريضة عن مشاعر الرفض من قبل والدتها ؛ وتقول بأنها خائفة من ألا تكون قادرة على التحكم في غضبها من والدتها . وفي مجموعة الكلمات (12) ، يسأل المحلل :

المحلل : ما الذي ستفعلينه ؟

يجيب المريضة بإجابة حية ، منعكسة في النغمة الوجدانية المرتفعة :

المريضة : أقوم بالصراخ بفظاعة فيها ، أو إلقاء شئ ما ، أو كسر شئ ما ، أو إحداث اضطراب بشكل عام ... أريد أن أهاجمها ، وإيذائها من الخلف بطريقة ما .

وتتابع وصف تلك المشاعر وذلك التصرف بسلسلة من السرديات ، والتي تستمر تقريبا من مجموعات الكلمات من الخامسة عشر وحتى الخامسة والعشرين: أولا ، حدث ما يتعلق برجل ، وتقول بأنها قد شعرت بالذعر من الرقص معه ، ولكنها رقصت معه بعد ذلك واستمتعت بالرقص ، لأنه كان متوحش بما يكفي وقويا بما يكفي كقائد وهذا ما جعلني أقوم بأشياء ربما لم أتجرأ على فعلها بطريقة مختلفة " وإن ذلك لا يعد وثبة استنباطية كبيرة لرؤية إحالة في ذلك إلى العلاقة التحليلية ؛ وإن ذلك الاستنباط مصدق من خلال الترابطات اللاحقه ، وتقدر حلما ما ـ مع استمرار اتباع نموذج كريس عن "الساعة الجيدة " وأيضا اتباع نمط الدائرة المرجعية . كانت وسط جمع من الناس ، متعلق بالرقص . وكان المحلل هناك ؛ وأخبرها بأنه عرف ما كانت تقوم به ، وأنه من الافضل لها أن تتوقف . وإن ذلك يقوم إلى وصفه فيلم رأته مؤخرا ، تدور أحداثه حول فتاة أرادت أن تكون روحا حرة ، ومن ثم إلى ارتباطات وسرديات أخرى ، وانتهت بالإخبار عن خوفها من أن تترك وحيدة وأن يتم رفضها . وإن الأحلام بالفعل هي محتويات واصفة لذروات النشاط المرجعي . وبالنسبة لتلك المريضة ، فمن المميز أيضا إلى حد ما استخدام السرديات المأخوذة من الأفلام أو الكتب كوسائل

للتعبير عن موضوعاتها الوجدانية الخاصة .

وباتباع ذروة النشاط المرجعي ، يتدخل المحلل بسؤال توضيحي في مجموعة الكلمات 27 :

المحلل : قلت بأنه ، أمم ، في الحلم قلت لك في الواقع " تعرفين ما الذي تفعلينه وتوقفي عن ذلك " صحيح ؛ ما كان ذلك ؟

المريضة : ماذا قلت ؟

المحلل : ما كان ذلك الذي كان يتم الإشارة إليه ؟ هل تذكرين ؟

المريضة : أعتقد أنني كنت بالفعل نوعا من ، أمم ، كنت أنحني تدريجيا أكثر فأكثر وأضع وجهي في يداي وكان مجرد نوعا من إخفاء وجهي .

المحلل : آه ، هذا ما كنت أشير إليه .

ومن ثم تتابع المريضة بتلخيص جدير بالاعتبار بنفسها لباقي الجلسة وتقول بأنها تشعر بأنها مفهومة ، وتشعر بالرعاية والراحة .

ومع ذلك ، تصبح لغتها تجريدية بصورة متزايدة . فهي تحاول أن تكتشف معنى وجود المحلل في حلمها ، ومشاعرها تجاه ذلك ؛ فهي لا تشعر بالارتياح من وجوده في الحلم ، من وجوده " آخذا أهمية معي وإن ذلك كان محض خيال " وفي نفس الوقت ، لديها شعور بالحرية أن بإمكانها قول ما تفكر به هي لديها تلك المشاعر بصورة أكبر عندما تفكر بوجودها في الجلسة عن وجودها الفعلي هناك فهي تتحدث عن خداعها لنفسها ؛ ولا تثق بأي شئ تقوله .

وفي تلك الجلسة ، نرى بداية لدائرة، بإثارة وجدانية أُظهرت من خلال النغمة الوجدانية المرتفعة ، بما يقود إلى سرديات حدث ما ، وحلم ، ووصف لفيلم ، مكونة ذروة النشاط المرجعي المحوسب . وإن التساؤل الموجز للمحلل في مجموعة الكلمات 12 ربما قد ساهم في تكشُف تلك السرديات . وعلى النحو الأمثل ، وفقا لنموذجنا للدائرة المرجعية ، فإن تسلسل سرديات ذروة النشاط المرجعي المحوسب من المفترض حينئذ أن يعقبها زيادات مصاحبة في النغمة الوجدانية والتجريد ، بما يشير إلى الاستبصار الوجداني . وهنا ، يعقبها التجريد المرتفع وحده ، بينما تكون النغمة الوجدانية منخفضة ، بما يشير إلى

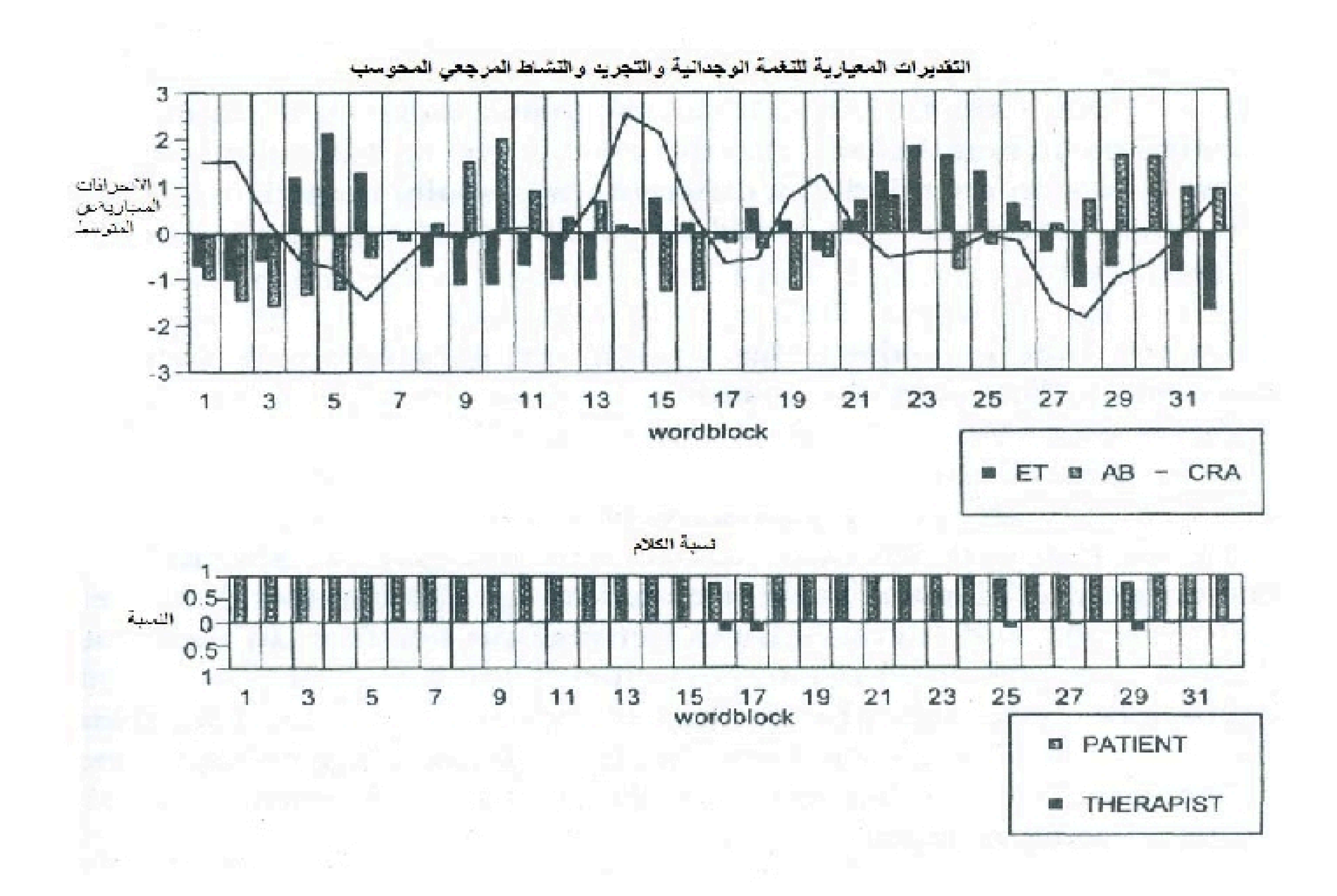
التأمل دون اتصال وجداني . فهي تصبح عالقة في شك تأملي بشان المشاعر التي قد أُفصح عنها ، بدلا من المعنى قدما بها . فهي تبتعد عن اتصالها بالخبرة الوجدانية وأيضا تنسحب عن المحلل ؛ تدرك ذلك الانسحاب بنفسها ، على الأقل بدرجة ما .

الحمل ووقت الجلسة :

دائرة متقطعة

في الجلسة التالية التي سيتم تقديمها هنا ، الجلسة (326) في يوم الاثنين من السنة الثانية للعلاج ، تقرر السيدة ج . قرارها ، الذي اتخذته في نهاية الأسبوع ، في القيام باختبار حمل . وكما يمكن أن يُرى في الشكل (17.1) فإن مقاييس اللغة للجلسة ككل في مدى متوسط بشكل عام . فالنغمة الوجدانية ذات ذروة بطيئة في ذلك اليوم ، والتجريد منخفض نسبيا ، والنشاط المرجعي المحوسب في المنتصف . وإن تقدير النشاط المرجعي المحوسب سيصل إلى الذروة بعد عدة أيام ، في الجلسة (328) ، في اليوم الذي تتوقع أن تتلقى فيه نتائج الاختبار ، وستنهار على الفور بشكل جاد فيما بعد ، عندما تعلم بحملها وتقرر ذلك للمحلل .

وإن التمثل البياني لتحليل العملية المشفرة بالحاسوب للجلسة (326) موضح في الشكل (17.4) بنفس شكل الجلسة 38 . وفي مناقشة تلك الجلسة والجلسة التالية ، سنعتمد على فنيتنا في استخدام محتويات ذروات النشاط المرجعي المحوسب كمؤشرات للموضوعات الرئيسية ، بما يتضمن موضوعات الطرح ، التي يتم التعبير عنها في الجلسة . وسنتخذ أيضا خطوة أبعد في تحديد طبيعة الموضوع (أو الموضوعات) باستخدام مقياس موضوع جوهر صراعات العلاقة المطور من خلال لوبرسكاي (Luborsky & Crits-Cristoph 1988,1990) . وسنقدم حينئذ تقييما للتدخل التحليلي في ضوء تأثيراته في تسهيل



شكل 17.4 تطبيق الإجراءات المحوسبة : السيدة ج . ، الجلسة (326)

نفاذ المريض إلى الخبرة الوجدانية ، كما هو مشار إليه من خلال التأثير على نمو الدائرة .

في الجلسة (326) ، يمكننا تحديد ثلاث نقاط يرتفع عندها النشاط المرجعي المحوسب أكثر من انحراف معياري واحد فوق المتوسط وكذلك زيادة واحدة وجيزة إلى ذلك المستوى تقريبا بنهاية الجلسة . وتبدأ الجلسة بذروة نشاط مرجعي محوسب ، وتروي السيدة ج . في مجموعات الكلمات 1 ، 2 حدثا حيث كانت تحاول التعاون مع زميل في مشروع ما . وشعرت بأنها أقل حماسة عن المعتاد ، ولكن الزميل تصرف بطريقة سيئة وتنافسية ، وشعرت السيدة ج بالغضب والتوتر .

وبتتبع تلك القصة ، فإن تعبيرها عن الوجدان مرتفع نسبيا ، مشار إليه من خلال المستويات المرتفعة للنغمة الوجدانية .

وإن ذلك يقود إلى تمهيدها لحقيقة ذهابها اليوم لعمل اختبار حمل ؛ ومن ثم نتحدث عن احتمالية تغيير مواعيد الجلسات و تنخفض النغمة الوجدانية

، ويكون النشاط المرجعي المحوسب منخفضا ، ويبدأ التجريد في الارتفاع .
والفقرة التالية من مجموعة الكلمات 7 :

المريضة : بأي حال من الأحوال أردت بالتأكيد أن أفعل شيئا لاكتشاف ما إذا كنت حاملا أم لا ، وتلك هي المرة الأولى التي شعرت بأنني أردت حقا أن أعرف . قبل أوان رغبتي أن أعرف أنني قد نكرت ، " حسنا ، إفعل ذلك بمجرد انتهاء وقت المدرسة ، " أوشيئا كهذا .

وشئ آخر يجعلني فقط أفكر في ذلك أيضا ، أي قول عندما ينتهي وقت المدرسة ولكنه كان عقلي ولكنه كان في عقلي اليوم أيضا ، ومرة أخرى ، قد أشرت إلى ذلك هنا من قبل ، انني قد فكرت في ذلك ، ولكن لا أعرف ، كان اليوم في ذهني بطريقة مختلفة أردت حقا أن أسالك الأن عن كونك ... ؛ لو أنه سيكون من الممكن تغيير الوقت ما إن تنتهي المدرسة .

فهي لديها صعوبة في ذلك الطلب وتستمر بالتحدث بطريقة مجردة ، مشار إليها من خلال الزيادة المستمرة في التجريد .

إن ذروة النشاط المرجعي المحوسب الثانية ، والتي تستمر تقريبا من مجموعات الكلمات 13 وحتى 15 ، تُعد السرد المركزي الرئيسي للجلسة فهي تقرر عن ذكرة من الطفولة لتعرضها لإصابة ، غير مقصودة على نحو محتمل ، من قبل أختها الاكبر ، والتي كانت معادية لها دائما . وكانت في عمر خمس سنوات أو أصغر ، وكانت تلعب مع أختها الاستغماية hide and seek وكانت مختبئة خلف الباب ، وقامت أختها بتحريك الباب ، فاصطدم بها وجرح وجهها. وفي نفس ذروة النشاط المرجعي المحوسب ، تتابع في الإخبار بقصة أخرى عن أختها التي تغيظها وتخيفها ، وتتحدث عن مشاعرها التنافسية مع أختها عن حب ورعاية والدتهما ، ومن ثم في مجموعة الكلمات 16 ، تعود إلى أفكار الرعاية وكون والدتها دائما ملتزمة بالموعد المحدد، مع عدم الشعور بالاسترخاء :

المريضة : وكل ما يمكنني فعله هو تخيل كيف أفكر فيما كان ينبغي أن تكون عليه والدتي ، ولا أستطيع تخيل كونها أي شئ عدا التزامها بالجدول ، وأن الجدول قال في ذلك الوقت أنها اعتنت بي لبضع دقائق ، وانه من الأفضل أن

ألتزم بالجدول لا إحساس بالاسترخاء ومجرد استمتاع به ، والذي ربما يكون غير صحيح تماما .

ويعقب ذلك مباشرة التدخل الأول للمحلل في الجلسة :

المحلل : ولكنه ربما يفسر لماذا هو هام بالنسبة إليك أن تكتشفي ما إذا كنت سألزمك بموعدك .

المريضة : تعني لأنني لدي ذلك الشعور عن والدتي .

المحلل : حسنا ، تقولين بأنك تتخيلين كم أن ذلك ربما يكون هاما .

وأن تلك هي الطريقة التي كانت عليها ، وباكرا كنت تتسائلين ، كيف أكون ؟

وإن ذلك التدخل أعقبه الزيادة الثالثة والأصغر في النشاط المرجعي المحوسب ، في مجموعات الكلمات 19 ، 20 ، بشأن حدث آخر في المدرسة التي تعمل بها . فهي تشعر بالغضب والانزعاج تجاه زملائها ، ولكن على نقيض السرد الذي افتتح الجلسة ، ترى نفسها هنا على خطأ ، وأنانية وغير ودودة . وتربط ذلك ببعض المشاعر المتضاربة بشأن زوجها . وإن تعبيرهاعن تلك المشاعر ملحوظ من خلال زيادات في النغمة الوجدانية والتجريد ، والتي نراها على أنها تصف الاستبصار الوجداني ، في مجموعات الكلمات 21 ، 22 ، بما يقود حينئذ إلى زيادة في الخبرة الوجدانية . فقد رفضت طلب زوجها للاتصال الجنسي ، كما تفعل غالبا ، مستخدمة الأحداث من التحليل كعذر لها ؛ فهي تفكر استجابته واستجابتها :

المريضة : وجُن جنونه من ذلك أيضا ـ وأستطيع ـ أعني كان ذلك يعني أنني لم أتحمل أي مسئولية على الاطلاق تجاه علاقتنا . وكنت أتوقع أنه سيقدم لها كل شيئ وأنه سيقبلني بأي طريقة أريدها بينما أُمر بذلك ـ ولذا شعرت بشعور سيئ بعد ذلك ، عندما فكرت في ذلك أخمن لأنني أدركت ـ لا أعرف ماذا أدركت، ولكنني شعرت فجأة أنني لا أريد أن أكون وحيدة وأريد أن أكون مع (زوج) ولذا طلبت منه أن يغازلني حقا .أعني ـ لم أقل ذلك بكلمات كثيرة ، ولكنني فعلت شيئا ـ لا أعرف لما هو صعب على أن أقول ذلك ، ولكنني بدأت في مغازلته ، وأجد

صعوبة بالغة في قول ذلك .

وتستمر في التحدث أكثر عن المشاعر المتضاربة تجاه زوجها . ويعلق المحلل ، في مجموعة الكلمات 25 :

المحلل : لم تقولي ماذا فعلت عندما بدأت بمغازلته .

وتقول بأنها لا تريد التحدث عن ذلك . فهي لا تريد تذكر ما فعلته ؛ أرادت فقط أن تكون قريبة منه ، وأن تقبله ، وأن تضع ذراعيها حوله ؛ هذا ما فعلته، ولا تريد تذكر ذلك . وتتحدث باختصار عن واحدة من قططها ، والتي أرادت انتباها أكثر من المعتاد ، ومن ثم قامت بخدش كرسي حاولت السيدة ج تهذيبها عن طريق ضرب يدها بورقة . وتربط ذلك بنفسها ، وتطلب من المحلل تغيير وقت الجلسة :

المريضة : تصرفت (أي القطة) كما لو اعتقدت أنها مُزحة اليوم ، ولكن بأي حال ، كان لدي مشاعر غاضبة تجاهها لدقيقة ، ومن ثم فكرت مرة أخرى بحقيقة أنني اود أن أطلب منك تغيير الوقت . ولا أعرف لو أنني بتوصيله بتلك المشاعر الغاضبة ، وأنني اعتقدت أنك ستكون غاضبا ، أو لو أنني على استعداد لأكون غاضبة منك لو أنك لست غاضبا.

وفي الزيادة الموجزة الرابعة للنشاط المرجعي المحوسب ، في نهاية الجلسة ، تتحدث عن مشاعرها عن التنافس والغضب تجاه الرجال ، وعن ميلاد أخيها ، عندما كانت في عمر السادسة تقريبا رأته على أنه الطفل المفضل ؛ كان الرابع ، بعد ثلاث فتيات . وتتحدث عن رغبتها في أن تكون ذكراً ، وايضا أن تكون أنثى، وأيضا عن " الشعور بالطريقة التي تشعر بها والدتي ."

الجوهر للعلاقات الصراعية

وفقا لنموذجنا لعملية العلاج ، فإن السرديات في ذروات النشاط المرجعي المحوسب (أو النشاط المرجعي) تمثل الموضوع الوجداني المركزي للمريضة في تلك الجلسة ؛ ونتوقع أن ذلك الموضوع سيوجد في الطرح أيضا . وإن مقاييس الموضوعات المركزية مثل موضوع جوهر صراعات العلاقة ربما تكون مطبقة حينئذ على تلك السرديات . وفي الإجراء المعياري لتقدير موضوع جوهر

صراعات العلاقة ، يقرأ المحكمون النص المدون ويحددون حلقات العلاقة بخصوص سرديات لعلاقات الذات بالآخرين والتي يتم حينئذ استخلاص موضوع جوهر صراعات العلاقة منها . وإن إسهاما هاما لإجراء الحاسوب يمكننا من تجنب (تجاوز) خطوة مطالبة المحكمين بتحديد حلقات العلاقة باستخدام قياس النشاط المرجعي المحوسب كجهاز مسحي . وإن الدليل على استخدام النشاط المرجعي أو ارتفاع النشاط المرجعي المحوسب كموشر على الكلام السردي وكأساس لتحديد حلقات العلاقة قد قُدم باكرا في ذلك الفصل .

وما أن يتم تحديد حلقات العلاقة ، فإن المكونات الثلاثة لكل حلقة يتم تقديرها حينئذ : (1) يتم التعبير عن الرغبة في العلاقة بالشخص الآخر ؛ (2) واستجابة الآخر ، الفعلية أو المتوقعة (RO the Response of the other) ؛ (3) واستجابة الذات (RS the Response of the self) وربما يتم تحديد كل من المكونات الإيجابية والسلبية . فالمكونات التي قد تم تجديدها يتم تصنيفها وتلخيصها عبر كل حلقات العلاقة في جلسة ما ؛ ويتم تحديد العلاقات الصراعية للجلسة حينئذ على أساس المكونات الأكثر ظهورا بصورة متكررة . ويتم استخدام عشرة من حلقات العلاقة عامة للتطابق الدقيق لموضوع جوهر صراعات العلاقة ؛ لأغراض ذلك الإيضاح ، ومع ذلك ، فقد حددنا ملخصا لموضوع جوهر صراعات العلاقة قائم على حلقات العلاقة التي ظهرت في النقاط الأربعة لارتفاع النشاط المرجعي المحوسب في تلك الجلسة :

الرغبات : (إيجابية) التعاون مع الآخرين ، والشعور بالقرب .

(سلبية) التنافس ؛ السيطرة .

استجابة الآخر (RO) : كونه غاضبا ورافضا .

استجابة الذات (RS) : الشعور بالغضب والإيذاء .

ونرى ذلك الموضوع المركزي في أشكال وسياقات متنوعة على مدار الجلسة ، مع تغيرات تتعلق بالموضوعات في الأدوار المتنوعة والتحديدات التي يتم التعبير عنها في البداية ، وفي الحلقة المتعلقة بزملائها في مكان العمل ، وفي ذاكرتها الطفولية مع أختها ، ترى نفسها أنها تحاول التعاون وأنها يتم

صدها وفي السرد التالي عن زملائها ، ترى نفسها أنها على خطأ وتستحق الغضب ولاحقا ، فإنها هي التي تتخذ المهام لدور الغضب أو الشخص القوي ، وتقوم بتهذيب قطتها وأخيراً ، فيما يتعلق بذلك الدور ، تتحدث عن منافستها مع أخيها وتوحدها بوالدتها وإن موضوع جوهر صراعات العلاقة مفهوم من خلال لوبورسكي وآخرون (1993) Luborsky على أنها نمط دال لعلاقة مركزية والذي يرتبط بالمفهوم الذي يطلق عليه الإكلينيكيون نمط الطرح " (P.328) وإن المريضة تدرك كلا الدورين في علاقة العلاج؛ فهي غير متأكدة ما إذا كانت غاضبة من المحلل أم هو غاضب منها . وإن التدخل الأول للمحلل في الجلسة، في مجموعات الكلمات 16 ، 17 ، يناقش الموضوع الذي قد تم تحديدة في موضوع جوهر صراعات العلاقة ، وهو ربط مشاعرها عن تصلب والدتها في جدولة رعايتها بقلقها بشأن مطالبته بتغيير أوقات الجلسة .

ويركز على رغبتها في السيطرة وتوقعها بأنها ستشعر بالغضب . وكما يقول في تدخله الأخير ، في مجموعة الكلمات 29 :

المحلل : حسنا ، يبدو لي أن الشئ المركزي هو أن الفكرة بأنني لن افعل ما تريدين يجعلك غاضبة .

وإن دراسة فريدمان وآخرين (1994) Friedman تمد بمنظور حول موضوعات المريض ، والتي تختلف عن رؤية المحلل ، ولكنها تتوافق أيضا مع مكونات موضوع جوهر صراعات العلاقة الأساسية . وقد حاجج فريدمان وآخرون بأن الموضوعات اللاشعورية للانتماء ، والرعاية ، وقابلية التأثر ، والمخاوف الجسدية تُعد مهيمنة لدى المريضة في ذلك الوقت ، أي في المرحلة الباكرة من حملها .

ووفقا لأولئك المؤلفين ، فإن تلك الموضوعات وموضوعات ذات صلة تُعد مستدخلة في مخطط وجداني " للأمومة" وهو جانب مركزي للجنسية الأنثوية والذي يُعد محددا من بيولوجيا وكذلك نفسيا .

وإن الموضوعات الوجدانية للأمومة موجودة لدى كل النساء ، بدرجات متفاوته ، وفي أوقات مختلفة في حياتهن ، ولكنها مهيمنة بيولوجيا وهرمونيا في

الحمل وعلى الرغم من أن السيدة ج . ومحللها لم يكونا متأكدين بعد ، إلا أننا نعرف بأنها كانت بالفعل حامل في ذلك الوقت ، ولذا فإن العوامل البيولوجية كانت تقوم بدورها وأيضا العوامل النفسية تحديدا من المرجح أنها قد أُثيرت لديها في ذلك اليوم ، عندما واجهت بالفعل احتمالية كونها حامل وقررت أن تخضع لاختبار الحمل .

وإن الطريقة التي تتطور بها موضوعات الأمومة لدى كل امرأة ستعتمد على مخططاتها الوجدانية الخاصة والصراعات بداخلها ، وستعكس تحديدا الطريقة التي يتم بها مفاوضة تلك الموضوعات في علاقتها الباكرة بوالدتها . وبالنسبة للسيدة ج ، نرى موضوعات الأمومة معبر عنها في مكون الرغبة الإيجابي موضوع جوهر صراعات العلاقة لتلك الجلسة هو الشعور بالقرب من آخر وفي المرحلة الرئيسية للاستبصار الوجداني الذي أعقب ذروة النشاط المرجعي المحوسب تتحدث خصوصا عن عدم رغبتها في أن تكون وحيدة . واستنادا إلى علاقتها بأم رافضة وباردة ، فإن ذلك يقود إلى استجابة الآخر السلبية المتوقعة ؛ أي سيكون الآخر غاضبا ورافضا . وربما نرى أيضا أن طلبها لتغير الوقت يأتي فوريا عقب إحالتها إلى إحتمالية أن تكون حامل ، ويبدو أنه مرتبط بذلك . وبدلا من الإشارة فقط إلى رغبتها في التحكم في المحلل ، فمن المحتمل أن ذلك ربما يمثل رغبتها في أن يدرك الطبيعة الخاصة لذلك الوقت في حياتها ، ومشاعرها بأنها تحتاج لرعايته لها.

وفي تلك الدراسة المصغرة ، نرى حينئذ نسختين لنفس الموضوع المركزي: أحدهما تركز على الرغبات المرتبطة بالتنافس والسيطرة ، وتوقعات الغضب لدى الآخرين ولديها ؛ والأخرى ، تركز على الرغبة في القرب ، والتعلق ، وأن يتم رعايتها ، وتوقع الرفض ، ومشاعر الغضب والهجر وبافتراض حمل السيدة ج . وتضميناته النفسية البيولوجية كما نفهم اليوم ، سنقترح أن الأخير ربما قد كان مهيمنا ، على الرغم من أنه غير مدرك بالمعنى الصحيح.

تقييم التدخلات

إن مقاييسنا تمكننا من تقييم ومقارنة الاختلافات في وجهات النظر الإكلينيكية من خلال فحص آثار التدخلات المشتقة منها فنحن لا نبحث عن

موافقة المريض مباشرة أو عدم موافقته ، والذي يعد جوهريا غامض في معناه، ولكن لأجل المؤشرات غير المباشرة في أسلوب اللغة للمريض فإن التدخلات تخدم في تسهيل أو إعاقة النفاذ إلى الخبرة الوجدانية والتطور الكامل للدائرة المرجعية (Bucci,1989) .

وإن التسلسل من مجموعات الكلمات بداية من 4 وحتى 22 يُعد مثالا للنمط الدائري المتقطع ولكنه يستأنف فيما بعد ويستكمل . وإن الخبرة الوجدانية المنعكسة في النغمة الوجدانية المرتفعة في مجموعات الكلمات 4 ـ 6 تُعد متجنبة مؤقتا من خلال فترة تدخل كلام تجريدي ؛ وإن المريضة تخترق ذلك مجددا بالسرد المركزي الطويل . ويتدخل المحلل ، في مجموعات الكلمات 16 ، 17 ، مع تأويل للطرح يرتبط بتغير الوقت ، والذي ينشط جانبا من موضوع جوهر صراعات العلاقة . وحينئذ تستكمل المريضة الدائرة مع فترة الاستبصار الوجداني ، كما رأينا وعند تلك النقطة ، ينخفض التجريد مجددا ؛ وتصبح لغتها أكثر وجدانية ، مشار إلى ذلك من خلال زيادة في تقديرات نغمتها الوجدانية ، وفي مجموعات الكلمات من 22 وحتى 25 تقريبا ؛ تتوقف أيضا بصورة متكررة أثناء تلك الفقرات . وإن الزيادة في النغمة الوجدانية ستحدد ذلك على أنه مثال للعملية الدائرية المتكررة (أوالحلزونية) ، والذي يعد فرصة في عملية العلاج ، حيث إن مخططات الوجدان ربما يتم تعميقها على نحو محتمل والاتصالات الجديدة يتم صنعها .

ومن ثم يتدخل المحلل بإيجاز ، في مجموعة الكلمات 25 ، تعليقا على عدم قولها ما الذي فعلته عندما بدات في المغازلة . وهذا يقوم إلى انخفاض في النشاط المرجعي المحوسب والنغمة الوجدانية ، وزيادة لاحقه في التجريد.

وإن التدخل في مجموعة الكلمات 29 والذي يحيل إلى مطالبها وغضبها، يقود أيضا إلى انخفاض في النغمة الوجدانية واستمرار التجريد المرتفع .

وإن نتائجنا تشير إلى أن تدخل الطرح في مجموعات الكلمات 16 ، 17، حيث يناقش المحلل مشاعر السيدة ج . والتي تتعلق بجمود والدتها ويربطها بتوقعاتها عنه ، كان فعالا ويخدم في تيسير الدائرة . وإن التدخلات الأخيرة،

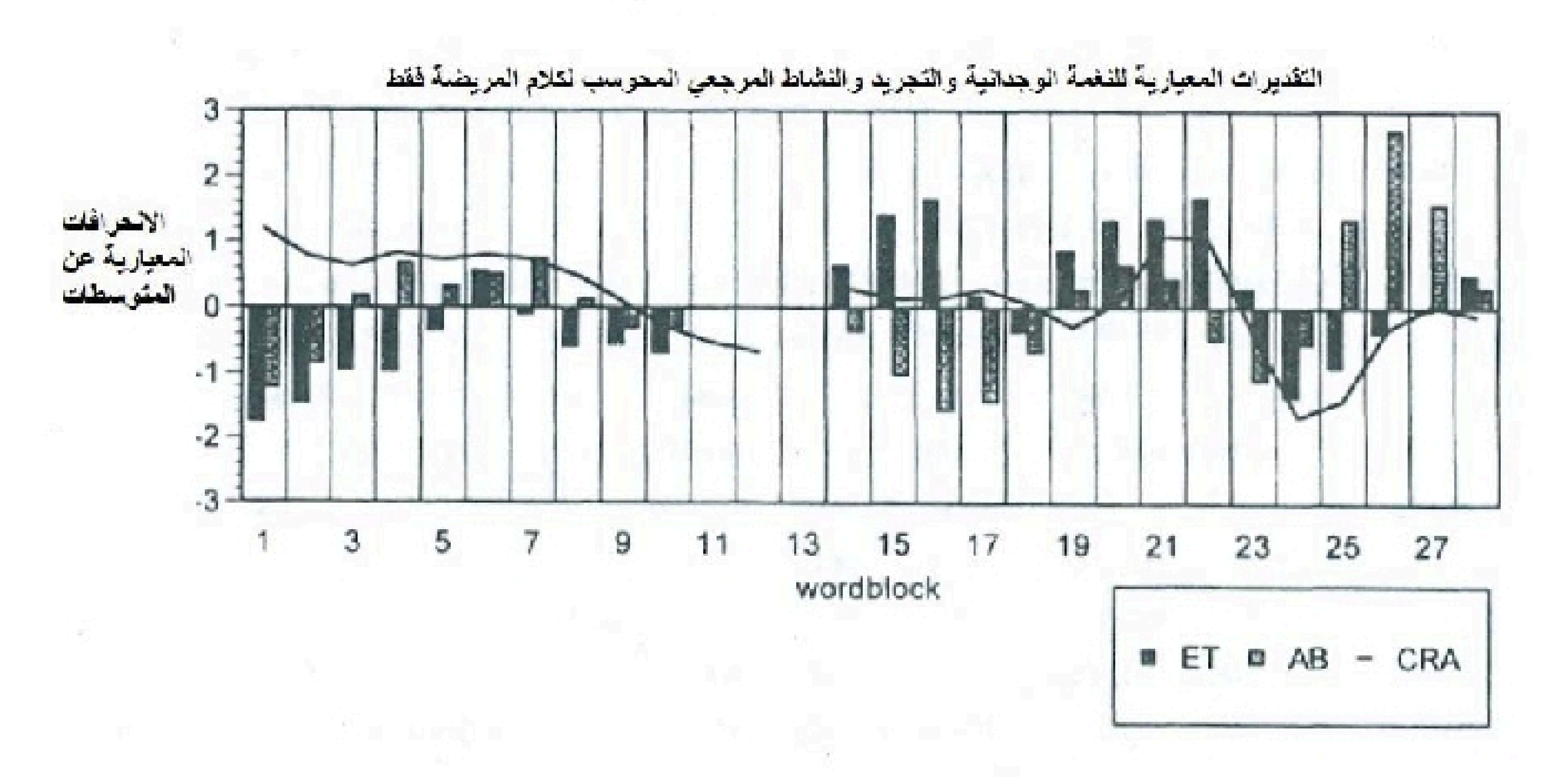
والتي يركز فيها على موضوعات النشاط الجنسي المثير ، وعلى غضبها ، تقود إلى زيادة الموقف الدفاعي للمريضة . وتقترح المقاييس أن الفترة التالية لوصف السيدة ج . لبدأ ممارسة الحب مع زوجها ، بمؤشراتها على الاستبصار الوجداني والتنشيط الوجداني اللاحق ، تمثل فرصة ضائعة في العلاج ، والتي بها التقرير الصحيح للمريضة عن عدم رغبتها في ان تكون وحيدة ورغبتها في أن تكون مع زوجها (وربما مع المحلل) ربما يكون قد نوقش ، ولكنه لم يناقش. ولا نعرف ما الذي ربما يكون قد حدث جعل المحلل يستجيب لموضوعات الانتماء أو التعلق واستكشف تضمينات أخرى محتملة لطلبها بتغيير الموعد ، أو مشاعرها بقربها من زوجها ، أو المعنى الوجداني لقرارها بالقيام باختبار الحمل ذلك اليوم . ولدينا بعض الاشارات الأولية لما حدث ـ أي انخفاض في النشاط المرجعي المحوسب والنغمة الوجدانية ، وزيادة في التجريد ـ عندما استمر في التركيز على موضوعات العدوان والنشاط الجنسي الذي يبدو مركزيا بالنسبة له .

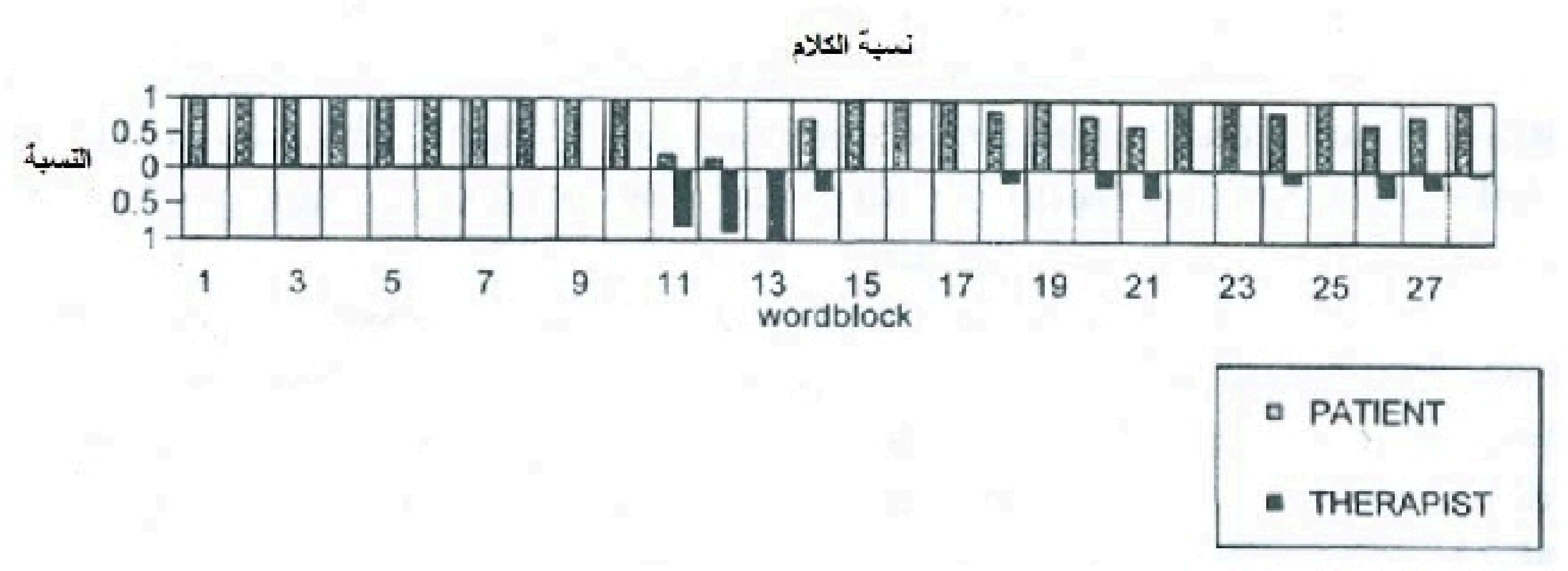
وربما نلاحظ أيضا ان التحول في دورها في جلسة موضوع جوهر صراعات العلاقة من كونها مرفوضة على نحو غير عادل ، إلى كونها تستحق الغضب ، وتوحدها بالشخص الغاضب والقوي ـ يمد بدليل على ثيمة المسئولية الكاملة التي أكد عليها فايس وآخرون (1986) Weiss . وترى المريضة نفسها على أنها قوية ، ومسئولة عن غضب الآخر وغضبها وإن طبيعة قضايا السيدة ج . عن التحكم وكذلك تفاعل موضوعات التعلق والعدوان في فترة حملها ، وفي إجمالي أبنيتها الوجدانية ، يتم استكشافها في دراساتنا المكثفة الحالية لتلك الحالة .

شريط التسجيل :

وظهر المثال الأخير في الجلسة 726 ، في السنة الخامسة للعلاج ، قبيل المرحلة التي وصفها ويندهولز وجونز (Windholz & Jones (1990) على أنها فترة عُصاب الطرح والمقاومة Transferense neurosis & Resistance وفي السنوات البينية ، رُزقت السيدة ج . بطفلة صحتها جيدة وإن الجلسة

726 هي الأولى لسلسلة من ثلاث جلسات حدثت في الأسبوع السابق لإجازة المحلل وتميزت بانخفاض النشاط المرجعي المحوسب والنغمة الوجدانية ، إرتفاع التجديد ، كما يمكننا أن نرى في الشكل 17.1 وإن المقاييس تشير إلى تلك الجلسات على أنها عموما فترة غير منتجة والتي لم تصنع بها اتصالات وجدانية ، وحيث كان التبرير مهيمنا . وإن التمثيل البياني للجلسة 726 المكون كما وصف باكرا للجلسات 38 و 326 ، موضح في الشكل 17.5





شكل 17.5. تطبيق الإجراءات المحوسبة: السيدة ج.، الجلسة 726. وبسبب التدخلات الكاملة للمحلل، كان كلام المريضة في مجموعات الكلمات 11– 13 غير كافيًا ليسمح بحوسبة دقيقة للنغمة الوجدانية والتجريد بالنسبة لتلك الوحدات ؛ وتم حساب النشاط المرجعي فقط بالنسبة لمجموعات الكلمات 11 و12. وإن مجموعة الكلمات 13 امتلأت بالكامل بكلام المحلل.

تبدأ الجلسة بصمت ممتد لمدة ثلاث دقائق تقريبًا، كعادة السيدة ج. في

بداية الجلسة. (ولم يتم الإشارة إلى فترات الصمت في ذلك الرسم البياني، والذي يُعد مستنداً إلى عدد الكلمات بدلاً من الوقت.) وكانت كلماتها الأولى مرتفعة نسبيًا في النشاط المرجعي المحوسب. وعندما دخلت إلى الغرفة، لاحظت رائحة جعلتها تفكر في بول القطط. فلديها تخيل بأن القطط قد دخلت بطريقة ما وتبولت على الأريكة – على الرغم من أنها تعرف أن ذلك يجب أن يكون مستحيلاً– وكان عليها حينئذ أن تستلقى عليها. والشيء الآخر الذي كانت تفكر به، والذي بدا أكثر أرجحية، أن المادة على الأريكة قد أصبحت رطبة بطريقة ما؛ وكان لها نوع من الرائحة. وهي تقول بأنها ربما بدأت تفكر في تبول القطط على الأريكة لتتجنب التفكير في أن شخصًا ما قد كان مستلقيًا على الأريكة قبلها للتو وفيما ربما يكون قد فعله. وقد فكرت في أن ذلك الشخص كان يتعرق بغزارة، وهذا ما يجعل تلك المادة رطبة.

ويرد إلى ذهنها فكرة لم تكن واعية بها عندما كانت تتحدث لأول مرة عن تلك الرائحة؛ أحيانًا يتعرق زوجها كثيراً عندما يمارسان الحب. فهي لا تريد الوصول لمثل ذلك النوع من التفكير، ولكنها تشعر الآن بأنها في مأزق. وتتحدث عن شعور عام بالذعر قد استحوذ عليها الأمس واليوم، مرتبط بالعُطلة الوشيكة للمحلل بنهاية ذلك الاسبوع. وتشعر بأن فهمها لما قد تحدثوا عنه غامضاً ويصعب الوصول إليه؛ فهي بحاجة إلى المجيء للعلاج حتى لا تفقده. وهي بحاجة لحدوث شيء ما قبل نهاية الاسبوع؛ وإلا، سيكون متأخراً جداً.

وظلت صامتة لمدة دقيقتين، بنهاية مجموعة الكلمات 5 ؛ وتقوم بتغيير الموضوع للحديث عن غرفة تقوم بزخرفتها، ومن ثم تبدأ في التأمل بطريقة غامضة ومنشطرة. وتعرف بأنها أصبحت تشعر بالحصار؛ وإن إدراكها مُؤَكَد بانخفاضات في مقاييس اللغة الثلاثة، بداية من مجموعة الكلمات 8 وحتى 11 و 12.

المريضة: ومن ثُم أعتقد أنني توقفت بطريقة ما عن ذلك الشعور الذي تمت مشاركته للمرة الأولى. ولا أعرف كيف يبدو ذلك بطريقة ما، أمم، حسنًا أفترض أنه لا يمكن فصله حقًا، ولكنه كان شيئا مختلفًا عن، أمم، نسيان ما

قد تذكرته واستخدمته بالطريقة التي قمت بها. (وقفة) حسنًا، أنا، أعتقد أنني أتساءل لأنني ربما أعتقد أنني كنت أتساءل أمس ، أيضًا، لو، لو أنني أحاول فصل كليهما لأن، أمم، هناك، ربما يكون هناك شيئًا لو أنني لا أريد، أي لا أريد أن أراه. أعني، أخمن بطريقة ما أنه يبدو- أنني لست، لست- أمم، وربما أكون، أكون مشتبكة في ذلك للغاية... (مجموعة الكلمات 10)

ويتدخل المحلل للمرة الأولى في مجموعات الكلمات 14-11، بينما المريضة في تلك المرحلة التأملية والمتشابكة. وإن تدخله هنا أطول بكثير من كلامه المعتاد، بما يشغل العدد الكلي للكلمات بالنسبة لتلك الفقرات، كما هو موضح في الجزء الأسفل من الشكل 17.5. فهو يشير أولاً إلى خيالها بخصوص القطط ؛ فهو يقترح أنها كانت تقول بأن مكانه ذو رائحة. ومن ثُم يشير إلى تخيلاتها بشأن إثارة ذكر ما لمهاجمتها، والذي قد لاحظه سابقًا مرتبطًا بزوجها وبنفسه.

المحلل: وهكذا فأنت تظلين، بطريقة أو بأخرى، من خلال سلوكك تدعونني، كما تقولين، للاقتحام، واغتصابك، ومهاجمتك ؛ ومن ثم ستكون لديك فرصة لمهاجمتي وركلي في فخذي وتدميري. وإنه ذلك النوع من الخيال وراء كل ما تفعلينه، أعتقد ذلك. والآن تقولين، لم يكن لديك كثير من الوقت. " فأنا، لو أنني سأفعل ذلك، على أن أفعله هذا الأسبوع." آه، بطريقة مشابهة جداً للطريقة التي قد عاملتي بها [زوجك] لسنوات. [مجموعة الكلمات]13

وفي الاستجابة لذلك التدخل، تتحدث السيدة ج. ببعض الانفعالات، كما هو منعكس في النغمة الوجدانية المرتفعة في مجموعات الكلمات 14- 16. فنشاطها المرجعي المحوسب يدور حول نقطة المنتصف للجلسة. ولا توافق جزئيًا، مع ما قد قاله المحلل. فما تريده حقًا هو أن تكون مسيطرة، لا أن تدافع. ربما تريد أن تقاتل بعض الشيء مع زوجها، ولكنها تريده أن يكون أقوى.

ويستجيب المحلل، في مجموعة الكلمات 18، بأنه مصدوم من كون الأشياء التي تفكر بها غير محددة. وتستجيب مباشرةً لذلك؛ وتسأل نفسها،" ما الذي لا أفكر فيه بكوني غير محددة؟" ويبدو أنها تمتثل لتأويل المحلل؛ فهي تتابع بوصف موقف حيث قاومت رغبات زوجها بطريقة سلبية وتسببت في غضبه

منها. حيث كانت جالسة دون عمل في يوم أحد، وتقرأ الجريدة، ولا تفعل شيئًا، وليست بمظهر جيد؛ فهي لا تشعر بأنها على ما يرام، ولكنها تفعل ذلك على أي حال. وزوجها لا يحبها أن تفعل ذلك؛ فهي تنتظر منه أن يتذمر منها. وحينئذ، سترتدي ثيابها" وسيكون ذلك، أي النتيجة النهائية ستكون شيئًا، على الرغم من أننا قد تجادلنا لنصل إليها، كنت أريده حقًا." وإن ذلك جزء من ذروة النشاط المرجعي المحوسب لمجموعات الكلمات 21 و 22. وتفكر بأنه ربما ما تفعله يمكن تفسيره بطريقتين- على أنه إشعال الشجار لجعل زوجها يسيطر عليها، أو على أنه مرتبط برغبتها في تدمير زوجها ومحاولة للسيطرة على تلك الرغبة. وهذا يعيدها إلى رغبتها، المُناقَشَة في الجلسات السابقة، على أن تحصل على أشرطة التسجيلات للجلسة للاستماع إليها أثناء العطلة. وينخفض نشاطها المرجعي المحوسب على نحو مفاجيء عند تلك النقطة.

المريضة: حسنًا، الشيء الذي أفكر به الآن، أنا، أمم، أرى أنه يمكن تأويله بطريقتين. ولست متأكدة، أمم، (تنهيدات) ولكن شيء ما قادني إلى، أمم، إعادة التفكير فيما قد قلته والذي جعلنا، جعلنا نبدأ بالتفكير في تلك الأشياء، أو جعلني ابدأ، أمم، بالطريقة التي أنا عليها الآن. ولا أعرف، فإن ذلك كما لو أنني، ما أحاول فعله هو إعادة ما قلته بالضبط ومن ثم كل شيء قد قيل منذ حينها، أمم، كما لو أن ذلك تسجيلاً في عقلي ولذا عندما أغادر سأحصل عليه. وإن لم أستطع فعل ذلك فحينها لن أحصل عليه عندما أغادر. [مجموعات الكلمات]24-23

وإن كل مقاييس اللغة تنخفض في ذلك الوقت. فالمحلل يؤول رغبتها في التسجيل، كما فعل سابقًا، على أنها دليل إضافي على رغبتها في أن تحصل على ما يملكه ومن خلال التضمين، أن تقوم بتدميره:

حسنًا، إن التسجيل بالنسبة لك يعد معادلاً- لقضيبي. فأنا امتلكه وانتِ لا وتريدينه. وإن ذلك هو محور الشجار. وهذا هو ما تريدين الانتقام له. و هو السبب وراء محاولتك هزيمتي، وإحباطي. وهذا هو ما تريدين فعله للشاب في الفيلم، و هو ما تودين فعله [للزوج]. وهو السبب وراء تفكيرك بهذا. [مجوعة

الكلمات]26

وتقاوم السيدة ج. ذلك التأويل، كما قد فعلت في الجلسات السابقة، وتعود إلى ما تراه أسبابها الخاصة للرغبة في الحصول على التسجيلات، ومشاعرها بشأن الانفصال القريب. ولم يتقبل المحلل احتمالية تأويلات بديلة، ولا تزال القضية غير محلولة.

مقارنة بين ثيمات المريض والمحلل

وكما نوقش باكراً، نرى سرديات ذروات النشاط المرجعي أو النشاط المرجعي المحوسب على أنها تعبيرات اشتقاقية لثيمات الوجدان المُهيمِنة للمريضة. وإن الصعوبات التي ظهرت في تلك الجلسة ربما يتم فحصها من خلال مقارنة ثيمات المريضة في ذروات نشاطها المرجعي المحوسب بتأويلات المحلل. وفي ضوء موضوع جوهر صراعات العلاقة ، فإن ثيمتها في الذروة الأولى ربما تُرى على أنها تستدخل فقط مكون صريح للرغبة: فهي لم تستوعب بشكل كافي يجعلها تواصل بينما يكون بعيداً؛ فهي تفكر فيما يحدث عندما لا تكون هناك؛ وإن رغبتها هي أن يقوم بفعل شيء لها، وأن يعطيها شيئًا لتأخذه معها بينما يكونا منفصلين. فهي تترك الاستجابات المتوقعة من الذات والآخر ضمنية؛ و ربما تقوم بتأسيس الموقف ولذا سيقوم هو بها بدلاً منها- وهذا هو ما يفعله.

لم يستجب المحلل في البداية، تاركًا إياها لتأملها وانسحابها. وإن تدخله، عند حدوثه، لا يعكس ثيمتها ولكنه يكمل ثيمة قد كان يتعقبها في الجلسات السابقة. وفي ضوء بنية موضوع جوهر صراعات العلاقة ، يقوم بتحدد رغبة مختلفة: وهي إستفزازه ؛ واستجابات صريحة ومتوقعة من الآخر ومن ذاتها: أي يجبرها على فعل شيء أو يغضب منها؛ ولذا ستكون حينها حرة في المشاجرة مرة أخرى وتدميره.

وإن محتويات ذروة النشاط المرجعي المحوسب للمريضة في مجموعات الكلمات 21 و22، وهو سرد يتعلق بزوجها، تبدو في بعض النواحي أنها تدعم التأويلات السابقة للمحلل، بمنظور مختلف. وتعترف بأنها تحاول إستفزاز

زوجها. وربما يكون لديها رغبات تدميرية تجاهه؛ ومع ذلك، فهي تستفزه (أي زوجها- أو محللها) كطريقة للتحكم في نفسها أو لتحفيزه ليقوم بتقييدها والتغلب عليها. فهي تستمر في مقاومة ارتباط رغبتها في شريط التسجيل بالرغبة في قضيبه، وعلى أنها تمثل الحسد والتدمير. وهكذا، فهي تحدد رغبة تشبه تلك التي قد نسبها لها المحلل سابقًا: وهي استفزازه؛ ولكن بأجندة مختلفة معنية بالاستجابات المُقررة منه ومنها؛ فهو يقيدها ويتغلب عليها، وهي تشعر بأنها استُرجعت. وإن تأويل المحلل الذي أعقب تلك الذروة يكرر ثيمة تدخله الباكر بطريقة غير مُعدّلة جوهريًا.

تأثيرات التدخل

وكما في الجلسة 320 ، فإن طريقة واحدة لتقييم صدق رؤية المحلل للحالة وهي فحص استجابات المريضة لتدخلاته باستخدام مقاييسنا اللغوية. وإن السلسلة المطولة من التدخلات في مجموعات الكلمات 11- 14، والتي تتعقب ثيمته للحسد والتدميرية، يليها زيادة في النغمة الوجدانية وانخفاض في التجريد. وكما تشير المقاييس، فإن المريضة قد أثيرت وجدانيًا من خلال التدخلات، ولكنها لم تُنتج ترابطات جديدة ؛ فهي تستجيب لما يقوله المحلل وتناضل من أجل نقل رؤيتها المعارضة.

وإن تدخل المحلل في مجموعة الكلمات 18، والتي تشير إلى الطبيعة غير المُحدَّدة لأفكارها، ربما يُرى على أن له تأثيره العمدي. وتخبُر ذلك على أنه استحثاث لها لتكون أكثر تحديداً. ويبدو أن تعليقاته تمكنها من التعبير عن رغباتها العدائية، بما يقلل من رقابتها عليهم. وإن ذلك يقود إلى سلسلة من السرديات أكثر تحديداً في الواقع من المادة التي قد سبقتها، والتي تعد منعكسة في ارتفاع النشاط المرجعي المحوسب لمجموعات الكلمات 21 و22.

وإن تدخلات المحلل في مجموعات الكلمات 20 و21 تستأنف ثيمته الباكرة. ويبدو أن مكونات المادة اللاحقة للمريضة تمد بتأكيد جزئي على تأويلات المحلل. فهي تعترف بمشاعر الغضب ورغبتها في استفزازه. ومع ذلك، فإن أسلوبها

اللغوي يروي قصة مختلفة، مع إنخفاض مفاجيء في النشاط المرجعي المحوسب وكذلك انخفاضات في المقاييس الأخرى للغة. وإن لغة المريضة هنا، أكثر وضوحًا حتى من لغتها في استجابتها للتدخل الأول والطويل جدا، وتشير إلى أن رؤية المحلل، كما عُبِّر عنها في تأويله لم تنجح في فتح اتصالات بمخططاتها الوجدانية ؛ فهي لا تزال منعزلة ومحمية. وإن كل مقاييس اللغة تُظهر بعضًا من الزيادة في باقي الجلسة؛ ومع ذلك، فإن تلك المرحلة تم الهيمنة عليها من خلال المستويات المرتفعة من التجريد، حيث تناضل المريضة للدفاع عن رؤياها. وإن لغتها في نهاية الجلسة تعكس غضبها وإحباطها، وصراعها مع رغبتها في الامتثال للمحلل، والتأثيرات غير المنظمة لتلك المشاعر:

المريضة: حسنًا، لا أعرف. أعني، ربما أفعل فقط ما كنا نتحدث بشأنه ، وللرغبة في إحداثه ولذا حينها يمكنني أن أتشاجر معك، ولكني أشعر، وأخمن ذلك، بمقاومة شديدة تجاه، أمم، كل شيء قلته للتو ولكن، ولكن، أمم، الحق- المتعلقة برغبتي في التسجيل أو، أو محاولة، الحصول على ما يبدو بالنسبة لي يُعد كتسجيل عقلي لما قبل للتو هنا . أمم ، وربط ذلك بسبب ـ رغبتي في قضيبك وما أمم ، أعني أنني أعرف أنني رغبت ، أيضا ، في ذلك فأنا ، لو أنني فكرت بأن لديك التسجيل وأنا لا ، فحينها سيظهر لي على الفور ، حسنا ، بأن لديك قضيب وانا لا . ولكني لازلت أشعر بأني أقاوم بشدة التفكير بأني قد قمت بالمساواة بين قضيبك والتسجيل لأن ذلك يبدو مجرد سخافة . أعني ، لا يبدو أن هناك أي مقارنة ممكنة ذلك أن التسجيل لا يعني أي شئ . وبالطبع ، حينها ، أنا ، أعتقد ، حسنا ، ربما سيكون ما يحدث هو ، أمم ، ما إن قد كشفت بأنني قد صنعت بديلا في تلك اللحظة ، أمم ، لما أريده حقا ، من الواضح حينئذ بأنه ليس ما أريده حقا أعني البديل ـ (وقفة)

المحلل : حسنا ، انتهى وقتنا .

وربما نلاحظ أيضا أن صعوبتها في الاتصال بالخبرة الوجدانية يستمر في الجلستين التاليتين عقب تلك الجلسة ، والجلسات رقم 727 ، 728 ، كما هو مشار إليه من خلال استمرار المستويات المنخفضة للنشاط المرجعي المحوسب

والنغمة الوجدانية الموضح في التحليل الاجمالي للشكل 17.1 . وبناءا على تلك المقاييس ، فإن رؤية المحلل ، كما هي منعكسة في تأويلاته في تلك المرحلة من العلاج . غير مؤيدة في استجابة المريضة .

ومن منظور اليوم (أي حوالي ربع قرن بعد استكمال ذلك التحليل) ، يبدو واضحا أنه بالنسبة للسيدة ج . ، كامرأة (والآن أم لطفل صغير) ، يمكن أن يكون هناك معاني مهمة في الحصول على شريط التسجيل للمحلل بخلاف أخذ أشياءه الثمينة وتدميره ، كما أن حملها يمكن أن يكون له معنى وجداني بخلاف ذلك المفترض في النظرية الكلاسيكية . وإن ثمة الحصول على طفل المحلل انبثقت أثناء فترة الحمل ، ولكن خيالاتها بشأن الطفل تم تأويلها بشكل كلاسيكي أن هناك محاولة لتعويض افتقارها لقضيب ونرى الآن ثيمات الانتماء، والرعاية والتبعية على أنها في المقام الأول كفاحها الأمومي ، وربما تعمل بجانب، وبالتفاعل مع الدوافع الجنسية والعدوانية ، ولكنها ليست ثانوية بالنسبة لها ، وعلى غرار تلك السطور ، يمكننا أن نرى أن رغبة المريضة في الحصول على شئ من المحلل لتأخذه معها لا يعني بالضرورة بأنها حسودة أو لديها رغبات تدميرية تجاهه وإن ملكية أشياء كأشرطة التسجيل (والأطفال)، على نقيض أجزاء الجسد ، والتي يمكن توليدها ، يمكن أن يتم عقدها معا ، وحتى يمكن أن تزداد في القيمة ، والمادة ، والمعنى بمختلف المعاني عندما يتشاركان وفي مثال الحمل ، يعد الطفل شيئا قد أبدعته مع رجل ؛ وكون المحلل أبا لطفلها بدأ مركزيا في خيالاتها حول حملها وفي مثال شريط التسجيل ، فإن ذلك يعد أيضا شيئا قد صنعاه معا . ولو أن مثل تلك الصور والدوافع كانت حاضرة للسيدة ج . في ذلك الوقت من الانفصال الوشيك ، ولم تكن مفهومة ، كان يمكن أن يفسرا لها مباشرة إلى حد ما غضبها وألمها.

وعلى أساس تلك النتائج ، يبدو من المرجح أن غضب السيدة ج . ورغبتها في استفزاز المحلل ، كما تم التعبير عن ذلك في جلسة موضوع جوهر صراعات العلاقة الثانية لجوهر العلاقات الصراعية يتم تحديده على الأقل بصورة متعددة من خلال التفاعل في الجلسة ، بدلا من كونها نابعة فقط من الدوافع الأولية

للحسد والانتقام ، كما يفترض المحلل . وإن تحليلنا لتلك الجلسة يقترح تفسيرات بديلة (كما تفعل المريضة نفسها) . وإن غضبها ربما يكون استجابة لرفضه المبدئي ، أو لتأويله السابق ، أو لعدم رغبته في رؤية تأويلات بديلة . وربما يكون أيضا ، على نحو ساخر ، امتثالا غير مباشر لصياغته (والتي تعد صفة لتلك المريضة) ؛ حيث تصبح غاضبة بالفعل ، ما إن يدعى أنها كانت غاضبة .

تكرار مخططات الوجدان

في الجلسة الأولى التي نوقشت هنا ، الجلسة 38 ، والتي حدثت باكرا في العلاج ، نرى نمطا للانفتاح والتعبير من المشاعر بصورة أكثر حرية في البداية، ومن ثم الدفاع ضدها فهي تقدر حلما يستدخل مشاعرها المرتبطة بالحرية ، ويستدخل المحلل ، ومن ثم تصف فيلما عن فتاة أرادت أن تكون روحا حرة . ومع ذلك فهي مهددة باحتمالات جديدة ، تنسجب من موقفها المنفتح ، كما هو مشار إليه من خلال الانخفاض في الكلام المرتبط بالوجدان وزيادة التجريد في نهاية الجلسة . ويُرى نمطا مشابها في العلاج ككل ، بمستويات مرتفعة ـ للنغمة الوجدانية والنشاط المرجعي المحوسب في المائة ساعة الأولى من العلاج، وانخفاضها اللاحق ، إلى جانب زيادة في الكلام التجريدي ، المنعكس في التجريد المرتفع . وربما نقترح بأن نمط الخطاب المرئي في تلك الجلسة الباكرة يشير إلى بنية الخطاب كما سينكشف على مدار العلاج .

وتوجد احتمالات لانبثاق الحرية الوجدانية ولكنها غير مدركة ؛ حيث تظل المريضة محمية في النهاية . وكما قد حاجج ويس وآخرون Weiss (1985) من ناحية تطبيقهم لمفهوم الخطة اللاشعورية ، فإن ذلك الثبات ربما يُرى على أنه برهنة على قابلية مقاييسنا ووصفنا للمخططات الوجدانية للسيدة ج . وعلى الجانب الآخر ، كما قد أشرتُ أيضا ، ربما يحاجج أحدهم بأنه في العلاج الناجح ، فإن ذلك النمط ، كخطة لا شعورية ، ربما كان المتوقع تغيره .

وربما نقترح أيضا أن الصعوبات التي يتم رؤيتها في الجلسة الثالثة الموصوفة هنا ، الجلسة 726 (وايضا لمدى اقل في الجلسة 326 ، تبدأ بشعور أن الآخرين غاضبين منها ، وتتحدث عن رغباتها في ألا تكون وحيدة ، وتختم

بكونها متوحدة بالشخص الغاضب والقوي . وفي الجلسة 726 ، تبدأ المريضة بخيالات عما يحدث في المكتب عندما لا تكون هناك ؛ فهي قلقة بشأن الانفصال الوشيك ؛ وهي تريد الحصول على شئ ملك للمحلل، أو العلاج، لتأخذه معها. فهو يصر على تأويله المبني على موضوعات الحسد والتدميرية ؛ وهي غير موافقة ولكنها تعرض حلاً وسطًا؛ ويظل على موقفه ، فتشعر بالغضب. وفي كلتا الجلستين؛ نرى قلقًا بشأن الانفصال ومشاعر غضب متشابكة معه ؛ وفي كلتا الجلستين، تتجه نحو التوحد بشخص غاضب وقوي.

وفي فحصنا لمرحلة الحمل من ذلك العلاج، فقد رأينا علاقة السيدة ج. بأم باردة ورافضة على أنها أمر غاية في الأهمية (Friedman et al., 1994; Udoff, 1996). وقد رأينا أيضًا أن تلك البنية شائعة بالنسبة للسيدة ج.، وليست مقتصرة فقط على فترة الحمل. وقد حددنا مخططًا وجدانيًا مركزيًا للرغبة في القرب والتعلق، مع توقع الرفض والمشاعر الناتجة من الغضب تجاه الموضوع، بما يقود إلى الخوف من المزيد من الرفض. فهي تتحول عن رغبتها في القرب إلى الموضوع وتتوحد بدلاً من ذلك مع الشخص القوي والغاضب. وإن ذلك النمط الذي يميز موقفها من البداية، يتم تكراره في الجلستين الآخرتين اللتان قد درسناهما، ويميز نتيجة العلاج ككل. وإن تقبلها لتأويلات العداوة والتدمير ربما يُرى على أنه أكثر تحديداً؛ وإن وصفها للإذعان وكذلك التوحد يعد تعبيراً عن موضوعها للإنتماء.

وينبغي أن نلاحظ أن الموضوع الثاني للسيدة ج. في الجلسة 726 قريب جداً من تقرير خطتها اللاشعورية، كما هو مُصاغ من خلال ويس وآخرين (1986): فهي تشعر بالمسؤلية تجاه الآخرين (أي المحلل؛ وزوجها)؛ وتختبر اعتقادها المَرَضي (وتحاول على نحو محتمل عدم تأكيده) من خلال محاولة إظهار أنها لا تستطيع إعطاءه تعليمات أو إيذاءه. وإن رفض المحلل لطلبها شريط التسجيل ربما يُرى، في هذا الصدد، على أنه اجتياز لاختبارها (على الرغم من أن المحلل ربما لا يود صياغة خطة لاشعورية بتلك الطريقة.) وعلى الجانب الآخر، فإن تركيزه على رغبتها في تدميره (وغيره من الذكور) يدعم ضمنيًا

اعتقادها بقوتها ومسؤليتها في هذا الصدد؛ فهي خطيرة، بمجرد شعورها بالخوف، ويمكنها الشعور بالآمان من خلال إلحاق الضرر فقط في حالة أن كان الذكر أقوى وقادرعلى تقييدها. ومن وجهة نظر ويس Weiss وآخرين، فإن خطة المريضة اللاشعورية للشفاء لم يتم الوفاء بها ؛ وإن اعتقادها بمسؤليتها عن مشاعر المحلل ومشاعرها يتم تأكيده بشكل متكرر.

الأعمى والفيل:
تعقيد مخططات الوجدان

كل واحد من الباحثين والإكلينيكيين الذين درسوا تلك الحالة قد رأوها من خلال عدسة مختلفة. وركز المحلل على أبنية الغضب والعدوان للسيدة ج.، والتي تنبع من ميلاد أخ أصغر مُفضَّل.

ومن منظوره، فإن مشكلاتها وشكواها، كتلك المتعلقة بالمريضتين في تحليلاتهما الأولى، المُناقشة من خلال جروسمان وستيوارت (1976 انظر الفصل 2 من هذا المجلد)، بدت أنها مُفسَّرة على النحو الأمثل في ضوء المفهوم التحليلي النفسي الكلاسيكي لحسد القضيب. وأكد ويس وآخرون (1986) على مشاعر الذنب اللاشعورية، استناداً إلى مشاعر التفوق اللاشعورية، ورأوا حسدها وتقليلها لشأنها على أنه ثانوي. وقد أكدنا على ثيمات الانتماء والرفض المتوقع، مع ترتب القلق والغضب على ذلك. وإن تحليلنا اللغوي يمد ببعض الدعم لموقفنا وموقف ويس وآخرين، وأيضًا ببعض المؤشرات على أن تدخلات المحلل ربما لا تكون متصلة بالمخططات الوجدانية للسيدة ج. مع استمرار العلاج.

ومن منظور اليوم، فإن الخلاصة الرئيسية التي ربما نشتقها من تلك الدراسة الوصفية هي أن مجموعة متنوعة من مخططات الوجدان التي تمثل نطاقًا من وجهات النظر الاكلينيكية كانت حاضرة وإجرائية لدى تلك المريضة بدرجات مختلفة وفي أوقات مختلفة. ونتوقع أن مثل ذلك التعقيد سيكون هو الحال بشكل عام كما تكشف أبنية الوجدان للمريضة في العلاج التحليلي النفسي. وكما أوضح جروسمان وستيوارت (1976)، فإن القضايا التي تم

رؤيتها في ضوء واحد في العلاجات الأولى للمريضتين اتخذت شكلاً مختلفًا في الثانية. وإن التحدي في فهم التنظيم الوجداني للمريضة هو الابتعاد عن النهج الثابت وتحديد أي من المخططات الإجرائية العديدة بارز، وصراعي، ويساهم في الوظائف غير التكيفية للفرد في وقت محدد.

إن التعقيد الأعظم لذلك المدخل يجعل دور البحث أكثر وضوحًا ومركزية- ويجب أن يتضمن ذلك البحث ما يتعلق بالتنظيم النفسي الأساسي وكذلك حول العملية العلاجية. وبدلاً من التوجيه الواضح لمنهج تنظيري مقبول- حسد القضيب، سيادة السيطرة، قضايا التعلق- نتحدث الآن عن مجال واسع لمعالجة المعلومات الوجدانية والذي ربما يظهر بداخله الصراع والوظائف غير التكيفية. فنحن بحاجة إلى نموذج نفسي عام ليشمل تعقيد النظام الوجداني، وطرق ثابتة وصادقة لتقييم الفروض المعنية بوجهات نظر محددة لحالة ما- لتمييز أي من العديد من المخططات الممكنة، وأي من العديد من المعاني الوجدانية الممكنةً، يتم التعبير عنها عند نقاط محددة لترابطات وتفاعلات المريضة. وقد أوضحت خطوة أولى في ذلك الاتجاه في دراسة لحالة واحدة والتي قد قُدِّمت هنا. وفي الفصل التالي، سأناقش جوانب إضافية لاتصال بحثنا بالعمل الاكلينيكي، وسألخص أيضًا بعضًا من التحديات العامة التي نواجهها في بناء برنامج بحث تحليلي نفسي.

الفصل الثامن عشر
ملاحظات معنية بأجندة
البحث التحليلي النفسي

لقد قدمت تلك الأمثلة من حالة واحدة لإيضاح القوة المنهجية لذلك المدخل البحثي لإثارة تساؤلات إكلينيكية وتقديم وسائل لمناقشتها . وتشير المقاييس إلى موقع الموضوعات المركزية وتمكن من تقييم عمل العلاج، بما يتضمن تدخلات المحلل لتيسيير استكشافات المريض. وباستخدام تلك المقاييس، فإن الاختلافات في وجهات النظر التنظيرية والفنية ربما تكون مُقيَّمة كتلك التي تؤثر على النفاذ للخبرة الوجدانية والتغيرات في المعاني الوجدانية التي تعد الهدف الأساسي للعلاج التحليلي. وإن الجلسة التحليلية النفسية تمد بمحيط بحثي فريد لتقييم فروض إكلينيكية محددة والتي ربما تساهم أيضًا في تقييم افتراضات أكثر عمومية معنية بالوظائف الوجدانية والمعرفية ضمن السياق لنظرية أساسية للتنظيم النفسي.

إن المادة المُقدَّمة في الفصل السابع عشر ربما تُرى على أنها تلخيص– أو مقدمة– لمشروع عملية بحث بدلاً من كونها دراسة مكتملة. وفي ذلك الفصل، سأناقش بعضًا من المكونات الرئيسية لاجندة بحث تحليلية نفسية والتحديات التي بحاجة إلى مواجهتها، ولذا يمكن الوفاء بمثل تلك الوعود. وسأناقش أولاً بعضًا من التضمينات الإكلينيكية المحددة للبحث، لإيضاح كيف أن نتائجنا ربما تكون على نحو محتمل ذات قيمة مباشرة بالنسبة للإكلينيكيين. ومن ثم سأعود إلى التساؤل بشأن دور النظرية كإطار عمل للبحث التحليلي النفسي الميداني، ثم اتجه إلى العديد من القضايا المنهجية الرئيسية التي تواجه حقل البحث التحليلي النفسي.

تضمينات للعمل الإكلينيكي:
فروض الفترات الحرجة

إن تضمينًا إكلينيكيًا محدداً لصياغة الدائرة المرجعية هو أن المراحل المختلفة للدائرة تدعو، جوهريًا، لأنماط مختلفة للاستجابة العلاجية. وإن ذلك يمد بإطار عام لتوقيت التدخلات، والتي ستحتاج بالطبع أن تكون مهيأة لحالات مختلفة ومراحل مختلفة من العلاج. وسوف أركز هنا على الإخبار بالسرد والفترة التي تلي ذلك على الفور كنمط واحد لفترة حرجة في العملية الترميزية وفي العلاقة. وإن ذروة النشاط المرجعي المحوسب في كل الجلسات الثلاثة تحدد نقاطًا في ترابطات المريضة حيث مخططات الوجدان الرئيسية، المُنشَّطة في الوقت الحالي للعلاقة، يتم" الإخبار" بها بشكل سردي. وإن التغيرات في تلك السرديات تخدم كمؤشرات على تغير بنائي ضمني. وقد قدمت تصديقًا على تلك الادعاءات في البحث الذي تمت مناقشته. وإن النفاذ لمخططات الوجدان، بمحتوياتها الرمزية الفرعية، قد تم إتاحته و يتم التعبير عنه؛ فالجرح الوجداني قد تم فتحه بشكل كافي ليكون العلاج فعالاً.

إن اتجاه العلاج متأثر على نحو دال بالطريقة التي يتفاوض بها المحلل والمريض في تلك المرحلة الحرجة. وفي عملية الترجمة العكسية، حيث التمهيد والاعداد في النظام الرمزي اللفظي يقوم بتنشيط المعالجات الرمزية الفرعية، من المرجح أن تكون ناجحة عقب ذروات النشاط المرجعي المحوسب. وإن تلك الترجمة العكسية ربما تظهر في شكل تأمل المريض الخاص على معنى القصة التي قد أُخبر بها، وربما تدخل أيضًا في التواصل اللفظي للمحلل والتأمل المشترك من قبل المحلل والمريض. وإن التدخلات الهامة، بما يتضمن التأويلات، من المرجح أن يكون لها تأثير في مثل تلك الأوقات، عندما ينتقل المريض من الاستكشاف الداخلي إلى كيفية تواصلية وتأملية، ويمتلك النفاذ لكليهما. وإن الأشياء الأخرى متساوية، فالتدخلات أقل احتمالاً في كونها فعالة، أو ربما لا تكون مفهومة، أو حتى ربما تعيق تدفق الترابطات والتأملات لدى المريض عند نقاط أخرى للدائرة.

ويوجد العديد من الاتجاهات التي ربما تسلكها المريضة عقب ذروة النشاط المرجعي المحوسب. فقصة واحدة قد تقودها لأخرى؛ ولو تُركت وحدها، ربما تكون قادرة على اتباع طريق اتصالاتها الوجدانية لمستويات أعمق ولإضاءات جديدة، كما تمنت مريضة فرويد إليزابيث آر Elizabeth R. (والتي يُقال أنها قد اخترعت التداعي الحر) أن تفعل. وأحيانًا ينحدر المرضى من ذروة أولية للنشاط المرجعي المحوسب وينتقلون إلى أخرى، كما يبدو أن السيدة ج. قد فعلت في الجلسة 326. وبدلاً من ذلك، فإن المريضة ربما تنتقل من مرحلة السرد وتعود لتتأمل القصص والصور التي استعادتها وأُخبرت بنتائج مفيدة. وعلى الجانب الآخر، لو أنها تلمح لمعنى وجداني لا ترغب في رؤيته، فمن المرجح أن تقوم بحشد دفاعات بمختلف الأنماط ، وربما يتم وقف المزيد من الاستكشاف.

ويتوقف المرضى بصورة متكررة عقب ذروة النشاط المرجعي أو النشاط المرجعي المحوسب، كما فعلت السيدة ج. في العديد من الجلسات، بما يتضمن تلك المُناقَشَة هنا. (وإن التوقف غير مُنعكس في الرسوم البيانية، والتي تعد مبنية على عدد الكلمات فقط). وإن مثل ذلك التوقف سيتم تأويله على أنه دعوة لتغيير مسار الخطاب الحواري الطبيعي (Jaffe & Feldstein, 1970). ومن المرجح أن كلا من المحلل والمريضة على وعي، على الأقل حدسيا ، بأن تدخلاً ما من المتوقع أن يلي سرد النشاط المرجعي المرتفع، وتحديداًعندما يعقبه وقفة. ومن ثم يتخذ المحلل قراراً إما أن يتدخل أو يظل صامتًا. ويقوم بحساب (داخل الأنظمة الرمزية الفرعية الخاصة بها وكذلك الرمزية) اتجاه وقوة دفع ترابطات المريضة، ومن ثم يحدد ما إذا كانت المريضة ربما تحتاج للدعم أو حتى قليلاً من الإرشاد في بحثها عما تحاول عدم إيجاده، أو أنه من الأفضل لها أن تُترك وحيدة.

وفي عملنا الإمبريقي الذي يغطي العديد من العلاجات المختلفة، قد قدمنا دليلاً بأن المحللين يميلون بصورة متزايدة للتدخل بمجرد انخفاض النشاط المرجعي للمرضى عقب مثل تلك الذروات (Baerson, 1993; Dove & Bucci, 1997). وبافتراض ضوابط عملية التدخل التي قد لوحظت، فإن غياب

تدخل ما، عندما يكون متوقَّعًا، يُعد إجراءً بقدر ما سيكون التدخل. وقد وصف بيرسون(1993) Baerson عدم ظهور التدخل في الأوقات التي يكون "متوقعًا فيها" بأنه" تدخل صامت،" بمعنى محدد خاص به. وإن الصمت ربما يكون له تأثير على تحول بعض المرضى عن وجهتهم الحالية للبحث عن مادة سترتبط بالمحلل. وفي سياقات أخرى، فإن الصمت ربما يحفز استكشافًا مستقلا. ومن وجهة نظر ويس وآخرين (1986)، فإن فترات الصمت – أو" التدخلات الصامتة" – ربما تُستخدم لتوجيه رسالة إلى المريض بأن تصرفات لاشعورية معينة لن تنجح وربما تعمل كاجتياز لاختبار ما. وربما يشير الصمت أيضًا للمريضة إلى أن الآخرين غير مستجيبين لها في الواقع، كما يحتمل أن تكون قد عرفت ذلك في التفاعلات الباكرة– المختلة وظيفيًا – من حياتها. وإن الآثار الوجدانية للصمت ينبغي أن تكون مؤولة على نحو فردي لكل مريض ولكل من الثنائي المحلل والمريض، ولفترات مختلفة من العلاج أيضًا.

ومن المحتمل أن يكون جزءاً من حساب المحلل في اتخاذ قرار التدخل قائم على رؤيته الخاصة للاتجاه الذي ينبغي أن تكون عليه ترابطات المريضة، بدلاً مما هي عليه. ومن الواضح أن قضايا الطرح المضاد تحتاج إلى مناقشتها عند تلك النقطة. وإن أي من القرارين للمحلل الذي يعقب ذروة النشاط المرجعي المحوسب– أي البقاء صامتًا أو التدخل– سيتم خبرته من خلال المريضة على أنه ذو دلالة ومعنى، وسيدخل ضمن حساباتها فيما ستقوله لاحقًا. وإن تأثيرات التدخلات، أو إخفاقات التدخل، يجب أن تُرى على أنها قوية تحديداً في العلاج الكلاسيكي حيث يُعد كل تدخل حدثًا يستحق الملاحظة. وهكذا، يمكننا فحص آثار التوقيت، وكذلك آثار محتويات التدخلات، وتفاعلها. وقد رأينا اختلافات لتلك الآثار في الجلسات الثلاثة التي دُرست في الفصل السابق.

في الجلسة 38 من تحليل السيدة ج.، تدخل المحلل للمرة الأولى في مجموعة الكلمات 8، بينما كانت المريضة مندمجة في سردها، مُشار إلى ذلك بارتفاع النشاط المرجعي فوق المتوسط؛ حيث كان التدخل تساؤلاً توضيحيًا بسيطًا والذي بدا لتيسير التدفق الترابطي. وإن التدخلات الهامة الأخرى في

تلك الجلسة ظهرت في الفترة الحرجة التي وصفتها، عقب حالات الانحدار من ذروات النشاط المرجعي المحوسب. وإن التدخل في مجموعة الكلمات 12 وهو سؤال يناقش مشاعرها، أعقبه زيادة في النغمة الوجدانية وذروة كبيرة للنشاط المرجعي المحوسب. وإن التدخل التالي، في مجموعة الكلمات 27، أعقب الذروة الكبيرة وأحال إلى دور المحلل في حلمها. ولم يكن ذلك فعالاً بدرجة كبيرة، حيث يقود فقط إلى تجريد متزايد في الوقت القصير المتبقى في تلك الجلسة. وإن توقيت التدخل، في ضوء فروضنا للفترة الحرجة، كان مناسبًا؛ حيث أن المحتويات، أو الحدث القريب جداً من نهاية الجلسة ربما قد تداخل مع التأثير المحتمل.

وفي الجلسة 326، لا يستجيب المحلل عقب ذروة النشاط المرجعي المحوسب والانخفاض الذي بدأت به الجلسة. وتُظهر المريضة انخفاضا دفاعيا مؤقتا في النغمة الوجدانية وزيادة في التجريد، واللذان يشكلان تراجعًا عن الاتصالات الوجدانية؛ ومع ذلك، يبدو حينئذ أنها تستعيد اتصالها بالخبرة الوجدانية بنفسها، متجهة نحو الذروة المركزية للنشاط المرجعي المحوسب. وإن صمت المحلل ربما يُرى هنا على أنه فعال بذلك المنطق. وإن تدخلاته الأولى، في مجموعات الكلمات 16 و 17، تلي ذروة النشاط المرجعي المحوسب وتقود إلى مزيد من زيادات النشاط المرجعي المحوسب المعتدلة وإلى الاستبصار الوجداني.

ومع ذلك، فإن التدخلات اللاحقة ليست ناجحة جداً، كما قد رأينا. فكما سيقترح نموذجنا، يأتي التدخل في مجموعة الكلمات 25 في الوقت الذي تكون فيه التدخلات الهامة أقل احتمالاً في أن تكون فعالة وحتى ربما تكون فوضوية. وقد أكملت المريضة فترة الاستبصار الوجداني، وقد أظهرت زيادة في التعبير الوجداني المباشر، المشار إليه من خلال الزيادة في النغمة الوجدانية، والآن تنتقل إلى زيادة في النشاط المرجعي المحوسب. وإن ذلك النمط يعد مؤشراً على تعمق النفاذ إلى مخطط وجداني والبداية المحتملة لدائرة جديدة. وتلك هي فترة حرجة بمنطق مختلف، أي النقطة التي عندها تتحول المريضة إلى الداخل، وتبحث داخل خبرتها الداخلية، وربما تخبُر إثارة خبرة جسدية وحسية للرمز

الفرعي، وربما يكون من الأفضل تركها وحيدة لتستمر في بحثها. وينخفض كل من النشاط المرجعي المحوسب والنغمة الوجدانية عقب ذلك التدخل، باقتراح أنه ربما قد أعاق استكشافها ، على الأقل لم ييسره.

وفي الجلسة 726، كما في 326، تُظهر المريضة انخفاضًا من مستواها المبدئي للنشاط المرجعي، مصحوبًا بانخفاضات في النغمة الوجدانية والتجريد وبتوقفات طويلة ، والتي لم يتم الإشارة إليها في الرسم البياني. وكما أوضحت، يشير النمط إلى توقع استجابة ما؛ فتصبح لغتها معقدة بصورة متزايدة. ويتدخل المحلل في النهاية لفترة طويلة، حيث يبدو أن هناك محاولة لإنقاذ المريضة من ارتباكها، ولكن التدخلات ذات تأثير محدود، كما نوقش باكراً. وكما ناقشت، فإن التدخلات في مجموعات الكلمات 20 و 21 لها أثر في تنشيط مخططات الوجدان، على الرغم من أنها بتضمينات إشكالية. وإن التدخلات في نهاية العلاج يبدو أنها تقوم بدفعها للوراء إلى كيفية تجريدية.

وإن تلك المناقشة قد اقترحت فروض معنية بنقاط في العلاج حيث تكون التدخلات أكثر أو أقل أرجحية في الظهور و الفعالية في الوصول للمريضة. وإن التأويلات لها قوة اتصالية أكثر في أوقات معينة – بالنسبة للصحة والمرض. وتُعد الفروض قابلة للدراسة الميدانية؛ وإن مثل تلك الدراسات ، بما تتضمن فحص تفاعل المحتوى وتوقيت التدخلات، وآثارها، تعد جزءاً من أجندة بحث قيد التنفيذ حاليًا.

تأويل المقاييس:
الصدق التكويني
والشبكة الاسمية

ولتحليل العملية في علاج ما وجلسة ما، بما يتضمن تقييم آثار التدخلات، فإن نطاقًا واسعًا من المقاييس المختلفة التي تقيِّم المحتويات الإكلينيكية، وكذلك مقاييس صفات الخطاب، بحاجة إلى أن تكون مطبقة. وإن مقاييس أسلوب اللغة تخبرنا بموضع ظهور الأحداث الدالة في الجلسة. وإن مقاييس أخرى للمحتوى،

وكذلك التحليلات الإكلينيكية المرتبطة بالتحليلات اللغوية، يمكن أن تطبق حينئذ لتخبرنا عما يحدث ولتساعدنا في فهم السبب والكيفية. وفي الدراسة التمهيدية المُقررة في الفصل السابع عشر، فإن التقييم الإكلينيكي وصياغة الثيمة العامة لجوهر العلاقات الصراعية، التي تُطبق على ذروات النشاط المرجعي المحوسب، كانت تُستخدم كمؤشرات على ثيمات ضمنية. وفي دراسة لعملية منهجية، فإن موضوع جوهر صراعات العلاقة ، في أيٍ من نسخه المفصلة خصيصًا أو الموحدة (Luborsky & Crits-Cristoph, 1900)، قد يكون مطبقًا على كل الجلسات، بقابلية محوسبة من بين أحكام عديدة.

وإن النسخة الجديدة لمقياس أبنية الوجدان غير التكيفية الأساسية المتكررة (FRAMES) تكون في الوقت الحالي تحت التطوير بواسطة داهل، استناداً إلى نظريته للوجدان (Dahl, 1978)، ربما تكون مُطبَّقة أيضًا كمؤشر على ثيمات ضمنية. وإن مقاييس دفاعات المريضة والتغيرات بها في مسار العلاج، المُطوَّرة من خلال بيري وزملائه (1993) Perry ، تضيف مزيد من المعلومات الإكلينيكية لفهمنا لقضايا المريضة. وإن قواميس المحتوى، بما يتضمن مقاييس الأمومة والإنتماء (Udoff, 1995)، ومقاييس العدوان والعداء، قد تم تنميتها أيضًا لتقييم الموضوعات الإكلينيكية. وإني وزملائي حاليًا نقوم بدراسات لتطبيق مقاييس متعددة لتلك الأنماط على حالة السيدة ج. وعلاجات تحليلية نفسية أخرى مُسجَّلة، ونستخدم وسائل إحصائية لتقييم آثار التدخل.

وإن المقاييس التي تم تنميتها كمؤشرات إجرائية لأحداث داخلية مثل الثيمات الضمنية، والطرح، والتغير البنائي، والدفاعات بمختلف الأنماط. وإن النقطة المركزية لاستراتيجية البحث، والتي بحاجة إلى أن يتم تأكيدها هنا، هي أن كل تلك الأحداث مفهومة على أنها أبنية نفسية محددة في ضوء بعضها البعض ويُستدل عليها من الأحداث المُلاحَظَة ضمن إطار تنظيري أو شبكة إسمية. وبدون إطار تنظيري عام، فإن معاني المؤشرات الإجرائية تظل غامضة ومعقدة، والاستنباطات من تلك المقاييس من المرجح أن تختلف بطرق غير واضحة من دراسة لدراسة، بما يقود إلى غموض النتائج التي كانت ولاتزال

عقبة رئيسية للبحث في ذلك الحقل.

وإن الدراسة المُلَخَّصة في الفصل السابع عشر بُنيت على الإطار التنظيري للتشفير المتعدد والدائرة المرجعية. وإن المقاييس التي طُبِّقت على حالة السيدة ج. يتم تأويلها في ذلك السياق. وإن ذلك لا يعني تقبل النظرية على أنها صادقة، ولكن يعني استخدامها كمجموعة مباديء وافتراضات والتي ربما حينئذ يتم دعمها أو عدم تأكيدها. وإن نظريات إكلينيكية محددة ربما يتم تنميتها أيضًا وبناءها ضمن الشبكة الإسمية، كما يتم تنفيذ دراسات لتقييم ذلك.

وفي حين أن نظرية الشفرة المتعددة تُعد كإطار تنظيري واحد، حيث ضمنها قد تم تأويل مقاييسنا ، إلا أن النظريات البديلة للتنظيم النفسي ربما يتم تنميتها أيضًا من خلال آخرين. والنقطة الهامة هي أننا بحاجة إلى امتلاك إطار تنظيري، واستخدام الإطار لتحديد المقاييس، واستخدام الملاحظات لدعم النظرية أو عدم تأكيدها.

انتقاء عينة وقضايا التكرار

في الفصل السابع عشر، أصدرت تقارير بشأن أنماط الخطاب لعينة كبيرة من الجلسات المنتقاه لتمثل مراحل مختلفة لعلاج السيدة ج. باستخدام تحليل اللغة المحوسب كجهاز فحص، وإن الجلسات الثلاثة التي تمثل أنماط مختلفة للخطاب ومراحل مختلفة للعلاج تم انتقائها لتحليل أكثر كثافة. وإن الإجراءات المحوسبة تمكننا من انتقاء جلسات بمنهجية بتلك الطريقة، بدلاً من الاعتماد على الطرق المعتادة لانتقاء فترات العلاج المحددة بشكل عام (مثل باكرة ، وسطى ، متأخرة) ولاختيار الجلسات بعشوائية داخل تلك المراحل.

وإن استخدام عينة كبيرة من الجلسات، المنتقاه بصورة منهجية ومدروسة بفنيات موثوقة وصادقة، يأخذنا فيما وراء مستوى التقرير الإكلينيكي للحالة، وأيضًا فيما وراء دراسات الجلسة الواحدة أو العلاج صغير العينة والتي قد كانت سابقًا حالة من الفن في حقل البحث العملي. وعلى سبيل المثال، فإن كمية البحوث الممتازة المُحررة من خلال داهل وكاتشيلي وثوماي (1988)، مبنية

على دراسات تقاربية لساعة واحدة من حالة السيدة ج. وبالمثل، فإن قضية خاصة ببحث العلاج النفسي (1994)، المعدل من خلال لوبورسكي و بوب وباربر وشابيرو، غطت سبعة مقاييس متعلقة بالطرح مُطبَّقة على حوارٍ واحد. وإن دراسات ويس وآخرين (1986) وجون وويندهولز (1990)، المُستشهد بها باكراً، استخدمت عينات كبيرة من الجلسات من حالة السيدة ج. ولكنها لم تفحص العملية داخل الجلسات أو تقارن علاجاتها بالآخرين.

وفي النهاية، يتطلب البحث العلمي المنهجي تصاميم كبيرة العينة ومتعددة المرضى. ومن أجل الوصول لخلاصات بشأن حالة السيدة ج. والعوامل التي تؤثر على مسار العلاج، فإن عدداً كبيراً من الجلسات، فيما يتجاوز 105 جلسة المستخدمة هنا، ستكون مطلوبة لإجمالي الدراسة العلاجية، كما إن مكون العملية المكثفة سيكون بحاجة إلى زيادة كبيرة. وإن دراسة الأمومة لفريدمان وآخرين (1994) .Friedman et al، والتي تعد قيد التنفيذ حاليًا، تغطي كل الجلسات خلال فترة الحمل الكاملة للسيدة ج.، بدءاً من نقطة بداية الحمل (المعروفة من خلال الاستنباط) حتى الشهور العديدة لاكتئاب ما بعد الولادة. وإن مشروعًا آخر سيفحص التحول الدرامي الظاهر في الانخفاض الحاد في النغمة الوجدانية والزيادة العامة في التجريد التي قد حدثت باكراً في ذلك العلاج ولم تُكرر مجدداً.

وإن دراسة عينات كبيرة من الجلسات يعد ممكنًا فقط من خلال استخدام إجراءات محوسبة. وبالإضافة إلى مقاييس أسلوب اللغة الموضحة في الفصل السابع عشر، فإن مقاييس المحتوى المحوسب يتم تنميتها أيضًا؛ حيث تمكن تلك المقاييس من التقييم التلقائي للتعبير عن موضوعات محددة. وإن المقاييس المحوسبة لتكوين الأمومة، بما يعكس ثيمات الانتماء والرعاية، قد تم تنميتها) (Friedman et al.,1994; Udoff, 1995 ؛ كما أن تكوين مقياس يغطي موضوعات العدوان قيد التنفيذ أيضًا.

ولا يهم كم هو كبير انتقاء الجلسات من حالة واحدة، فمع ذلك، نحتاج أيضًا للانتقال إلى تصاميم متعددة الحالات، للإجابة عن نمط التساؤلات التي

يهتم بها الإكلينيكيون والمنظرون. فعلى سبيل المثال، باتباع دراساتنا لحمل السيدة ج.، نتوقع أن نفهم قضاياها الفردية والنفسية الداخلية، بما يتضمن توحدها الصراعي بوالدتها، وكيف تتطور تلك القضايا في حملها، وتوقعات الأمومة، والعلاقة الحالية بزوجها، وكذلك العلاقة التحليلية. ونتوقع أيضًا أن نفحص قضايا الطرح المضاد بشكل عام، وتلك التي تدور حول الحمل بشكل خاص، وفي ذلك الثنائي. ومع ذلك، لن نعرف لأي مدى تكون الأنماط المحددة لتلك المريضة وذلك المحلل خاصة بهم، أو قابلة للتعميم على الآخرين، حتى نجد حالات حمل أخرى متوازية في التحليل والتي يمكن دراستها بطريقة مشابهة. وينشأ نفس التساؤل فيما يتعلق بأي قضية إكلينيكية. ونحتاج لتنمية مجموعة من العلاجات المسجلة بالكامل، وفحصهم باستخدام إجراءات تلقائية، وانتقاء عينات من الجلسات من أجل دراسة أكثر تكثفًا، وتنمية نمط التصاميم المكررة لحالة واحدة والتي تعد أكثر ملائمة للإمداد بالإجابات التي نحتاجها. وقد قُدِّمت دراسة مسحية ممتازة من خلال فونيجي و موران Fonagy and Moran (1993) للأنماط المكررة المطلوبة لدراسات الحالة الفردية ، بما يتضمن تصاميم شبه تجريبية وتصاميم لسلسلة المريض.

طرق التسجيل:

مبدأ الشك

تحتاج قضية رئيسية أخرى للمواجهة في تنمية أجندة بحث تحليلية نفسية قابلة للتطبيق هي طبيعة طريقة التسجيل ذاتها. وإن القليل من المشاريع قد وظفت قنوات متعددة لجمع البيانات، بما في ذلك التسجيلات المرئية وقياس المؤشرات الجسدية مثل ضغط الدم، ونبضات القلب، واستجابة الجلد كهربائيًا، وكذلك المقابلات والاختبارات من قبل الباحثين والإكلينيكيين بخلاف المحلل المعالج (Eisenstein et al., 1994; Horowitz et al., 1993). وعلى الجانب الآخر، فإن دراسات الحالة الإكلينيكية قد اعتمدت بشكل عام فقط على ذاكرة المحلل، أو جلسته أو ملاحظاته العملية. وإن دراسات حالة السيدة ج.، من

خلالنا ومن خلال باحثين آخرين، كأغلب دراسات البحث التحليلية النفسية، قد استخدمت نصوصًا لجلسات مُسجَّلة صوتيًا. وفي انتقاء طريقة التسجيل، يجب علينا صنع اختياراً علميًا يوازن بين تحصيل أو فقد المعلومات من ناحية، وضد الآثار التفاعلية لأنماط متنوعة من تسجيل البيانات من ناحية أخرى، ويجب علينا النظر في القضايا النفعية فيما يتعلق بقابلية التنفيذ والتكلفة أيضًا.

وإن استخدام التسجيل الصوتي، كما هو موصوف في الفصل السابع عشر، يعد مقبول حاليًا بشكل عام في بحثنا. ومع ذلك فهذا هو الحال في كل طرق التسجيل الموضوعي، بما يعني، كل الطرق بخلاف أخذ ملاحظات من خلال المحلل، حيث يجب ظهور مشكلة تدخل ملاحظ آخر في العملية التحليلية النفسية. وقد كانت تلك قضية ذات اهتمام جدير بالاعتبار بالنسبة للإكلينيكيين وإعاقة لمشاركتهم في البحث. وحتى أولئك الإكلينيكيون الذين يدعمون الجهد العملي للبحث لا يرغبون غالبًا في تسجيل عملهم على أشرطة تسجيل. وفيما بين الأقواس، ربما يتساءل أحدهم لماذا يُخبَر التسجيل لأغراض البحث على أنه تطفل أو أنه غير مقبول من قبل الإكلينيكيين، بينما التسجيل للتقديم في الإشراف يعد مقبولاً بشكل عام على أنه ممارسة إكلينيكية معيارية. ويبدو من المرجح أن العلاقة الإشرافية تؤثر على العلاقة العلاجية بطرق تتجاوز جيداً طرق الحضور المحتمل للبحث. وإن تأثير ذلك التفاعل الإكلينيكي القوي على الثلاثة ربما لا يتم اعتباره دائمًا– وحتى من خلال الإكلينيكيين ذاتهم الذين هم على دراية بالتأثير المحتمل لحضور البحث.

ومن منظور علمي وكذلك مهني، أعتقد أننا بحاجة لمواجهة التساؤل المتعلق بالتأثير المحتمل لشريك ثالث والذي يعد ممثلا من خلال جهاز التسجيل، أي محاور خارجي يدير أدوات البحث– أو مشرف إكلينيكي– في العلاقة التفاعلية التي يتم دراستها. وأعتقد أن الباحث، وكذلك الإكلينيكي، بحاجة إلى أن يكون مهتمًا بما إذا كانت العلاجات البحثية التي ندرسها تعد تمثلات لعلاجات كما تتم ممارستها. ونعرف أن أي مقياس نفسي لديه إمكانية تغيير الكيان الذي يتم قياسه بدرجة معينة. ويعد التحليل مجالا تفاعلياً حساساً على نحو فريد

حيث يكون لكل الأفعال التافهة- كتغيير المواعيد، إجراء اتصال هاتفي، التأخر لبضع دقائق- معنى وجداني والذي يعد دالاً على نحو محتمل وبحاجة إلى أن يتم استكشافه. وفي مثل ذلك المحيط، نحتاج تحديداً إلى معرفة تأثير إجراءاتنا القياسية؛ حيث ينطبق ذلك على كلا المشاركَيْن، لا على المريض وحده.

وإن الاعتماد على مادة الجلسة المسجلة صوتيًا أو المُدوَّنة يقدم أيضًا أنماطًا أخرى للتحيز من منظور عكسي. وبينما نعتمد بشكل عام على التسجيل الصوتي بكونه مدخل بحثي تدخلي على نحو مصغر (وكذلك الأقل تكلفة والأكثر سهولة في استخدامه)، ينشأ التساؤل حينئذ بشأن المدى الذي يمكن بداخله دراسة مجموعة غنية من التعبيرات الإنسانية عندما يتم تخفيضها إلى تيار من الكلمات. وفي أغلب الحالات، يعتمد بحثنا على النصوص بدلاً من التسجلات ذاتها، ومن ثم يستخدم فقط كلمات مطبوعة على صفحة، والتي تفتقر حتى إلى الإشارات فيما وراء اللغة، مثل التوقف، وأنماط الطبقات الصوتية، والأصوات الانفعالية، والتي تعد متاحة عند الانصات إلى الكلام. وإن فنيات التدوين الحديثة قد استدخلت طرقًا مقبولة لتمثل بعضًا من تلك المؤشرات فيما وراء اللغة ؛ ومع ذلك، فإن التدوين يمكن أن يتضمن فقط نسبة صغيرة من الإيحاءات الغنية وألحان انتقال الكلام خارج المفردات المعجمية ذاتها.

وفي حين أن المعلومات الوجدانية الجديرة بالاعتبار ربما تكون مفقودة، فمع ذلك هناك العديد من التبريرات لدراسة كلمات العلاج النفسي بشكل منعزل عن إشارات تعبيرية وتفاعلية أخرى. وتنشأ الأولى من وصف التحليل النفسي على أنه « الشفاء الكلامي.» وقد أعطت النظرية التحليلية النفسية والممارسة مكانة مميزة لقوة الكلمات، أي المعلومات التي تحملها الكلمات، والدور اللغوي في تنظيم الخبرة. وفي التأكيد على الوظيفة الأكثر عمومية للترميز، والتي تتجاوز التشفير اللفظي، وفي إدراك الأشكال الناضجة والمعقدة للتفكير غير اللفظي الذي يستمر في العمل والنمو على مدار الحياة، تثير نظرية الشفرة المتعددة تساؤلات بشأن التأكيد الأساسي للتحليل النفسي على التعبير اللفظي. ومع ذلك، يظل صحيحًا في مدخل الشفرة المتعددة، كما في العلاج التحليلي النفسي

بشكل عام، أن اللغة هي الوسيط الأوَّلي لمشاركة المعلومات. وإن الإجراء ثنائي الاتجاه للعملية المرجعية– بما يصل الخبرة الوجدانية بشفرة اللغة المشتركة– يعد صياغة الشفرة المتعددة للشفاء الكلامي. ومن تلك الرؤية التنظيرية ، يمكننا دراسة عدة جوانب لعملية التعبير عن الخبرة الوجدانية من خلال دراسة صفات اللغة ، مع إدراك أن بعضًا من جوانب الخبرة الوجدانية من المرجح أن تكون مفقودة. وإن مبرراً ذا صلة للاعتماد على التسجيل اللفظي هو أنه في الموقف التحليلي، وتحديداً بالنسبة للمريض على الأريكة، تعد أهمية نقل المعلومات من خلال التعبير الوجهي أو الحركة الجسدية مخفضة كثيراً.

إن ذلك يؤدي بنا إلى ما قد يكون المبرر الأكثر شيوعًا في الاستشهاد به للاعتماد على التسجيل اللفظي: افتراض بشأن إطناب التعبير الوجداني الإنساني. ونفترض بأن المعاني التي يتم نقلها بالتعبير الوجهي والحركة معبَّر عنها أيضًا، ربما بطريقة ضمنية أو غير مباشرة، في القنوات اللفظية. وإن مثل ذلك الإسهاب ربما يعمل في الواقع لأغلب الحالات. ومع ذلك، ربما توجد أيضًا حالات حيث تكون المعلومات الوجدانية التي يتم نقلها في الكيفيات البديلة مختلفة وحتى متناقضة، كما أن تباعد أو تقارب المعلومات يحمل رسالة خاصة بها. وفي الحقيقة، لا نعرف حقًا لأي مدى يكون الإسهاب العام المفترض حاضراً بالفعل. فالدراسات بحاجة إلى أن يتم القيام بها لمقارنة نقل الخبرة الوجدانية كما تحملها الكلمات ومؤشرات فيما وراء اللغة المصاحِبة، وكذلك حركة الجسد والإيماء.

وربما لم يهتم الإكلينيكيون بشكل كافي بالتحيزات المحتملة التي تؤثر على الملاحظات التي يأخذوها أثناء أوعقب الجلسة. وعلى الجانب الآخر، يحتاج الباحثون أيضًا إلى أن يصبحوا أكثر وعيًا بالتحيزات المحتملة المرتبطة بفنيات التسجيل الخاصة بهم. وإن كفاية التدوين اللفظي كتمثل لتعبير المريض وللتفاعلات التي تحدث في الجلسة لا يمكن افتراضه ولكن ينبغي فحصه. وإن تأثيرات التدخل لحضور بحثٍ ما، وحتى بشكل مصغر كشريط التسجيل، تحتاج أيضًا إلى أن يتم تقييمها. ويمكن إجراء دراسات لفحص مادة مدوَّنة لمشتقات

عملية التسجيل والتغيرات الممكنة في تلك المشتقات مع استمرار العلاج؛ ويمكننا البحث أيضًا عن مشتقات في كلام المحلل، كما في كلام المريض. ويمكن إجراء دراسات أيضًا لمقارنة مجموعة متنوعة من المقاييس المُقدَّرة من خلال المحكمين لمادة جلسة تم جمعها تحت ظروف مختلفة للتسجيل. وفي دراسة سامستاج Samstag (reported in Bucci & Miller, 1993)، قدرت مجموعات مختلفة من المحكمين مادة الجلسة ذاتها بالنسبة للنشاط المرجعي من خلال قراءة النصوص ، أوالإنصات إلى أشرطة التسجيل، أو مشاهدة أشرطة الفيديو؛ حيث وُجِدت اختلافات منهجية في النشاط المرجعي كوظيفة لطريقة التسجيل. وإن كل علاج بحثي مُسجَّل صوتيًا يتم استخدامه الآن كمصدر لمادة مُدوَّنة يمكن استخدامه كمصدر للبيانات لمثل تلك الدراسات المقارنة.

وإن درجة وطبيعة التحيز المحتمل في النصوص، مُقارَنةً بملاحظات العملية، ربما تتم مناقشته أيضًا ميدانيًا في الدراسات التي يحتفظ بها المحلل بمثل تلك الملاحظات كما يتم أيضًا صنع تسجيلات صوتية (أو حتى مرئية). ويمكننا تعلم لأي مدى أو بأي الطرق يكون التغاضي عن مادة معينة في ملاحظات الجلسة محفِّزاً. وربما نجد أيضًا أن ملاحظات المحلل تشمل معلومات بشأن السلوك غير اللفظي- بما يتضمن أسلوب دخول ومغادرة المكتب، أو طبيعة الحركة على الأريكة، أو التعبير الوجهي والإيماءة حيث يمكن أن تكون مُلاحَظَة- والتي تلون مادة الجلسة بطرق حاسمة. وإن الدراسات بكافة المؤشرات المتاحة، بما يتضمن المعلومات من ملاحظات المحلل، وكذلك الإشارات فيما وراء اللغة من التسجيلات، بالإضافة إلى النص اللفظي، لها إحتمالية بناء الصدق التكويني لمقاييسنا وزيادة فهمنا للعملية التحليلية.

وإن الخلاصة التي من المفترض التوصل إليها هي أن اختيار متوسط التسجيل بعيد عن البساطة. فنحن بحاجة إلى أن نكون على دراية بتأثير القياس على الأفراد الذين تتم ملاحظتهم- المحلل وكذلك المريض- والعلاقة بينهما. وكان انطباع ملاحظي المحلل لعلاج مُسجّل تم تنفيذه من خلال فرانز ألكسندرFranz Alexander (Eisenstein et al., 1994) أن المريض، والذي يتبع فترة

أولية لعدم الراحة، بدا أنه غير منفعل جوهريًا بمحيط البحث وأنه يتعامل بطريقة مشابهة للمرضى الآخرين في العلاجات التقليدية. ومع ذلك، بدا أن المعالج لايزال على دراية بأنه تحت الملاحظة. وحاجج المحكمون بأن وعي المعالج " بالأداء" لم يكن عاملاً دالاً ولكن، على العكس، كان له أثر في زيادة جهوده للعمل بكفاءة. ويبدو واضحًا أن التعزيز الظاهر لأداء المعالج كان في ذاته مؤشراً على تأثير التسجيل، على الرغم من كونه بنتائج إيجابية كما يبدو بدلاً من سلبية من وجهة نظرهم. ونحتاج أيضًا لتصميم مداخل امبريقية مبتكرة لتقييم ومقارنة طرق التسجيل، بما يتضمن فحص الأنماط المختلفة للتحيز المرتبطة بفنيات التسجيل المختلفة، و لكل الأنماط المختلفة للمعلومات المتاحة. ويبدو أن اختبار تلك القضايا له أهمية خاصة في سياق نظرية الشفرة المتعددة، بافتراضاتها المعنية بثراء و تنوع المعلومات في قنوات المعالجة المختلفة.

عملية العلاج ونتيجته

إن القضية الأخيرة الموضوعة في الاعتبار هنا، في تنمية أجندة بحث تحليلية نفسية، تتعلق بتقييم آثار العلاج. فالتحليل النفسي، كغيره من العلاجات، غرضه تخفيف الكدرالإنساني. وإن الاجندة الخاصة بالعلاج التحليلي النفسي هي أننا لا نتعامل مع الأعراض ولكننا نحاول معالجة المصدر الرئيسي للكدر، لإحداث التغيير بالطريقة التي عايشها الفرد وتشكل بها عالمه التفاعلي. وإن فنيات العلاج تحتاج إلى أن يتم تقييمها تحديداً في ضوء مثل تلك الأغراض التحليلية النفسية. وإن مفاهيم الدائرة المرجعية، ومخططات الوجدان، وتغييرات تلك المخططات، جميعها تتعلق بأحداث داخلية. ويركز بحثنا العملي على نمو وتطبيق المؤشرات الإجرائية لمثل تلك الأحداث الداخلية. وباستخدام تلك الأدوات الميدانية، نقوم بدراسة التساؤلات الأساسية عن وقت وكيفية ظهور التغيير في العملية التحليلية النفسية وما إذا أمكن تحديد عوامل علاجية خاصة. وينبغي أن نلاحظ أن قياس العملية، بمصطلحات تحليلية، مرتبط جوهريًا بقياس النتيجة. ومن ناحية، يوجد نتائج مصغرة ربما يتم مناقشتها في كل مرحلة من العلاج،

وحتى في كل جلسة؛ ومن ناحية أخرى، من المتوقع أن تستمر عملية التغير التحليلي عقب انتهاء فترة العلاج، وعلى مدار الحياة على نحو محتمل.

وفي حين أن التحليل له أغراضه العلاجية الخاصة، ففي النهاية، كممارسين، يجب أن يهتم المحللون أيضًا بمؤشرات معيارية لآثار العلاج. وإن افتراض التحليل النفسي هو أن التغير التحليلي سيحسن قدرات أحدهم في الوظائف التكيفية، وأنه سيكون منعكسًا على تحسن المقاييس المعيارية للصحة، بما يتضمن انخفاضا في الأعراض والتغير السلوكي . وإن ذلك التوقع لا يمكن افتراضه ولكنه بحاجة للاختبار أيضًا. وتحتاج أجندة بحث تحليلية نفسية كاملة لإيضاح أن التغيرات الداخلية مرتبطة في الواقع بتغيرات في الصحة، والتكيف الإجتماعي، وجودة الحياة. وسندعي أيضًا- وسنحتاج لإيضاح- أن أنواع التغير الممكن قياسه التي يتم إحداثها من خلال التحليل النفسي مختلفة عن تلك المُنتَجَة في علاجات أخرى- أي أكثر تعميمًا، وأكثر شيوعًا، وأكثر قدرة على تحمل أزمات الحياة، ومن المرجح أن تستمر وتنمو عقب انتهاء العلاج إلى حد بعيد.

وبطريقة مثالية، ينبغي أن يكون هناك مكون عام للنتيجة في كل دراسة عملية، بما يتضمن مؤشرات التغير العَرَضي والسلوكي الخارجي، وكذلك التغير البنائي الداخلي. ونحتاج للنظر في العلاقة بين التغير التحليلي والعَرَضي، والنظر في العوامل العملية التي تساهم في نتائج جيدة أو سيئة مُقاسة على كلا المستويين. وفي جمع علاجات بحثية جديدة، يجب أن يكون تقييم التغيير مُشتقًا من تقييم المريض، على كلا المستويين، في بداية ونهاية العلاج، بما يتضمن التقييم من خلال الأحكام الإكلينيكية بخلاف المحلل المعالج، وبما يتضمن أيضًا متابعة طويلة المدى للحالة العقلية للمريض ولأحداث الحياة التي تعقب انتهاء العلاج.

وفي العمل الجاري، يقوم لوبورسكي وزملائه (1996) بتطوير طرق تقييم التغير في الصحة والمرض، والتوافق الإجتماعي ، وأبعاد ذات صلة في العلاجات الأرشيفية حيث لا تكون مقاييس التغيير متاحة ، باستخدام محتويات الجلسات

الباكرة و الأخيرة. وهذا سيسمح لنا على نحو محتمل باستدخال مكون النتيجة في الدراسات العملية للعلاجات الأرشيفية، وذلك لتعزيز احتمالية البحث لتلك المصادر القيمة.

جزيئات صغيرة وثقوب سوداء كبيرة

وفي دراسة التغيرات في أبنية الوجدان وتأثيراتها، فإن أجندة البحث للتحليل النفسي تشبه الأجندة التي تواجه الفيزيائيين التنظيريين الذين يجب عليهم إيجاد طرق لدراسة الجزيئات الصغيرة جداً، وأيضًا مهام رواد الفضاء الذين يدرسون الثقوب السوداء الكبيرة وظواهر ذات صلة. وربما يكون تحقيق الأغراض البحثية أكثر صعوبة إلى حد ما في حقلنا من تلك المجالات ولكن مع ذلك تبدو واقعية. ومن خلال مدخل تعاوني ومشتق من نظرية مُطبَّق على مادة الموقف التحليلي النفسي، يمكننا على نحو محتمل اشتقاق البيانات بشأن النفس البشرية في التفاعل مع الآخرين والتي لا تعد متاحة بأي طريقة أخرى.

كلمات أخيرة

برج بابل

إن التحليل النفسي (شفاء كلامي) ، وان نظريتنا تُبقي وجهة النظر التحليلية للدور الأساسي للغة ضمن العملية العلاجية . ومع ذلك فمعالج المعلومات الإنساني آلة ناقصة وإن نظاما تمثليا جديدا قويا على مجموعة من النظم التمثلية الأخرى التي أخذت مكانها من قبل ، ولكن دونما ميكانيزمات ملائمة لتتكامل مع الأنظمة التي قد طورت معنى وجهة نظر نقل الخبرة الذاتية ، بما يشمل الوجدان ، يبدو بطريقة ما غير ناضج ، وحتى مضلل بشكل مذهل ، ومخطط تطوري للأشياء ، ليلقى الإهتمام نظاما جديدا قويا في كونه لغة دون أن يكون له أيضا إمدادا بوسائل مرضية من خلال الاتصال بأشكال تمثلية أخرى يمكن صنعها . وإن اللغة لها الشعور لأجهزة الجيل الأول من الحواسيب ـ طفرة مثيرة للغاية ، وربما تكون مفيدة للغاية ، ولكن باهظة الثمن وبطيئة وصعبة التشغيل ، ومحددة في تطبيقها ، وعرضة لسوء الاستخدام ، وتحمل دلالة مخاطرات وهي قوية كفاية حتى في شكلها البدائي الجاري ، ولإقصاء أنظمة أخرى ، ولكنها ربما هي جاهزة هكذا ليتم استبدالها (طبقا للنظام التطوري) بنظام مصمم بشكل أفضل وبكيفيات تمثلية رمزية أكثر فعالية في السياق لنظرة تحليلية نفسية قد فُهِم صعوبة تعبير المريض لفظيا عن الخبرة الوجدانية "كمقاومة" محفزة شعوريا أو لا شعوريا ، لتجنب محتويات قد تم إعاقتها وكما يمكننا الأن أن نفهم حدود العملية المرجعية التي تكون الصعوبات الأساسية في التعبير الوجداني ، وعوامل مقاومة محددة مستقلة أو تم إعاقتها . إن للغة حدود دالة إضافة إلى قوتها المعقدة في تيسير التكامل في الأنظمة مع ما هو معني به التحليل النفسي بشكل أساسي إن الطفلة تأخذ خطوة عملاقة للأمام في نموها المعرفي حين اكتشفت أثناء العام الثاني من حياتها أن للأشياء أسماء وفي نمو الاتصال الوجداني والذي نحن معنيون به هنا ، يوجد بشكل أساسي كل من المكاسب والمخاسر مرتبطة بذلك التقدم وعلى الجانب الإيجابي الاكتساب للغة يعطي الطفلة طرقا جديدة لتفهم عالمها ونفسها ، ومدخلا جديدا للمعرفة والمعاني لثقافتها ، وطرقا جديدة لطريقة تعاملها مع الأخرين ، ومحتويات جديدة حيث تتواصل وتستطيع

الطفلة الأن أن تخبر عن ما يخيفها أو ما الذي تريده ، إلى المدى الذي هي مستعدة للقيام به ، وللمدى الذي تعرفه ، ويمكن أن تنصت إلى شخص ما لشرح أنه ليس من الضروري أن تكون خائفة ، وكذلك يمكن أن تبرر مع نفسها .

وبهذا المنطق فالكلمة ، كظاهرة انتقالية ـ تشغل موضع منتصف طريق بين ذاتية الطفل وموضوعية الأم ـ فإنها بهذا المنطق الأعمق فإن اللغة ـ اتحاد خبرة ، يأذن لمستوى جديد للإرتباطات العقلية عبر المعنى المشترك (172 . 1985)

ولسوء الحظ فاللغة لا تعمل في كثير من الأحيان للمشاركة في المعاني الوجدانية بهذه الطريقة وبينما تزود اللغة بعالم واسع جديد ليتم الاتصال به بالآخرين فإنها أيضا تزود بعالم واسع على قدم المساواة ومجهول بشكل أساسي بحيث يمكن أن تكون وحيدا ، وبشكل افتراضي أو من خلال النية وكما سيتعلم الطفل فإن هناك عديد من التمثلات المهمة في الحياة العقلية وبخاصة الوجدانية حيث لا يمكن أن توجد لها كلمات مع ذلك فإنه ليس فقط فشلا بالافتراض في الصعوبة الجوهرية للتعبير عن خبرة الرمز الفرعي في كلمات ـ ولكنه ايضا فشلا بالنية ، حيث يتعارض مع الاتصال اللفظي الوجداني ، واللغة هي الوسيط الذي ابتكره البشر وفوقه لدينا السيطرة الأكثر عمدية ، وهي أيضا الوسيط الأكثر عرضة لسوء الاستخدام العمدي واللغة يمكن أن تستخدم لإخفاء وتشويه المشاعر وتوصيلها أيضا وليس هناك أنواعا أخرى قد طورت كيفية تواصلية يمكن أن تكون مستخدمة في خدمة تشويه متعمد وانشطار تلك الطريقة.

وإن الملمح التعويضي لهذا التنظيم النفسي الإشكالي أن الشمول اللغوي يعطي معالج المعلومات الإنساني القوة ليعيد تصميم ذاته وإن المحكم المصمم المفترض للنظام على ما يبدو واعيا بهذه القوة ، كما يشير من محاولته / محاولتها العديدة الحد من اللغة وانتشارها :

الآن أنصت : كل الأرض تستخدم لسانا واحدا ، واحدا ونفس الكلمات .

شاهد : يذهبون في رحلة من الشرق ، يصلون إلى الوادي من الأرض السومرية ويستقرون هناك .

"يمكننا أن نترافق سويا " هم قالوا ، "كمثل الحجر على الحجر ،

استخدام الطين للحجر : اخبز الطين حتى يصير جامداً " فبسبب قذائف الهاون قاموا بتسخين القار .

" لو أننا نترافق سويا " هم قالوا " نستطيع أن نبني مدينة وبرجا ، قمته تلمس السماء ـ لنصل للشهرة . بلا إسم نحن غير محدودين ، منتشرون على وجه الأرض ."

ينزل يهوه ليشاهد المدينة وبرج بني البشر الذي التزموا ببناءه "إنهم شعب واحد ، بنفس اللسان " يهوه قال "هم يتصورون ذلك فيما بينهم ، وذلك يقودهم إلى لا حدود توجد لما سوف يلمسوه بيننا ، دعنا نحذر ، نحير لسانهم حتى يهيج على صديق على صديقه "

ومن يهوه الخاص بهم انتشروا على كل وجه الأرض ، جاءت المدينة هناك غير محدودة (Rosenberg &Bloom , 1990, p.73)

وإن الكلام الاستعاري كمؤدى للربط للوظائف والمنتشر في هذه القطعة يحتفظ صراحة بالتفسير التحليلي النفسي للعملية الثانوية . في صياغة فيجوتسكي (1934) الفعالة ، الربط للتفكير والكلام متمثل في التكوين النفسي "لمعنى الكلمة " ، وفي امتدادنا لهذه الصياغة قد قدمنا تكوين "المعنى الوجداني " الرابط للوجدان والتفكير والكلمة والخطر أن نمو لغة شخص ما سوف ترضى سيطرة سلطة آخر ـ ماضي أو حاضر ، خارجي أو مستدخل ـ موجود إلى جانب الإمكانية القوية للغة والعمل العلاجي التعاوني ، ولتيسير الاتصال بالآخر والمساهمة في تنظيم الذات . والمحلل على النقيض من الوالد المرضي ، يحتاج أن يتحمل تبني انفصال وارتباط ونمو مريضه .

حكاية الرجل الميت

تذكر أن ما تم إخبارك به فعليا ثلاثة أضعاف ، تم تشكيله من خلال القاص ، ويعاد تشكيله من خلال المنصت ، ويتم إخفائه عن كليهما من خلال الرجل الميت للقصة .فلاديميز نابكوف (الحياة الحقيقية لسباستيان نايت)

في علم الأمراض ، المشاعر المفزعة منشقة عن الرموز التي تثيرها ، ومن

ثم ربما تغطى أكثر برموز أخرى جديدة في محاولة فاشلة للتعديل . فالرجال الموتى عاجزون ولكن مثل الرموز الأخرى له قوة هائلة فيما وراء المقصود منه . ويمكن أن تكون الرموز موضوع القصة ، ويمكن أن تعبر عن المعنى ، أو يمكن أن تخفي أحدها . وإن الرجل الميت للقصة له معاني مختلفة في أوقات مختلفة ولأناس مختلفين وبرغم ذلك فإن تلك المعاني اثناء التحول حقيقية .

وإن القصص التي قد أخفيت قد تم إخبارها في التداعي الحر . فقد تم تشكيلها من خلال القاص عبر حبك المخططات الوجدانية ـ بما يشمل المخططات الفاشلة والمنشقة ـ المطلة على اللغة . وعلى العكس من وظيفة شافر(1980 Shafer) فإن الشكل القصصي مقيد بشدة ـ فالأحداث المفزعة والرغبات المحرمة والتوقعات الصراعية والتي يتم التعبير عنها لفظيا في التداعي الحر هي نماذج (آثار وأشباح) لحلقات متكررة في حياة المريض كما سُجلت في المخططات الوجدانية ويتم تمثلها في الأشكال المنظمة للأنظمة الرمزية الفرعية والرمزية بدرجات متباينة ، قبل قصها ، ولكن ربما قد يكون غير معروف حتى الأن في صياغة لفظية .

وفي العلاج يعاد تشكيل القصص من خلال المُنصت والقاص معاً . وإعادة بناء في كل من استدعاء الحواس وإعادة بناء ما يمكن أن يحدث. ويستطيع المريض بعد ذلك أن يصل إلى استبصار وجداني . ذلك أنه في نفس الوقت شئ " لم يفكر فيه من قبل " ـ وشئ عرفة طوال الوقت " وربما بالفعل قد " عرفه طوال الوقت " ـ ولكن في النظام غير اللفظي فقط . إنه يصبح قصة جديدة حين تكون الروابط المرجعية قد تم بنائها .

وإن النمو للعملية المرجعية يتشارك تفاعليا مع التغير في ابنية الوجدان ذاتها . وتنمو فئات الوجدان ونماذج الوجدان ابتداءا ، في العلاقات الأولى للحياة بدون تدخل اللغة . ولإحداث التغيير في مخططات الوجدان ورموز جديدة واتصالات جديدة مطلوبة .يمد التحليل النفسي بفرصة ثانية لترميز أبنية الشخص الوجدانية في سياق العلاقات لإعادة تشكيل مخططاته وقصصه وتأكيد خصوصيته بها ، وعلى عكس المشاعر ، وعلى عكس الأحداث الخارجية،

فالرموز هي ما البشر قادرين على التحكم فيه وتوجيهما .

إن التحليل النفسي يتعلق ببناء الاستقلال الذاتي وفي التحليل النفسي الشخص هو من يعرض القصة ويتشاركها ، ثم يمتلك الرمز بطريقة خاصة . وإن امتلاك الرمز بدلا من أن يكون الشخص مُلاحقاً به ، هو الاستقلال الحقيقي الوحيد الذي يمكننا إنجازه . وعلى نحو أمثل في التحليل النفسي ، فإن القصة يتم إخبارها بدلاً من كتمها ، وعبر الإخبار والإنصات تعود القصة حية وتأخذ شكلاً جديداً .

References

Abraham, A., 8c Mathai. K. V. (1983). The effect of right temporal lobe lesions on matching smells. Neuropsychologia, 21, 277-281.

Albmiak, B. A., &: Powell, D. A. (1981). Peripheral autonomic mechanisms and Pavlov ian conditioning in the rabbit (Oryctolagus cuniculis), Journal of Comparative Physiology and Psychology, 94, 1101-1113.

Anderson, J. R. (1978). Arguments concerning representations for mental imagery. Psychological Review, 85, 249-277.

Anderson, J. R. (1983). The architecture of cognition, Cambridge, MA: Harvard University Press.

Antrobus,J. (1991). Dreaming: Cognitive processes during cortical activation and high afferet threholds. Psychological Review, 98, 96-121.

Arlow,J. A. (1953). Mctslurbation and symptom formrition. Journal of the American Psychoanalytic Association, 1, 45-58.

Arlow,J. A. (1955). Notes on oral symbolism. Psychoanalytic Quarterly, 24, 63-74.

Arlow,J. A. (1969). Unconscious fantasy and disturbances of conscious experience. Psychoanalytic Quarterly, 38, 1-27.

Arlow,J. A. (1975). The structural hypothesis: Theoretical considerations. Psychoanalytic Quarterly, 44, 509-525.

Arlow,J. A. (1979). The genesis of interpretation. Journal of the American Psychoanalytic Association, 27, 193-206.

Arlow, J. A., &: Brenner, C. (1964). Psychoanalytic concepts and the

structural theory.New York: International Universities Press.

Aserinsky, E., & Kleitman, N. (1953). Regularly occurring periods of ocularmotility and concomitant phenomena during sleep. Science, 118, 361-375.

Baars, B. (1986). The cognitive revolution in psychology. New York: Guilford Press.

Btichevalier. J., &: Mishkin, M. (1984). An early and a late developing system forlearning and retention in infant monkeys. Behavioral Neurosciencc, 9S,770-778.

Biddeley A D (1986). Working memory. Oxford. UK: Clarendon Press.

Baerson›A. (1993. December). The effect of the patient›s referential activity on the analyst›s interventwn, Paper presented at the meeting of the American Psychoanalytic Association. New York.

Bargh,J. A. (1989). Conditional automaticity: Varieties of automatic influence in social perception and cognition. InJ. S. Uleman &J. A. Bargh (Eds.). Unintended thought (pp. 3-51). New York: Guilford Press.

Bartlctt, F. C. (1932). Remembering: A study in social psychology. Cambridge, UK: Cambridge University Press.

Baudelaire. C. (1857). Les flours du mal (R. Howard. Trans.). Boston: David R. Godine. 1982.

Bauer, R. M. (1984). Autonomic recognition of names and faces in prosopagnosia: A neuropsychological application of the guilty knowledge test. Neuropsychologia, 22, 457-469.

Beebe, B., Sc Lachmann, F. (1988). The contribution of mother-infant mutualinfluence to the origins of self and object representa-

tions. Psychoanalytic Psychology, 5, 305-337.

Beres. D. (1962). The unconscious fantasy. Psychoanalytic Quarterly, 51, 309-328.

Bergin, A. E., &: Strupp, H. H. (1972). Changing/rentiers in the science of psychotherapy. Chicago: Aldine-Atherton.

Berlin, B., & Kay, P. (1969). Basic color terms: Their universality and evolution.

Berkeley: University of California Press.

Biederman, I., &: Cooper, E. (1992). Size invaria^ ,4 In visual object priming. Journal of Experimental Psychology: Human Perception unu performance, 18, 121-133.

Bisiach, E., Sc Luzzatti. C. (1978). Unilateral neglect of representational space.cortex, 14, 129-133.

Bi s,. > E. (1969). The other side of the brain: II. An appositional mind. Bulletin of the Los Angeles Neurological Societies, 34(^), 135-162.

Bornstein, M. (1979). Perceptual development: Stability and change in feature perception. In M. Bornstein 8c W. Kessen (Eds.), Psychological development from infancy: Image to intention (pp. 37-81). Hillsdale, NJ: Eribaum.

Bornstein, M. (1985). Infant into adult: Unity to diversity in the development of visual ation. InJ. Mehler 8c R. Fox (Eds.), Neonate cognition (pp.115-13b;. Hilisdale, NJ: Eribaum.

Bowen, J. (1988). The relationship between imagery and referential activity (Doctoral dissertation, Adelphi University, 1987). Dissertation Abstracts International, ^(9B), 2776.

Bower, G. H. (1981). Mood and memory. American Psychologist, 36, 129-148.

Bransford.J. D.. &; Franks. J.J. (1971). The abstraction of linguistic ideas. Cognitive Psychology, 2, 331-350.

Brenner, C. (1953). An addendum to Freud›s theory of anxiety. International Journal of Psycho- ^na^^ 34, 18-24.

Brenner, C. (1980). M ?$ology and psychoanalytic theory Psychoanalytic Quarterly, 49, 189-214.

lirenncr, C. (1992). The structural theory and clinical practice Journal ofClinical Psychoanalyse J. 369-380.

Broadbcnt. D. E. (1958). Perception and communication. New York: Pergamon Press.

Brodal. A. (1982). Neurological anatomy. New York: Oxford University Press.

Brooks, D. N., & Baddeley, A. D. (1976). What can amnesic patients learn? Neuropsychologin, 14, 111-122.

Brooks. L. R. (1970). An extension of the conflict between visualization and reading. Quarterly Journal a/Experimental Psychology, 22, 91-96.

Brown. R., & McNeill, D. (1966)¯ The tip of the tongue phenomenon. Journal of Verbal Learning and Verbal Behavior 5, 325-337.

Brugnian, C. M. (1988). The story of over: Polysemy, semantics, and the structure of the lexicm. New York: Garland.

Burner, J. S. (1966). On cognitive growth. InJ. S. Bruncr, R. S. Oliver, & P. M. Grcenfield (Eds.). Studies in cognitive growth (pp. 1-67). New York: Wiley.

Bucci, W. (1984). Linking words and things: Basic processes and indi-

vidual variation. Cognition, 77, 137-153.

Bucci, W. (1985). Dual coding: A cognitive model for psychoanalytic research. Journal of the American Psychoanalytic Association, 33, 571-607.

Bucci, W. (1988). Converging evidence for emotion structures: Theory and method. In H. Dahl. H. Kaechele, & H. Thomae (Eds.), Psychoanalytic process research strategies (pp. 29-50). New York: Springer-Verlag.

Bucci, W. (1989). A reconstruction of Freud's tally argument: A program for psychoanalytic research. Psychoanalytic Inquiry, 9, 249-281.

Bucci, W. (1993). The development of emotional meaning in free association. In

A. Wilson &J. E. Gedo (Eds.), Hierarchical concepts in psychoanalysis: Theory, research, and clinical practice (pp. 3-47). New York: Guilford Press.

Bucci, W. (1995). The power of the narrative: A multiple code account InJ. W. Pennebaker (Ed.), Emotion, disclosure and health (pp. 71-92). Washington, DC: American Psychological Association.

Bucci, W. (1997). Empirical studies of «good» and troubled hours: A multiple code interpretation. Journal of the American Psychoanalytic Association, 45, 1-34.

Bucci, W. (in press). Emotion structures, narrative structures and the CCRT. In L. Luborsky, H. Kaechele, R. Dahlbender, &: L. Diguer (Eds.), The CCRT method and its discoveries.

Bucci. W., 8c Freedman, N. (1978). Language and hand: The dimen-

sion of referential competence. Journal of Personality, 46, 594-622.

Bucci, W., 8c Freedman, N. (1981). The language of depression* Bulletin of the Menninger Clinic, 45, 334-358.

Bucci, W., Kabasakalian-McKay, R., & the RA Research Group. (1992). Instructions for scoring referential activity (RA) in transcripts of spoken narrative textSi Ulm, Germany: Ulmer Textbank.

Bucci, W., &: Miller, N. (1993). Primary process analogue: The referential activity (RA) measure. In N. Miller, L. Luborsky, J. Barber, &J. Docherty (Eds.), Psychodynamic treatment research (pp. 387-406). New York: Basic Books.

Buck, R. (1988). Human motivation and emotion. New York: Wiley.

Burley, W. J. (1975). Wycliffe and the pea-green boat, London: Victor Gollancz. Cahill. L., Prins, B., Weber, M., &: McGaugh, J. L. (1994). Beta-adrenergic activation and memory for emotional events. Nature, 371, 702-704.

Cain, W. S., & Krausc, R,J. (1979). Olfactory testing: Rules for odor identification. Neurological Research, I, 1-9.

CampbeTl ^ & Gregson. R. A. M. (1972). Olfactory shor^rm memory in p normal, schizophrenic and bram-damaged cases. Awtralian Journal of Psychology^ 24, 179--185.

Campos. J. & Stenbcrg. C. (1980). Perception of appraisal and emotion. The onset of social referencing. In M. E. Lamb 8c L. Shcrrod (Eds.), Infant social cognition. Hillsdalc. NJ: Eribaum. A - i

Omnon W B (iq27). The James-Langc theory of emotions: A critical

cxammalion and an alternative theory. American Journal of-Psychology^ 39, 106-124.

Cinse W G ^ Clark, H. H. (1972). Mental operations in the comparison of sentences and pictures. In L. W. Gregg (Ed.), Cognition in learning and memory (pp. 205-232). New York: Wiley.

Chomsky, N. (1957). Syntactic structures. The Hague: Mouton & Co.

Chomsky, N. (1965). Aspect of the theory of syntax. Cambridge, MA: MIT Press.

Claparede, E. (1911). Reconnaissance et moiite [Recognition and meness]. In D.Rapaport (Ed.), Organization and pathology of thought (pp. 58-75). New York:

Columbia University Press, 1951. (Reprinted from Archives de Psychologies II, 79-90) dark, E. V. (1977). Strategies and the mapping problem in first language acquisition. In J. Macnamara (Ed.), Language learning and thought (pp.147-168). San Diego, CA: Academic Press.

Cohen, N.J. (1984). Preserved learning capacity in amnesia: Evidence for multiple memory systems. In L. R. Squire &: N. Butters (Eds.), Neuropsychology of memory (pp. 83-103). New York: Guilford Press.

Cohen, N. J., &: Squire, L. R. (1980). Preserved learning and retention of pattern-analyzing skill in amnesia: Dissociation of knowing how and knowing that. Science, 210, 207-209.

Cooper, L. A., Schactcr, D. L.¯ Ballestros, S., & Moore, C. (1992). Priming and recognition of transformed three-dimensional objects: Effects of size and ref lection. Journal of Experimental Psychology: Learning Memory and Cognition, 18,

43-57.

Corballis, M. C. (1989). Lateralnv and human evolution. Psychological Review, 96, 492-505.

Dahl, H. (1978). A new psychoanalytic model of motivation: Emotions as appetites and messages. Psychoanalysis and Contemporary Thought, 7, 373-408.

Dahl H. (1988). Frames of mind. In H. Dahl. H. Kaechele. 8c H. Thomae (Eds.). Psychoanalytic process research strategies (pp. 51-66). New York: Springer.Verlag.

Dahl, H., Kaechele. H.. & Thomae. H. (Eds.). (1988). Psychoanalytic process research strategies. New York: Springer-Verlag

Davidson. R.J. (1984). Afl?ct, cognition and hemispheric specialization. In C. E. S^ T\ / ^ ^^ Emotionst cosnition and behawor (PP-320-365). Cambridge. UK: Cambridge University Press

Davidson. R.J, & Schwartz. G. E. (1977). Brain mechanisms subserving self-gen- S^m^^^^^^^^^^ Sicily and patterning. Psychophys.

DcCaspcr. A., 8c Carstens, A. (1980). Contingencies of stimulation: Effects on learning and emotion in neonatcs. Infant Behavior and Development, 4, 19-36.

DeCaspcr. A., &: Fifer. W, (1980). Of liuman bonding: Ncwborns prefer their mothers' voices. Science, 208, 1174.

DeCasper, A., &: Spcncc. M. (1986). Prenatal maternal speech Influences ncw-borns* perceptions of speech sounds. Infant Behavior and Development, 9,133-150.

Deleval, J., Dc Mol.J.. & NotcrmanJ. (1983). La pcrte des images souvenirs. Ada Ncurohgica Hclgica^ 83, 61-79.

Denis, M. (1975). Representation imagee et aclivite de memorisation. Paris: Editions du CNRS.

Derogatis, L. R. (1983). SCL-90: Administration, scoring and procedures manual/or the revised version. Baltimore: Clinical Psychometric Research.

Descartes. R. (1650). Philosophical works (E. S. Haldane &: G. R. T. Pross, Trans.).Cambridge, UK: Cambridge University Press, 1931.

Desimone, R., Albright, T. D., Gross, C. G., 8c Bruce, C.J. (1984). Stimulus-selective properties of inferior temporal neurons in the macaque. Journal of Neuroscience, 4, 2051-2062.

Dodd, M., & Bucci, W. (1987). The relation of cognition and affect in the orientation process. Cognition, 27, 53-71.

Dove, K., &: Bucci, W. (1997). Timing and contents of analytic intervention in the referential cycle. Paper presented at the meeting of the Society for Psychotherapy Research, Geilo, Norway.

Downer, J. D. C. (1961). Changes in visual gnostic function and emotional behavior following unilateral temporal lobe damage in the split-brain monkey. Nature, 191, 50-51.

Dyer, M. (1988). The promise and problems of connectionism. Behavioral and Brain Sciences, 11, 32-33.

Eagle, M. N. (1984). Recent developments in psychoanalysis: A critical evaluation. New York: McGraw-HilL

Edelman, G. M. (1989). The remembered present: A biological theory of consciousness. New York: Basic Books.

Edelson, M. (1983). Is testing psychoanalytic hypotheses in the psycho-

analytic situation really impossible? Psychoanalytic Study of the Child^ J<9. 61-109,

Eimas, P. D. (1975). Speech perception in early infancy. In L. B. Cohen & P. Salapatek (Eds.), Infant perception: From sensation to cognition (Vol. 2. pp. 193-231). New York: Academic Press.

Eimas, P. D., Siqueland, E. R.,Jusczyk, P., 8c Vigorito,J. (1971). Speech perception in infants. Science, 171, 303-306.

Eisenstein, S.. Levy. N. A., 8c Marnr T 0994). The dyadic transaction: Aninvestigation into the nature of the p^ii herapeutic process. New Brunswick, NJ: Transaction.

R^man, P. (1984). Expression and the nature of emotion. In K. R. Scherer &: P. Ekman (Eds.), Approaches to emotion (pp. 319-343). Hillsdale, NJ: Kribuum.

Ellsworth, P. C. (1994). William James and emotion: Is a century of fame worth a century of misunderstanding? Psychological Review, 101, 222-229.

Emdc, R. N. (1983. March). The affective core. Paper presented at the Second World Congress of Infant Psychiatry, Cannes. France.

Emdc. R. N., Klingman, D. H.. Rclch, J. H.. & Wade. J. D. (1978). Emotional expression in infancy: I. Initial studies of social signaling and an emergent model. In M. Lewis Sc L. Roscnblum (Eds.). The develofnnent of affect (pp. 125-148). New York: Plenum Press.

Engeikamp.J. (1986). Motor programs as part of the meaning of verbal items. In I. Kurcz, G. W. Shugar, &-J. H. Danks (Eds.), Knowledge and language (pp. 115-138). Amsterdam: North-

Holland.

Engcn, T. (1982). The perception of odors. New York: Academic Press.

Engen, T. (1987). Remembering odors and their names. American Scientist, 75, 497-503

Engen, T. Kuisma, J. E., Sc Eimas, P. D. (1973). Short-term memory of odors. Journal of Experimental Psychology, 99, 222-225.

Erdelyi, M. H. (1985). Psychoanalysis: Freud's cognitive psychology. New York: Freeman.

Erikson, E. H. (1954). The dream specimen of psychoanalysis. Journal of the American Psychoanalytic Association, 2, 5-56.

F^kanazi, B., Cain, W. S., Novelly, R. A., &: Mattson, R. (1986). Odor perception in temporal lobe epilepsy patients with and without temporal lobectomy. Neuropsychologia, 24, 553-562.

Fagan, J. F* (1974). Infant recognition memory: The effects of length of familiarization and type of discrimination task. Child Development, 45, 351-356.

Fairbairn, W. R. D. (1954). An object-relations theory of the personality. New York: Basic Books.

Fantz, R. L. (1964). Visual experience in infants: Decreased attention to familiar patterns relative to novel ones. Science, 146, 668-670.

rantz, R., Fagan, J., &: Miranda, S. (1975). Early visual selectivity. In I, Cohen & P. Salapatck (Eds.), Infant perception: From sensation to cognition (Vol. 1, pp. 249-346). New York: Academic Press.

Farah, M. J. (1984). The neurological basis of mental imagery: A componential analysis. Cognition, 18, 245-272.

Farah, M. J. (1988). Is visual imagery really visual? Overlooked evidence from neuropsychology. Psychological Review, 95, 307-317

Farah, M. J. (1991). Patterns of co-occurrence among the associative agnosias: locations for visual object representation. Cognitive Neuropsycholo^ 8^

Feigl, H. (1956). Some major issues and developments in the philosophy of science of logical empiricism. In H. Feigl & M. Scriven (Eds). The foundations of P^^SS^-----*" (PP. W M---

Fcnichcl, 0. (1945). The psychoanalytic theory of neurosis. New York; Norton.

^"^ R. A, i<. Kosslyn. S. M. (1980). Menuil imiigcry acuity in the peripheral ^ual f\ck\. Journal of Expfrimrnlnl Psycholw Human Perception and Per' f^rmancc, 6, ll.¯(i~l^<¯.

nke' R- A.. K- Schmldt, M,). (1978). The quantitative measure of pattern ^presentation in images using orientation-specific color aftereffects. Per' ccption ami /^vr/^/w^, 23, r¯ 15-520.

^odor,J. A. (1<^). Modu^nfy of mind, Cambridge, MA: Mil' Press.

1-ocior,). A., ^ Pyty.sliyn, 7,. \v. (l()®8). Coiiiicctlonism imd cognitive architecture: A criticsil analysis. Cognition, 2^ ;^71.

rolcy, R. (1987). Hoininui species iitid stone-tool ;isscrnbla2cs. AntiquUy, 61^ 380-^92.

Fonagy, P.. &: Moran, G. (1993). Selecting single case research designs for clinicians. In N. E. Miller, L. Luborsky,J. P. Barber, &:J, P. Docherty (Eds.), Psychodynamic treatment research: A handbook/or clinical practice (pp. 62-95). New York: Basic Books.

Franco, L., & Spcrry, R. W. (1977). Hemisphere latcralixation for cognitive processing of geometry. Neuropsychologia, 15, 107-114.

Fretter, P., Bucci, W.. Broitman, J., Silberschatz¯ G., &; Curtis,J. (1994). Plow the patient's plan relates to the concept of transference. Psychotherapy Research, 4, 56-70.

Freud, S. (1895a). Project for a scientific psychology. Standard Edition, 1, 295-391. London: Hogarth Press, 1966.

Freud, S. (1895b). Studies on hysteria. Standard Edition, 2, 3-305. London. Hogarth Press, 1955.

Freud, S. (1900). The interpretation of dreams. Standard Edition^ 4 6"^ London: Hogarth Press, 1953.

Freud, S. (1912). The dynamics of the transference. Standard Edition, 12, 99-108. London: Hogarth Press, 1958.

Freud. S. (1915). The unconscious. Standard Edition, 14, 166-215. London: Hogarth Press, 1957.

Freud, S. (1916-1917). Introductory lectures on psycho-analysis* Standard Edition^ 15 ^ 16. London: Hogarth Press, 1963.

Freud, S. (1923). The ego and the id. Standard Edition, 18, 12-66¯ London: Hogarth Press, 1961.

Freud, S. (1932). Preface to the third (revised) English edition of The interpretation of dreams. Standard Edition, 4, xxvii-xxviii, London: Hogarth Press,1953.

Freud, S. (1933), New introductory lectures on psycho-analysis. Standard Edition, 22, 1-182. London: Hogarth Press, 1964.

Freud, S. (1937a). Analysis terminable and interminable. Standard Edition, 23,216-253. London: Hogarth Press, 1964.

Freud, S. (1937b). Constructions in analysis. Standard Edition, 23, 255-269.London: Hogarth Press, 1964.

Ercud. S. (1940). An outline of psycho-analysis. Standard Edition, 23, 144-207.London: Hogarth Press, 1964.

Freud, S. (1954). The origins of psychos a lysis: Utters-to^elmFUess, dr^^ notes: 1887-1902 (M. Bonaparte. A. Freud, 8c L. Kns. Eds.). New York: Basic Books.

Friedman R Udoff. A., & Bucci, W. (1994, May). Afa^rn^w: A new view of female sexuality. Paper presented at the annual meeting of the American Academy of Psychoanalysis, Philadelphia.

G-ilin D (W4) Implications for psychiatry of left and right cerebral spc-ciahzation: A ncurophysiological context for unconscious processes. Archives of Ge^l P^r/K^ry. 30, 572-583.

Gardner H. (1983). Frames of mind: The theory of multifile intelligences. New York; Basic Books.

Gardner, R. A., & Gardner, B. T (1969). Teaching sign language to a chimpanzee.Science 165, 664-672.

Gazzaniga, M. S. (1983). Right-hemisphere language following brain bisection: A 20-year perspective. American Psychologist 38, 525-537.

Gazzaniga, M. S. (1985). The social brain. New York: Basic Books.

Gazzaniga, M. S. (1988). The dynamics of cerebral specialization and modular interactions. In L. Weiskrantz (Ed.), Thought without language (pp. 430-450). Oxford, UK: Clarendon Press.

Gazzaniga, M. S., & LeDoux, J. E. (1978). The integrated mind. New York: Plenum Press.

Gazzaniga, M. S., & Smylie. G. S. (1984). Dissociation of language and cognition: A psychological profile of two disconnected right hemispheres. Brain, 707,145-153.

Gedo,J. E. (1995). Working through as metaphor and as a modality of treatment. journal of the American Psychoanalytic Association, 43, 339-356.

Gesieland, R. C. (1986). Speculations on receptor cells as analyzers and filters. Experientia, 42, 287-291.

Gill, M. M. (1967). The primary process. In R. R. Holt (Ed.), Motives and thought: Psychoanalytic essays in honor of David Rapaport (pp. 259-298). New York: International Universities Press.

Gill, M. M. (1976). Metapsychology is not psychology. In M. M. Gill & P. S.Hoizman (Eds.), Psychology versus metapsychology: Psychoanalytic essays

in memory of George S. Klein. Psychological Issues, 9(Monograph No. 36), 71-105.

Gill. M. M., & Hoizman, P. S. (Eds.). (1976). Psychology versus metapsychology. New York: International Universities Press.

Goldberger. M. (1995). Commentary [to Gedo, J. (1995), Working through as metaphor and as a modality of treatment]. Journal of the American Psychoanalytic Association, 43, 360-365.

Goldenberg, G., Podreka, I., Steiner, M., & Willmes. K. (1987). Patterns of regional cortical blood flow related to memorizing of high and low imagery words: An emission computer tomography study. Neuropsychologia 25 473-486.

Greco, C Hayne, H., & Rovee.Collier. C. (1990). Roles of function, reminding,and variability in categorization by 3-momh-old infants. Journal of Expertmental Psychology: Learning, Memory, and Cognition, 16, 617-633.

^'ossi, D.. Orsini, A., Sc Modaffcri. A. (1986). Visuoimaginal constructionaltipraxia: On a case of selective deficit of imagery. Brain and Cognition, 5,255-267.

Grossman, W. !.¯ &: Stewart, W. A. (1976). Penis envy: From childhood wish to developmental metaphor, hurnal of the American Psychoanalytic Association, 24, 193-212.

Grunbaum, A. (1984). The foundations of psychoanalysis. Berkeley: University of California Press.

Hadainard.J. (1949). An essay on the psychology of invention in the mathematical field, Princcton, NJ: Princcton University Press.

Halgrcn, E. (1976). Activity of human hippocampal formation and amygdala neurons during olfaction, memory, movement, and other behaviors (Doctoral dissertation, UCLA). Dissertation Abstracts International, 37, 1956B.(University Microfilms No. 76-22, 194)

Hartmann, H. (1950). Comments on the psychoanalytic theory of the ego. Psychoanalytic Study of the Child, 5, 74-96.

Hawking, S. W. (1988). A brief history of time: From the big bang to black holes. New York: Bantam Books.

Hcnke, P. G. (1982). Telencephalic limbic system and experimental gastric pathology: A review. Neuroscience and Biobehavior Reviews, 6, 381-390.

Herming, H. (1916). Der Geruch [Smell] (rev. cd.). Leipzig, Germany: Barth. Heweti, C. (1977). Viewing control structures as patterns of passing messages. The Artificial Intelligence Journal, 8, 232-264.

Hillerman, T. (1989). Talking God, New York: Harper & Row.

Hillis, D. (1985). The connection machine. Cambridge. MA: MIT Press.

Hinton, G. E. (1984). Parallel computations for controlling an arm. Journal of Motor Behavior, 16, 171-194.

Hirsch, R. (1974). The hippocampus and contextual retrieval of information from memory. Behavioral Biology, 12, 421-444.

Hirsch, R. (1980). The hippocampus, conditional operations, and cognition. Physiological Psychology, 8, 175-182.

Hirsch, R., &: Krajden, J. (1982). The hippocampus and the expression of knowledge. In R. L. Isaacson 8c N. E. Spear (Eds.), The expression of knowledge (pp. 213-241). New York: Plenum Press.

Hobson.J. A. (1988). The dreaming brain^ New York: Basic Books.

Hobson,J. A., Lydic, R., &; Baghdoyan, H. A. (1986). Evolving concepts of sleep cycle generation: From brain centers to neuronal populations. Behavioral and Brain Sciences, 9, 371-448.

Hobson. J. A., & McCarley, R. W. (1977). The brain as a dream state generator: An activation-synthesis hypothesis of the dream process. American Journal of Psychiatry, 134, 1335-1348.

Hoffman. I. Z., & Gill, M. M. (1988). A scheme for coding the patient's experience of the relationship with the therapist (PERT): Some applications, extensions, and comparisons. In H. Dahl,

H. Kaechele, &; H. Thomae (Eds.),Psychoanalytic process research strategies (pp. 67-98). New York: Springer-Vcrlag.

Holt, R. R. (1962). A critical examination of Freud's concept of bound versus free cathexis. In R. R. Holt, Freud reap/mused: Afresh look at psychoanalytic theory (pp. 71-113). New York: Guilford Press, 1989.

Holt, R. R. (1965). A review of some of Freud's biological assumptions and their influence on his theories. In R. R. Holt. Freud reappraised: A fresh look at psychoanalytic theory (pp. I M-MO). New York: Guilford Press. 1989.

Holt, R. R. (1966). Measuring libidinal and aggressive motives and their controls by means of the Rorschach test. In D. Levinc (Ed.), Nebraska Symposium on Motivation (Vol. M, pp. 1-17). Lincoln: University of Nebraska Press.

Holt, R. R. (1967a). Beyond vitalism and mechanism: Freud's concept of psychic energy. In R. R. Holt, Freud reappraised: A fresh look at psychoanalytic theory (pp. 141-168). New York: Guilford Press, 1989.

Holt, R. R. (1967b). Tlie development of the primary process: A structural view. In R. R. Holt, Freud reappraised: A fresh look at psychoanalytic theory (pp. 253-279). New York: Guilford Press, 1989.

Holt, R, R. (1976a). Drive or wish? A rcconsideration of the psychoanalytic theory of motivation. In M. M. Gill &: P. S. Hoizman (Eds.), Psychology versus metapsychology: Psychoanalytic essays in memory of George S. Klein.Psychological Issues, 9(Monograph No. 36). 158-197.

Holt, R. R. (1976b). The present status of Freud's theory of the primary process. In R. R. Holt, Freud reappraised: A fresh look at psychoanalytic theory (pp. 280-301). New York: Guilford Press, 1989.

Holt, R. R. (1985). The current status of psychoanalytic theory. In R. R. Holt, Freud reappraised: A fresh look at psychoanalytic theory (pp. 324-344). New York: Guilford Press, 1989.

Holt, R. R, (1989). Freud reappraised: Afresh look at psychoanalytic theory. New York: Guilford Press.

Holtzman,J. D., SidtisJ.J., Voipe, B. T., Wilson, D. H., &: Gazzaniga, M. S. (1981). Dissociation of spatial information for stimulus localization and the control of attention. Brain, 104¯ 861-862.

Home,J.J. (1966). The concept of mind. International Journal of Psycho-Analysis 47, 42-49.

Honig. W. K. (1978). Studies of working memory in the pigeon. In S. H. Hulse, H. Fowler, & W. K. Honig (Eds.). Cognitive processes in animal behavior (pp. 211-248). Hillsdale, NJ: Eribaum.

Hoppe, K. D. (1977). Split brains and psychoanalysis. Psychoanalytic Quarterly, 46, 220-244.

Horel.J. A., & Keating, E. G. (1969). Partial Kliiver-Bucy syndrome produced bycortical disconnection. Brain Research, 16 281-284

Horowitz, ^J^Marmar, C.. Krupnick.J., Wilner,N.. Kakreider, N., & Wallerstein.

Horowitz M T Ipersonallty ^ and ^psychotherapy. New York: Bask

Books.œ ^ stlnson' ' curtis' ø- Ewert' ^ ^dington, D., Singer. J., Bucd.

W Mergenthaler E., Milbrath, C., & Hartley. D. (1993). Topics and signs: s^:::';; ^2mø;i,ø^l "p""0"- ft-""®/ c-c'""

Hull. C. L. (1943). Principles of behavior. New York: Appleton-CenturyCroft.

Hull.J. (1990). Attwwnent and the rhythm a/dialogue '^^Syfof^ findings. Paper presented at annual conference of the Society tor rsy therapy Research, Wintergrecn, WV,

Inheldcr, B., & Piagct. J. (1958) T/i<- yowlli a/logical thmking. New York. Basic Books. ,

Isakowcr. 0. (1938). A contribution to the patho-psychology of phenomena associated with Hilling asleep. International Journal of Psycho-Analysis, l^ 331-447.

Iwata, J., LeDoux,J. E., Mcciey. M. P., &: Arneric.J. (1986). Intrinsic neurons in the amygdaloid field projected to by the medial geniculate body mediate emotional responses conditioned to acoustic stimuli. Brain Research, 3(^(1-2), 195-214.

Izard, C. (1977). Human emotions. New York: Plenum Press. Jacobs, W.J., 5c Nadel, L. (1985). Stress induced recovery of fears and phobias. Psychological Review, 92, 512-531.

Jacobson, E. (1964). The self and the object world. New York: International Universities Press.

Jaffc.J., Sc Feldstein. S. (1970). Rhythms of dialogue. New York: Academic Press.

James, W. (1884). What is emotion? Mind, 19, 188-205.

James, W. (1890). The principles of psychology. New York: Dover,

1950.

James, W. (1894). The physical basis of emotion. Psychological Review, 1, 516-529. (Reprinted in Psychological Review, 101, 205-210)

Johnson, M. (1983). A multiple-entry, modular memory system. In G. H. Bower (Ed.), The psychology of learning and motivation (Vol. 17, pp. 81-123). New York: Academic Press.

Johnson, M. (1987). The body in the mind: The bodily basis of meaning, imagination, and reasoning. Chicago: University of Chicago Press.

Johnson'Laird, P. N. (1989). Mental models. In M. I. Posner (Ed.), Foundations of cognitive science (pp. 469-499). Cambridge, MA: MIT Press.

Johnston,J. R. (1988). Children's verbal representation of spatial location. InJ. Stiles-Davis, M. Kritchevsky, & U. Bellugi (Eds.), Spatial cognition: Brain bases and development (pp. 195-205). Hillsdale, Nj: Eribaum.

Jones, E. (1953). The life and works of Sigmund Freud (Vol. 1). New York: Basic Books.

Jones, E. E. (1995). How will psychoanalysis study itself? In T Shapiro 8c R. Emde (Eds.), Research in psychoanalysis: Process, development, outcome (pp. 91-108), New York: International Universities Press.

Jones, E. E., 8c Windholz. M. (1990). The psychoanalytic case study: Toward a method for systematic inquiry. Journal of the American Psychoanalytic Association, 38, 985-1015.

Kalmykova, K., Mergenthaler, E., &: Bucci, W. (1997). Relationship

episodes and computer referential activity. Paper presented at the meeting of the Society for Psychotherapy Research, Geilo, Norway.

Kapp, B. S., Pascoe¯J. P., &: Bixler, M. A. (1984). The amygdala: A neuroanatomical systems approach to its contributions to aversive conditioning. In L® R. Squire & N, Ituircrs (Eds.). Neuwpsychology of memory (pp. 478-488). New York: Guilfoixl P®¯

Kay, S., Fiszbcin, A., 8c Opicr, L. (1987). The Positive and Negative Syndrome Scale (PANSS) for schizophrenia. Schizophrenia Bulletin, 13, 261-276.

Keller, H. (1908). The world I live m. New York: Century.

Kepecs,J. G., & Wolrnan, R. (1972). Prcconscious perception of the transference. Psychoanalytic Quarterly, 16, 172-194.

Kernberg. 0. F. (1984). Severe personality disorders: Psychotherapeulic strategies. New Haven, CT: Yalc University Press.

Kernberg, 0. F. (1990). New perspectives in psychoanalytic affect theory. In R. PIutchik & H. Kcllennan (Eds.), Emotion: Theory, research and experience (pp. 115-131). New York: Academic Press.

Kernberg, 0. F. (1995). Psyclioanalytic object relations theories. In B* E. Moore (Ed.), Psychoanalysis: The major concepts (pp. 450-462). New Haven, CT: Yale University Press.

Kirk-Smith, M. D., Van Toller, C., &: Dodd, G. H. (1983). Unconscious odour conditioning in human subjects. Biological Psychology, 17, 221-231.

Klein. G. S. (1970). Perception, motives and personality. New York: Knopf.

KIein, G. S. (1973). Is psychoanalysis relevant? Psychoanalysis and Contemporary Science, 2, 3-21.

KJein, G. S. (1976). Psychoanalytic theory: An exploration of essentials. New York: International Universities Press.

Klein, M. (1948). Contributions to psychoanalysis, 1921-1945. London: Hogarth Press.

Klein, M. H., Mathieu, P. L., Gcndlin, E. T, 8c Kiesler, D.J. (1970). The Experiencing Scale: A research and training manual. Madison: Wisconsin Psychiatric Institute, Bureau of Audio Visual Instruction.

Kline. P. (1981). Fact and fantasy in Freudian theory (2nd ed.). New York: Methuen.

Kluver. H., &: Bucy, P. C. (1937). Psychic blindness and other symptoms following bilateral temporal lobectomy in rhesus monkeys. Journal of Physiology, 119, 352-353.

Kohut, H. (1977). The restoration of the self. New York: International Universities Press. Kosslyn, S. M. (1975). Information representation in visual images. Cognitive Psychology, 7, 341-370.

Kosslyn, S. M. (1983). Ghosts in the mind's machine: Creating and using images in the brain. New York: Norton.

Kosslyn, S. M. (1987). Seeing and imagining in the cerebral hemispheres: A computational approach. Psychological Review, 94, 148-175.

Kosslyn, S. M., Ball, T. M., & Reiser, B.J. (1978). Visual images pre-

serve metric spatial information: Evidence from studies of image scanning. Journal of Experimental Psychology: Human Perception and Performance, 4, 47-60.

Kris, E. (1936). The psychology of caricature. International Journal of Psycho-Analysis, 17, 285-303.

Kris, E. (1952). Psychoanalytic explorations in art. New York: International Universities Press.

Kris. E. (1956). On some vicissitudes of insight in psychoanalysis. International Journal of Psycho-Analysis, 37, 445-455. 320

^ystal, H. (1988). Integration and self-healing: Affect trauma, alexithymia. Hillsdale, Kul n1^ ^^Y^ Press.

l"' I- K.. &: Miller. J. D. (1975). Speech perception by the chinchilla: Voiced-Kuhl r/01001^5 tiistinction in alveolar plosive ,¯nsonants, Science, 190, 69-72.

A- K.. ^ Miller, J. D. (1976). Speech ^,.v.^.on by the chinchilla: Identification functions for synthetic VOT stimuli. Journal of (fie Acoustical Society of La Africa, 60, 581.

(ø ¯ C¯. (1987). Women, fire, and dangerous things: What categories reveal about the Lan p^7?^ ^^e^ diversity of Chicago Press.

' o' J- (1994). The varieties of emotional experience: A meditation on Jamcs-Lange Theory. Psychological Review, 101, 211-221.

- gacRer. R. (1987). Foundations of cognitive grammar (Vol. 1). Stanford, CA: Stanford University Press. ange, C (1885). The emotions (I. A. Haupt, Trans.). Baltimore: Williams & Wilkins. 1922.

aw ess H. T. (1978). Recognition of common odors, pictures, and simple shapes. Perception and Psychophysics, 24, 493-495.

Lawless. H. T., & Engen, T. (1977). Associations to odors: Interference, mnemonics, and verbal label ing. Journal of Experimental Psychology: Human Learning and Memory, 3, 52-59.

Lazarus. R. S. (1984). Thoughts on the relations between emotion and cognition. In K. R. Scherer & P. Ekman (Eds.), Approaches to emotion (pp. 247-270). Hillsdale, NJ: Eribaum.

LeDoux,J. E. (1986). Sensory systems and emotion: A model of affective processing. Integrative Psychiatry, 4, 237-248.

LeDoux.J. E. (1989). Cognitive-emotional interactions in the brain. Cognition and Emotion, 3, 267-289.

LcDoux, J. E., Sakaguchi, A., Iwata, J., &: Reis. D. J. (1986). Interruption of projections from the medial geniculate body to an archi-ncostriatal Held disrupts the classical conditioning of emotional responses to acoustic stimuli in the rat. Neuroscience, 17⁻ 615-627.

LeDoux.J. E., Sakaguchi, A., & Reis, D.J. (1984). Subconical efferent projections of the medial geniculate nucleus mediate err-responses conditioned by acoustic stimuli. Journal Neuroscience, 4, w^ --t^a.

Leslie. A. M. (1982). The perception of causality in infants. Perception, 11, 173-186.

Leslie, A. (1988). The necessity of illusion: Perception and thought in infancy. In

L. Weiskrantz (Ed.), Thought without language (pp. 185-210). Oxford, UK: Clarendon.

Leventhal, H. (1984). A perceptual-motor theory of emotion. In K. R. Scherer &: P. Ekman (Eds.), Approaches to emotion (pp.

271-291). Hillsdale, NJ: Eribaum.

Levine. D. N.. Warach. J.. &: Farah, M. J. (1985). Two visual systems in mental imagery: Dissociation of "what" and "where" in imagery disorders due to bilateral posterior cerebral lesions. Neurology, 35, 1010-1018.

Levy,J. (1970). Information processing and higher psychological functions in the disconnected hemispheres of commissurotomy patients (Doctoral dissertation. California Institute of Technology, 1970). Dotation Abstracts Inter. national, 31 1542B. (University Microfilms No. 70"14, 844)

Levy.J. (1983). Language, cognition, and the right hemisphere: A response to Gazzaniga. American Radiologist X 542-546.

LevyJ.. Trevarthen. C., Spcrry; R. (1972). Perception of bilateral chimenc figures following hemispheric deconnexion. llmin^ 95, 61-78.

Lewin, B. D. (1946). Sleep, the mouth, and the dream .screen. Psychoanalytic Quarterly, 15, 419-434.

Lcwin, B. D. Q948). Inferences from the dream screen. International Journal of Psycho-Analysis 29, 224-231.

Lewis, M.", ^ Brooks, }. (1975). Infant's social perception: A constructivist view. In L. Cohcn & P. Salapatek (Eds.), Infant perception: From sensation to cognition (VoL 2. pp. 102-148). New York: Academic Press. Liberman, A. M.¯ Cooper, F. S., ShankweUer. D. P.. Be Studdert-Kcnnedy, M. (1967).

Perception of the speech code. Psychological Review, 74, 431-461.

Loewald, H. W. (1978). Primary process, secondary process and language. InJ.

H. Smith (Ed.), Psychiatry and the humanities: Psychoanalyse and language (Vol. 3, pp. 235-270). New Haven, CT: Yale University Press.

Luborsky, L. (1988). A comparison of three transference related measures applied to the specimen hour. In H. Dahl, H. Kaechele, & H. Thomae (Eds.), Psychoanalytic process research strategies (pp. 109-115). New York: Springer-Verlag.

Luborsky, L.. Barber, J. P., Binder, J., Curtis, J., Dahl, H., Horowitz, L. M., Horowitz, M., Perry, J. C., 8c Schacht, T. (1993). Transference-related measures: A new class based on psychotherapy sessions. In N. Miller, L.

Luborsky, J. Barber & J. Docherty, (Eds.), Psychodynamic treatment research (pp. 326-341). New York: Basic Books.

Luborsky, L., &: Crits-Cristoph, P. (1988). The assessment of transference by the CCRT method. In H. Dahl, H. Kaechele, 8c H. Thomae (Eds.), Psychoanalytic process research strategies (pp. 99-108). New York: Springer-Verlag.

Luborsky, L.. & Crits-Cristoph, P. (1990). Understanding transference: The CCRT method. New York: Basic Books.

Luborsky, L., Popp, C., Barber, J. P., 8c Shapiro, D. (Eds.). (1994). Psychotherapy Research ^(3 & 4), 151-290. [Special Issue]

Luborsky, L., Stuart, J., Friedman, S., Seligman, D. A., Bucci, W., Pulver, S., & Woody, G. (1996). A collection of completely tape-recorded psychoanalyses as a research resource. Paper presented at the midwinter meetings of the American Psychoanalytic Association, New Y<^ r'.v

Lyman, B. J., 8c McDaniel. M. A. (1986). Effect, encoding strategy on

long-term memory for odours. Quarterly Journal of Experimental Psychology, 38, 753-765.

Lynch, G., 8c Baudry. M. (1988). Structure-function relationships in the organization of memory. In M. S. Gazzaniga (Ed.). Perspectives in memory research (pp. 23-91). Cambridge, MA: MIT Press

MacLean, P. D. (1949). Psychosomatic disease and the "visceral brain": Recent developments bearing on the Papez theory of emotion. Psychosomatic Medicine, 11, 338-353.

MacLcan, P. D. (1952). Some psychiatric implications of physiological studies on fronto-iemporal portion of limbic system (visceral brain). Electroencepha. lography and Clinical Ncuwphysiology, 4, 407-418.

Mahler. M. S. (1968). On human symbiosis and the vicissitudes a/individual New York: International Universities Press.

Mahler, M. S.. Pine, F., & Bcrgman, A. (1975). The psychological birth of the human infant: Symbiosis and mdwidudtion. New York: Basic Books.

Mahui, H. (1985). Dissociation of two behavioral functions in the monkey after early hippocampal ablations. In B. E. Will. P. Schmitt, & J. C. Dalrymple-

Aiford (Eds.), Bmin plasticity, learning and memory (pp. 353-362). New York: Plenum Press.

Malamui, B. L., Saunders, R. C., Sc Mishkin, M. (1984). Monkeys with combined amygdalo-hippocampal lesions succeed in object discrimination learning despite 24-hour intcrtrial intervals.

Behavioral Neuroscience, 98, 759-769.

Mandler, G. (1975). Mind and emotion. New York: Wiley.

Mandler, G. (1984). Mind and body. New York: Norton.

Mandler, J. (1991). Prelinguistic primitives. In L. A. Sutton & C.Johnson (Eds.), Proceedings of the seventeenth annual meeting of the Berkeley Linguistics Society (pp. 414-425). Berkeley, CA: Berkeley Linguistics Society.

Mandler, J. (1992). How to build a baby: II. Conceptual primitives. Psychological Review, 99, 587-604.

Margenau, H. (1950). The nature of physical reality. New York: McGraw-Hill.

Marr, D., & Poggio, T. (1976). Cooperative computation of stereo disparity. Science, 194, 283-287.

Martindale, C. (1975). Romantic progression: The psychology of literary history. Washington, DC: Hemisphere.

Marty, P., &; dc M*Uzan, M. (1963). La pensee operatoire. Revue Francaise de Psychanalyse, 27(SuppL), 345-356.

McClelland,J. L., Rumelhart, D. E., &; Hinton. G. E. (1989). The appeal of parallel distributed processing. In D. E. Rumelhart, J. L. McClelland, 8c the PDP Research Group, Parallel distributed processing: Explorations in the microstructure of cognition (Vol. 1, pp. 3-44). Cambridge: MIT Press.

McCollough, C. (1965). Color adaptation of edge-detectors in the human visual system. Science, 149, 1115-1116.

McDougall,J. (1989). Theaters of the body: A psychoanalytic approach to psychosomatic illness. New York: Norton.

McLaughlin, J. (1978). Primary and secondary process in the context

of cerebral hemispheric specialization. Psychoanalytic Quarterly, 47, 237-266.

Meltzoff, A. N. (1988). Infant imitation and memory: Nine-month-olds in immediate and deferred tests. Child Development, 59, 217-225.

Mergenthaler, E. (1985). Textbank systems: Computer science applied in the field of psychoanalysis. Heidelberg: Springer-Verlag.

Mergenthaler, E. (1992). Emotion/Abstractness as indicators of "hot spots" in psychotherapy transcripts. Paper presented at the 23rd Annual International Meeting of the Society for Psychotherapy Research, Berkeley, CA.

Mergenthaler. E. (1996). Emotion-abstraction patterns in verbatim protocols: A new way of describing psychotherapcutic processes. Journal of Consulting and Clinical Psychology, 6^ 1:W)-1315.

Mergenthaler, E., &: Bucci, W. (199^). Computer-assisted procedures for analyzing verbal data in psychotherapy research. Paper presented nt the 24th Annual International Meeting of\he Society for Psychotherapy Research, Piusburgh, PA.

Mergenthaler. E., &: Stinson, C. H. (1992). Psychotherapy transcription standards. Psychothetvipf Rescarrh, 2, 58-75.

Miller, N: E., Luborsky, L.. Barber. I. P., & Docherty. J. P. (Eds.). (1993).
Wiodynamic treatment research: A handbook/or clinical practice. New York: Basic Books.

Miller, S. (1994). The waking nightmare (Doctoral dissertation, Adclphi University, 1994). Dissertation Abstract International, 5^(2B), 600B.

Milner, B. (196$). Lcs troubles dc la memoire accompagnant des lesions hippocampiques bilaterales [Disorders of memory accompanying bilateral hippocampal lesions]. In P⁻ Passovant (Ed.), Physiologic de Wppocampe (pp.257-272). Paris: Centre National de la Recherche Scientifique.

Milner, B. (1974). Hemispheric specialization: Scope and limits. In F. 0. Schimdt & F. G. Worden (Eds.), The neurosciences: Third study program (pp. 75-89). Cambridge, MA: MIT Press.

Milner, B., Corkin, S., & Teuber, H. L. (1968). Further analysis of the hippocampal amnesic syndrome: 14-year follow-up study of H. M. Neuropsychologia, 6, 215-234.

Minsky. M. (1975). A framework for representing knowledge. In P. H. Winston (Ed.), The psychology of computer vision (pp, 211-277). New York: McGraw-Hill.

Mishkin, M., Malamut, B., 8c Bachevalier. J. (1984). Memories and habits: Two neural systems. In G. Lynch, J. L. McGaugh, 8c N⁻ M. Weinberger (Eds.), Neurobiology of learning and memory (pp. 65-77). New York: Guilford Press.

Mishkin, M., & Petri, H. L. (1984). Memories and habits: Some implications for ihe analysis of learning and retention. In L. R. Squire & N. Butters (Eds.), ^europsychology of memory (pp. 287-296). New York: Guilford Press.

Mishkin, M,, Ungerieider, L. G., 8c Macko. K. A. (1983). Object vision and spatial vision: Two cortical pathways. Trends in Neurosciences, d, 414-417.

Monk, R. (1990). Ludwig Wittgenstein: The duty of genius. New York: Penguin Books.

Moore, K. (1992). An application of linguistic narrative analysis to psychoanalyticprocess research (Doctoral dissertation, University ofDetr sertation Abstracts International, 53(2B), 1070.

Morey, J. (1992). Towards empirically based theory of mind in schizophrenia: Cognitive processes, symptomatology, and referential activity (Doctoral

^T^n^1^1 unive^sitiy 1989)' Sertation Abstracts International >,){UD) f ^55U.

Morse, R A., & Snowdon, C. T. (1975). An investigation of categorical speech discrimination by rhesus monkeys. Perception and Pswhobhwia 17 <)-16

Nabokov, V. (1992). The real life ofSebastian^, New & S^'lisT;

Nachman, p., &; Stern D N. (1983). Recall memory for ^notional experience in ^linguistic infants. Paper presented at the National Clinical Infancy Fellows Conference, Yalc University, New Haven, CT.

Nebes. R. D. (1972). Dominance of the minor hemisphere in commissurotomizcd man in a test of figural unification. Brain, 95, 633-638.

Nebes. R. D. (1973). Perception of spatial relationships by the right and Ictt hemispheres in commissurotomized man. Neuropsychologia, 3, 285-289.

Neisser, U. (1967). Cognitive psychology. New York: Appleton-Ccntury-Crofts.

Nemiah¯ J. C.. ^ Sifncos, P. E. (1970a). Affect and fantasy in patients with psychosomatic disorders. In 0. W. Hill (Ed.), Modern trends in psychosomatic medicine (VoL 2> pp. 430-439).

London: Butterworths.

Nemiah. J. C., Sc Sifneos, P. E. (1970b). Psychosomatic illness: A problem of communication. Psychotherapy and Psychosomatic 18, 154-160.

Nissen, M. J., &: Bullemcr, P. (1987). Attentional requirements of learning: Evidence from performance measures. Cognitive Psychology, 19, 1-32.

Nisscn, M.J., Knopman, D. S., 8c Schacter, D. L. (1987). Neurochemical dissociation of memory systems. Neurology, 37, 789-794.

Norman, D. A. (Ed.). (1981). Perspectives on cognitive science. Norwood, NJ: Ablex.

Norman, D. A. (1986). Reflections on cognition and parallel distributed processing. In D. E. Rumelhart, J. L. McClelland, 8c the PDP Research Group, Parallel distributed processing: Explorations in the microstructure of cognition (Vol. 2, pp. 531-546). Cambridge, MA: MIT Press.

Noy, P. (1969). A revision of the psychoanalytic theory of the primary process. International Journal of Psycho-Analysis, 50, 155-170.

Noy, P. (1973). Symbolism and mental representation. Annual of Psychoanalyse 1, 125-158.

Noy, P. (1979). The psychoanalytic theory of cognitive development. Psychoanalytic Study of the Child, 34, 169-215.

Oakley, D. A. (1983). The varieties of memory: A phylogenetic approach. In A. Mayes (Ed.), Memory in animals and humans (pp. 20-82). Cambridge, UK: Van Nostrand Reinhold.

0'Keefe,J., 8c Nadel, L. (1978). The hippocampus as a cognitive map.

Oxford, UK: Clarendon Press.

Okie, J. E. (1992). Action, somatization and language in borderline inpatients (Doctoral dissertation, Adelphi University, 1991). Dissertation Abstracts International 53, 759-760.

Olds.J. (1958). Self-stimulation of the brain. Science, 127, 315-324.

Oiton, D. S., Becker.J. T., & Handelmann, G. E. (1979). Hippocampus, space¯ and memory. Behavioral and Brain Sciences, 2, 313-365.

Ornstein, R. (1972). The psychology of consciousness. San Francisco: Freeman. Paivio, A. (1966). Latency of verbal associations and imagery to noun stimuli as a function of abstractness and generality. Canadian Journal of Psychology, 20, 378-387.

^®vio, A. (1971). Imagery and verbal processes. New York: Holt, Rinehart & Winston.

^"VH), A. (1986). Mental representations: A dual coding approach. New York: Oxford University Press.

Paivio, A.. Clark, J. M., Digdon, N., & Bons, T. (1989). Referential processing: Reciprocity and correlates of naming and imaging. Memory and Cognition, 16, 163-174.

Panksepp, J. (1982). Towards a general psychobiological theory of emotions. Behavioral and Brain Sciences, 5, 407-467.

Papcz,J. W. (1937). A proposed mechanism of emotion. Archives of Neurology and Psychiatry, 38, 725-743.

Parker, R. M., Jr. (1990). Burgundy: A comprehensive guide to the producers, appelations, and wines. New York: Simon &: Schuster.

Perry, J. C. (1993). Defenses and their effects. In N. E. Miller, L.

Luborsky,J. p.

Barber, &J. P. Dochci ty (Eds.), Psychodynanuc treatment research: A handbook for clinical practice (pp. 274-306). New York: Basic Books.

Petersen. S. E., Fox, P. T, Posner, M. I., Mintun, M., & Raichle, M. E. (1988).

Positron emission tomographic studies of the cortical anatomy of single word processing. Nature, 33 /, 585-589.

Peterson, M. J. (1975). The retention of imagined and seen spatial matrices. Cognitive Psychology, 7, 181-193.

Piaget¯J. (1950). The psychology of intelligence. London: Routledge 8c Kegan Paul.

Pinker, S. (1989). Learnability and cognition: The acquisition of argument structure. Cambridge, MA: MIT Press.

PIutchik, R. (1980). The emotions: A psycho-evolutionary synthesis. New York: Harper & Row.

Podgorny, P., 8c Shepard, R. N. (1978). Functional representations common to visual perception and imagination. Journal of Experimental Psychology: Human Perception and Performance, 4, 21-35.

Poincare, H. (1956). Mathematical creation. InJ. R. Newman (Ed.), The world of mathematics (pp. 2041-2050). New York: Simon &; Schuster.

Posner, M. I., &: Rothbart, M. K. (1989). Intentional chapters on unintended thoughts. In J. S. Uleman 8c J. A. Bargh (Eds.), Unintended thought (pp,450-469). New York: Guilford Press.

Posner, M. I., & Snyder, C. R. R. (1975). Attention and cognitive control. In R. Solso (Ed.). Information processing and cognition: The Loyola Symposium (pp. 55-85). Hillsdale, NJ: Eribaum.

Premack, D., &: Premack, A.J. (1983). The mind of an ape. New York: Norton.

Pribram, K. H. (1984). Emotion: A neurobehavioral analysis. In K. R. Scherer &

P. Ekman (Eds.), Approaches to emotion (pp. 13-38). Hillsdale, NJ: Eribaum.

Pribram, K. H., & Gill, M. M. (1976). Freud's project reassessed, London: Hutchinson.

Pylyshyn. Z. W. (1973). What the mind's eye tells the mind's brain: A critique of mental imagery. Psychological Bulletin^ 80, 1-24.

Radna, R.J., & MacLean, P. D. (1981). Vagal elicitation of respiratory-type and other unit responses in basal limbic structures of squirrel monkeys. Brain Research, 213, 45-61.

Rapaport, D. (1960). The structure of psychoanalytic theory: A systematizing attempt. Psychological Issues, 2(2, Monograph No. 6).

Rapaport, D., Gill, M. M., &: Schafer. R. (1968). Diagnostic psychological testing. New York; International Universities Press.

^smusscn. T., & Milncr, B. (1977). The role of early brain damage in determining the laieralization of cerebral speech functions. In S. Simond & D. Blizard

(Eds.), Evolution and lateralitaiion of the brain (pp. 355-369). New York: New York Academy of Science.

Rausch, R.. Serafetinides. E. A.. & Crandall, P. H. (1977). Olfactory

memory m patients with anterior temporal lobectomy. Cortex, 13, 445-452.

Keiser. M. p. (1985). Converging sectors of psychoanalysis and ncurobiology: Mutual challenge and opportunity. Journal of the American Psychoanalytic Association, 33, 11-34.

Richardson, J¯ T. E., &¯ Zucco, G. M. (1989). Cognition and olfaction: A review. Psychological Bulletin, 105, 352-360.

Ricken, E.J., Bennett, T L., Lane, P. L., &: French, J. (1978). Hippocampectomy and the attenuation of blocking. Behavioral Biology^ 22, 147-160.

Ricoeur, P. (1977). The question of proof in Freud's psychoanalytic writings. Journal of the American Psychoanalytic Association, 25, 835-871.

Riddoch. M.J., & Humphreys. G. W. (1987). A case of integrative visual agnosia. Brain, 110, 1431-1462.

Rilke, R. M. (1983). The notebooks of Malic Laurids Brigge (S. Mitchell. Trans.). New York: Random House.

Roediger, H. L., III, & Blaxton, T. A. (1987). Retrieval modes produce dissociations in memory for surface information. In D. S. Gorfein 8c R. R. Hoffman (Eds.), Memory and learning: The Ebbinghaus Centennial Conference pp. 349-379). Hillsdale, NJ: Eribaum.

Roland, P. E., & Friberg, L. (1985). Localization of cortical areas activated by thinking. Journal of Neurophysiology, 53, 1219-1243.

Rosch, E. (1975). Cognitive representations of semantic categories, journal of Experimental Psychology: General, 104, 192-233.

Rosch, E. (1978). Principles of categorization. In E. Rosch &: B. B. Lloyd (Eds.), Cognition and categorization (pp. 27-48). Hillsdale, NJ: Eribaum.

Rosenberg, D., &; Bloom, H. (1990). The book of] (D. Rosenberg, Trans.). New York: Random House.

Rosenberg, S., &; Simon, H. A. (1977). Modeling semantic memory: Effects of presenting semantic information in different modalities. Cognitive Psychology, 9, 293-325

Rozin, P. 8c Schull.J. (1989). The adaptive-evolutionary point of view in experimental psychology. In R. C. Atkinson, R. J. Herrnstein, G. Lindzey, & R.

D. Luce (Eds.), Handbook of experimental psychology (pp* 503-546). New York: Wiley-Imerscience.

Rubin. D. C., Groth. E., & Goldsmith, D. J. (1984). Olfactory cuing of autobiographical memory. American Journal of Psychology^ 97, 493-507.

Rubinstein, B. B. (1965). Psychoanalytic theory and the mind-body problem. In N. S. Greenfield & W. C. Lewis (Eds.), Psychoanalysis and current biological thought (pp. 35-56). Madison: University of Wisconsin Press.

Rubinstein, B. B. (1976). On the possibility of a strictly clinical psychoanalytic theory: An essay in the philosophy of psychoanalysis. In M. M. Gill & P.

S. Holxman (Eds.), Psychology versus metapsychology: Psychoanalytic essays in memory of George S. Klein. Psychological Issues, ^Monograph No. 36), 229-364.

Ruggiero. F. T, &: Flagg, S. F. (1976). Do animals have memory? In D. L. Medin. W. A. Roberts, 8c R. T. Davis (Eds.), Processes of animal memory (pp. 1-19). Hillsdale, NJ: Eribaum.

Rumelhart, D. E. (1980). Schemata: The building blocks of cognition. In R. Spiro, B. Brucc, 8i W. Brewer (Eds.), Theoretical issues in reading comprehension (pp.33-58). Hillsdale. N|; Eribaum.

Rumelhart, D. E., Mcdelland, J. L., Sc tlie PDP Research Group. (1986). Parallel distributed processing: Explorations in the micros Iruclure of cognition. Cambridge, MA: MIT Press.

Rumelhart, D. E.. &: Norman, D. A. (1982). Simulating a skilled typist: A study of skilled cognitive-motor performance. Cognitive Science^ 6, 1-36.

Rycroft, C. (1968). Imagination and reality^ New York: International Universities Press.

Sacks, 0., & Wassennan, R. (1987, November 19). The case of the color-blind painter. New York Review of Books, pp. 25-34.

Samstag, N. (1996). A meta-analysis of Referential Activity (Doctoral dissertation,

Adelphi University, 1996). Dissertation Abstracts International

Sandier, J. (1987). From safety to superego: Selected papers of Joseph Sandier, New York: Guilford Press.

Schab. F. R. (1991), Odor memory: Taking stock. Psychological Bulletin, 109, 242-251.

Schacht, T., Binder, J., & Strupp, H. (1984). The dynamic focus. In H, Strupp &: J. Binder (Eds.), Psychotherapy in a new key: A guide to time-limited dynamic psychotherapy (pp. 65-109).

New York: Basic Books.

Schachter, S. (1959). The psychology of affiliation, Stanford, CA: Stanford University Press.

Schachter, S., 8c Singer, T. E. (1962). Cognitive, social and physiological determinants of emotional state. Psychological Review, 69, 379-397.

Schacter, D. L. (1987). Implicit memory: History and current status. Journal of Experimental Psychology: Learning, Memory and Cognition, 13, 501-518.

Schacter. D. L. (1989). Memory. In M. A. Posner (Ed.), Foundations of cognitive science (pp. 683-725). Cambridge, MA: MIT Press.

Schacter, D. L., Cooper, L. A.. &; Delaney, S. M. (1990). Implicit memory for unfamiliar objects depends on access to structural descriptions. Journal of Experimental Psychology: Learning, Memory and Cognition, 119, 5-24.

Schacter, D. L., & Moscovitch, M. (1984). Infants, amnesics, and dissociable memory systems. In M. Moscovitch (Ed.), Infant memory (pp. 173-216). New York: Plenum Press.

Schafer, R. (1976). A new language for psychoanalyse New Haven, CT: Yale University Press.

Schafer. R. (1980). Action and narration in psychoanalysis. New Literary History, 12, 61-85.

Scliank R C. & Abelson, R. P. (1977). Scripts, plans, goals, and wilmtandwg. Hillsdale. NJ: Eribaum.

Scherer K R (1984) On the nature and function of emotion: A component prL^s a^proac;?;nKR. Scherer &: P. Ekman (Eds,), Ap-

proaches to emotion (pp. 293-317). Hillsdale, NJ: Eribaum.
. ^.fnrni

Schneider. W. (1988). Structure and controlling subsymbohc processing. Behavioral and Brain Sciences, 11, 51-52.

Segal, S. J. (1972). Assimiliatlon of a stimulus in the construction of an image: The Perky effect revisited. In P. W* Shcehan (Ed.), The function and nature of imagery (pp. 203-301). New York: Academic Press.

Segal, S. J.. & Fusella, V. (1970). Influence of imaged pictures and sounds on detection of visual and auditory signals. Journal of Experimental Psychology, 83, 458-464.

Shallice, T. (1982). Specific impairments of planning. Philosophical Transactions of the Royal Society of London, Series B. Biological Sciences, 298, 199-209.

Shepard, R. N. (1975). Form, formation, and transformation of internal representation. In R. Solso (Ed.), Information processing and cognition: The Loyola Symposium (pp. 87-122). Hillsdale, NJ: Eribaum.

Shepard, R. N., 8c Cooper, L. A. (1982). Mental images and their transformations. Cambridge, MA: MIT Press.

Shepard, R. N.. 8c Metzler.J. (1971). Mental rotation of three-dimensional objects. Science, 171, 701-703.

Sherry, D. F., & Schacter, D. L. (1987). The evolution of multiple memory systems. Psychological Review, 94(4), 439-454.

Shettleworth, S. J. (1983). Function and mechanism in learning. In M. D. Zeiler & P. Harzem (Eds.), Advances in the analysis of behavior (Vol. 3, pp. 1-39). New York: Wiley.

Shevrin, H. (1974). Brain wave correlates of subliminal stimulation, unconscious attention, primary- and secondary-process thinking and repressiveness. In

M. Mayman (Ed.), Psychoanalytic research: Three approaches to experimental study of subliminal processes. Psychological Issues, ^(Monograph No. 30), 56-87.

Shevrin, H. (1995). Is psychoanalysis one science, two sciences, or no science at all? A discourse among friendly antagonists. Journal of the American Psychoanalytic Association, 43, 1-24.

Sidtis.J.J.. Voipe, B. T., Wilson, D. H., Rayport, M., 8c Gazzaniga, M. S. (1981). Variability in right-hemisphere language function: Evidence for a contin- uum of generative capacity. Journal of Neuroscience, I, 323-331.

Simon, H. A. (1967). Motivational and emotional controls of cognition. Psychological Review, 74, 29-39.

Simon, H. A., & Kaplan, C. A. (1989). Foundations of cognitive science. In M. I. Posner (Ed.), Foundations of cognitive science, (pp¯ 1-47). Cambridge, MA:MIT Press.

Smith, H., 8c McDougall, W. (1920). Some experiments in learning and retention.British Journal of Psychology, 10, 198-209.

Solomon, G. F. (1987). Psychoneuroimmunology: Interactions between central nervous system and immune system. Journal of Neuroscience Research, 18^ 1-9.

Solomon. P. R. (1977). The role of hippocampus in blocking and conditioned inhibition of tlie rabbit's nictitating membrane response. Journal of Corn. parative Physiology and Psychology, 91, 407-417.

Spelke. E. S. (1985). Perception of unity, persistence, and ^niitv: Thoughts on p infants' conceptions of objects. In J. Mehler 8c .. -T. Neona te cognition: Beyond thr blooming Inwing confwion (pp. 89-113). Hillsdale. NJ: Eribaum.

Spcnce, D. P. (1982). Narmlive truth and historical truth: Meaning and interpretation in psychoanalyse New York: Norton.

Spence, D. P., Dahl, H., 8c Jones, E. (1993). Impact of interpretation on associative freedom. Journal of Clinical and Consulting Psychology^ 61, 395-402.

Squire, L. R. (1982). The neuropsychology of human memory. Annual Review of ^euroscience, 5, 241-273.

Squire, L. R. (1992). Memory and the hippocampus: A synthesis from findings with rats, monkeys, and humans. Psychological Review, 99, 195-231.

Squire, L. R., &: Cohen, N.J. (1984). Human memory and amnesia. In G. Lynch, J. McGaugh, & N. Wcinberger (Eds.), Neurobiology of learning and memory (pp. 3-64). New York: Guilford Press.

Steele, R. S. (1979). Psychoanalysis and hermeneutics. International Review of Psycho-Analysis, 6, 389-411.

Stern, D. N, (1985). The interpersonal world of the infant. New York: Basic Books.

Stern, W. (1914). Psychologie derfruehen KindheiL Leipzig: Quelle and Meyer. Stone, P. J., Dunphy, D. C., Smith, M. S., & Ogilvie, D. NL (1966). The general inquirer: A computer approach to content analysis, Cambridge, MA: MIT Press.

Strachey,J. (1934). The nature of the therapeutic action of psycho-anal-

ysis. In L. Paul (Ed.), Psychoanalytic clinical interpretation (pp. 362-378). New York: Free Press, 1963.

Strauss, M. S. (1979). Abstractions of proto-typical information by adults and 10-month-old infants. Journal of Experimental Psychology: Human Learning and Memory, 5, 618-632.

Strupp, H. H., &: Binder. J. L. (Eds.). (1984). Psychotherapy in a new key. New York: Basic Books.

Sullivan, H. S. (1953). The interpersonal theory of psychiatry^ New York: Norton.

Sumner, D. (1962). On testing the sense of smell. Lancet, 2(7262) 895-897

Swanson, L. W. (1983). In W. Seifert (Ed.), Neurobiology of the hippocampus (pp.3-19). London: Academic Press.

Sweetser, E. (1990). From etymology to prag^natics: Metapf^^i and cultural aspects of T i ^oS^T^' ca^nbridge¯ UK: Cambridge .ruversity Press. 4'S in language and C08nition ^S^we Science 22,

Teller, V.. & Dahl^H. (1986). The microstructure of free assodation-Jo^ of the American Psychoanalytic Association 34 763 798 ^ Juui nui, UJ i ^»»»S^e^^- «< «»7)- ^'»'»»'-»-Wi.ftfat.f.te. Berlin, Thø»»BtiS?$^.1992) «----»^flit» -®' 2. «hitrilBto

Thomas, G. J., & Spafford, P. S. (1984). Deficits for representational memory induced by septal and cortical lesions (singly and combined) in rats. Behavioral Neuroscience, 98, 394-404.

Titchcncr, E. B. (1910). A t^thook of psychology. New York: Macmillan. Tolstoy, L. (1939). Anna Karenina. New York: Random House.

Tomkins, S. S. (1962). Affect, imagery, consciousness: Voi A The positive affects. New York: Springer,

Tomkins. S. S. (1984). Affect theory. In K. R. Schcrer 8c P. Ekman (Eds.), Approaches to emotion (pp. 163-195). Hillsdale, NJ: Eribaum.

Tomkins, S. S., & McCarter. R. (1964). Wliat and where are the primary affects? Some evidence for a theory. Perceptual and Motor Skills, 18, 119-158.

Tranel, D.. & Damasio, A. R. (1985). Knowledge without awareness: An autonomic index of facial recognition by prosopagnosics. Science, 228, 1453-1454.

Tronick, E. (1989). Emotions and emotional communication in infants. American Psychologist, 44, 112-119.

Tronick, E. Z., & Cohn, J. F. (1989). Infant-mother face-to-face interaction: Age and gender differences in coordination and the occurrence of miscoordination. Child Development 60, 85-92.

Tulving, E. (1972). Episodic and semantic memory. In E. Tulving & W. Donaldson (Eds.), Organization of memory (pp. 381-403). New York: Academic Press.

Tulving, E. (1983). Elements of episodic memory. Oxford, UK: Clarendon Press.

Tulving, E. (1985). How many memory systems are there? American Psychologist, 40, 385-398.

Udoff, A. (1996). Maternalism in psychoanalysis: An empirical study (Doctoral dissertation, Adelphi University, 1995). Dissertation Abstracts International, 56(6), 3468B.

Ungerleider, L. G., 8c Mishkin, M. (1982). Two cortical visual systems.

In D. J. Ingle, M. A. Goodale, &: R.J. W. Mansfield (Eds.), Analysis of visual behavior (pp. 549-586). Cambridge, MA: MIT Press.

Van Essen, D. C. (1985). Functional organization of primate visual cortex. In A. Peters 8c E. G.Jones (Eds.), Cerebral cortex (Vol. 3, pp. 259-329). New York: Plenum Press.

von Benalanffy, L. (1950). The theory of open systems in physics and psychology. Science, 3, 23-29.

Vygotsky, L. (1934). Thought and language. Cambridge, MA: MIT Press, 1986.

Wallerstein, R. S. (1988). One psychoanalysis or many? International Journal of Psycho-Analysis, 69, 5-21.

Wallerstein, R. S. (1993). The effectiveness of psychotherapy and psychoanalysis: Conceptual issues and empirical work. In T Shapiro &; R. N. Emde (Eds.), Research in psychoanalysis: Process, development, outcome (pp. 299-312). Madi- son, CT: International Universities Press.

Warrington, E. K., & Weiskrantz, L. (1968). New method of testing long-term retention with special reference to amnesic patients. Nature, 217, 972-974.

Warrington, E. K., &: Weiskrantz, L. (1974). The effect of prior learning on subsequent retention in amnesic patients. Neuropsychologia, 12, 419-428.

Warrington, E, K., & Wciskrantz. L. (1982). Amnesia: A disconnection syndrome? Neuropsychologia, 20, 233-248.

Waters, R. S.. 8c Wilson. W. A. (1976). Speech perception by rhesus monkeys: The voicing distinction in synthesized labial and

velar stop consonants. Perception and Psychophysics, 19, 285-289.

Watson, J. B. (1913). Psychology as the behaviorist views it. Psychological Review, 20, 158-177.

Waugh. N. C., Sc Norman, 0. A. (1965). Primary memory. Psychological Review, 72, 89-104.

Wechslcr, D. (1981). Wechsler Adult Intelligence Scale-Revised. San Antonio, TX: Psychological Corporation.

Wegman, C. (1985). Psychoanalysis and cognitive psychology: A formalization of Freud's theory. New York: Academic Press.

Weir. C. (1976). Auditory frequency sensitivity in the neonate: A signal, detection analysis. Journal of Experimental Child Psychology, 21, 219-225.

Weiskrantx, L. (1956). Behavioral changes associated with ablation of the amygdaloid complex in monkeys. Journal of Comparative and Physiological Psychology, 49, 381-391.

Weiskrantz, L. (1986). Blindsight: A case study and implications. New York: Oxford University Press.

Weiss,J. (1993). Empirical studies of the psychoanalytic process. In T. Shapiro & R. N. Emde (Eds.), Research in psychoanalysis: Process, development, outcome (pp. 7-29). Madison, CT: International Universities Press.

Weiss.J., Sampson, H., 8c the Mount Zion Psychotherapy Research Group. (1986).The psychoanalytic process: Theory, clinical observation, and empirical research.New York: Guilford Press.

Werner, H., & Kaplan. B. (1984). Symbol formation. Hillsdale, NJ: Eribaum.

Whorf, B. L. (1950). Four articles on metalinguistics. Washington, DC: Foreign Service Institute.

Whorf, B. L. (1964). Language, thought and reality^ Cambridge, MA: MIT Press.

Widlocher, D. (1990). Neurobiologie et psychanalyse: Les operateurs de commutation. Revue Internationale de Psychopathologie, 2, 335-356.

Winnicott, D. W. (1971). Playing and reality. New York: Basic Books.

Winograd, T (1975). Frame representations and the declarative-procedural controversy. In D, G. Bobrow 8c A. M. Collins (Eds.), Representation and understanding: Studies in cognitive science (pp. 185-210). New York: Academic Press.

Wundt, W, (1912). An introduction to psychology (R. Pintner, Trans.). London; George Alien. (Reprinted by Arno Press. New York, 1973)

Yuille.J. C. (1986). The futility of a purely experimental psychology of cognition; Imagery as a case study. In D. F. Marks (Ed.). Theories of imase formation (pp. 197-224). Bronx, NY: Brandon House.

Zaidcl, E. (1983). A response to Gazzaniga: Language in the right hemisphere:Convergent perspectives. American Psychologist 38 542-546

Zajonc. R. B. (1980). Feeling and thinking: Preferences need no inferences.American Psychologist, 35, 151-175.

ZaJonc R, B. (1984a). The interaction of affect and cognition. In K. R. Schcrer & P. Lkman (Eels.), Approaches to emotion (pp. 259-2-16). Hlllsdale, NJ: Eribaum. Jonc' R- B- (^84b). On primacy of affect. In K. R. Schcrer 8c P. Ekman (Eds.),

Zh rf API)T()ach?s {(> ^^ion (pp. 259-270). HiUsclale. N|: Eribaum. 1 I!' ^'J" & Logan, G. D. (1986). On (he autonomy of mental processes: A case study of ari(hmctic.y^mi<^ a/Experimental Psychology: General, 115, llo~130.

المؤلفة في سطور

د.ويلما بوتشي

أستاذ ومدير البحوث في معهد ديرنر ، مدير برنامج الدكتوراه في علم النفس الإكلينيكي في جامعة أدلفي ، ونائب الرئيس والمدير العلمي المشارك بمعهد جلاس للبحث الأساسي في التحليل النفسي ، ومشاركة في كلية المؤسسة الدولية لبرنامج البحوث والتدريب على التحليل النفسي ، وقد أكملت دراستها العليا وتدريبها في علم النفس المعرفي والإكلينكي في جامعتي ميتشجان ونيويورك .

المترجم في سطور

د. فؤاد الدواش

حاليا رئيس مجلس أمناء مؤسسة التنمية الشخصية المستدامة المشهرة بوزارة التضامن الاجتماعي بمصر،حصل على درجة الماجستير في جامعة القاهرة قسم الإرشاد النفسي عن (حالات الهوية والسلطة لدى المراهقين) ، وحصل على درجة الدكتوراه في جامعة القاهرة قسم الإرشاد النفسي عن (الذكاء الوجداني وعلاقته ببعض متغيرات الشخصية لدى المراهقين)، قام بتدريس علم النفس وتقديم الدعم النفسي لطلاب جامعة هيلوبوليس بمصر ، وقام بالتدريس في الدراسات العليا بقسم علم النفس بكلية الآداب جامعة طنطا ، وقام بالتدريس بكلية الدراسات العليا بجامعة نايف العربية للعلوم الأمنية وتولى مسئولية تقييم التدريب بكلية التدريب بالجامعة ، قام بالتدريس بجامعة عمر المختار بليبيا ، قام بإعطاء(١٠٠) برنامج تدريبي لمدراء الإدارة الوسطى والعليا للقطاع الحكومي بالجمهورية العربية السورية ، له العديد من المؤلفات والمقاييس النفسية المترجمة المنشورة بمكتبة الأنجلو المصرية ، كتابه (نظام الشخصية في الفهم الإسلامي) على قوائم مكتبات (٨) جامعات أمريكية(ييل - برينستون - أيوا - هارفارد - كولومبيا - الجامعة الأمريكية بالقاهرة - تكساس - ستانفورد)، كاتب روائي وقصاص ، صدر له في(٢٠١٨) المجموعة القصصية " مصنع الهذيان " وتوجد مجموعته القصصية الأخيرة على قوائم مكتبات(١٢)

جامعات (ييل ـ برينستون ـ أيوا ـ هارفارد ـ إيموري ـ نيويورك ـ واشنطن ـ ميتشجان ـ كولومبيا ـ كورنيل ـ دوك ـ أوهايو ـ تكساس ـ ستانفورد)

المراجع في سطور

أ.د/ عبد الله عسكر

ـ استاذ التحليل النفسي بجامعة الزقازيق ، شغل مناصب نائب رئيس جامعة الزقازيق وعميدا لكلية الآداب ورئيسا لقسم علم النفس ، ومديرا لمركز التخطيط الاستراتيجي ، وخبيرا لنظم جودة التعليم العالي ، ومستشارا لوزير التعليم العالي والبحث العلمي ، ورئيس اللجنة العلمية لترقية أساتذة علم النفس ، وأسس العديد من الروابط في مجال علم النفس والتحليل النفسي وأسس للسيكوتكنولوجي العربي ، في مجال القياس النفسي ، وألف العديد من أمهات الكتب في مجال علم النفس الإكلينكي والتحليل النفسي وترجم العديد من المراجع والمقاييس النفسية ، وأشرف على ٥٠ رسالة ماجستير ودكتوراه ، وأنتج أكثر من ٤٠ بحثاً في مجالات مختلفة وحصل على جائزة جامعة الزقازيق التقديرية وجائزة التميز العلمي .